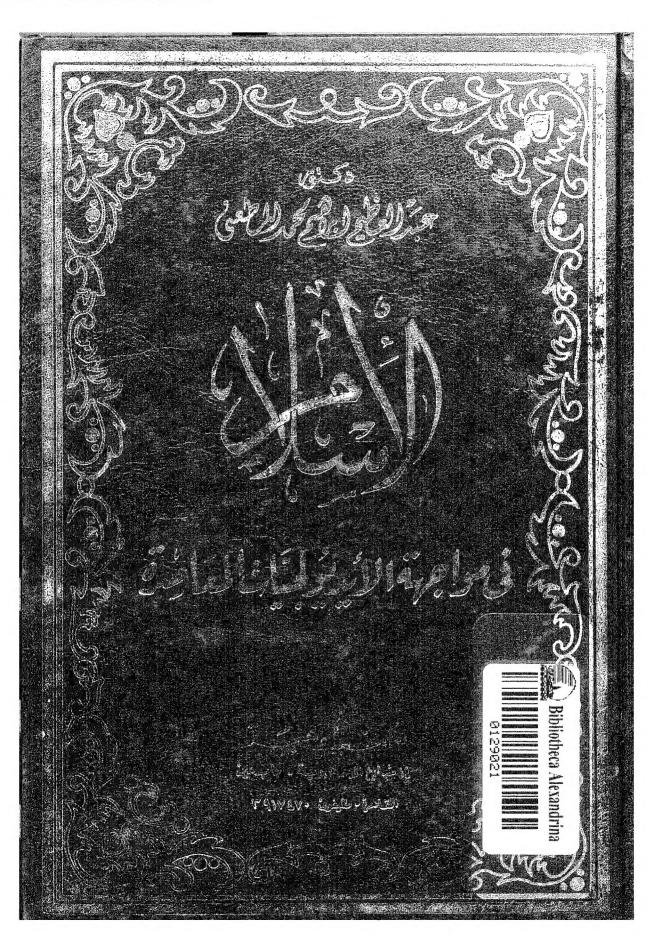
verted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version









الدكنورعبدل فطيم المطعنى

المنطقة الأربي للمناطقة المنطقة الأربي للمنطقة الأربي للمنطقة المنطقة المنطقة

يطلب من: مكتبة وهبة ١٤ شارع الجهودية ـ عابدين المقاهرة ـ تيفين ٩٣٧٤٧٠ onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

جميمع الحقوق محفوظة



#### - 1 ---

فى الثالث والعشرين من شهر سبتمهر ١٩٨٦م أعلمنى الاستاذ الدكتور مرعى سيد تتى الدين وكيل كلية اللغة العربية أنه تقرر أن أشترك مع الدكتور مرعى مدكور مدرس الصحافة والإعلام بالسكلية فى تدريس مادة و وقف الإسلام من الايديو لجيات المعاصرة ، الحلاب الصحافة والإعلام بالمرحلة النهائية والليسانس ، وكنت أميل إلى الاعتذار أولا ؛ لانى لم أشتغل بتدريس هذه المسادة من قبل ، ولانها بعيدة عن مجال التخصص الذى أعمل فيه (البلاغة والنقد) . وقوبل إعتذارى بالرفض من الاستاذ الدكنور سعد ظلام عميد السكلية ، فاستخرت الله وبدأت أعد للأمر عدته ، وقد كان الدكتور مرعى السكلية ، فاستخرت الله وبدأت أعد للأمر عدته ، وقد كان الدكتور مرعى أدرس إما الفلسفات والايديو لجيات الروحية الشرقية كالبهائية والقاديانية . أو الفلسفات والايديو لجيات الأوربية الغربية ، ويغلب عليها الجانب المادى، كالعلمائية والماركسية ، ووجدتنى أميل ميلا شديداً إلى الجانب الثانى ، وهو الايديو لجيات الماديات المادية الغربية ، والتقت وجهات الماديات حول هذا التوزيع وأخذ كل منا يعمل في مجاله مستمداً العون من الله .

#### - 7 -

وفيها يختص بالجانب الذي أنيط بي فقد هديت إلى أن يـكون المنهج الذي أمارس من خلاله عملي على الوجه الآتي :

ه التعرض لناريخ أوربا منذ القرن الأول لميلاد السيد المسيح ـ علميه السلام ـ حتى نهاية القرن السابع عشر الذي انتقلت فيه أوربا من سيادة النصوص

الدينية كمصدر وحيد للمعرفة إلى الفلسفات المثالية العقلية خلال عصر التنوير القصير المدى (خمسون سنة تقريباً ) .

• التعرض للفلسفات الوضعية المادية التي كان قيامها رد فعل عنيف على كل من الفكر الدبني الكاسي، والفكر العقل المثالي . لأن الفلسفات الوضعية المادية الممت كلا من الفكر الكاسي والتقلي المثالي بالقصور في مجال المعرفة وبالإفلاس في مجال التوجيه .

وقد تجمعت خيوط الفكر الوضعى فى انجاه مادى واحد هو ما يعرف الآن به د العلمانية ، والعلمانية قد تكونت من عدة أيديو لجيات مادية قنا برصدها كالداروينية ، و"فرويدية ، والبراجانية ،وحسية أو جست كونت وعقد جان جاكروسو ، ثم الميكيافيللية . كا خدعت العلمائية نفسها بالكشوف العلمية الصحيحة التي أسامت العلمائية فهمها ، وانحرفت بها عن مسارها مثل اكتشاف كوبرنيق لمركزية الشمس وبرونو ، وجاليليو ثم إسحق نيوتن مكمتفف الجاذبية .

ووقفنا طويلا أمام الماركسية باعتبارها الوريث لسكل نفايات الفيكر
 المادى . وناقشنافى موضوعية وصدق الأساس الذي قامت عليه هذه الفلسفة.

هذا ، ولما كان المقصود من تدريس هذه الآيديو لجيات لطلاب الصحافة والإعلام هو بيان موقف الإسلام منها فإن الطابع أو المنهج الذي سرنا عليه في هذا الكتاب منهج يقوم على العرض والنقد والنقض في لحمته وسداه . فليس ما في هذا الكتاب تأريخا لحذه الآيديو لجيات . وإنما هو دراسة كاشفة عما فيها من زيف وقصور وابحراف .

ومواجمة الإسلام للأيديو لجيات المعاصرة من ألزم الواجبات التي ينبغي أن ينبض بها الدعاة . وأز، يعدوا أنفسهم إعداداً كاملا للتصدي لهما لأنها . وعلى ما بين بعضها من عداء ـ تجمع على محاربة الإسلام وعزله عن الحياة،

حتى عن حياة المسلمين أنفسهم ، وهي كلما تسير في كسب الإنتصار لها على أساس واحد لا يكاد يتخلف وإن لم يفصح عنه ، ذلك الأساس هو :

الذي يعرف هو الذي يحكم ويقود . . . .

وسيرى قارى. هذا الكتاب أن أحق , الأيديو اجيات ، على الإطلاق بالحـكم والقيادة للإنسائية جمعاء بناءعلى الأساس الذى وضموه هو ،الإسلام، والإسلام وحده . فقد استقى الإسلام المعرفة الصحيحة من جميع مصادرها الصحيحة :

من العقل، ومن الحواس والتجربة والملاحظة، ومن العلم بكل فروعه وبحالاته، ومن الواقع، ثم عصم هذه المصادر بالوحى الأمين وغيره من الأيديولجيات إذا استقى معرفة من مصدر صحيح رفض كل المصادر التي عداها، فخسر ولم يربح، وبعضها كان قد استقى المعرفة من مصادر غير صحيحة فكان أسرع هذه الآيه يولجيات في التردى والسقوط.

وحقيقة الحقائق التي يصل إليها قارى. هذا الكتاب:

به إن الإسلام برى. من نقص أخذه على ما سواه . وإن ما سواه اليس فيه ما هو صحيح إلاوهو معتمد فى الإسلام . وإن الإسلام فى استقائه للمرفة الصحيحة أعتمد على كل المصادر المعرفية الصحيحة . وسما فوق كل الفلسفات والايديو جيات ، لأنه من صنع الله ، وماعداه من صنع البشر .

هذا وقد وقعت أخطاء فى أثناء الطبيع لا تغيب على القارى، الفطن ولم نشمكن من تصريبها لضيق الوقت. وعدرنا أن إعداد هذا الكتاب ( تأليفاً وطبعاً ) ثم فى مدة لا تتجاوز ثلالة أشهر ليكون بأيدى الطلاب فى وقت مناسب. والحمد لله فى الأولى والآخرة.

د / عبد العظيم إبراهيم المطعني القاهرة: الظاهر في الثلاثاء الموافق ٢٨ / ١٤٠٧ ه ٠ القاهرة: الظاهر في الثلاثاء الموافق ٢٨ / ١٤ / ١٩٨٣ م ٠



# سيارة الجاورالمة التية

عرفت أروبا المسيحية منذ القرب الأول للميلاد ، عرفتها وكانت المسيحية إذ ذاك محتفظة وبصفائها ونقائها ، أو على الأقل كان صفاء المسيحية ونقاؤها ميسور آلمن يطلبه ، لأنها كانت قريبة العهد بمبعث المسيح عليه السلام . ولم تضف إليها تلك والتراكات ، التي تنوم بها المسيحية الآن ، والتي بدأت \_ أعنى التراكات \_ في الظهور من وقت مبكر على يد بولس الرسول المعروف بهذا الاسم في المصادر المسيحية ، (١) .

وطوال القرون الثلاثة الأولى من ميلاد السيد المسيح عليه السلام كانت مسيحية المسيح في محنة من چهتين .

الأولى: أضطهاد أعداء المسيحية للسيحيين وإنزال أبشع ألوان العداب بهم من قبل الرومان وغيرهم من اليهود .

الثانية: الأفكار التي روج لها بواس في حياته ، والتي بثها في الرسائل المحروفة باسمه والمعروفة في أواخر العهد الجـــديد والأناجيل، ويسميها المسيحيون برسائل الرسل. ولبولس منها أربع عشرة وسالة كل رسالة تحمل

(١) بولس هذا المس من أصحاب المسيح عليه السلام، وهو كان يهرديا فىالبده ومن أله أعداء المسيحية، ثم دخل نيها بحيسلة بارعة وإن لم يخف زيفها على عاقل وأخذ يدعو إلى المسيحية في جد وتشاط و وأدخل عليها ماليس منها • وكان عمله هذا عملية طميس لمالم المسيحية الصحيحة ، بكا جاء بها عيسى عالية السلام •

ر ١ -- النيموس المقدسة )

اسما عاصابها . بيد أن المسيحية ، كانت قوية فى بدء الصراع ، ولهما أنصار أوفياء صادقون ، وكثير منهم خروا شهدا، فى سبيل التمسك بعقيدتهم الصحيحة ورفضهم لمكل زيف أريد الحاقه بها .

ومسيحية بولس كانت تقوم على التثليث وتأليه المسيح عليه السلام ه الأمر الذي لم يقل به المسيح قط ، وقد أنكر مسيحية برلس كثير من المسيحيين طوال الفرون الثلاثة الأولى ، وفي نهاية القرن القالث وبداية القرن الرابع تصدى آريوس لأباطبل بولس وأذاع بين الناس أن المسيح ليس إلها وإنماهو مخلوق تقه الواحد الأحد ، وكثر اتباع آريوس حتى عرفوا به د الآريوسيون ، وتابع كثير من الكنائس رأى آريوس إلا كنيسة الإسكندرية فقد تنبت عقيدة بولس وحكمت على آريوس بالحرمان ، ولكنه ظل على رأيه ولم يذعن لقرار كنيسة الإسكندرية التي آل أمرها إلى البطريرك السكندر وكان شديد التعصب لعقيدة بولس وهي التثليث والوهية عيسى عليه السلام ، وما تولد عنها من عقائد .

# قسطنطين وأول بجمع مسيحى فى الثاريخ الـكنسى

قسطنطين هو إمبراطور الرومان الذي شهد ذلك الصراع الخطير بين كل من آربوس نصير مسيحية المسيح والاسكندر بطريرك كنيسة الاسكندرية نصير مسيحية بولس، وقد حاول قسطنطين وكان قد اعتنق المسيحية عن غير اقتناع كا يقول ديورانت في كتابه ، قصة الحضارة ، حاول قسطنطين هذا أن يوفق بين الفريقين ولكنه لم ينجح . ثم دعا إلى عقد أول مجمع مسيحي في التاريخ الكنسي، وهو مجمع فيقية بالقرب من القسطنطينية عاصمة الدولة حينذاك ، وكان انعقاده عام ٢٧٥م و بعد مناظرات جرت بين الفريقين تضافرت الجهود لانتصار عقيدة بولس على عقيدة آريوس وأتباعه رغم معارضة حادة حتى من رجال الدين المسيحي أنفسهم ، وانتهى المجمع الذي كان

يناصره السلطان و قسطنطين، بكل ما يملك إلى قبرار خطير طمس معالم المسيحية التي جاء بها عيسي طمسا . وإليك نص القرار:

# قرار بحمع نيقية :

د إن الجامعه المقدسة ، والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن افله موجوداً فيه (١٤) وأفه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد سن لا شيء ، أو من يقول : أن الإبن وجد من مادة أو جوهرغير افله الآب، وكل من يؤمن أنه خلق ـ بالبغاء للمجهول ـ أو من يقول : انه قابل للتغيير، ويمتزيه ظل دوران ، .

وبهذا القرار فرضت الكنيسة ـ ولأول مرة فى التاريخ ـ عقيدة بولس القاضية بالوهية عيسى عليه السلام وهى عقيدة أصدرها من لا يملك لمن لا يستحق . فالبشر لا يماكون وصف أحد غير الله بأنه إله وعيسى لا يستحق أن يكون إله ؟ !

ويما تجب الإشارة إليه أن مجمع فيقية ، كان عدد أعضائه من رجال الدين المسيحي ثمانية وأربعين وألفين من الآساقفة ، ولما عرض عليهم آريوس عقيد حدته القاضية بيشرية عيسى وكونه مخلوقا لله وأنه رسول الله وليس بابن الله اقتنع أغلبية الحاضرين أو بالتحديد كان عدد الذين اقتنعوا براى آريوس ١٧٣٠ عضوا رضخوا لتوجيهات قسطنطين والاسكندر باباكنيسة الاسكندرية حينذاك .

أى أن نسبة الرافضين لا لوهبة المسيح قد بلغت ١٤٧٪ تقريباً وأن نسبة القائلين بالوهينة قد وقفت عند حد ٢٥ر٥٥٪ تقريباً فإدا أضفئا إلى ذلك رغبة السلطان في تقرير هذه العقيدة التي انتهى إليها الاعضاء ألد ١٨٣٪ فإن معنى هذا أن قرار هذه القله ، قرار مشوب دعت إليه الرهبة من السلطان

فيو إذن قِرار باطل بكل مقياس ١١ (٢)

#### صدى هذا القرار:

لم ترحب الدوائر المسيحية بقرار بجمع نيقية ، ووقعت معارضة عنيفة لله من جانب الموحدين كالمنسطوريين والآريوسيين وكثير من الكنائس ، وبالرغم من هذه الميمارضات فإن القراركتب له الذيوع والانتشار وسائدته اليقوة ففرض على الناس فرضا كريها . وأخذت المجامع تتو الى بعد بجمع نيقية وتتخذ من القرارات المشامة لذلك القرار الخطير محيية لمسيحية بولس بكل صورة من صورها ، وكانت حصيلة ، هذا كله تتلخص فيها يأتى :

- القول بألوهية المسبيح عليه السلام وكونه ابنا قه . . ؟ !
  - ه القول بألوهية الروح القدس ١٤
- ه القيول بالطلوث المقدس: الآب الإبن الزوح القدس ؟ 1
- ه القول بالخطيئة ، الموروثة ، وأن بنى آدم مآخذون بمصيان أبيهم آدم جيب أكل مِن الشهجرة المجرمة ، شجرة المعبرفة ، ١٤
- · · ألقول بعقيدة الخلاص عن طريق القرابين ووساطة الكهان بين العبد وربه .
- ه الجرم بصلب المسيح وأن الصلب كان فيه فداء وخلاص لبنى آدم من المطابئة الموروثة ؟ ١
- القول بأن للمسيح طبيعة واحدة لاهو تية أو طبيعة ين إحداهما ناسو تية ( نسبة إلى الناس ) باعتبار الجسد والآخرى لاهو تية ( نسبة إلى الالوهية ).
   باعتبار الروح أو الحقيقة ؟ !

<sup>(</sup>٢) وراجع فى هذا القرار إيضاحا اكثر بى مجاضرات بنى النصرانية اللامام أبيد فهرة (١٨٦٠) وما بهدها.

هدذا هو ,كرنفال ، العقيدة التي أسفرت عنها الجامع بدءاً من بخشع فيقية . ولم تدكتف تلك الجامع بما تقدم . بل أخذت تضيف و تعنيف مامن شآنه أن يعلى من شأن الكنيسة ، ويقوى من سيطرتها على مقاليد الأمور . فأضاقت عقيدة أن البابا معصوم ، وأنه وحده له حق تفسير التعاليم وفي محمع لا تيران عام ١٢١٥ صدد قرار كنسي خطير بأن الكنيسة لها ثلاثة حقوق هي :

۱ – حق الحرمان: ان الكنيسة نملك حق الحرمان من الرحمة لمكل من يخرج على تعاليم المكنيسة أو يرى غدير ما ترى من عقائد وتفسيرات، وقد مارست المكنيسة حق الحرمان على شكلين:

ه شكل فردى حيث كانت تصدر أحكاما عقابية رادعة على الإفراد المهرطقين الحارجين عن سلطانها إما بالاعدام أو اللعنة والعارد من ملكوت السموات. مثلما حدث مع بعض العلماء كجاليليو ونيوتن وسيأتي الحديث عشيتنا وعن غيرهما.

ما ترأه من عقر بآت كا حدث للشغب الانجليزي حين الحماعات بل والشعوب بما ترأه من عقر بآت كا حدث للشغب الانجليزي حين الحملف الملك يوخناً مع البابا فأصدر البابا قراراً بحرمان شعب انجلترا كله فعظلت المكناأ أس وعقود الزوّاج والضلاة على الموتى وكان المؤتى يخملون إلى قبور فم بغتافير صلاة وهكذا.

وفى هـذا الإطار أنشأت الكُنيسة محاكم التفتيش التي كان يحاكم فيهما كل من تحوم حوله الشبهات ويؤخذ بالظنة فيعدم أو يحرق بالأرحمة ولا شفقة .

ن ٧ حتى الغفران : وبمقتضاه منحت الكنيسة نفسها حق غفران الدنوب والخطايا مقابل مقدار مقالمال يبدل للكنيسة من راغبني الغِقر الله

وكاتت الكنيسة تعطى المغفور لهم صكا يسمى صك الغفر ان كمستند مادى على السكنيسة يتبح لحامله دخول الجنسة . وكان الفقراء لسكى يحصلوا على صكولت الغفران هذه يقومون بخدمة السكنيسة بدلا من بذل المسال الذي عجزوا عنه لفقره . وهكذا أخذت السكنيسة تحكم قبضها على الناس وتسيطر على مصائرهم الدنيوية والاخروية .

حق التحلة: وفيه منحت الكنيسة الهسماحق الخروج على النصوص.
 للقدسة وتعاليم الرسل إذا رأت في ذلك مصلحة لها.

# نموذح من صلوك الغفر أن :\_\_\_

وفيها يلى صورة لصك من صكوك الغفران التي كانت تمنحها الكنيسة لطالبي المغفرة بعد بذل الثمن:

وربنا يسوع المسيح رحمك يا فلان: ويحلك باستحقاقات آلامه المكلية المقدسة، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والاحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الأفراط والخطايا والذنوب التى ارتسكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة ولمن كانت محفوظة لابينا الاقدس البابا، والكرسي الرسولى. وأحو جميع أقدار الذنب وكل علامات الملامة التي ربما حملتها على نفسك في هسنم الفرصة. وأرفع القصاصات التي كنت تلغزم بمكابدتها في المطهر، وأردك الفرصة. وأرفع القصاصات التي كنت تلغزم بمكابدتها في المطهر، وأردك الفرصة . وأرفع المسار السكنيسة، وأقرنك بشركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة ٥٠٠ حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يؤدى إلى يدخل منه الخطأة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدى إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة، فهدنه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الاخيرة، باسم الآب وألابن والروح القدس، ١٤٤٤

ولا تعلي لغاق على هذا الهذيان إلا فى العبارتين الآتيتين:

إن مبتدعى صكوك الغفران كانوا ضالين مضللين ودجالين؟

ه و إن طالبي تلك الصكوك كانوا في جهالة عميساء ، وما أبصد هؤلاء وهؤلاء عن السيد المسيح وتعاليمه . ؟ !

# أسرار السكنيسة:

والأسرار الكنسية التي ابتدعها رجال الكنيسه لاتقـل شناعة عما تقدم من تصورات وخرافات . ومن تلك الاسرار :

## جعل الثلاثة واحداً:

قلمنا فيها تقدم أن الكنيسة ذهبت إلى تأليه المسيح وتألية الروح القدس بالاضافة إلى تأليه الآب و الله ع وبذلك كان يجب عليهم أن يؤمنوا بثلاثة آلحة لا بإله واحد . ولما كان التعدد في الآلهة مظهرا من مظاهر الإشرك ملازما لعقيدة الكنيسة فإن الكنيسة لجأت ـ لكى تدفع عن عقيدتها وصحة الإشراك سفقالت إن الثلاثة: الآب ، والابن والروح القدس ، إنها هم إله واحد؟ ا فوقعت بهذا القول في ورطة أشنع من ورطة الاشراك نفسها وخالفت النقل والعقل معاً . وكانت هده البدعة ، من أقوى الاسباب التي دعت إلى التمرد على الكنيسة في زمن لاحق كاسياتي في موضعه إن شاءالله ،

خالفت النقدل: لأنه لا يوجد نص مقدس لا في كتيمم المقدسة ولا في غيرها ينص على هذه العقيدة الغريبة حقا؟ ١٠

وخالفت العقل، لأن العقل لا يتصور قط أن ثلاثة أشياء لسكل منهسا وجوده المستقل فى الحارج والمناصل عن غيره، لا يقبل العقل ولا يتصور أن تسكون مدده الأشياء الثلاثة شبئا واحداكما تدعى السكنيسة، وحين ووجهت السكنيسة بأن العقل لا يتصور ما دعت إليه كان ردهم لا يقل

شناعة عن عقيرتها تفسما. قالت الكنيسة لمعارضيها و ناقديها: إن هذا سر من الأسرار المقدسة والميس للعقل سلطان على حقائق الإيمان؟ 1

وظنت السكنيسة أنها انتصرت وهي وحدها التي هزمت في هذا الجال وما تزال تردد هذه الإجابة البلهاء كلنا ووجهت بنقد أو أعتراض أو حتى عجرد استفهام بريء .

وهذا الاعتراض العقلي لم ينشأ في دعصر التنوير ، الذي حدث فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي في ألاويا ـ وإن راج فيه واستفحل ـ وإنها وجد منهذ بداية القرن الرابع الميلادي ووجه به تسنطنطين امبراطور روما فيكان يقول كما قالت الكنيسة إنه سر من الأسرار .

تشابه السؤال ، وأتحدت الإجابة في كل العصور وإن اختلف منشأ السؤال في العصور اللاحقة لعصر قسطنطين منذ القرن الرابع الميلادي وبالرغم من هـذا كلة فقد ظلت المشكلة قائمة إلى الآن ولم تفلح الكنيسة في حلما :

فَالَـكَنَيْسَةَ تَقُولَ: إِنْ: 1 + 1 + 1 = 1 ؟ 11 والعلم والعقل يقولان: إِنْ: 1 + 1 + 1 = ٣

فكيف تلتقى الإجابتان يا ترى انهما تلتقيات باحـدى ضورتين لا ثالث لهما :

فإما أن تتنازل الكنيسة عن جهلها وتخريفها وتسلم بالحقائق العقلية والبدائة الرياضية فتحل المشكلة ؟ ١

وإماأن يكفرالغَقلاء بمقولهم، ويهدروا حقائق العلم ويقنون في مغالطات الكنيسة وتعبيفاتها فتحل المثبكلة .

إنهما فرضَّان بعيدًا المثال، وغايتان لا أملُ في إدراكُ أي منهمًا \$ 1

#### • الاعتراف:

قلنا فيها سبق أن السكنيسة منحت نفسها فى مجمع لا تيران عام ١٧١٥ م ثلاثة حقوق منها حق و الغفران ، ومحو الحطايا . وذكر نا صورة من صكوك الغفران الى كانت السكنيسة تبيع فيها الجنة بالمزاد العلى وترتب على منح نفسها حق الففران مبدأ الاعتراف أمام القسس ورجال الدين . فمن أذنب ذنبا أو ذنوبا وأراد أن يطهر نفسه منها فلا مناص له من الجلوس أمام السكاهن والاعتراف له بما ارتسكب من جرائم وآثام . وجعلت السكنيسة هسذا الاعتراف مقدمة لمنه المعترف البراءة والتطهير مقابل مقدار من المال يقدمه المخطىء للسكنيسة . فإذا كان طالب الغفران فة يرا فعليه أن يخدم السكنيسة أو يجند فى جيشها ليدافع عنها .

ولما كان الاعتراف موردا من موارد مالية الكثيسة فقد قررت أن يعترف الخطاة كل عام مرة بدلا من الاعتراف مرة واحدة في العمر ؟ ا

وبذلك وضعت الكذيسة نفسها موضع الوسيط بين الخطاة والخالق فالطريق إلى دالله ، مسدود أمام عامة الناس ، ولا يملك أحد أن يفتخه الاالكاهن؟!

وكانت هذه الوسيلة سببا بارزا فى ثراء السكنيسة ورجال الدين ويصور ديورانت هذا الثراء فيقول:

و إذا كانت ممتلكات الكنيسة ما لا يجوز انتقاله إلى غيرها . . . فقد أخذت هذه الممتلكات تنمو على من القرون لدرجة أن تملك كنيسة واحدة أو دير للرجال والنساء عدة آلاف من الضياع تشمل فيها تشمله إثنتي عشرة بلدة ، بل تشمل أحيانا مدينة كبرى أو مدينتين . (٣) .

ول ديورانت بتحدث مناء عن إملاك كنيسة واحدة أو دير واحد فركم ياترى كانت تبلغ أملاك الكنائس والأديرة كلها؟!

(٣) قصة الحضارة سيتصرف ( مجلد ع ساص ٦٩ ) وما بعدها .

## ويقول في موضع آخر:

و كذلك جاءت إلى البابوات أموال طائلة ممن ينالون صَكوك الغفران البابوية من عام ١٣٥٠ م فسكان أكثر البابوية عام ١٣٥٠ م فسكان أكثر من دخل رؤساء الدول الاروبية مجتمعين ، (١) .

وقد ضمنت لهم الجنة تحللوا من الفضائل ولم يتورعوا عن ارتدكاب أية جريمة وقد ضمنت لهم الجنة تحللوا من الفضائل ولم يتورعوا عن ارتدكاب أية جريمة أو رذيلة ، ولو كان ذلك كفرا بالله ، وشركا بالمسين وقد دعاهم إلى ذلك قصور في صياغة الصك ، إذ جعلته المكنيسة براه خالدة تمحو ما تقديم وما قاخر من الذنوب ولو كائت المكنيسة قد قصرت أثره به الوهمي بالطبيع على مامضي دو نما يستقبل لمكانت أسهمت في تجةيق شيء من الإسلاح ، ولكن على مامضي دو نما يستقبل لمكانت أسهمت في تجةيق شيء من الإسلاح ، ولكن الإصلاح لم يكن في حسابها وإنما الذي كان في حسابها هو جمع المال بأي ثمن لذلك أطلقت أثر الصك ولم يقيد بالماضي حتى لا تقلل من قيمته عند طالبيه وقد كان عبداً أو حتى الغفر أن والاعتراف وصمة في جبين المكنيسة أخذت مكانها بوضوح إلى جانب كثير من الوصيات ؟ ا

#### ه الومسية عند الموت :

وكانت الكنيسة تدخل نفسها وريفا في مال الموثى مع ورنتهم الشرعيين، وتحتم على كل إنسان أن يكتب وصبته للكنيسة قبل موته ، ثم خامرها الشك فأرادت أن تنظم تحرير الوصايا على شكل يضمن لهما نصيبها في مال كل من يموت . فأصدرالها با إسكندرالفا لمثام ١٠١٠م قرارا يقضى بأن تكتب الوصايا في حضرة قسيس ، وكل من يجرؤ على تبحرير وصبة من غير هذا الطريق يطرد من حظيرة الدين ، وتعتبر لوصية غير قانو نية من وجهة ظر الكنيسة . ؟ 1

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق ( مجلد ٥ جزء ٤ ص ٧٧)

#### ه العشور:

وبالإضافة إلى موارد صكوك الغفران والوصايا كبلت الكنيسة أنباعها بمورد مالى مرهق إلى أبعد الحدود ، وهو تقديم عشور الأموال لها ، وقد مل الناس هذا السلوك ، وبخاصة أن الكنيسة لم تكن تقدم للناس آية خدمات مقا بل هذه الأموال كبناء المدارس وشق الطرق والمصحات ، بل كانت تنفق هذه الأموال على مطالبها الحاصة ولما شعرت الكنيسة بتذمر الناس من هذه الإجراءات التعسفية جعلت للقساوسة حق إصدار اللعنات على كل من يتأخر فى دفع عشور أمواله أو يقدم بيانات غير حقيقية عن إراداته وممتلكاته ؟ ا

## ه العشاء الرباني :

من البدع التي أخذتها الكنيسة عن مسيحية بولس البدعة المسماة بالعشاء الرباني الذي يتناوله المسيحيوب في وعيد الفصح ، وهو يتكون من خبر وخمر ، وكان عند المسيحيين الأوائل عادة روزية الخبر فيها خير ، والخرخمر ولكن الكنيسة في وقت لاحق أدعت أن الخبر في العشاء الرباني يتحول إلى جسد المسبح ولحمه ، وأن الخبر يتحول إلى دم المسبح فعلا ، ويزعمون أن من تتناول العشاء الرباني فقد أكل لحم المسبح فعلا وشرب دمه فعلا ، وأن ذات المسبح اختلطت بذوات آكليه وفي هذا نجاة من العذاب و بركة ؟!

وقد أكثر بولس من ذكر هذا في رسائله ، وعلى رغم أن إنخيلي متى ويؤخنا أشارا إلى أصل هذا العشاء (٥) فإن كلام بولس فيه يعتبر هو الأصل لآن رسائل بولس سبقت كتابة الأناجيل الأربعة : متى ويوحنا ولوقا

ومرقس . وأول هذه الآناجيل كتابة لم يكتب قبل عام ٢٧ م ويقال إن الذي كتبه هو بولس لا متى .

ومشكلة المشكلات فى العشاء الربانى أو القربان المقدس كما يقال أحيانا هى : كيف يتجول الخبز والخر إلى لحم ودم المسبح حقيقة ؟

الـكثيسة تصرعلى هذا، ولو أنها قالت أن ذلك التحويل مجازى تقديرئ لا حقيق واقمى لما اختلف معها فى هذا، ولـكن إصرارها على هذا المنوقف. هو مشكلة المشكلات فعلا.

ولكن الكنيسة لم تعدم حيلة تو ازى وراءها ماء الوجة . تلك الحيلة مائلة فى هذا الجواب:

إن هذا سر من أسرار الإيمان ولا يجال للعقل فيه ؟ 1

وقد ثار على هذا الإدعاء الـكاذبكثير من ذوى العقول من المفـكر بن وفلاسفة ، الغُرب مثل فوكتير وويكلف ولوثر وكلفن وغيرهم .

#### ه الرحبانية:

ومن معتقدات الكنيسة الموروثة عن بولس كراهية التزوج بالنساء وتفضيل حياة العزوبة . والسبب في ذلك أن الكنيسة تنظر إلى المرأة نظرة ازدراء ، لانها \_ فى نظرها \_ كانت السبب \_ وليس الشيطان \_ فى إخراج آدم من الجنة ، وتتأكد حياة العزوبة لرجال الإكليروس \_ رجال الدين \_ ومن دواعى العزوبة عندهم إمكان التفرغ لعبادة الله \_ لأن الذى يتزوج وينجب يمنج ولاء لزوجه ولا ولاده من دون الله ؟ إ وكال التعبد عندهم في حياة العزوبة

وهذا المبدأ ماخوذ منكلام بولس الذي يقوّل فيه ، أقول لغير المتزوجين، والارامل أنه خير لهم أن يبقوا مثلي (٦) ولـكن إذا لم يستطيعوا أن يضبطوا

<sup>(</sup>٦) قَشَى بُولُسُ حَيَّاتُهُ كُلُهَا أَعَرْبُ لَمْ يَتَزُوْجَ . وَهَٰذَا مَعْنَى قُولَة عَمَّا ﴿ أَنْ يُبِقُوا مثلى » .

أنفسهم فليتزوجوا، لأن الزواج أصلح. وأما المنزوجون فأوصيهم بأت لاتفارق المرأة زوجها . وإن فارقته فلتبق بغير زواج ، أو لتصالح زوجها ولا يترك الرجل امرأته. .

بواس هذا يبدو معتدلا بعض الاعتدال ، أما الكنيسة . فقد تشددت بالنسبة . لبعض الطوائف حين منعتهم من الرواج منما بإنا .

#### مساوى. هذأ السلوك:

وكان لهذا السلوك مساوى. قبيحة . كل القبح ، فهى تحرم الإنسان من حق غرزى مكفول له ، وصد الفطرة الى فطر الله عليها خلقه وهيأ لهم سبل النتسع بها .

والواقع كما يحدثنا التاريخ أن الذين استجابوا فالظاهر فلذا المبدأ المبدأ المكنسي ، لجأوا في السر إلى إرواء طبائعهم وإشباع رغباتهم الجنسية من الطرق المحرمة بعد أن أوصدت أمامهم الكنيسة أبواب الحلال .

يل إن كثيرًا منهم كان يمارس الحرام داخل الكنيسة ففسها إذ لافرصة أمامه إلا هي . وما أكثر العقوبات التي أوقعت على هؤلاء المظلومين الظالمين. وما أكثر من أفلت من العقاب لاحتياطه الشديد عند المارسة .

فهذا ول ديورانت يقول : « إن سجلات الأديرة تحوى فيما تحوى عشرين عشرين الدين الحاكمات بسبب الاتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات، (٧)

ويقول رئيس ديركلونى: وأن بمض رجال الدين فى الأديرة وفى خارجها في ساحاته في ساحاته المنزون بابن العدراء استهتارا يستبيحون معه ارتسكاب الفحشاء فى ساحاته نفسها . بل فى تلك البيوت التى أنشأها المؤمنون لتكون ملاذا للعفة والطهارة لقد فاصنت تلك البيوت بالدعارة حتى أصبحت مريم العدراء لاتجد مكانا تضع فيه الطفل عيسى ، ؟ ا

<sup>(</sup>٧) قسة الحضارة ( عجلد: ٢ جزء ٤ ص ٨٦ ) ٠

<sup>(</sup>٨) قصة الحضارة ﴿ مجلا : ٥ – ١٤٥ ) وما بعدها ،

وكان لهذه الفضائح أثر سى. ذو شقين عند العامة . فكثير من الناس أخذ يرتاب فى الدين الذى تمثله الكنيسة لما رأوا رجالها وخصيان الملكوت غارقين فى الرذائل و الدنائس . وهذا هو الشق الأول أو أحد الشقين .

أما الشق الثانى، وكان يمثله الغيورون على الدين من غير رجال الكنيسة فقسد إتخذوا من تلك الفضائح التي إرتكبها رجال الدين أسباباً وجيهة جداً الإنشقاق على الكنيسة والتمرد على التعاليم التي ينادى بها رجالها. ومدعاة للتشكك فيها. وحسناً ما فعلوا وهكدا كان كل سر من أمرار الكنيسة مدعاة للشك والإرتياب ولم تفلح الكنيسة في القضاء على تلك الشكوك، وما ذلك في مقدورها اللهم إلا تلك الإجابة التي كافت ترددها دائما على أسماع المتساءلين والناقدين ب

و إن هذا سر من أسرار الكنيسة لا يستطيع أن يدركه عقل عاقل.

أو يقولون: أن قضايا الإيمان منحة من الله وليس للعقول مجال فيها. ومن المؤسف أن مارتن لوثر وقد عرف بأمه رجل الثورة على المعتقدات الكنسية، ورجل الإصلاح الديني كان يلجأ إلى تلك الاجابة بعد أن قرو أن السكناب المقدس والعقل بينهما نفور شديد، وقد قال في هذا: فإما أن السكناب المقدس والعقل بالكتاب المقدس ؟ وإما أن نكفر بالعقل و نؤمن بالحدس، وهذه قولة لو مضى معها لوثر حتى النهاية لكان قد كتب بالسكتاب المقدس، وهذه قولة لو مضى معها لوثر حتى النهاية لكان قد كتب بالفلاح و ولكنه إنتكس فقال: إن الإيمان منحة من عند الله وليس للعقل مجال فيه ؟ ا

## مصادر المسيحية:

للسيحية المعاصرة مصادر رئيسية وهي :

١ - رسائل بولس الأربع عشرة . .

٢ ــ الأناجيل الأربعة .

س — أعمال الرسل . وهذه المصادر الثلاثة تسمى به ، العهد الجديد على تعييرا لها عن العهد القديم ، وهو التوارة وملحقائها . وعلى العهدين القديم والجديد يطلق إسم و الكتاب المقدس ، والعهد القديم خاص بالديانة اليهودية والمسيحيون ـ على الرغم من هذا الانفصال ـ يعتبرون العهد القديم جزءاً من الكتاب المقدس يجب الإيمان به على كل مسيحى .

# أزمة توثيق النصوص:

ويهمنا أن نشيرهنا إلى بعض الحقائقدون الخوض فى التفاسيرو التفاصيل فنلك أمر آخر (٦) .

ومن أبرز الحقائق المتعلقة بتوثيق النصوص المقدسة عندم : ﴿

- . جهل التاريخ الذي وجدت فية تلك الأناجيل ١؟
- . جهل اللغة الأولى التي كتبت بها أهي اليونانية أم العبرانية أم ماذا ؟
- جهل الاشخاص الذين كتبوا. تلك الاناجيل أم حواريو المسيح عليمه السلام أم أشخاص آخرون انتحلوا أسماءهم ؟
- جهل المصادو التي أخــــذت عنها الآناجيل: أهى إملاء المسيح على تلاميذه ؟ أم نسخة ، أو نسخ مفقودة ؟ أم هى تدوين للروايات الشفهية التي كانت ترددها الآجيال قبل التدوين النهائي ؟ !

<sup>(</sup>ه) قد عالجنا هذه المشكلة علاجا وافيا فى كتابين : أحدها الحكيم فى حديثه معالله والثانى : « الاسلام فى مواجهة الاستشراق العالمي» الأول نشر : دارالسلام للطبع والناس والتوزيع • والناني دار الوفاء .

• جهل الوقائع التي ترويها الآناجيل : أهى شهادة عيان لحياة المسيح عليه السلام ، أم تصوير لعقائد طوائف مختلفة كل إنجيل منهاكان يمثل عقيدة طائفة كا ترها هي لاكماكانت في مسيحية المسيح نفسه عليه السلام -

. صعوبة التوفيق بينها في الأناجيل من إختلافات وشناعات وتناقضات حول الواقعة الواحدة . ومخاصة في شجرة نسب المسيح عليه السلام . (١٠)

هذا وقد خضعت أسفار العهدين القديم والجديد لدراسة نقدية موضوعية حديشة قام بها مفكرون غربيون لا يحصون عدداً آمنهم من هم يهود، ومن هم نصارى . والذى حلمم على هذا العمل النقدى المشكلات التي أشرنا إلى بعضها آنها أضف إلى هذا أن آبا. الكنيسة في كل زمان قد لوحظ أن إجابتهم على تلك المشكلات كانت ساذجة لم تضع حدا للمشكلة . لذلك إستأنف المفكرون والنقاد البحث فيها من جديد ، و نكتني هنا بنص جا ، ع إنتهى إليه النقاد في حقيقة الآناجيل بعد البحث الموضوعي الدقيق . يقدول الدكتور موريس بوكاى :

وان اللمحة العامة التي أعطيناها عن الآناجيل والتي إستخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص تقود إلى مفهوم أدب مفكك تفتقر خطته إلى الإستمرار؟ وتبدوتناقضاته غيرقابلة للحلكما تقول الفاظ الحكم الذي أصدره المعقون على الترجمة المسكونية للكتاب المقدس ، الذين يهمنا الرجموع إلى سلطتهم ، حيث أن التقديرات في هذا الموضوع تؤدي إلى فتائج بالفة الخطورة ولقه وأينا أن بعض المعلومات عن التاريخ الديني المعاصر لميلاد المخاورة ولقه وأينا أن بعض المعلومات عن التاريخ الديني المعاصر لميلاد المخاورة ولحد رأينا أن بعض سمات هدذا الآدب الذي يبلبل القهاري، المتأمل ، ولكن يجب الذهاب إلى أكثر من هذا ، كما يجب البحث عما يمكن المتأمل ، ولكن يجب الذهاب إلى أكثر من هذا ، كما يجب البحث عما يمكن

ر (٩٠) أنظر في هذا كتاب ﴿ دراسة السكتب المقدسة في ضوء الممارف الحديثة مراس بوكاى طبعة دار الممارف أو : الجسيكيم في جديثه مع الله ،

أن تعلمنا به الدراسات المنشورة فى العصر الحديث عن المصادر التى نهل منها المبشرون لتعورير نصوصهم ، (١١)

## وقفة مع هذا النص :

هـذا النص يسجل الحقائق التي إنتهى اليها الثقاد من دراستهم لنصوص الآناجيل .

وقد استبعدوا - بشكل قاطع - أن تمكون الأناجيل وحيا من عندالله لأن بها تنافضات وجهالات ساحة الوحى ميرأة منها .

وقد أطلقوا على نصوص الأناجيـل ،صطلم , أدب مفكك ، وأنه يوقع القارى. المتأمل في حيرة وبليلة فكر .

وقد استعان النقاد بالحكم الذي أصدره المعلقون على الترجمة، المسكو نبة (١٠) للمكتاب المقدس والمعلقون كانوا من رجال الدين، أي هم أهل الإختصاص في هذا المجال، ولهم فيه سلطة شرعية لاينازع فيها أحد إذن فرجال الدين قد إتفقوا مع النقاد على النتائج التي أدى اليها البحث العلمي الموضوعي حول النصوص المقدسة توراتية وإنجيلية.

أى أن هذا النص يمثل رأى الكنيسة نفسها فى النصوص المقدسة. وهذا يوضح لنا أن أصل الآصول فى الديانه المسيحية يكتنفه قدر هائل من الشكوك والإضطراب وهذا ما أردنا تأكيده هنا .

ومعنى كلمة , أدب ، التي إرتضى المعلقون والنقاد اطلاقها على الأناجيل أن هذه الأناجيل عمل بشرى لانصوص وحى . ووصف همذا الأدب بأنه

<sup>(</sup>١٢) المسكونية نسبة إلى الأرض المسكونة ، أى مؤتمر عام شمل علماء المسيحية في الأرض المسكونة ، وهذا مايشبه الاجماع في المسطلح التشريمي الاسلامي ، في الأرض المسكونة ، وهذا مايشبه الاجماع في المسطلح التشريمي الاسلامي ،

مفكك ، يفيد أنه أدب لم تتوفرله مقومات الاصالة و الإحكام وهذا وصفت
 جد خطير بالنسبة لاعتقاد الكناسة ؟ ا

ويروى موريس بوكاى تقريراً آخر أشد خطورة بما تقدم فيقدول:
د وبعض هذه المكتابات المزورة يحتوى تفاصيل خرافية أفتجها الخيال الشعبى
وعلى ذلك فبعض مؤلني الدراسيات عن الأناجيل المزورة يذكرون برضى
شديد الوضوح مفاطع من هذه التفاصيل تدءو حقاً السخرية معلى وعلى المملقين أن يتحلوا بشرق الإعتراف بهذا (١٢)

# تشبيه رأتع:

وينتهى نقاد الآناجيل إلى وصفها بأنها اعودج من أدب الملاحم الشعبية أنها مثل ملحمة رولان لها أصل تاريخى لمكن الحيال الشعبى صخم ذلك الآصل وأضاف اليه وأضاف، وهذا لا يمنع من صدق الواقعة تاريخيا، وإنما للذي ينبغى أن يزاح عنها هو التصخيم الذي أصافه الحيال البشرى ، وفى ذلك يقول موريني :

و و نفس الأمر بالسبة ، للأناجيل فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل ؛ والأمور غيير المعقولة ، وعدم التوافق مع معطبات العملم الخريث ، والتحريفات المتوالية للنصوض ، كل هذا بجعل الأناجيل تحتوى على اصحاحات وفقر الت تنبع من الخيال الإنساني وحده ، لكن هذه العيوب لاتضع في موضع الشك وجود رسالة المسيخ ، فالشكوك تخيم فقط على المكيفية التي جرت بها ، (١٤)

وتهذا هو عين الحق والصواب. فلا ينبغي أن يشك مؤمن في وجاود

<sup>(</sup>١٣) نفس الممدر (١٩)

<sup>(12)</sup> ism Hance (141)

المسيح وصحة رسالته ، ولكن الشك الذي هو من صميم الإيمان أن تمكون هذه الأناجيل وحيا من عند الله ١١٤

## رسائل بولس :

أما رسائل بولس وهى أهم مصادر للسيحية باعتراف المكنائس ففسها فهى من حيث تحقيق النصوص ونسيتها إلى كانبها صحيحة النسبة ولم يعترها نقا اعترى الآناجيل من أوهام وشكوك، ولكنها تشترك مع الآناجيل في أمور أخرى شديدة الخطورة والحساسية . الا وهى عدم شرعية الآخذ عن مصادر موثوق بها ، وعدم وفاقية ما فيها من تعاليم لتعاليم السيد المسيح عليه السلام.

فبولس ليس من حواري المسيح ولم يره ولم يلتق به . وحيلة انصاله بالمسيح رؤيا ومناما حيلة مطعون فيها . وبولس كان ذو عقيدة أو ثقافة راسخة قبل التصاقه بالمسيحية ، فقد كان حافظا ومتبحرا في تعاليم الأفلوطيذيه الحديثة ، ذات الثالوث المتقدم ذكره ، وكان على صلة بالمقائد الوثنية القديمة وفي مقدمتها المتراثية صاحبة عقيدة الخلاص والكهانة الوسيطة بين العبد والآلطة ، والمذابح والقرابين ورسائل بولس وإن صبحت نسبتها إليه فإن التعاليم التي وردت فيها لم تصدر عن السيد المسيح عليه السلام وإنما في ملفقة من عقائد الرومان وعقائد مدرسة الاسكندرية أو الأفلوطينية الحديثة وباختصار شديد نقول :

إن رسائل بولس صحيحة السند عليلة المتن . وصحة سندها لا تعتبر سببا فى قبوطاً واعتبادها مع تزوير المسادة المدكورة فيها من حيث تصويرها لتعاليم السيد المسيح عليه السلام . والفروق جدكبيرة بين مسيحية المسيح غليه السلام . والفروق جدكبيرة بين مسيحية المسيح غليه السلام كا وردت فى القرآن المكريم وكاعرفها المسيحيون الأوائل في عهد عليه السنلام كا وردت فى القرآن المكريم وكاعرفها المسيحية الخديثة ، التي ايتدعها بولسرووج لها و نقلتها المكنيسة بالرصا والقبول .

#### وصفوة القول:

ان المكنيسة التي تولت الريادة والتوجيه في أوربا حتى القرون الوسطي لم تمتلك الأصول الصحيحة للنصوص المقدسة التي ترقى إلى درجه القطع واليقين في نسبتها إلى قطب الدين المسيحي ، وهو عيسي بن مريم عليه السلام أو أحد تلاميذه الاثني عشر .

وترتب على هذا: تحريف العقائد، وتحريف قو اعد السلوك، ووقوع الكنيسة فى ورطة كانت هى السبب فى القضاء على سلطانها وتدهورها إلى اليوم.

# ثنائية الإنسان فى ظل النظام الكنسى أو البابوى :

ومن العيوب والمسآخذ التي سجلها وعي الزمن عرب النظام البابوي الكنسي ما يعرف عند الدارسين والمفكرين بدء ثنائية الإنسان، أو مثنوية الإنسان ، والمراد من هذا التعبير هو انشطار الإنسان في الولاء والتبعية والحضوع إلى سلطتين متنازعين لكل سلطة منهما ايديو لجية خاصة بها .

وذلك لأن الكنيسه لم يدم استشارها بالسلطة العامة على المجتمعات الأوروبية . بل نازعها رجال الحدكم والسياسه من ملوك ورؤساء وأمراء ولا مرما رضيت الكنيسه بأن يكون لها السلطان الديني أو الروحى المعنوى، وأن تترك للملوك والرؤساء والأمراء السلطة السياسية وتدبير شئون الحياة او رضيت الكنيسة بالسلطة والروحية ، وتركت السلطة والزمنية ، لغيرها من الحكام ، وأصبح على الإنسان في ظل هذا الانشطار أن تكون وروحه المكنيسة ، و و جسده ، لرجال الحدكم من ملوك ورؤساء وأمراء .

وبهذا حدث أول انفصال بين الدين والسياسة . وللسكنيسة عدرها في هذا لأنها لم تكن تملك \_ وما تزال \_ دستورا أو نظاما تدير منخلاله شئون الحياة في كل مظاهرها .

فالمسيحية التى اعتمدتها الكنيسة هى مسيحية بولس لا مسيحية السيد المسيح ومسيحية بولس كما أوجزنا الحديث عنها ملفقة من عقائد وثنية هى قاصرة كل القصور عن التشريع الذى يقود أمة ، أو يحقق الأمن والاستقرار لشعب .

يقول برنتن: دان المسيحية الظافرة في مجلس نيقية (العقيدة الرسمية) في أعظم امبراطورية في العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد (الآناجيل وأعمال الرسل) التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطما لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تمكن مسيحية متا تا الادا.

## وقفة مع هذا النص:

انه يقارن بين المسيحية الأولى التي كان عليها المسيحيون في الجليل وهو مهد رسالة عيسى ، وبين مسيحية القرن الرابع الذي انتهى إليها بجمع نيقية مستقاة من أقوال بولس .

وانتهى المؤلف، وهو مسيحى، إلى أدف المقارنة لاتسفر عن وقوع اختلاف بين المسيحية في عهدها الأول، وبين مسيحية القرن الرابع فقط بل تسفر المقارنة عن أن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بأى وجه من الوجوه، وبهذا يظهر فشل الكنيسة من عدة وجوه:

- فشلها في مجال صحة النصوض •
- ه وفصلها في بجال الاقناع وعجزها التام عن تفسير أسرارالطقوسالدينية
- وفشلها فىالتغلب على مافى مصادرها الدينية من تنافرات وتناقضات م
  - فشابها في كف أطباعها وفي كسب ولاء الناس .

<sup>(</sup>١٤) أفسكار ورجال (٢٠٧)

ويضاف إلى هذه الإنماط فثبل آخركان واحدا من أهم وأبرز العوامل في التمرد علمها وإسقاطها وذلك هو :

تصورات الكنيسة عن بعض الظو اهر الكو نية و الاجتماعية :

كان للكنيسة موانف مخزية ومؤسفة فى فهم ظواهر الكون وبعض الأوصناع الحياتية .

- ه فقید کان رجال الدین یعتقدون أن الارض مرکز الکون و تعلیل هذار بأن الارض عاش علیها السید المسیح فهی اولی بأن تکون مرکز السکون دون غیرها ؟
- وكانو ايعتقدون أن الأرض أو الـكون كله وجد عام ١٠٠٤ قبل المليلاد؟
- وكانوا يعتقدون أن العناصر الأولية أربعة: الماء والنارو الحواء والتراب؟
- ه وكانوا يمتقدون أن الأمراض أرجاس من أرجاس الشياطين وأن علاجها يكون باقامة القداس وإحراق الأبخرة ؟ !
- وَكَانُوا يُرُونَ فَى نَظَامُ الْعَبُودِيَةُ وَالرَّقَ عَقُوبِةً مِنَ اللهُ عَلَى الخَطَيْمَةُ المُودِونَّةُ وَأَنَ الرَقِيقَ بِحِب أَن يَظُلُ رَقِيقًا وَمِن يَدْعُو إِلَى أَلَحُربِةُ وَالْعَبْقُ فَهُو مُتَمْرُدُ عَلَى حَكُمُ اللهُ ؟ !

هذه هي المسيحية التي عرفتها أوربا وتولت زمام الحنكم والتوجيه فيها ودحماً من الزمن ، وكان وجال الدين يزعون أن الكذيسة بما بملسكة من نصوص مقدسة ومباركة من السيد المسيح هي - وحدها - دون سواها مصدر المعرفة الصحيح ، وكل خارج عليها إنما هو مهرطق محروم من الملكة في الشماوي (١٥٠) ؟

عَفَة هَى السكنيسة و تبحاليمها ومقوماتها وتصوراتها . تو ات فرمام التوجيه

<sup>(</sup>١٥) سيأتى لهذا تفصيل آخر عنسد الحديث عن أسباب نشأة الملمانية والسراع. يين رجال الكنيسة والملماء .

وما هي له بأهل ، وما كمانت المكنيسة لتناح لها فرص القيادة والنوجيسه مطلقا أو مقيدا إلا في عصور الجهالة والانجطاط . وهذا هو الذي وقع بالفهل ، وهذا هو الذي كانت تدركه المكنيسة نفسها . فحدت من تعليم الفراءة والكتابة ، واستأثرت بالكتاب المقدس وتعاليم وتفسيره لأن في بقاء الجهل بقاء لها . فإذا حل العلم محل الجهل آذنت شمسها - إن كانت لها شمس بالإفول : . ؟

وانحطاط أوروبا في العصور الوسطى تحت ظل الكنيسة ، وفي كنف التوجيه الديني المينحرف ، حقيقة لاينازع فيها عاقل .

لقيد فاءت أروبا بالأثقال من جراء الجهالة التي فرضتها عليها الكنيسة والظهر لم الذي وقع عليها من ملوك الضياع والإقطاع ، وفقدت أروبا فور إلحيداية وصدق التوجيه خيم عليها الظلام من كل جهة ، وقبل أن فعرض لموقف الإسلام من هذه التصورات الكنسية ، نذكر فيها يأتي نص خطاب من أحد بلوك غرب أوربا إلى أحد خلفاء المسلمين لما في ذلك الخطاب من شهادة صادقة على تخلف لوربا في أوج سلطان الكنيسة ، ورقى الشرق للإسلامي بفضل الإسلام ، وإليكم نص الخطاب حرفيا:

#### الخطاب:

من جورج الثاني ملك إنجلترا والفال ( فرنسا ) والغروبج ، إلى الحليفة هشام الثالث : بعدالتعظيم والتوقير . سيمنا عن الرقى العظيم المذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم فى بلادكم العامرة ، فأردنا لبلدنا اقتباس هذه الفضائل لنشر أضواه العلم فى بلادنا التي يحيطها الجهل من أركانها الآربعة ، وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة دو بانت على رأس بعثة من بنات الأشراف الإنجليز ، .

خادمكم المطبيع جورج ،(١٦).

<sup>(</sup>١٦) كان هذا فى القرن الحاسس الهجرى الحادى عشر الميلادى : انظر الترآن والمنهج للملمي الماصر المستشار عبد الحليم الجندى ٢٧١

هذا الخطاب يصور حالة أروبا فى القرن الحادى غشر، وهو أحدالقرون الوسطى التى كانت المكنيسة تسيطر خلالها على مقاليد الأوضاع الروحية والثقافية هناك، وتذكر بعض المصادر أن هذا الخطاب كان مصحوبا بهدايا قيمة منها شمدانات من الذهب الخالص طول الواحدة ذراعان، وإثنتان وعشرون قطعة ذهبية من أواني المائدة هدية خالصة للخليفة المسلم على أن أبرز عيرة تؤخذ من هذا الخطاب هي توقيع الملك جورج عليه بعبارة: خادمكم المطيع، ؟.

فانظر إلى أى مدى رفع الإسلام خلفاء المسلمين وقتذاك ؟ وهل فى الواقع المعاصر الآن من يخاص أحدا من ولاة أمور المسلمين بمثل هذه العبارة من رؤساء الغرب وزعماتهم .

وبم تسمى هذه الواقعة ؟! أليست هذه بعثة من بعوث العلم نزحت من أروبا إلى الآندلس حين كان الإسلام شامخ الهامة فيها ؟ ثم المحكس الوضيع لما يعد المسلمون عن الإسلام فأخذنا نرسل طلاينا لتحصيل العلم والمعرفة من معاهد الفرب وجانماته ، وتلك الآيام نداولها بين الناس ، .

# موقف الإبلام مالخصورات الكنسية

لم تستند الكنيسة فى تصوراتها التى أوجزنا الحديث عنها فيها تقدم إلى دليل صحبح من النقل، ولا إلى برهان مقنع من العقل؟! وبذلك فقدت كل مقومات الصدق فيها صدر عنها فتصوراتها باطلة أمام النقل والعقل على حد سواه. والنقل والعقل هما المرجع فى معرفة الصحيح والباطل من العقائد والأفكار. وقد ووجهت تصورات الكنيسة من الجهتين معا:

- . من جهة النقل ، والعمدة فيه النصوص الإسلامية من السكتاب ومن السنة ، وقد نضيف إليهما نصوص أهل السكتاب ( النصارى ) أنفسهم على ماهى عليه الآن .
- . ومن جهة العقل ، وهـــذا الجال شركة بين علماء الإسلام والمعتدلين المستثيرين من مقكرى الغرب من المسيحيين وغيرهم ، بل ومن بعض وجال الدين منهم .

و نقدم - هنا ـ مواجهة الإسلام للتصورات « البابوية الكاتوليكية ، أما دور مضكرى الغرب و مستثيريه فسيأتى فى فصل الصراع بين الكنيسة وخصومها فيها عرف ب « عصر التنوير ، فى أروبا خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

وفى مواجهة الإسلام لتلك التصورات نقتصر على إسس التصورات الى إذا لنهارت ـ ولابد أن تنهار ـ إنهار تبعا لها ما بنوه عليها من فروع وتشعيبات .

ونحدد منذ الآن موضوعات المواجهة في التصورات الآثية :

تاايه المسبح ـ الثالوث ـ الصلب والخطيثة الموروثة – عصمة البابوات ـ الرميانية ـ العشاء الرباني ـ الاعتراف .

## ه تأليه المسيح عليه عليه المملام:

إن أول فرية الصقت بالمسيحية وكانت إيذانا بظهور فريات أخرى، هي فرية تأليه المسيح عليه السلام . وهذه الفرية هي التي كدرت صفو مسيحية المسيح وكانت أولى الخطوات في طريق الشيطان .

فعيسى عليه السلام ايس بدعاً من الرسل والرسل كلهم من البشر وهذه سنة الله في الرسالات .

وقد جملهم على القول بتألية عيسى عدة عوامل هي في الواقع أوهام في أوهــــام .

. حملهم عليه ماورد في رسّائل بولس من أكاذيب . وبولس لم يكرف من حوارين المسيج ولا هدو رآم وكان من ألد أعداء المسيحيين قبدل التحريف .

ولو كانت هذه المسألة ( مسألة تاليه المسيح ) صحيحة لنقلما عنه حواربوه الحقيقيون أو نقلما عنه بعضهم، ولكن شيئًا من ذلك لم يكن .

• وحملهم على القول بالتأليه عبارات وردت فى الأناجيل تفيد أن لغة - سبحانه عما يقولون - أبو المسيح ، من مثل قول المسبح حسب الروايات الانجياية : . أبى الذى فى السماء ، ومشال قوله فى الصلاة التى علمهم إياها : . يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس أسمك ، .

هذه العبارات على فرض صحتها لا دلَالة لهم فيها على أن عيسي ابن الله حتى يكون مثله إلحاً ؟ 1 وقد نقض العالم السنى المسلم محمد بن مسلم بن قتيبة فى كتابه تأويل مشكل القرآن هذا الفهم الباطل الذى فهجه رجال الدين المسيحى من أن كلة د أب ، تعنى الأبوة الحقيقية :

وخلاصة قول ابن قتيبة: إن القوم ضلوا حين فهموا من هذه العبارات المعنى الحرفى لها: وهي أبوة الصلب والنسب بينها المعنى المراد إنما هو: أبوة الرعاية والحفظ والتأييد ويزيد هذا المعنى رسوخا وقوة: أن المسيح فيما تروى عنه أناجيل النصاري قال عن الماء. إنه أبي، وقال عن الحبر: إنه أبي وكم خاطب المسيح في الأناجيل الحواربين قائلا لهم: أبوكم أو أبيكم، أو أباكم الذي في السماء؟!

ومعنى هذا: أنه لو كإن المراد من كلمة دأب، فى أقوال المسيح أبوة العباب المزم من ذلك:

أن يكون المبا. أبا حقيقيا للسبح؟!

وأن يُكون الخبر أبا حقيقياً له كذلك؟ ١

بِل وأن يكونِ الله - تعالى عما يقولون - أيا حقيقيا لحواربي المسهج الاثنى عشر ؟ ا

بلى ولكمان أبا لكل من يقول : . ياأبانا الذي في السماء ليتقدس أسمك ١٤٠٠

وهذه ، اللازميات ، لم يقل بها أحد حتى من النصاري أنفسهم

إذا فالأبوة ـ على فرض صحة ورودها فى كلائم السيد المسيح - إنما هى. أبوة مجازية لاحقيقية .

<sup>(</sup>١٧) أنظر لأريل مشكل القرآن (٩٠)

ه وحملهم على القول بالتأليه ولادة المسيح من أم بلا أب . وهذه شبهه مردودة . ولو جاز أن يأخذها عاقل دليلا على التأليه فإن أدم أحق بها من عيسى عليهما السلام . ١٤

عيسى ولد من أم وايس له أب. وأدم خلق من لا أب ولا أم فخلق الله أدم أعجب وأدخل فى باب الإعجاز من خلق عيسى ولم يقل أحد من النصارى بأن أدم إله فكيف ساغ لهم بناء على هذه الشبهة أن يؤلهوا عيسى عليها السلام؟!

. وحملهم على التأليه بعض معجرات عيسى عليه السلام ، من إحياء الموتى وإبراه المرضى . . ! !

وليس في هذا دليل . كذلك . فالمعجزات فاعلما الله وليس الرسل، ولم ما يحريها الله على أيدى الرسل تصديقا لهم في دعوى النبوة ومعجزات عيسى عليه السلام من جنس معجزات سائر الرسل في كونها أمرا خارقا لما جرس به عادات البشر وقدرانهم . وإذا صح أن المعجزات تتفاوت في القوة فإن في معجزات غير عيسى من رسل الله ماهو أدخل في باب الإعجاز منها ، وأكثر دهشه وغرابة فعرش بلقيس الذي نقل كما هو من أقصى جنوب شبه الجزيزة للى أقصى شمالها في أقل من طرفة عين ادخل في باب الإعجاز من معجزة إلى أقصى شمالها في أقل من طرفة عين (لاحظ أن عنصر الزمن هنا يكاد يكون معدوما) . فهو قاطع لمادة النزاع والجدل . وإن تدكينولوجيات العالم اليوم معدوما ) . فهو قاطع لمادة النزاع والجدل . وإن تدكينولوجيات العالم اليوم معموما للعض ظهيرا . ١٤ (١٨)

<sup>(</sup>١٨) الظر – أن شأت تفصيلات أكثر فى كتابنا ﴿ مُواجِهَةُ صَرَيْحَةَ بِينَ الإسلامِ وَحَصُومَهُ ــــ دَارُ الأَنصَارُ ـــــ القاهرة ١٩٨٠م م

# القرآن الكريم يدحض هذه الفرية:

ما أكثر النصوص القرآ نية التي فندت شبهات النصاري ودحضت فرية التأليه هذه . ومن ذلك قوله سنحافه :

د لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم ؟! قل فمن يملك من الله شيئًا إن أراد أن يهلك المسيخ ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعًا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق مايشاء ، والله على كل شيء قدير ، (١٩) .

#### وقساوله :

و وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولى من الذل ، وكبره تسكبيراً ، (٣٠) .

#### وقىدولە :

د ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . ماكان نته أن يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون، (٢١) .

وَفَى أَسلوب قُوى عَنْيَف يَصُورُ الْقَرَآنُ شَنَاعَةً هَذُهُ الْجُرِيمَـةُ ، التَّى تَدُرُكُ قيحها الجمادات فيقول:

« وقالوا : اتمحذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئا إدا. تمكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هدا . أن دعو اللرحن ولداً . وما ينبغي

<sup>(</sup>۱۷) تعاليا (۱۹)

<sup>(</sup>or) الاسراء (191)

<sup>(</sup>۲۱) مریم (۳۶ - ۳۵)

للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحسام وعدم عداً . وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ،(٢٢) .

وهكدا يكر القرآن في تموة ووصنوح على فرية النصاري ويقطع كل شبهه تؤدى إلى هذا الفهم العقيم .

ويقـول:

، قل هو الله أحد. الله الصمد لم يلد. ولم يكن له كفو ا أحد، .

وتدور النصوص القرآنية حول توحيد الله توحيدا خالصا من شائبة الصاحبة، والولد، والشريك، والمثل. وذلك هو التوحيد المنجى، وتلك هى العقيدة الصحيحة. وبما ذكره القرآن في هذا الصدد استقامت رسالات الوسل جميعًا. وتقيت مما أضافتها إليها الأهواء الفاسدة.

فليس لله أصل هو متفرع عنه ، وليس هو أصلا الآخد هو متفرع عنه د لم يلد . ولم يولد . وليس له فى الوجود مثل أو مكافى : ولم يكر له كفوا أحد .

ه أَمَّا شَبِهَ الوَّلَادَة ﴿ وَلَادَة عَيْسَنَى مَنْ غَيْرِ أَبُ ، فقد أَرُاحِهَا القَرآنَ عَنْ عِال الاستشهاد بِهَا عَلَى التَّالِيْهِ فقال ؟

د إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن: فيكون ، (٢٢).

القرآن الأنمين أخلص في النصح لمؤلفي المسيح عليه السلام، وأز العنهم الشيخة التي استندوا إليها ـ شبهة الولادة من غير أب ـ في أسلوب برهاني واضح كل الوضوح .

<sup>(</sup>۲۲)-روم ( ۸۸ - ۹۰ ) ٠

<sup>(</sup>٢٣) الأعراف (٥٩).

إن مثل خلق عيسى كمثل خلق أدم . فـآدم مخلوق من تراب لا أبا ولاأمله ولم يقل أحد إنه , إله ، وعيسى محلوق من أم ولا أبا له . فـكيف ساغ لـكم أن تؤلهوه؟! إن أدم أخق منه بهذا له لو كان ما استندتم عليه داخلا في الإعتبار . فهل يصح هذا في عقل عاقل ؟ ١

ومعلوم أن القرار يتأليه المسيح عليه السلام لم يصدر إلا بعد ثلاثة قرون من بمثته فى مجمع نيفية عام ٢٠٦٥ بتشجيع من قسطنطين أمبر اطور روما الوثنية وكان أعضاء المجمع ٢٠٤٨ قال بالتأليه مُنهم ٣١٨ ضد ١٧٣٠ رفضو ا التأليه .

أى أن نسبة الرافضين إلى الجيزين كانت ١٤٠٨٪ مقابل ١٥/٥٣٪ ؟ ١

ومن أبلغ ماقيل ـ حديثا ـ في أبطال قضية تألية عيسى عليه السلام ماقاله أحد شيوخ الأزهر ، وهو حجاج برهاني خطابي وجداني وهذا قوله : ٢٠٠٠

يموت ، ويدفن تحت النزاب؟ ١

عباد المسيح لنا عندكم سؤال عجيب، فهل من جواب١٢ إذا كمان عيسى على زعمكم الانعا، قوياً ، عزيزاً يهاب؟ ١ فكيف اعتقدتم بأن اليهود أذاقوه بالصلب مر العذاب؟! وكيف اعتقدتم بيأن الإلاه

إن الالوهية معناها:العظمة والعزة والقهر والسلطان والتفرد والتعالى والسننو والحلود والغلبة . فكيف يتصور عقل عاقل أن . الاله ، يولد ويُكُون طَفلا وينمو ويأكل ويشرب ويتألم وبضحك ويقتل وهو لاحول له ولاقوة ١٤

أن معنى الالوهية قد انحط في كثير منعقائد الأمم، ومن أكثرها انحطاطا مادُّهب إليه بحمع نيقية الذي تسبب في إصلال كثير من البشر . فقانوا بأب عينسي الاه وهني قوك صدر ممن لايملك لمن لايستحق. وقول هذا شأبه مو أمنعف الأقوال . ا

<sup>(</sup>٧٤) هو الشيخ زاهد الـكوثرى فيما أرجح. وقد اطلمت عليه فى مجلة الإسلام،منذ عهد بسيد . وسطرته الأن من الداكره .

#### ه التثليث :

كان القول بالوهية المسيخ غزيب منكراً ، و لوهية المسيح بصفة خاصة والوهية غير د الله ، بصفة عامة لا أرى وصفا دقيقا لها إلا أن نستهير عبارة شاع أمرها بين الفلاسفة حينا ، كانو ا يصلمونها على كل أمر مستحيل وقد أصابوا في الوصف عن طريق تلك العبارة ، وهي :

ه كن يبحث عن قبعة . سوداء في حجرة ،ظلمة لاوجود لها ، ١٤

هذا هو وصف المستحيل مع مدعيه كما صوره الفلاسفة . وكذلك الوهية المسيح عليه السلام ؛ لأنها ضرب من صروب المستحيل . فمن أقرها والتمس لها دليلا يقويها فهو كمن يبحث \_ فعلا\_ عرب قبعة سودا. في غرفة مظلمة لا وجود لها .

أى أن القبعة ، المبحوث عنها لا وجود لها إلا فى ذهن أو خيال أو وهم من يبحث عنها .

ولابد أن تسكون القبعة سودا، ليكون لونها من لون الفرف التي ينان أن القبعة موجودة فيها وهذا رمن للحيرة والجهل والصلال عند الباحث عن القبعة ، لأنه لارى بوضوح ولا بغير وضوح دجو الغرفة ، فهو دائم البحث بلاطائل .

ومثل الوهية المسيح فىالغرابة والشكارة والتوهيم القول بالتثليث الإلهي .

فبعد أن قرر بحمع نيفية عام ٣٥٥ الوهية المسيح العقد بحمع آخرعام ٢٨١م في قسطنطينية . وقرر المؤتمرون وعددهم مائة وخسون استفا أن الروح القدسي هو بدوره د إله ، ولعنوا كل من يعتقد أن الروح القدس ليس باله . وفي مقدمة الملعو نين مقدنيوس وأتباعه الذين كانو ايرون أن الروح القدس ليس باله ، بل هو مخلوق مصنوع لله ١٤(٣٦). وبهذا أكتملت عقيدة التثليث المقدس: الآب ــ الابن ــ الووح القدس ٠٠ ١٤

وبهذا ـ كذلك ـ دخل الاشراك فى العقيدة المسيحيه من أوسع طريق:

فالله ـ الحق ـ لم يعد وحده مالك الملك عندهم . وإنما صارله فى
هذا الاعتقاد شريكان: الإبن ، وروح القدس تعالى الله عما يقولون علوا
كبيراً .

وبمضهم ـ قبل نزول القرآن ـ أدعى أن مريم ، إله ، لإنها أم ، إله ، ١٤ وقد حكى القرآن عنهم هذا القول :

د إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنساس أتخذوني وأمى إلهين من دون الله ؟ !

قال: سبحانك، ما كان لى أن أقول ماليس لى بحق و إن كنت قلته فقد علمته. تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك و إنك أنت علام الغيوب ما قلمت لهم إلا ما أمر تنى به: أن اعبدوا الله ربى وربكم، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم. وأنت على كل شى شهيد، (٧٧).

بيد أن تأليه مريم قد رجع عنه المسيحيون الآن . ولست أدرى إن كان هذا صدقا أم موقفا مفتعلا أتخذوه أمام الناس قسب؟ 1

وأيا كان الأمر فإن عقيدة التثليث قد أحرجت رجال السكنيسة أحراجا شديدا . لأن الاشراك لازم لها . وأزاء هذا الإحراج راح بعضهم يضيف جملة أخرى بعد سرد الاقافيم الثلاثة ، فيقولون :

<sup>(</sup>٢٦) أنظر : محاضوات في النصرانية ( ١٣١ ) ٠

<sup>· (</sup>۱۱۲ – ۱۱۲) عماما (۲۷)

باسم الآب والان والووح القدس إله واحد ١١٤

وعبارة و إله واحد ، المضافة أرادوا منها نفى الشرك عن عقيدتهم وقد صارت هذه العبارة والمضافة ، مشكلة أخرى من مشكلات الاعتقاد الكنسى، فهى لم تستطع أن تحل المشكلة التى وردت من أجلها بقدر ماصارت هى مشكلة أخرى من أعقد المشكلات . . إذ كيف تسكو ل ثلاث ذوات متفايرة منفصل أخرى من أعقد المشكلات . . إذ كيف تسكو ل ثلاث ذوات متفايرة منفصل بعضها عن بعض ؟ فكيف تسكون ذا تا واحدة .

أنا الآن أكتب وفى يدى قلم، وأمامى ورقـــة بيضاء، موضوعة على منضدة ، فكيف يسوغ فى العقل أن ذات الفلم، وذات الورقةوذات المنصدة تكون : ذاتا واحدة ؟ !!

أهناك عقل فى الوجود تنطلى عليه هذه الدعوى الأشد من الوهم ضعفاً • نـكارة . ١١٤

وأنت الآن تقرأ ، وفي يدك كتاب ، ومجلس على مقعد . فهل من السائغ عقلا وواقعا أن تصبح يدك ، والمكتاب الذي تمسلك هي به ، والمقعد الذي تجلس أنت عليه : شبئا واحداً أو ذاتا واحدة .

القد حوصرت قضية التثليث مع التوحيد المزعوم فيها بالآلاف من مثل هذه الآسئلة ، التي أثارها العقلاء في كل زمان ومكان . ولم تهتد الكنيسة إلى الآن ، ولن تهتدين إلى الآبد \_ إلى جواب يقنع السائلين والمتسائلين لآن هذه القضية لم تستند إلى شيء من الحق قط ، فصارت سرة الهضم جداً وأسكرها كثيرون ولم تجد السكنيسة في القرون الموسطى من وسيلة للافناع إلا أن تنشىء عاكم التفتيش ، وتلتى \_ بالظنة من غير دليل - كل مخالف لهسا في الجميم المستعر (٢٥) .

<sup>(</sup>٢٨) انظر تفصيل للقول في محاكم التفتيش : قسة الحضارة (ج ١٩) والتمصب والتسامح يين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الفزالي والمسيحية للدكتور أحمد شلبي -

#### اصطراب وتغیط:

والبابا شنودة بابا الإسكندرية الثالث بمن استشعر هذا الحرج، وقد كتب مقالا في مجلة الهلال المصرية في ديسمبر عام ١٩٧٠م وناقش فيسه فيها ناقش فنكرة التثليث، وأراد أن ينفي عنها وصمة الشرك بحيلة لاتنهض دليلا على ماقال، فاذا قال ؟!

قال: إن التثليث ليس تعدد ذوات ، وإنما تشعب ذات . وضرب لذلك مثلا بالنار لها حرارة ولها ضوء . ثم قال : إن النار والحرارة المنبعثة عنها والصوء شيء وأحد؟!

وقد ظن البابا أنه أتى بما لم يأت به الأوائل من آباء الكنيسة ، وأنه أوصد الباب أمام المعارضين والنقاد . وظن أن مثله الذى ساقه قد أنطلى على النفوس وجمد نشاط العقول ، وخرست أمامه الالسنة وجفت الأقلام .

ولو كان الما با قد فكر وقدر فأحسن التفكير وأحكم التقدير ليظهر له فسأد استدلاله قبل غيره ، لآن فيها قاله مقالا ومقالا . . فالنار وحرارتها ومتوقعاً ليست شيئاً واحداً . وإنما هي شيء تولد عنه شيئان ،

الجرارة ، ثم العنود . والنار هي مركز الدائرة وقطب المثلث إن كابن المشلث مركز وقطب المثلث إن كابن المشلث مركز وقطب . الحرارة والصوء أثران للنسار وحرازة النار يمكن انفصالها عنها ، بل دلك كثير الوقوع . لأن الإناء النحاسي - مثلا - حين يوضع على النار لفترة طويلة نسبياً تشتد حرارته ، وتظل مثبتية احتى وجد إطفاء النار فتسكون الحرارة ولا قار حينان .

والبدوائل الى تسخن بالنار وتوضيع فى « التربسات، تظل سباخية يلسه، طويلة . فأين عملية الاتجاد التام بين النار وآ قارها: ياترى ١٤ كان ينبغي على البار. أن يدرك هذه الحقائق قبل أن ينحدع بمثله الذي ساقه . وحتى إذا سلمنا جدلا بصحة هذا المثل ، فإن صحته وقف عليه وحده لا تتعداه إلى و التقليث ، الكنسى . ذلك لأن المسيح عليه السلام وهو ثمانى الآقانيم الثلاثة حملت به أم ، وولدته . وعاش على الأرض حينا من الدهر . فهو منفصل تماما ، ومغاير تماما للاقنوم الأول : والأب ، وللاقنوم الثالث : ورح القدس ، أما انفصاله عن الأب فبديهة من البدائه . وأما انفصاله عن والروح ، فلان الروح كما يمتقد آباء الكنيسة الكاثوليكية قد بشربه المسيح والروح ، فلان الروح كما يمتقد آباء الكنيسة الكاثوليكية قد بشربه المسيح فبل نهايته وقال للحواريين : أن روح القدس ستظل فيهم إلى الأبد .

إذن فالاقانيم الثلاثة مفصولة بعضها عن بعض . وكل اقدوم مستقل تماما عن الآخر .

#### ونرتب على هذأ سؤالين :

- . كيف تـكون ثلاث ذوات كل منها مستقل عن الأخرى شيئا واحداً؟!
- وكيف ساغ للبايا أن يقيس التثليث الكنسى على التثليث النارى الذي طربه مثلا للإقناع ولا تطابق ولا تناسب بين المثل المضروب وما أراد فياسه عليه .

البابا يريد أن يقول: إن تولد المسيح عن الله تولد معنوى لا حقيق وهذا القول مردود عليه من كاتب مسيحي مصرى هو الاستاذيسي منصور و يطلق عليه البابا و رجال الكنيسة المصرية أنه و أي يسى منصور حذا ، أو المكاتب الفدير كما يطلق عليه رجال الكنيسة ينسف في كتاب له ماقاله البابا نسفا لا يبتى له على أثر و إليك ماقاله المكاتب القدير يسى منصور (٢٩) .

<sup>(</sup>۲۹) ناقشنا هذه القضية بالساع وموضوعية فى كتاب ﴿ مواجهة صبريجة بين الإسلام وخصومه مرجع سبق ذكره : كما ناقشناها بأسلوب جديد فى كتاب ﴾ الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمي ... دار الوفاء .

د الروح القدس هو الاقنوم الثالث فى اللاهوت ، وليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة . بل هو ذات حقيقى ، وأقنوم متميز . . . وعو وحدة أقنومية غير أقنوم الآب ، ومساولها فى السلطان والمقام، (٣٠) .

هذا هو الروح القدس: ذات مغايرة لذات الآب، ولذات الإبن. إذن فالتناير بين الآقائيم الثلاثه تغاير ذوات لاتفاير آثار ولا صفات .. ؟!

وهذا الذي يقرره السكاتب القدير يختلف مع ماقرره البابا تماما ؛ لأن البابا قدر التغاير معنويا لاذاتيا .

والروح القدس مساو للأب والإبن في السلطان والمقام ، إذن هم قلا أله ألهة ألهة لا إلمه واحد كا يزعم البابا . فالتثليث \_ إذن \_ شرك ، ووثنية لأن فيمه الوهية بشر ، وهو عيسى علية السلام . فاذا يقول البابا إلا أن القـــوم يتخبطون ويخلطون

فإذا كان ماقاله البابا هو الصحيح -- عندهم -- فيسى منصور ليس كاتبا ولا قديراً . ؟!

و إن كان ماقاله يسى منصور هو المعتقد ــ عندهم ــ فيجب أن يكون هو البابا و الرئيس الأعلى للـكرازة المرقسية ؟ 1

مع أن هذا الكاتب القدير قد وقع فى خلط مع نفسه . فقد نقلنا عنه تحديده لماهية روح القدس آنفا . ومعناه أن روح القدس مغاير لأقنوم الآب وهو د الله . .

ثم بعود فيقرر أن ااروح القدس هو دالله ، فيقول :

( إن الروح الفدس هو الله الآزلى . فهو الكائن منذ البدء قبل الخليفة ، وهو الحنائق لكل شيء والقادر على كل شيء ، والحاضر في كل مكان وهو السرمدي غير المحدود ) .

<sup>(</sup>٣٠) انظر : الله واحد أم ثالوث ( ١١٦ ) مجدى مرجان .

إن هذا السكلام الذي قاله السكاتب القدير كان ينبغي ـ لو كان القوم على وعلى بما يقولون ـ أن يكون ضبطاً وتحديدا للأقنوم الأول : (الأب أو الله) لا أن يكون وصفا للروح القدس . وبناء على ماقرره السكاتب القدير من أن الروح القدس هو الله الأزلى والسرمدي والجالق لسكل شيء؟ فمن هو الله الأب إذن . ؟ ا

ومادام الروح القدس هو خالق كل شيء ، وكان الآب شيئا من الآشياء فهو إذن مخلوق للروح القدس ، وكذلك الابن ؟

فهاذا بق قه ( الآب ) ياترى ؟ وماقيمته فى الوجود؟ إن الروح القدس وقد علمنا من كلامهم أنه مغاير نته ( الآب ) أو الآقنوم الآول ، هو وحدة كاف لتسيير البكون (فما الحاجة إلى الأقنوم الآول بله الثانى ؟

وإذا كان الأقنوم الثالث (الروح القدس) هو الحالق المدبر الآزلى الأبدى السرمدى فلماذا يبق ترتيبه فى المثلث اللاموتي هو (الثالث) إن فى هذا ظلما له وأى ظلم . والعدالة تقتضى أن يكون هو : الأقنوم الأول لاالثاني ولا الثالث . . ؟ 1

أما الأثنوم الأول ( الأب ) فيادام هو مخلوقا للروح القدس فلا يستحق أن يكون هو ( الأول ) بل لا يستحق أن يكون على الإطلاق .

ومن الفجيب والمدهش أن القوم قد قسموا الكون إلى ثلاث وحداث. إدارية ، وجعلوا لـكل أتنوم وحدة خاصة به .

- · جملوا نته الآب وحدة العدل فهو مصدر العدل . ١١٤
- · وجفلوا لله الأبن وحدة الرخمة فهو مصدر الرحمة . ١١٤.
- · وجعلوا لله الروح وحدة النعمة فهو مصدر النهمة . ؟!!

وهذا هو الاشراك بعينه . والواقع أن جذا الثالوث مركب غريب كل

الغرابة من أية جهة نظرت إليه، وقد حذت فيه الكنيسة حذو الرومان وحذو الأفلوطنية الحديثة وتطورها الأفلوطنية الحديثة . وصار من المتعارف لدراسي المسيحية الحديثة وتطورها أن بابا كنيسة الإسكندرية كان وراء تأليه روح القدس عام ٢٩٩م كاكان قسطنطين وراء تأليه المسبح عام ٢٣٥م . إدن: الرومان والأفلوطونية الحديثة وراء هذا كله .

ولما كان التثليث لامستند له من نقل ولا عقل ولا واقع اضطرب فيه القوم على النحو الذي رأينا ، وهبطت قيمة الألوهية في الاعتقاد المكاثوليسكي إلى درجة فقدت فيها كل جلالها ومهائها وقهرها .

#### القرآن يدحض وينسذر :

وقد وقف القرآن العظيم موقفًا حاسمًا من فيكرة التيأليه البشري. ومن خرافة التثليث . وأقام أوضح الأدلة على وحدانية الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك ، وإليك بعضًا مما قال :

# دليل ننى التعدد والشريك:

د ما انجذ الله من ولد ، وماكان معه من إله ، إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض . سبحان الله عما يصفون ، (٣١) .

فى الآية الـكريمة دءوى ودليل صدقها؟

- · الدعوى: ننى الولد والشريك عن الله .
- . ودليلها . إحكام النظام في الكون وجريه على سنن لم يتخلف : السياه

(٣١) المؤمنون (٩١) وحرف الجر « من » الهاخلة على « وله » وطي « إله » لاستفراق النني وعمومه ، أى ما اتخذ الله قط من وله أيا كان الولد أو الانخاذ من جنس البشر أو من غيره . اتخاذا حقيقيا أو مجازيا . واصل السكلام : مااتخد الله ولداً وما كان ممه إله فدخلت من على المفعول لإفادة شمول النني .

فوق والأرض تحت. والأفلاك تسير، ولم يقع خلل فى ملكه ـ سبحانه ـ ولو كان معه شريك: ولد أو غير ولد لاختل نظام الـكون واستبد كل شريك بحصته شأن كل الشركاء . فهذه الذعوى صادقة كل الصدق يدرك صدقها العالم والجاهل. ومن أدلة التوحيد قوله تعالى:

(أم اتحذوا الهة من الأرض هم ينشرون؟ . لو كان فيهما آلهة إلا انته لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون )(٣٢) .

تعدد الآلهة كما تصور هذه الآية ـ يترتب عليه فساد السموات والأرض والقرآن يتحد من عدم فسادهما دليلا على فني التعدد وثبوت التوحيد .

وهذا الدليل خطابى برهانى ممآ (٣٣) \_ فهو خطابى لأنه يلفت نظر الناس جميعاً إلى حقيقة كونية مشاهدة ، وهى إحكام نظام الـكون وسيره بتدبيرالله دون أن يحدث فيه خلل أو فساد . .

وهذه الحقيقة يستوى الناس جميعاً حسب الفطرة في إدراكها . دون إعمال للمقل وترتيب النتائج على مقدماتها بعــــد سلامة المقدمات وصحتها .

وهو دلیل برهانی مقنع فی وضوح . و مقدماته صحیحة ، و صحتها مطردة حتى فی الواقع الحیانی للناس .

فلم نر دولة من الدول ، ولانظاما من النظم يتولاه رئيسان متساويان فى السلطة والإدارة ، ولو حدث هذا \_ أعنى نعدد الرؤساء فى البلد الواحد \_ لترتب على ذلك الشقاق والنزاع والتدمير ، حين تتمارض الرغبات وتختلف المقامد .

<sup>(</sup>۲۲) الأنبياء ( ۲۰ - ۲۱ ).

<sup>(</sup>٣٢) انظر المسامرة بشرح المسابرة لابن شرف القدسي ص ٤٤ وما بعدها : تحقيق الشيخ محمد عبد الحميد .

وكدلك نظام المكون لو تعددت فيه الآلهة لاختل وفسد. وعدم فساده هو المشاهد. ويترتب على هذا نفى للتعدد. وبالتالى يثبت التوحيد بكل معانيه: توحيد فى الذات، وتوحيد فى الافعال. فالله واحد أحد فرد صمد لا صاحبة له ولا شريك ولا ولد.

ولما كانت عغيدة التثليث بهذه المثابة من القبح والشناعة ، فإن القرآت السكريم يقضى فى القائلين قضاء الذى لارد . فبعد أن أقام أدلة التوحيد وبراهينه ، وشنع على فرية القائلين بأن لله – سبحانه – صاحبة وولداً ، توجه إلى قائليها بهذا النهى القاطع عساهم يتوبون إلى رشدهم :

ديا أهل السكتاب لاتفلوا فى دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما ألمسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاهما إلى مريم ، وروح منه . فلم منوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، إنتهو اخيراً لمكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض . وكنى با لله وكيلا ، (٣٤) .

فإذا إستمر الذين قالوا بالتثليث، ولم ينتموا فيكون الإنتماء خيرا لهم . فإن الحكم العادل فيهم :

د لقد كفر الذبن قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم؟ وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم . أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار ،

و لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة ؟ وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلايتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قدد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . أنظر كيف نبين

<sup>(171)</sup> Himil (78)

لهم الآيات . ثم أنظر أنى يؤ فكون ، ١٤ (٢٥٥) أجل: ثم , أنظر أنى يؤ فكون ١٤ وهل بعد هذا الأفك من إفك ١٤

## الصلب والخطيئة الموروثة :

اعتقدت الكثيسة أن المسيح عليه السلام قد صلب ومات ثم قام بعد موته ؟! و بغلفسون و اقعة صلبه بأنه كمارة لبنى الإنسان، عن الخطيئة الماوروثة التي ورثها بنو آدم عن أبيهم آدم الذي خالف أمر ربه وأكل من الشجرة المحرفة . .

## و في هذا الفرع عدة تصورات :

- أن أبا البشر آدم حين أخطأ ظلت خطيئته في عنقه وفي أعناق ذريشه
   إلى أن وقع التكفير بصلب المسيح فعلا ؟ 1
  - أن المسيح عليه السلام قد صلب فعلا وهو ابن ألله ١١٤
- إن الله قدم إبنه الوحيد (سبحانه) الصلب محية منسه العباد، واليكفر,
   عنهم خطبثتهم الموروثة ١١٤

والإسلام موقف محدد من هذه التصورات يمحوها من الوجمود بشكل قاطع . وإليك السيان :

. أولا: خطيئة آدم .

لا نزاع أن آدم عليه السلام قد وقع منه ما أخداده الله عليه وعده معصية فقد جاء بهذا صربح القرآن في أكثر من موضع .

فقد صدر أمر لآدم وحواء من الله تعالى بالنهى عن الأكل من الشجرة التي عينها وحددها لهما عن طريق الإشارة الحسية الواضحة:

<sup>(</sup>١) المائدة (٢٧ - ٢٥)

و .... ولا تقر با علاه الشجرة قتكو لما من الظالمين ، (٣٦)

ثم احتال الشيطان فزين لهما الآكل منها. ويحكى القرآن الامين طريقة هذا التزيين فيقول:

و ا نطلت هذه الحيلة على آدم فوقع فى المحظور :

و فأكلا منها فبدت لها سوءانهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
 وعصى آدم ربه ففوى ، (۲۸)

## حقيقة هذه المصية:

هذه هي معصية آدم عليه آلسلام، والمعاصي أنماط ودرجات، فليست هي على درجة واحدة، ولحنها متفاوتة، منها الصغيرة، ومنها السكبيرة، ومنها ما يقع عمر قصد ووعي تام وتعمد وهزم، ومنها ما يقع على سبيل السهو والنسيان، ومنها ما يقع عن طريق الإكراه أو التأويل فمن لي نوع كانت معصية آدم عليه السلام؟!

يجيب على هذا السؤان القرآن الأمين نفسه:

« ولقد عهد نا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ، (٩٩٠

وبهــذا حدد القرآن الحسكيم أوع مهصية آدم ربه تحديدا دقيقا كل الدقة والهنجا كل الوفتوح .

إنها معصية وقعت نسبب النسيان والسهو والغفلة ، فليست هي مقصودة قصيداً ، ولا متعمدة تعمداً . إن آدم نسى عهد ربه فأكل من الشجرة المحرمة ا

<sup>(110) 4</sup>b (rq) (171) 4b (rA)

ولوكان على ذكر لقاوم إغراء الشيطان. إذن معصية آدم كانت محصورة فى النسيان. وهذا يشفع أو هوكان شفيعاً بالفعل له عند ربه.

## معصية ليست مؤ بدة :

ومع هذا . فإن تلك المعصية لم تتأبد على آدم ، بل لم تصاحبه حين أنجب باكوره بنيه ، فقد غفرها الله له وتاب عليه وهداه وبرأه منها بمنه وفضله وكرمه . وفى هذا جاء صريح القرآن السكريم :

د ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى ، <sup>(۱)</sup>

اجتباه: اختاره واصطفاه . وناب عليه: غفر له وعفاعنه ، وهداه أرشده ووفقه للعمل الصالح فيما يستقبل من حياته ولهذا لم يتحدث القرآن عن أية معصية وقعت من آدم بعد هبوطه إلى الأرض ، وبعد أن اجتباه ربه و تاب عليه وهداه .

وحين أنجب آدم كان طاهر ا مطهر ا متو با عليه مهديا للعمل الصالح .

إذن ، فكيف يورث آدم بنيه خطيئة كان هو قد برى منها؟! وإذا كان قد غفر لآدم ، وهو الجانى الحقيقى للمصية . فكيف يؤاخذ عليها بنوه وهم لم يجنوا تلك المعصية ولا كانوا موجودين ساعة وقوعها . وإنما كانوا ذرية من بعده؟!

وعقيدة الخطيثه الموروثة كانت أكبر معول هدم فى صرح الكنيسة إبان عصر التنوير فى أوربا ( النصف الثانى من القرن الثامن عشر ) وصار منفذا واسعا للطعن فى سلطان الكنيسة والتمرد عليها وانصراف الناس عنها .

وما أكثر الذين علمقوا على مذه العقيدة تعليقات لاذعة وصادقة كل الصدق ومن هؤلاء فولتير الفرنسي الذي كان يعتبر عقيدة الخطيثة الموروثة:

<sup>(174) 46 (2.)</sup> 

د إهانة لله واتهاما له بالبربرية والتناقض ويتساءل: كيف يعاقب الله أجيالاً (أبرياء) لآن أباهم الأول كان قد أكل فاكهة من حديقة؟، (٤١)

ويقول الدكتور كيرلس النتجون وهو من فقهاء أهدل الكتاب: د إن النه أجيال قبل أن تولد من جراء خطيئة آدم عسير أن توصف بالعدل ؟ وإن كانت هدده هى العقيده المسيحية فعدير علينا أن ننظر فى تزكيتها أمام ضمير الأمة ، .

#### دحض هذه الفرية:

ولهذا فإن القرآن الأمين ، يكر على هذه الفرية ويقررالحق الذي ينسجم ويتسق مع العدل والعقل والفطرة ، وهي سنة الله التي لم تجد وان تجد لها تبديلا ولا تحويلا .

- والحق الذي يقرره القرآن الحكيم هو .
- . . قل أغير الله أبغيكم ربا وهو ربكل شيء. ولاتكسبكل نفس إلا طبيها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ... (٤٤٠)
  - . و لمكل امرى م منهم ما اكتسب من الإثم . . ، (٤٣)
    - . دكل نفس بما كسبت رهينة ، (١٤)
    - . , وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، (م<sup>2)</sup>
- . . من عمل صالحا فلنفسه .ومن أساء فعليها،وماربك بظلام للعبيد ع<sup>(٢٥)</sup>

#### دلالة هذه الآيات:

هـذه الآيات الحـكيات تدل على مبادى، تشريعيـة محـدة . وتحسم كل خلاف حول أصول التكليف والمسئولية .

(١٤) العلمانية (١٦٢) نصر عبد الرحمن الحوالي ــ مكة المــكرمة .

(۲۶) الانمام ( ) النور (۱۱)

(٤٤) المدار (٣٨) المدار (٤٤) النجم (٣٨)

(٢٤) فصلت (٢٤)

. فالذي بعمل عملا صالحًا فشمرة عمله له هو دون غيره .

والذي يقترف. اثما أو حريمة فعلى عائقه هو تقيع المستولية فلن تفيدطاعة امري. شخصا آخر عاصيا .

ولن يسأل برى. عن ذنب عاص أو بجرم .

، تلك أمة قـــد خلت لها ماكسبت ولـكم ما كسبتم ولا تسألون عماكانوا يعملون ، (٧٠) .

و احشوا يوما لا يجزى والدعن ولده ، ولا مو**لود** هو جاز عن والده شيئًا ((۱۸) .

هذا هو العدل والحق والإنصاف ، وهذا المبدأ الإسلامي العادل هوالذي تأخذ به كل نظم العالم مسلمين وغير مسلمين فإذا أجرم أب. فلا يعاقب معه بنوه . بهذا تقضى كل محاكم العالم وتطلق نظم العالم وقوانينه على اختلاف منازعها وأصوطا على هذا المبدأ الإسلامي اصطلح :

#### شخصية الجريمة :

ويقصد به أن كل إنسان مسئول هو وحدمدعن عمله الصادر عنمه باختياره إذا لم يكن له شركاء نيه حرضوهعليه، أو علونوه ، أو استخدموه .

ووتيقة حقوق الإنسان ألخذت سفيها أخدت سهذا المبدأ وجعلت من حق للإنسان ألا يساء إليه بسبب عمل ارتكبه غيره . وإذا حدث وأضير إنسان بذنب لم يجنه هو بل جناه غيره عد هذا خروجا عن المدالة ، واعتداء على برى ه . ؟!

وهذا واحد من المبادىء والقيم التي صار الإسلام بها عالميا صالحا لقيادة كل البشر وإظلالهم بظله الوادف.

وبهذا تصبح عقيدة الخطيَّة الموروثة واقعة نادرة كل الندور ، وشاذة كل الشدود .

فليس لها سند من صريح النقول. • ١٤٠

وليس سند من صحيح العقول ١٤٠٠

وليس لها سند من الفطرة ولا من الواقع .. ١٤

ولم تستطع الكنيسة أن تواجه خصومها من أبناء الملة التي ادعت حق احتكارها ، وتفسير أسرارها ، فجنت على نفسها لما استضاء الناس منور العلم، واستبصروا معالم الطريق وأعملوا عقولهم فيها بين أيديهم من معارف وعقائد وسلوكيات ١١٠

وصفوة القول في هذه الفكرية .

د أن قبل الفول بالخطيئة المورونة لم تسكن فى الوجود خطيئة موروثة وليكنها وإن بعدد القول بالخطيئة الموروثة وقست فعلا حطيئة موروثة وليكنها خطيئة من نوع آخر لم يخطئها آدم، وإيما أخطأها بعض بنيه، فهم يتوارثونها جيلا عن جيل وهذه الخطيئة الموروثة الجديدة: هي بدعة القول بالخطيئة الموروثة ، ؟!

### عصمة البابوات.

ومن الأخطاء الشنيعة التي وقعت فيها الكنيسة بدعة الزعم أن البابا، معصوم ، وعصمة البابا دعامه بارزة في الاعتقاد الكنسي ، وركن ركين في تكوين الكليكة التي تقوم على عقائد عصمة البابا ، واحتكار تفسيره للنصوص المقدسة ، وجعل أقوال القساوسة ورجال الاكليروس والدين ، مساوية لنصوص الكتاب المقددس في الدرجة ووجوب المعمل بها ، بالإضافة إلى و التثليث ، وألاسرار اللاهوتية ، وكون البابا أي بابا ويستمد سلطانه من والرب، مباشرة . ثم الاعتراف أمام الكامن وغفران الذنوب وبيع الجنة بمقود مدنية في المزاد العلني وإيصاد الباب أمام العباد بينهم وبين الله إلا عن طريق الدكهان و تقديم القرابين لهم . ؟!

وبهذه العقيدة ـ عصمة البابا كان الناس يعتقدون أن البابا قادر على منح البركات، وإنزال اللمنات، وتعطيل القوانين الطبيعية إذا شاء وإحسدات الظواهر الكونية إذا أراد، فهو قادر ـ ومر حقه ـ إدخال من يريد فى الرحمة، وطرد من يستحق منها. قادر على إنزال المطر من غير سحاب، وعلى نفريق العواصف المدرة وتعطيل مفعوطاً كما يفعل خبراء المفرقعات في إبطال مفعوطاً ؟!!

واحتل البابا ومساعدوه من الطبقة العليا فى البناء الكنسى منزلة رفيعة ، فى قلوب الناس وسيطروا على مشاعرهم ووجداناتهم وكعادة العقائد الكنسية فى الانتجال والاستعارة والترقيع فإن بدعة هصمة البابا انتجلت من عقائد الأمم الوئنية ، كا فى عقيدة الفرس قبل الإسلام حيث كانوا يعتقدون فى دملوكهم ، عقائد عياء ويقدسونهم كأنهم آطة .

بيد أن خداع البابوات وحاشيتهم لرعاياهم قد تعرض لفضائح خطيرة فيها يتعلق ببعض المطالب .

فقد وتع فى جزيرة صقلية جفاف كاد يهلك النسل والضرع . وذهب الناس إلى القساوسة يطلبون منهم إنزال الأمطار فعجزوا ـ بالطبع ـ فانهال الناس على القساوسة والقديسين ، ورموهم بأقذع الشتائم والسباب ، وجلدوا بعضهم بالسياط . وريطوا بعضهم فى العراء تحت حر الشمس ، وأخهدوا يهتفون فى وجوههم : . إما المطر ، وإما حبل المشنقة ،(٤٦) .

<sup>(</sup>٤٩) أَذَائُكُ الحَقِّ ( ٤٨ ) الشَّبْخُ مُحمَّدُ الغَزَالِي .

# الإسلام يزيل هذا الوهم :

الإسلام حرر الإنسان من كل أشكال الرق والعبودية والتبعية وجعل الفاس سواء أمام الله لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح . وحرر عقولهم من الجمود والتحجر ، وسما بالإنسان إلى أعلى علميين فحارب الكهائة ، وشنع على مدعيها والمنخرطين فى سلمكلها ، فالنافع والصاد هو الله وحده ، هو القائم على كل نفس بماكسبت يعلم سرها ونجواها . فإذا أراد بأحد خيراً فلا راد له ، وإن أراد بأحد ضراً فلا كاشف له إلا هو .

## و نصوص القرآن العظيم تنحو في هذا الجال منحيين :

أولهما : يتحدث عن الانبياء والرسل، وهم أعرف الناس بالله ، وأخشاهم له ، وأقربهم إليه ، وأعلاهم منزلة ، وهم معصومون من المعاصى كبير هاو صغيرها بعد البعثة باتفاق ، وقبل البعثة على الارجح ومع هذا فإن القرآن يتحدث عن كثير منهم بأنهم كانوا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، وقد يؤمر فريق منهم بالاستنفاد ، وهم قط لم يذنبوا ، وإنما يعتبرون جهادهم وعملهم فى مجال الدعوة قاصراً عن بلوغ وثبة السكمال الاسمى بالنسبة لجلال مرسلهم وعظمة شأنه ، أو يعتبرون بعض ما فعلوه باجتهادهم ظانين أنه فى خدمة الدعوة قد خالف الانسب والاولى إما بأخبار من الوحى ، أو بعد التطبيق العملى فيتوبون ويستغفرون .

فوسى عليه السلام يطلب المففرة له ولآخيه: «رب اغفرلى ولآخى، (٥٠) وهاود يخبر عنه القرآن الآمين أنه: «فاستغفر ربه وخر راكماً وأناب، (١٠) وسلمان يحكى عنه القرآن أنه قال: «رب اغفر لى وهب ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى (٢٥) » .

ر ع - النصوش القدنسة

<sup>(</sup>٠٥) الأعراف (١٥١) . (١٠) ص (٣٥) . (٥٢) ص (٢٤) .

وخائم المرسلين ــ صلى الله عليـه وسلم ب يقول له القرآن السكريم و فسجح بحمد ربك واستغفره ، (٥٣) .

ويقول: ﴿ إِنَا فِتَحَنَّا لِكَ فَتَحَا مَبِينًا ، لَيَغَفِّرِ لَكَ لَقَهُ مَا تَقَدَمُ مَن ذَنْبِكُ ومَا تَأْخُرِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ

ومعنى هذا كله أن صفوة خلقه وهم الرسل يستغفرون ربهم ويقرون بأن لهم ذأو با خاصة بهم ، وهم معصومون ، ولم تمنعهم عصمتهم من أن يستشعروا القصور أمام الخالق . هذا هو شأن الرسل المصطفين الآخيار فابالك بعامة الناس من بعد الرسل ١٤ ولن يمكون فى خلق الله من هو أكرم عند ايته من رسل الله . فكيف يمنح البابوات أنفسهم والمقربين منهم حقا يجملهم أسمى من رسل الله .

هدذا هو المنحى الآول للقرآن السكريم فى مواجهة هــــذه البدعة بدعة عصمة البابوات وقداستهم وإطلاق يدهم فى ملكوت الله يدخلون الجنه من يشاءون ويطردون منها من يشاءون ؟ ١

# التنديد بموقف البابوات وحاشيتهم :

. ندد القرآن بموقف اليابوات والأحبار والرهبان كما ندد بموقف من صدق بما يقولون افترا. على الله وعلى رسله .

نهد بالأولين فقال: « إن كثيراً من اللاحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل . . ، (مِنْ ِ . .

ويدخل فى المال المماكول بالباطل: القرابين وأثمان صكوك الغفران والعشور، والوصايا. وكلها موارد كانت تدر على رجال الدين ربيافاحشاً.

<sup>(</sup>٣٤) النصر (٣) · (٥٤) الفتح (٢-١) · (٥٥) التوبة (٣٤) .

وندد عن يعيدتهم ويطيعهم فقاله

اتخدوا أحبارهم ورهبائهم أربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم ،
 إلى أمروا إلا ليعبدوا إلها وإحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، ٢٠٥٠ .

وهذه الآية نكاد نكون نصا فيا عليه عقيدة النصارى الذين أمروا يبعيدوا الله فبدلوا دينهم ، وانخذوا عيسى رباً كما انخذوا أحبارهم ورهيا نهم ارباباً . وهذا منذل ما بعده صنال ·

ويعود القرآن فيضع مبدءاً للتصالح مع أهل الكتاب، وأساساً صالحاً لتحقيق الإستقامة ، إوطراح البياع وإزالة الواسطة بين العبد وربه ، وتنقية العقيدة من كل صور الإشراك والوثنية :

> د قل يا أهل البكتاب تعالوا إلى كلية سواء بيننا وبينكم . ألم نعبيد إلا أنبه ولا نشرك به شيئاً .

ولا يتجد بمهندا بمين أربابا من دون الله . . ، (٧٠) .

ذاليه هو الجنق الشي طنسوه بالباكل : فلوعو عيسى ربا وهو عبد الله ويرسول موحى إليه .

ودءوا الكمان أربابا من دون الله ، بيدهم النفع والضر، وهم لايملكون الانفسهم نفعاً ولا ضرأ .

و بقيت آية لها بهذا المقام صلة . فدعوى البايعنات أنهم وجديم رلجم الحق. في تفسير نصوص الوحي ، وأنوم لهم الحق في إضافة نصوص من عندهم إلى نصوص الوجي تكون لها من القداسة عارلنصوص الوحي م هذه المثيالق الخطرة يحذر منها القرآن أيما تحذير :

<sup>(</sup>ov) آل عمران (عَلَيَّ) أِنْ ٣٠

<sup>(</sup>۲۵) للتوية (۲۱) •

، ومن أظلم عن افترى على الله كذباً ، أو قال : أوحى إلى ولم يوح إليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله . . . ، ، « ه ه ) .

فاأنت ترى أن القرآن الكريم قدد أبطل هذه الأوهام ، ووضع الحق في نصابه، ونبه على الصلال الذي وقعت فيه الكنيسة، فحرفت نصوص الوحى ولم تكن أمينة على كلمات الله . وادعت لنفسها من الحقوق مالا يصح ثبوته إلا قه ـ سبحانه ـ وحرفت العقائد وأحلت محلها أموراً مبتدعة ما أنول القه بها من سلطان .

ولولا هذه المواقف التي وقفها القرآن من تحريفات أهل الكتاب اضاع الحقى، ولما عرف أحد ما هو الطربق إلى الله ١٠٠٠

#### الرهبانية:

لم تكن الرهبانية من الشعائر أو السلوكيات المالوفة فى المسيحية خلال القرن الشلائة الأولى من الميلاد ، وإنما هى بدعة ، عرفت خلال القرن الرابع الميلادى ، وسيطرت على مشاعر أتهاع السكنيسة حقبة من الدهر . وكان لنشأتها أسباب دعت إليها أول الآمر ، ثم تفشى أمرها بين الناس وساء استمالها حتى صارت مصدراً للأضرار والشرور ، وتجاوزت حد الاعتدال إلى الغلو الفاحش .

أجل لم تكن شعيرة من شعائر الدين . وإنما كانت رد فعل لحياة الروم بعد تنصرهم فى أوائل القرن الرابع الهجرى . وبعد أن صار المجتمع المسيحى بتكون من تركيبة قوامها عنصران :

ه العنصر المسيحى أصالة ، وكانت المسيحية حتى آنذاك لها صلة وثيقة برسالة السيد المسيح، إذ لم تكن الانحوافات قد تفشت فيها على النحو الذي حدث فيها بعد.

<sup>(</sup>٥٨) الأنبام (٩٣) ٠٠٠٠

ه العنصر الروماني الحديث الصلة بالمسيحية . وكان للروم فلسفة في الحياة مورها في المادي. الآتية :

١ - الإيمان بالمحسـوس ، وقلة النقدير عا لا يقع تحت الحسى أو لليتافزيقا .

٣ ـــ قلة التدين والخشوع.

٣ ـ شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والإهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها .

ع - النزعة الوطنية (٥٠).

وقد ورث الروم هذه الفلسفة عن الفلسفة الإغريقية القديمة . فزادوا منعفاً على ضعف فى الآخلاق والسلوك . وتسابقوا فى إحتساء الملذات ووقفوا عليها كل جهودهم . ولم يكن لهم إيمان يغرس فى نفوسهم حب العفاف والفضيلة . ولم يعرفوا القناعة ولا الزهد وإنما عبدوا الشهوات وأغرقوا فيها .

وحين أمتر اجهم بالمسيحيين بعدد تنصر الروم كان هناك واحدد من إحتمالين :

إما أن يحمل المسيحيون الروم علىحياة الطهارة والعفاف والإيمانبالحياة الآخرة ونميمها .

وإما أن يحرف الروم المسيحيين إلى حياة اللذة الفانية وعدم الاهتمام بما عند الله .

وللأسف فإن الذي حدث هو أن غلبت النزعة الرومية على السلولك المسيحي فأصبحوا جميماً أصحاب لذة ومتعة عاجلة متأثرين في ذلك بمذهب أو فلسفة أبيقور ( ٢٧٠ ق م ) التي ورثها الروم عن اليونان ، وكان أبيقور

<sup>(</sup>٥٩) ماذا خسر المالم باتحطاط المسلمين (١٧٦).

يدين في الأتخلاق والمتلوك بمذهب و اللفة ، و إزاء هنذا كله نحا فريق من المسيحيين إلى الرهبانية و الزهد فى الدنيا كرد فعل لما رأؤه فن الزوم هن تردى وانحطاط وانهماك فى ملذات الدنيا . وكانهم أرادوا ـ بذلك ـ أن يضربوا المثل للشعب المسيحى ويذكروه بالعفة والطهارة والتنزه عن ألدنايا التي بشربها السيد المسيح عليه السلام .

وكانت الرهبانية فى أول أمرها معتدلة ، ثم غالوا فيها وصارت تقوم على الدعائم الآئية :

١ -- العزوبة : ويعنون بها الإعراض كلية عن اليساء والإضراب عن الزواج . وإستندوا في هذا السلوك على عدة أسباب :

الأول: الاقتداء بالمسيح لأنه لم ينزوج، وقد حث على العزوبة فعلا (٢٠). الثانى؛ اعتقادهم أن المرأة شيطان ، وفى ذلك يقول سان بو نا فنتور: و إذا رأيتم إمرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا حيا وحشيا ١٤. وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير العمان عدال.

الثالث: اختصاص الله بالولاء: أَى أَنَّ الْإِنْسَالُ، وبخاصة رَجَلُ الْدَيْنُ أُو السَّكَاهُنَ يُجِبُ أَنْ يَسَكُرُنَ وَلَاؤُهُ السَّكَامُلُ لِللهِ . وَالذَى يَنْزُوجَ يَسْكُونَ وَلَاؤُهُ لَوْقَجَتُهُ وَلَا وَلَادُهُ أَكْثُرُ مِنْ إِخْلَاصَهُ لَاكْنَيْسَةُ ؟ أَ.

<sup>(</sup>٦٠) انظر إن شأت إنجيل متى ( ١٩ : ١٩ ) حيث يزعمون أن عيسى عليه السلام الله : ق يوجد حَمَّيَان خَمُوا أنفسهم الأَجْلُ مَلْ كُوت الْسَدُوات . من أَسْتُطَاع أَن عِبْلُ فَلْيَهَبِلُ لَهُ .

<sup>﴿</sup> ١٩﴾ أشعة خاصة بقور الإسلام ( ٩٩٩) كفاه عنى «الله له الله مراجع سبنى فأكرة ومن العجيب أن احتقارهم للمرأة كان يشمل الأمهات والبنات نضلا عن الزوجات. فاحتقار الرجل لأمه وبناته عبادة وتقرى ؟ ! ،

وَحَيِّنَ طَرُ أَتَ فَسَكُرَةُ الرَّهِ الْهِ فَى عَجَالَ السَّلُوكُ السَّلْمَةِ عَلَيْهِ الْسَكَنِيسَةُ مَا ثُر مَا ثُرُ رَجِعَى فَطَلَقَتَ عَسَلَى رَجَالَ الدين زَوَجَأْتُهُمْ وَأُوجُبِتَ عَلَيْهِمِ التَّبْتَلُ والانقطاع للعبادة ؟ 1 .

٢ - التجرد المكامل عن الدنيا: وبذلك حببوا إلى الاتباع العزلة ألتامة عن الخياة، وقال كل أمل فيها ، والعروف عنها حتى الفظافة والملابس. وكان بعضهم يرقد في المستنقمات وهذو عال ليعرض جسده الأمراض ، ومنهم من فر إلى الصغراء.

العمادة المتواصلة: كان آباء المكنيسة يحملون أتباعهم على أن يبكو نوا في حالة عبادة مستدرة مهما كان الشقاء والعثاء في مراولتها من الصلوات والصيام والطقوس والبرائيم. ومن خالف عرض نفسه لأشد أنواع العقاب؟!.

ع ــ التعذيب الشاق : كالغزلة وأكل الخشائش والتعزض لخرارة الشميز ، وتحمل آلام الجوع والعطش .

بَلَ كَا نُوا يَرِ مَنَ أَنْ نَجُمَاشَةً الجَسَمُ وَالشَّيَابُ وَالْآعَضَاءَ مِنَ الْعَبَادُةُ وَالتَّقُوى. • لان الجُسَّم فَالْ وَهُوْ مُصْدَرُ الشَّهُو أَنْ فَيَجَبُ احْتَقُمُارِهُ وَالْآهَبَامُ بِالرَّوْحُ ؟ أَنْ

هَلَدُه هَى الرَّهْبَانِيَة فَى أُوجِن تَصَّنُو بِرَ لِهَا . فَمَا هُوْ مُوقف الْإسلام مُنْهَا ؟ . الإسلام يدعوا ألِمَا النَّسَانَى والتعاذلُ :

الرَّ هَبَا نَيْةً عَلَىٰ النَّحُوْ اللَّنِي قَدْمَنَاهُ ثَرُ فَوْضَةً فَى اللَّاسَلَامَ ، بل هَى نَوْعَ مِنَ المَا لاة والتنظيع الله غنى عنها . فقد خلق الله البكون وْسَخُر مَا فيه مَن نَشَمْ لحدمة الإنسان . والاستمتاع بملذات الدنيا وطيباتها أمر مباح بل مرغب فيه . وحسبك ذانك النصان البكريمان :

ديا أيها الناس كلوا بما فى الأرض حلال طيبا ، ولا تقبعوا خطوات الشيطان إنه لـكم عدو مبين ، (٦٢) .

د یا ایها الذین آمنو اکلو ا من طیبات مارزقناکم ، و اشکرو ا نه این کنتم ایماه تعبدون ،(٦٢) .

فى الآية الأولى كان النداء للناس جميما ، وقد رغب إليهم التمتع من الحلال الطيب بشرط البعد عن إغراءات الشيطان .

وفى الآية الثانية كان الندا. للذين آمنوا خاصة . ورغب إليهم التمتم بالطيبات من الرزق ، بشرط أن يكون الشكر الحالص عليها لله المعبود بحق، وهو مولى النعم .

وهناك آية لا إخالها إلا تصديا واضحا لدعوة الرهبانيه ومروجيها وهي تواجههم فى عنف وشـــدة واستنكار بالغ حيث حرموا ما أحل الله من الطيبات والملذات :

دقل: من حرم زينة الله الى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق؟ ! دقل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . . . ، ١٤٥٠ .

فهذه الدنيا وما فيها مائدة غنية لعباد الله ، خلق لهم فيهاكل ما لذ وطاب . وأمدهم فيها بنعم لا تعد ولانحصى وليس فيها محرم إلا ما حرم الله ، وما حرم إلا الحبائث وما أحل إلا الطببات . والمنهج الجامع الذى وصفه الله للانتفاع بما في الدنيا من ملذات طيبات هو الاعتدال والتوسط . فلا يحرم الإنسان ففسه كل الحرمان ، ولا يفرط في التمتع بها كل الإفراط :

د یا بنی آدم خذوا زینتکم عندکل مسجد، وکلوا و إشربوا و لا تسرفوا،
 إنه لا یحب المسرفین، .

(٦٢) البقرة (٦٦٨) (٦٣) البقرة (١٧٢) • ﴿ (٦٤) الأعراف (٣٣) .

و تطبيقا على هـذا المنهج امتدح القرآن فريقا من عباد الله كان منهجهم الاعتدال في الإنفاق فقال:

هذا هومنهج الإسلام فى النمتع بالطيبات فى الدنيا على وجه عام . فلا إعراض ولا حرمان ، و لا إغراق ولا إفراط . وقد أحسن شاعر مسلم حين أفصح عن هذا المنهج الإسلامى المعتدل فقال :

أناأنهاها ، ولكن لاأصوم(٢٢) أنا أرعاها ، ولسكن لا أهيم فليلمثا بعد هـذا من يلوم

زاهد الهند نمى الدنيا وصام طامع الغرب رعى الدنيا وهام ولنا فى كل ذا حــــد قوام

أما ما قامتعليه الرهبانية منحياة العروبة والإنقطاع للعبادة ، والتعذيب الشاق فإن للإسلام موقفا واضحا من كل بدعة منها .

عبالنسبة إلى حياة العزوبة واحتقار المرأة ووصفها بأنها شيطان نجمه الاسلام يجعل النساء شقائق الرجال. فتأمل ـ مثلاً ـ قوله تعالى :

د ليدخل المؤمنين و المؤمنات جنات تجرى من تحتبا الانهار خالدين فيها و يكفر عنهم سيئاتهم ، وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما ، الفتح (٥).

وقوله تعالى: • فاستجاب لهم رېهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض • • • • آل عمر أن (١٩٥) •

وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَ مِثْلُ الذِي عَلَيْهِنَ بِالْمُعْرُوفِ ، (٦٧) .

<sup>(</sup>٦٥) الفرقان (٦٥)

<sup>(</sup>٦٦) الصوم المنفى هنا المراد به الحرمان والإعراض عن متع الحياة وليس المراد نقى الصوم الشرعى مفروضاً أو مندوباً ·

<sup>(</sup>٧٧) البقرة (٨٧٧) .

قَالَاتِمُلَام يُضِعُ المُراثَّةُ مُوضَعًا خَرِيمًا ، ويُشَوَىٰ بَيْتُهَا وَبَيْنِ الرَّجَالُ فَ الفَضَلُ اللهِم إلا في ما يتفق مع طبيعة كل مفهما من أن لكلُّ مُنهَما نجالاً مُحَاصَاً بِهِ يُؤْذِي قَيْهِ لِسَالِتُه ،

إما أن يمكون للرجل فعنل من حيث إنه رَجَلُ ، وَتَحَمَّقُو المَوَاةُ مَن حيثُ أَنَّهُا إِمْرَاةً فَذَلِكُ مَا يُحظره الإسلام .

وحسب المرأة من الكرامة أن رسول الله ضلى الله عليه وُسلَم أوصَّى الله ضلى الله عليه وُسلَم أوصَّى الرجال بها وهو غلى قراش الموت فقال: « استوصوا بالنساء خيراً . .

وكرم الأنهائ منهن فقال: دُ الجنة تلحت أقدامُ الأمهات، لوجعل برها على الولد مضاعفا، فقد قال لمن نجاء يسأله ؛ من أحق الناش بخسن صبحًا بتى : قال : أمك، ثم أمك، ثم أمك. وفي الرابعة قال : ثم أبوك .

أِذِن فَاحتقار الْمُرأَة الذِّي تَقَرره الرهبانية العابثة أيُحراف خطير لم تأت. به شريعة ، ولا يستحسنه عقل .

# الترغب في الزواج:

فى هذا المقام يطالعناقوله تعالى: دفا نكحوا ماطاب لكم من النساء، (١٦٨٠. والامر هنا تذوإلى كان للإباحة ما قاينه يتلقدمن معنى الترغيب فى الرؤاج بدليل قوله تعالى: دما طاب ، .

ويأتى فى معرض الإمتنان على الحلق قوله تعالى: وَمَنْ آيَاتُهُ أَنْ خُلَقٌ اللَّهِ مِنْ أَنْفُكُمْ وَ اللَّهُ مَن السكم من أنفسكم أزوراجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، (٢٦٠ .

ويشير القرآن المعجز .. هنا .. إلى معان تستثير جهو ُذَّكُلُ عُلَمَاءُ الْمُفْسَ في اللَّبُحْتُ عَنَى معنى ؛ السَّكَنَ ، ومعنى اللَّودة والرَّحْة ، التي جَعَلَهُ أَلَفُهُ بَيْنِ الْأَزُّواجِ ،

<sup>(</sup>۱۸) النساء (۲) . (۲۶) الروم (۱۳) .

والآثار الطهيئة ثنن النو أحى الخلقية والنتلوكية والتربؤ ية ألى تثر أب على أقار أن الآزواج ، والقرار الشفيان ، والأجواء المبهجة ألو أشيع فى الاسر السفيان التي تحكم علاقاتها توجيهات الاسلام .

و إذا كافت هذة الآية ترغيبا وتختيبا فى النسانى بالغرائز من حيث أمر الله فإن لها نظائر فى القرآن الكريم تتحدث عن القرار النفسى ومَا يعود عَلَى الروجين من ذلك الرباظ القطرى الوثيق، تأمل قوله تعالى فى بيان ما يعود على الازواج من زوجاتهم، وما يعود على الدوجات من أدواجهن:

« هن لباس لسكم ، وأنتم لباس طن ، (٧) تأمل معنى اللباس حيث يوحى بالمهاسة والستر واكتبال الشخصية والوقاية من الأضرار وهكذا يستركل من الزوجين الآخر وتنتجد مشاعر الوفاء والألفة بينهما ويعف كل منهما صاحبه ويقيه من الأضرار . وعا هو معلوم عند علماء النفس أن السكبت الغرزى ( الجنس ) يؤدى إلى الإصابة بالتوتر العصبي والاتراض النفسية والخواء الخلق القتاتل . لذلك كان في تعبير الغران عن الآثار الطيبة الجيلة الناتجة عن الرباط الروجي باللباس دلالات معجرة - بحق ت فقد أجل في إيجاز محكم فيضا من المعانى والمقاصد السامية .

وَ إِنَّا كَانَ كُلُ ذَلَكَ اللَّهِ عَيْطَ الْأَسْرَةُ مَانَ نَصْيَبُ الْإِنْسَانَيْهُ الْوَاعدة وَإِنْ نَصْيَبُ الْإِنْسَانَيْهُ الْوَاعدة وَإِنْ نَصْيَبُ الْإِنْسَانَيْهُ الْوَاعدة وَإِنْ مَا اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُولُ اللَّالِمُ اللَّا اللَّهُ اللَّالَّاللَّلَّا اللَّهُ اللَّهُ

والله جعل له كم من أنفسكم أزواجًا ، وجعل للكم من أزواجنكم بنان وحفدة ورزة مكم من الطيبات، أفبالباطل يؤمنون، وبنعمة الله الله الله الله المرابعة

<sup>· (</sup>۲۲۳) البقرة (۲۲۳)

<sup>(</sup>٧١) النخل (٧٢) البنون : أبناء الرجل المباشرون والحقدة : أبناء أبناء أ

أن أيخل البخلاء في الحياة هو الذي يأخذ من الحياة أكثر ، العطيما . والعازف عن الزواج هو من أبخل البخلاء فقد أخذ منها أكثر ، ا أعطته :

اعطته الحياة أبا وأما ، وأعطاه أبوه وأمه حنانا وعطفا وتربية وهذا دين عليه إذا لم يف بة فيتزوج وينجب ويعطف ويربى فهـو من أبخل المخلاء حقا .

أنه رعديد جبان يخشى تحمل المسئولية ويـكره تجشم المشقات . أو هو لص يختلس من الحياة حراما ما كان ينبغى أن يطلبه من جهة الحلال .

#### والسنة الشريفة :

إن موقف السنة الشريفة يتسق مع موقف القرآن تماما . فقد ورد أنه عليه السلام نصح صحابيا نوفيت زوجته أن يتزوج بعد ثلاثة أيام من وفاتها . وبين الحكمة من الإسراع بالزواج بأن الرجل الاعزب يبيت معه الشيطان؟١.

ورغب الشباب . إذا ملكوا القدرة على الإنفاق ـ فى الزواج فقال : د يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة فلينزوج · · · · · · · · · ·

وقال: ﴿ الدُّنيا مِنَّاعِ ، وخير مَنَّاعِها الرَّوْجَةُ الصَّالَحَةُ ۗ ﴿ أَنَّ مِنْ مِ

ولماجا. نفر من صحابته يسألون عن سنته في العبادة بدا لهم لما أخيروا بها أنها قليلة ، فقال بمعنهم : لا أثروج النساء؟ وقال بمعنهم : لا آكل اللحم ؟ وقال بمعنهم : لا أفام على فراش . • فلما بلغت مقالتهم هذه رسول الله عليه السلام ، قام خطيبا في الناس فقال : • ما بال أقوام قالوا كذا وكذا . • ولكني أصل وأنام ، وأصوم ، وأفطر ، وأتروج النساء فن رغب عن سنتي فليس مني ، (٢٧) .

<sup>(</sup>۷۷) آخرجه مسلم فی کتاب « النسکاح » .

#### التشدد في المبادة :

السعى من أجل الدنيا ، وطلب الآخرة مقصدان ساميان فى الإسلام والمنهج السوى هو الجمع بين هذين المقصدين بحيث لا يطفى جانب منهما على الآخر .

فالإقبال على الدنيا وترك الآخرة مذموم · والإنقطاع للعبادة وطلب الآخرة ـ كذلك ـ إنحراف غير مجمود فى التوجيه الإسلامى ، وفى القرآن الكريم وردت تلك الإشارة الحكيمة فى الآخذ بالاســباب الموصلة للرزق الحلال:

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، (٧٤) .

وقد ورد فى السنة الشرايفة كثير من التوجيهات التى تحذر من الإنقطاغ للعبادة والمغالاة فيها :

روى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى حبلا مشدودا بين ساريتي المسجد فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب . فإذا فترت تعلقت به فقال صلى الله عليه وسلم : لا حلوه ؟ ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد عرص .

شدت زينب - رضى الله عنها - حبلا بعمودين من أعمدة المسجد، وربطته بعنقها وهي تصلى تطوعا بالليل. وأرادت من الحبل أن يمنعها من الرقاد إذا غالبها الناس. ورأى صاحب الدعوة أن هذا العمل مضالاة في العبادة. فأمر بفك الحبل ثم أرشد الأمة إلى الإعتدال والتوسط والقصد فليتطوع من كان قادرا على التطوع. فاذا مالت نفسه للراحة فليعطها حظها من الراحة، ولا يتهادى في العبادة.

<sup>(</sup>٤٧) القصص (٧٧) ٠

ولهذا الحديث نظائر وأشباه ، منها أنه دخل المسجيد فرأي رجلا فيه فى غير وقب صلاة ، وتكررت هذه الرؤية فسأل عنه فأجبروه بأنه عابد لله ، فقال : ومن ينفق عليه ؟ . فسألوه : أجهه . قال : أخوه أعبد منسه ، ورأي رجلا يمشى متوكنًا على ولديه ، فسأل عن أمره : فقالوا إنه نذر أن يصوم للم، ضاحيا لايستظل ؟ قائما لايقعد ، فقال : ما أغنى الله عن تعذيب هذا نفسه . ثم أمره بإيمام صوامه ونهاه عن القيام والوقوف تحت جرارة الشمس .

ورأى رجلا آخر قد ظلموم من حر الشمس في شهر رمضان؛ لأن الصيام قد أجهده. فلما علم عليه السلام أنه على سفر وليس له مأوى يؤويه. قال: دليس من البر الصيام في السفر ، (٧٦).

وما من شيء ابتدعته الكنيسة في رهبانيتها إلا جاء الإضلام بتعديله وتهذيبه . ودعا الإسلام عباد اللهجيما للتمتع بما الكون من طيبيات ولذا تذ. وأحاط ذلك كله بضماً نات فيما للإنسانية سمو ورقعة ويسر :

واللائتيع خطوات العيطان

ان نشكر لله نعمه و فضائله ...

وأن لا تسرف في لللغلب ، ولا نشق على أنفسينه في الحرمان ...

المنه المنهجين أحق بالإقباع لا الرَّ عبا نيف المؤمرة ؟ أم المنهج الآسداميُّ المدر ؟ ١.

<sup>(</sup>٧٦) اخرجه مسلم في كيتاب الهما م

## الإعتراف:

بدعة الإعتراف من أركذِب البدع المكنسية، وإن كانت كل بدع الكنسية كاذِبة . وقد نشأيت هذه البدعة في ظل طغيان المكنسية المادي والروجي .

فن حيث الطغيان المادىأرادت الـكنيسة أن يظل الإعتراف موردا غنيا مِن مو اردها ألمالية .

ومن حيث الطغيان الروحى أرادت السكنيسة أن يظل سلطانها الروحى وللديني مسيطرا على مشاعر الناس. فاستخفت عقوطم، وقالمت لهم أن المرور إلى الحنة لابد أن يكون طريقها أنها عصابة من أخطر عصابات الإبتزاز في تاريخ البشرية جمعاً. ، وقد سخر منهم فلوتير في أحد أعماله الفنية حيث طالب د العكامن ، فلذي جرى بين يديه الإعتراف أن يجلس العكامن أمام عالمة في جرائم ١٤ (٧٧٠.

وكم بلغ السخف مداه حين عرضت الكنيسة وقصدور الحينة وغرفها في المزاد العلني . وأصبح ثمن الجنة مالمال ، بدلا من التقوي والعمل الصالح ١٤٠.

وهذا الإعتراف الذي أعدته الكنيسة مظهر المهاهير العيلاح والتقوي والحصول على غفران الذنوب وتكفير الحطايا ، هذا الإعتراف ينهى عنه الإسلام ، فالإعتراف بالذنب إذاعة للذنب ونشر بعد أن ستراقه المذنب فإذا بالمذنب يفضح نفسه بنفسه وقد جاء في القرآن الكريم .

د إن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول . . ، وإذاعة الذئب نوع من أنواع الجهر بالسوء . والسنة الشريفة تجعل التحدث بالذنوب ـ التى سازها الله ـ ما نعا من غفران تلك الذنوب وفى ذاك ورد :

<sup>(</sup>۷۷) قسة الفلسفة (۳۲۵) مرجع سبق ذكره

وكل ذنوب أمتى عسى أن تغفر إلا المجاهرين . . ، وفسر المهاجرين بأن الرجل يذنب ذنبا بالليل فيستره الله ثم يصبح هو يحدث الناس به ١٢ .

فالذنب الذي يذيعه صاحبه ذنهان : هو ذنب في حقيقتمه وذنب آخر. حين بذاع .

وعلى المجاهر إذا أراد أن يتوب أن يستغفر الله من ذنوبه ، ثم من المجاهرة مها .

هذا هو الإسلام دين الفطرة التي فطرانة الناس عليها . لا يقيم و اسطة بين الله وبين عباده . فلا كها نة ولا استخفاف بالمقول ورجل الدين أو جالم الدين في الإسلام : يعلم المسلم كيف يعبد ربه أما البكاهن في المسيحية فيدعى أنه بو اسطته هنو يعبد العابد دبه ، والفرق بين النظريتين كالفرق بين النود والظلام ، وبين السهاء والارض .

لأن الإسلام شريعة الله الحقة ، جاء بها وحيه الأمين ، وبينها للناس وسوله الكريم .

أما الكنيسة فقد أضاعت وحى الله ، ووضعت للناس دينا من صنعها هي . ولذلك باءت بالفشل حتى في المجتمعات المسيحية الحالصة . وكان لابدأن تبوء بالفشل، لأنها واجهت الناس بما ألغى عقول الناس، وصدم مشاعر الناس . 11 .

## القـــرار أو المصير

قدمنا لك تصويراً أمينا لمعتقدات المسيحية التي أفرزتها الكنيسة على مر العصور الفابرة . ولم يبق إلا أن نقف أمام القرار النهائي فيها ، أو المصير الذي صارت إليه . ونقدم بين يدى هذا القرار كلبة حكيمة لاستاذنا عباس محود العقاد رحمه الله حيث يقول :

د ان بهبط دین وعقیدته فی ، افته ، عالیه و ان یعلو دین و عقیدته فی الله هابطة ، و الدین الذی قدمته السكنیسه للناس قد منی بحظ و فیر مر هبوط العقیدة فی . افته ، فقد جعلت ، الله ، مركبا تركیبا غرببا من عناصر غیر متآلفة ، صارت فیه كن بحاول أن يخدع الناس بأن هناك ، عمود آ ، مستویا مكونا من ، الما ، السائل ، و الما ، السائل غیر متماسك ف كیف یقوم منه عمود من غیر حو اجز تمسكه و تكه عن السیلان ؟ ا و لما هبطت العقیدة فی دانته فی دین السكنیسة هبطت كل الطقوس و مراسم العبادة فیها ، فقسد عجزت فی دین السكنیسة عن أن تقدم تفسیر ات مقنعة لا لحقیقة الدین الذی قدمته لاناس، و لا لاسر از السكون و ظو اهر الحیاة ، و عجزت بهد ذلك \_ أن تحتفظ و لا تحتفظ و التو جبه لما و اجهها عدو ان لدودان :

## العددو الأول :

زعماء الإمبراطوريات وملوك الشعوب ورؤسائهم . .

وقد خضعت الكنيسة أمامهم ورضيت الهصل الدين عن السياسة و انتج عن هذا « مثنوية الإنسان ، فروحه للكنيسة ، وجسده للسلطان ؟ ا ره – النموس القدسة ،

#### المدو الثاني:

العلماء والعقليون . وهؤلاء صمدوا حتى أشعلوا نار الثورة المسلحة صد الكنيسة \_ كا سيأتى قريبا بإذن الله \_ و بذلك توارت الكنيسة ورضيت من الغنيمة بالإياب ، لا نها لم يعد فيها شيء يغرى . وقد برهنت \_ بكل وصوح \_ أنها غير صالحه للريادة وقيادة الحياة . . 11؟

# المانسان

العلمانية ، ثقال خضراء الدمن التي فسرت في الآثر المشهور بأنها المرأة الحسناء في المنتب السوء . أي أن لها ظاهراً براقا خداعا ، وباطنامه تها منفراً ظاهرها البراق الحداع أنها منسوبة إلى العلم والعلم من أجمل وأطيب المواهب والملدكات الإنسانية .

وبأطبها المعتم المنفر أنها تسعى جاهدة لحرمان الإنسان من أكبر تعمة والجلم وأخلدها في الوجود، وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

أن العلم ينتشل الإنسان من لجرج الظلمات إلى ساحات النور الرحيبة .

أما العلمانية فتبدأ رحلها مع الإنسان من العسلم لتضعه في يحر من الطلبات ١٤.

ونسبة العلمانية إلى العلم أكذوية الأكاذيب فى حصارة أوربا الحديثة وكم فى الحِصَارة الآوروبية الحديثة من افتراءات وأكاذيب؟ 1

وللعلمانية صوابط وتعاريف فى معاجم الفرب العامة والخاصة سنرجى. الحديث عنها إلى موضعه من هذه الدراسة . أما الآن فنقدم تصويراً موجزا لهما ليسكون حديثنا عنها عن شىء معلوم ؛ لأن الحديث عن المجهول لايفيد .

## المراد من العلمانية:

إن المراد من العلمانية في أوجز تصور لها هو الممارف والعلوم المصادر لا فكار الكنيسة وتصوراتها في أوروبا في القرون الوسطى . أو قل أم

المعارف والعلوم المضادة للأفكار والمعارف الدينية التي قدمتها الكنيسة للناس T نذاك .

فالعلمانية كانت تقف فى الجانب المضاد للدين. ويجب أن يتذكر القارى. أن المراد بالدين الذى ناوأنه العلمانية وقتذاك إنما هو دين الكنيسة لاكل دين.

ويدخل فى معارف العلمائية بهذا التحديد بكل اكتشاف علمى جديد عن البكون ومظاهره فى الجو والبحر والبر، فى الفلك وفى الطبيعة، وفى علوم الإنسان، فى الأرض وفى النبات والاحياء، فى البكياء وفى الاجتماع وفى علم النفس، وفى التاريخ وفى الآثار.

كما يدخل ميه المباحث العقلية والقيم الفلسفية فى شتى قصـــايا الفـكر ومشكلات الحياة .

وتتجلى مظاهر العلمانية بكل دقة فى الفلسفات المادية الحسية البحتة ، التي السكون روافدها ومكوناتها الحواس الخس :

## البصرُ ، السمع ، اللس ، الذوق ، الشم .

فقد حصرت المادية الحسية مصادر المعرفة الإنسانية فيها يدرك عن وأحدة من هذه الحواس، وأنكرت وجود مالاً يدرك بواحدة منها وأطلقت عليه عالم ما وراء الطبيعة أو الميتافزيةا.

ولكل من هذه المذاهب والاتجاهات والايديو لجيات رواد وأنصار، وخصوم ومعارضون.

وظذا العُلمانية أسباب دعت إلى ظهورها . ثم شيوعها وانتشارها وغلوها. اسباب ظهور العلمانية :

من اليهيهر جداً حصر أسبابٍ ظهور العلمانية في قائمتين كبيرتين . ثم انفسام إحدى الفائمةين إلى بحموعتين بينهما صلات وافتران : القائمة الأولى : فقدان الثقة في الكنيسة في كونها مصدراً للمعرفة ، وسلطة للتوجيه .

القائمة الثانية: ثمو البحث العلمي المضاد للفكر المكنسي الديني، وأنبهار الناس بنتائجه القريبة من الفهم والإدراك. وصدق كثير من معطيات هذا السحث العلمي الحديث.

وهذه القائمة نوعان:

الأول: مباحث علمية أسفرت عنها ملاحظات وتجارب صحيحة فكانت متاتجها مقبولة ، ولم يعقبها نقد يزعزع في صحتها أو يفقد الثقة فيها .

والثاني: فروض علمية بنيت على غير أساس، أو على شبهات واهية فلم تسلم من النقود والطمون التي هزت كيانها، وأطرحتها من الحقائق العلمية الثابتة. ولكنها مع هذا ب أسهمت إسهاما كبيراً فى ظهور العلمانية كصدر وحيد مع هذا بالمحرفة دون ما سواها من مصادر ولميات . ١٤

و إليك الحديث مفصلا عن كل ما أوجرناه فى هذه المقدمة. وبالقدالتو فيق ومنه السداد .

#### فقدان الثقة في الكنيسة كمصدر للممرفة:

لا أرانا في حاجة إلى كلام طويل في هذا الصدد، نقد وقفنا مع الفكر، الديني الكنسى وقفات ناقدة فاحصة فيها تقدم، واعتمدنا في نقدنا على أسس سليمة تاريخية ودينية وعقلية وواقمية وعلمية . واستشهدنا بنقود الاصحاب الفكر الحر من علماء مسيحيين ونقاد موضوعيين منهم . والنقد الذي وجووم الفكر الحكسى شمل:

ر ـ مصادر المسيحية ونصوصها المقدسة .

٧٠ ــ العقائد التي أثبت إليها الكنيسة وحاولت فرصها على الناس.

- ٣ ــ الأسرار الكنسية وطقوس العبادة -
- ع ــ منزلة رجال الدين و الاكليروس ، في البغاء الكلسي
  - استخفاف الكنيسة بعقول الناس .
  - تفسير اتها الغربية لحقائق الأشياء -
- ٧ ــ عجزها التام عن امتناع معارضيها وأثباعها على حد سواء .
  - أول تمرد على الكنيسة أو حركة الإصلاح الديني :

ظلت المكنيسة تتمتع بالسلطان السكامل والسيادة العلميا في أروبا، وبخاصة بعد أن هادنت عدوها اللدود المتمثل في الملوك والرؤساء، ووافقت على مبدأ مفصل الدين عن السياسة ، وبذلك ضمنت الكنيسة بقاء سلطانها الروحي واحتكارها للمعرفة ، باعتبارها المصدر الوحيد لها .

ولما تفاقم خطر الكنيسة ، واستفحل داؤها ظهرت حركة عرفت بحركة الكنيسة الإمسلاح الديني ، وهي في الواقع أول تمرد عنيف على فكر الكنيسة ومعتقداتها وتصوراتها الهويلة في كل ماقالت به .

## لوثر والإصلاح الديني :

تنسب حركة الإصلاح في أوربا إلى مارتن لوش وإلى كلفن من بعده. والواقع أن لوثر قام بعب ضخم في هذا المجال، ولسكنه لم يسر في الطريق إلى النهاية المرجوة من رجل مثله كافح كفاحا مرآ من أجل الإسلاح الفني رآه.

وتتلخص حركة الإصلاح الذي قام به كل من لوثر وكلفن في الحطوات الاتياة :

- ه إبطال الأحكام الق صدرت من البابوات ولم يكن لها أصل في الكتاب للقـدس .
- ه محاربة مكوك الغفران، وحق الغفران الذي زعمه البابوات لا نفسهم.

- - نادت بضرورة تزويج الكمنة والقضاء على حياة العزوية .
    - ه إنكار عبادة الصور والنائيل وبطلان السجود لها .
  - ه إنكار استثثار البابوات بتفسير وفهم الكتاب المقدس (١).

و إذا كان لوثر قد خرج على السكنيسة وعقائدها الموروثة . فإنه ظل مها فى خطأ جسيم وهو أن مسائل الإيمان منحة من عندانته فلا يجوز أن يكون للعقل حكم فيها .

وعلى أية حال فإن لوثر وكلفن قد نزعا ثوب المهابة عن الكنيسة وفتحا بابا خطيراً فى النمرد عليها وافتقادها سيطرتها على الدامة والخاصة على حد سواء.

ويصور ولز هذا الانحدار الذي وصلت إليه السكنيسة بعدحركة الإصلاح فيقول :

ومما تجدر الإشارة إليه أن المصلحين وغيرهم ممن تمردوا على الكنيسة كانو يوجهون جل جهودهم إلى محاربة الكنيسة وحدها . ولم تتعرض لكثير من القضايا المهمة كعقيدة التثليث ، وتحريف إنجيل المسبح عليه السلام

<sup>(</sup>١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٢١٠) وما بعدها .

<sup>(</sup>٣) معالم تاريخ الإنسانية (٣ : ٩٨٩) وما بعدها .

والخطيئة الموروثة . ولذلك فإن حركة الإصلاح وقفت دون أن تحقق أسمى غاية كان من الممكن أن تصل إليها .

## معاداة المكنيسة للعلم:

إذا عددنا حركة الإصلاح الديني أول سبب هتح للناس باب التمدد والحزروج عليها فإن هنداك سببا ثانيا أزكى روح المكراهية في الكنيسة وتعاليما، وهو معاداة الكنيسة للعلم واضطهادها للعلماء، واعتبار كل كشف علمي وإن كان صحبحاً هر طقة وكفراً.

وما يذكر من الحوادث الصغيره فى هذا المجال أن مهندس بلدية فى ألما فيا كان قد اكتشف أو اخترع مصباحاً يضاء بالزيت ليلا، فاعتبرته الـكنيسة مهرطة وقضت عليه بالحرمان. وعللت حكمها بأن الله أراد الليل ظلاما وأراد النهار منياء. وأن أية محاولة لإضاءة الليل إنما هى تمــرد على إرادة الله ..؟! (٢).

ولسنا ندری ماذا کانت ستری الکنیسة لو حدث اکتشاف الکهر باء فی عهدها الذهبی وفی أو ج سلطانها ؟ ا

## الـكشوف العلمية الحديثه:

من العوامل التي كانت مختبراً صعباً للكنيسة البحوث العلمية التي أسفرت عن حقائق كونية بالغة الأهمية ، وكان لها نصيب من الصحة .

وفى مقدمة هذة المكشوف نظرية كوبرنيق ( ١٥٤٣م ) الفلكية ، والتي تقصى بأن الشمس هى مركز البكون ، وأن الآرض تدور حولها ،وكذلك بقية الكواكبكانت هذه النظرية بمثابة قذيفة فجرت فى هيكل الكنيسة ووضعتها أمام أعقد مشكلة فى تاريخها الوسيط .

<sup>(</sup>٣) العلمانية (١٥٧) مرجع حابق .

فقدكانت المكنيسة تعتقد أن الأرض هي مركز الكون ، وأن الشمس هي التي تدور حولها قاطعة المسافة ما بين شرقها وغربها في نظام محكم . وقد ورثت الكنيسة هذه العقيدة عن نظريه بطليميوس ، وأخذت بها وجعلتها حقيقه من حقائق الدين .

ولم تفتيح الكنيسة صدرها فتقارن بين النظريتين وتأخذ بالصحيح منها وإنما سارعت بإلقاء القبض على كوبرنيق وقدمته لمحاكم التفتيش وهو فى سن الشيخوخة . وقبل إصدار الحكم عليه عاجلته المنية وفو تت على المكنيسة فرصة الانهام والتأديب والتشبى .

وصادرت الكنيسة كتاب كوبرنيق ( حركات الأجرام السماوية ) وقالت ان ما فيه إنما هو وساوس شيطانية مفايرة لروح الإنجيل.١٤٠

وظنت الكنيسة أنها أحكمت قبضتها على الأمر ، وأنهـا وأدت نظرية كوبرنيق في مهدها .

و بعد قليل من الزمن قيض الله رجلا آخر يبعث فظرية كوبر من جديد، وهو جردانو برونو . وإذا بالكنيسة تهب من جديد وتلق به فىالسجنويظل الرجل مسجونا ست سنوات ثابتا على رأيه . فاضطرت الكنيسة إلى أن تحرقه وتسحق عظامه وتذريها وهى رماد فى الهواه ، ليكون عبرة لمن سواه من العلماء والباحثين ١٠٠٠!

#### من النظر إلى العمل:

لم تو قف إجراءات الكنيسة تدفق العلوم ، ولم تخف قلوب العالماء . فقد استمر البحث العلمي في التقدم ، و تبنى العالم الفلكي جاليليو النظرية الفلكية السابقة ، وخطا بها خطوة واسعة إلى الأمام .

اخترع جاليليو هذا جهازه الخطير . المرقب، او . التلسكوب، وأيد به

عملياً وتبجر ببياً ما نادى به كوبر وبرونو نظرياً من قبل. فأسرعت الكنيسة. بإلقاء القبض عليه ، وتقديمه للمحاكمة .

وقعنى عليه سبعة من الكرادلة بالسجن ، وأمروه بتلاوة مزامير الندم السبعة كل أسبوع طوال ثلاث سنو أت (٤٠) .

وخشى الرجل ، وهو شيخ مسن ، أن تفعل به الكنيسة مثلما فعلت بهرونو من قبل فأعلن ارتداده ـــ ظاهريا ــ عن رأيه ، أعلنه وهو منحن على ركبتيه أمام رئيس الحكمة ، وهو يقول :

د أنا جاليليو وقد بلغت السبعين من عمرى . راكع أمام فخامتك ؟ 1 والكتاب المقسدس أمامى ألمسه بيدى : أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادى الخاطى، د بدوران الأرض ، وأتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد هذا الزعم المصلل . (٥) .

وبهذا الأسلوب القمعى كانت تتعقب الكثيسة كل عالم يكتشف ظاهرة جديدة من ظواهر البكون . ومن الملاحظ أن الكنيسة لم تبكن تسمح يميناقشة البكشف العلمي على الإطلاق ، بلكانت تستخدم سلطتها العانية في مصادرة كل ماتراه خارجا على فبكرها وتعاليمها .

ومن الطريف أن جاليليو - كا تذكر المصادر - أخذ يردد في صوت عافت وهو خارج من المحكمه هذه العبارة :

· ومع ذلك فإن الأرض هي التي تدور ، (٦) ؟ إ

#### نيوتن والجاذبية :

كانت وفاة جاليليو هي ١٦٤٣ م وفي هذه السنة نفسها ولد إسحق نيوتن ٪

- (٤) تاريخ ميالم الإنسانية (١٠٠٨) مرجع سبق ذكره.
  - (٥) النزاع بين الدين والفلسفة (ه ٧) د/ توثيق الطويل .
    - (٦) عظاء الإنسانية مائة (١)

وكأن القدر قد جاء به تعويصا عن جاليليو ليكون امتداداً له في الكشف عن معارف جديدة بما أودعه الله من أسرار في كو نه النسبيح إذ على يد نموتن هذا ظهر قانون الجاذبية الذي ذاع صيته وكان له وقيع قوى انبهر له رجال الدين وغير برجال الدين من الطبقات التي نالت حظا وفيرا من الثقافة .

وفى هذا الوقت الذي أعلن فيه نيوتن عن نظرية الجاذبية كانت المحوث قد وصلت بنظرية كوبرنيق وبرونو وجاليليو إلى درجة اليقين . لدلك كان انتصار نيوتن انتصاراً مصاعفا ، وزادت ثقة الناس فى كثرو فات العلماء . وازداد تدهور السكنيسة و تداعت معارفها واحدة بعد الأخرى ومع أن نيوتن كان مؤمنا بالله فإن رجال السكنيسة حاربوه واضطهدوه وقالوا : إن نظريته تؤدى إلى إنكار عناية افه . وكانت السكنيسة صادقة في هذا الترقع سكا مباتى ـ إلا أن صسدقها لن يشفع لها أزاء قصورها وجحودها فى هذا الجال .

فلو أن السكنيسة استغلت هذه الكشوف فى الدعوة إلى الإيمان ، واستطاعت أن تربط بين هذه القوانين وبين القدرة والحبكة الإلهية لتغير مجرى الثاريح الديني في أوروبا ، ولسكنها لجأت إلى مصادرة الفكرة ولم تجد هذه المصادرة شيئاً أمام صدق السكشوف وظهور آثارها .

و إلى هناكان فقدان الثقة فى الكنيسة قد بلغ مداه ، وأتجه الناس بعامة والمثققون بخاصة إلى مصادر جديدة للمعرفه ، وأداره ا ظهورهم للمكنيسة وأذنت شمسها بالغروب .

وفى القرن السابع عشر اكتملت النظرية العلمية المعادية للبكنيسة ، وراجت فى جميع الاوساط ، وأسفرت عن نتائج وانجاهات بالغة الاهمية والخطورة ، وقد لخصما رتراندرسل فى الحقائق الآتية :

١ - إن تقرير الحقائق يحب أن يقوم على الملاحظة والتجربة ، لا على الرواية غير المؤيدة ( يعنى النصوص الدينية ) .

لا ـ إن العالم غير الحيواني ـ الجمادات ـ متفاعل فى نفسه مستبق لنفسه ،
 وتنطيق كل التغيرات التي فيه مع قو (نين الطبيعة .

٣- إن الأرض ايست مي مركز المكون ، وأن الإفسان قد لا يكون الهدف من وجودها إذا كان لوجودها أي هدف ، وفوق ذلك فإن فكرة الهدف فكرة لافائدة منها من الناحية العلمية (٧) .

أحدهما: ظهرت ـ ولأول مرة ـ القوائم البابوية التي ذكرت فيها أسماء الكتب المحرمة قراءتها واقتناؤها، وكان من بعثر عنده على كتاب منها يقدم لمحاكم القة تيش بلارحمة ١٤٠

والثاني: متأبعه العلماء والمبالفـــة في أضطهادهم وتعذيبهم بكل ألوان التعــذيب.

وأسفرت هذه التحديات عن نتائج لم تـكن في صالح الكنيسة ، بلزادت من الفجوة بينها وبين الناس عامتهم وخاصتهم ، وارتفعت الأصوات في كل مكان تندد بالطفيان الـكندى .

وأسهمت المكشوف العلمية فى إيجاد فكر لا دينى ، بدأ ضعيفا فى أول الآمر، ثم قوى واشتد بمرور الآيام . ونتج عن ذلك إنجاهان كبيران كل منهما يدعى أنه المصدر الوحيد للمعرفة بعد سقوط السكنيسة من هذا ألجال . والإنجاهان الجديدان هما :

<sup>(</sup>٧) أثر العلم فى المجتمع (٦) برتراند رسل: ترجمة در تمام حسان.

الآول ـ الإتجاه العقلى أو القول بسيادة العقل . ----الثانى ـ الإنجاء الوضعى أو القول بسيادة الحس .

## سيادة العقل أو عصر التنوير :

كان ظهور هذا الإتجاه رد الهلمباشر لفقدان الثقة ، فى الكنيسة باعتبارها مصدرا وحيدا للمعرفة ، وقد سميت الفترة التي ظهر فيها الإنجاه العقلي فى قاريخ الفلسفة الأوربية به دعصر التنوير ، وتحديده الزدى هو النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ويغلب على الفكر العقلي فى قلك الفترة المضادة للدين ومناوآنه بعد الفشل الذريع الذي منيت به الكنيسة أمام التغيرات المفاجئة التي ظهرت على ساحة الفكر آنذاك .

والمحور الذي تقوم عليه الفلسفة العقلية ، او المثالية كما يطلق عليها هو : أن العقل ـ وحده ـ هو مصدر الممرفة اليقينية الصحيحة ، وأن له ألحق فى الإشراف على كل اتجاهات الحياة وما نيها من سياسة وقانون وأخلاق ودين،

وأن الإنسانية هي هدف الحياة للجميع، وليس الله أو المجتمع الخاص أو الدولة ،

وقد يطلق على هذه الفلسفة: دعصر الإيمان الفلسنى بإله ليسله وحى وليس يخالق للعالم و وهو العقل . أى أنه يؤله العقل وفى نفس الوقت لايدعى أن للمقل ـ الإله الجديد ـ وحيا ، ولا هو خالق للعالم(^> .

## رواد هذا الأتجاه:

وكان لهذا الإتجاه رواد وأنصار : فولتير فى فرنسا دوبيلى ولا مترى . وولف فى ألمانيا ولسنج - ولوك فى انجلترا . وغيرهم كثيرون .

<sup>(</sup>A) انظر : الفكر الإسلاى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ( ۲۰۲ ) د / محمد البهي .

#### الإفراط في سلطان العقل:

اتسم عصر التنوير في الإسرافي في سلطان العقل، ورأوا فيه مصدراً وحيداً كافيا لحل كل الفاز الحياة وأصرار السكون، ومن أعدى أعدى أعداء السكنيسة في عصر التنوير الفيلسوف الفرنسي فلوتير، فقد نقد واقع المسيحية المتقليديه إدذاك نقداً مراً، وضم إلى النقد الاسلوب الساخر اللاذع الذي تطاول به حتى على الذات العلية، الله، ولسكن يمكن الاعتدار عنه بأنه إنما كان يعنى الذي تتصوره الكنيسة، وليس ، الله الذي له الكمال المطلق، وقد دعا فلوتير إلى دين جديد وإله جديد غير دين الكنيسة وغير المكالية الكمالة الكمالة المكالية . وقد دعا فلوتير إلى دين جديد وإله جديد غير دين الكنيسة وغير

ذلك الدين هو الدين الطبيعى ، أما الإله فهو الطبيعة ففسها ، وكانوا يصفرن الطبيعة ، الإله ، بأنها ، إله جذاب ، لا رجال دين فيه يأتون بالعقائد الطلسمية والاسرار الملفزة ، الذين يستعبدون الناس لحسابهم .

وفولتيركان يوجه نقداً لاذعا للكتاب المقدس بمهديه القديم والجديد ، وهو في الواقع نقد موضوعي مدعوم بأجلي الأدلة .

فتراه يعلق على معلومات التوراة الجغرافية المغلوطة فيقول:

، من الواضح أن الله لم يكن قويا في الجغر افيا يا<sup>رم.</sup> .

ولم يكن فولتير كافرآ ملحداً ، بل كان بمن يرون ضرورة الإيمان بالله. أما الوحى فأنكره مع من أنكره من مثل : بوب وآخرين . ولكن هذا ]. الإيمان لم بكن كاملا فثلا أنكروا الوحى، والسبب في ذلك أنهم لو أقروا به الزم من الإقرار به صحة مدعيات الكنيسة .

وكذاك كانو ا يؤمنون بأن ، الله ، شببه بصانع الساعة الذي لم يكن له تمديير فيها بعد خروجها من يده ١٤

<sup>(</sup>٩) قصة النزاع ( ١٩٠ ) مرجع سبق ذكره .

وهكذا ترى الإفراط في سلطة العقل قد قاد بعض العقليين إلى ما بقرب من الكفر والإلحاد، أو قاد بعضهم إلى الكفر والإلحاد فعلا. وبعض العقليين على الرغم من جعله العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة دونما سواه فإنه أخرج قضايا الإيمان وفي مقدمتها واقه من سلطان العقل. ومن أشهر من قال مهدا العياسي في الألماني و دبكارت، ولكنه لم يخرج واقه، وحده من سلطان العقل، بل أخرج كل العقائد السكنسية والنصوص المقدسة وكان من سلطان العقل، بل أخرج كل العقائد السكنسية والنصوص المقدسة وكان يرى أن لاحضايقة بين العلم والدين، ولا سلطان لاحدهما على الآخر ويخالفه تماما الفيلسوف جون لوك فقد أخضع الدين العقل عند النعارض فقال: ومن استبعد العقل ليفسح للوحى بجالا فقد نور كليهما من (١٠).

وعلى كل فإن الإنجاء العقلى المثالى في عصر التنوير لم يقف موقفا محموذاً أمام قضايا الإيمان والدين والسبب في ذلك كه فشل السكنيسة في عرض الدين كا أنزله الله . فقد واجهت الناس مواجهة هزيلة ببضاعة أكثر مافاست، فهي وحدها المستولة عن هذا الردى وعا تجب الإشارة إليه أن النزعة الإلحادية أو الشبيهة بالإلحاد لم تسكن ذائعة ولا منتشرة بين عامة الشعب ، فقد ظل الشعب مؤمنا في عصر التنوير وإن فقدوا بعض العقة أو كل الثقة في الكنيسة .

و معاداة العقل للدين المسيحى فى ذلك الوقت كان لها الآسباب المعقولة التي أشرة إليها مع ملاحظة أن المراد من الدين الذى عاداه العقل هو الدين الذى كافت تمثله المكنيسة وليس كل درن ، ومن المعروف أن الدين الذى كافت مقدمه المكنيسة للناس ليس له من حصائص الدين الصحيح إلا بجرد القسمية . أما هو فى الواقع فإنه « توليفة ، قد صفعها البشر من عناصر غير متبعافسة . والعقيدة لا تصنع وإنما هى تتاتى عن الوحى الصادق الامين ، متبعافسة . والعقيدة لا تصنع وإنما هى تتاتى عن الوحى الصادق الامين ، وهذا مالم يكن له وجود قط فى الواقع الكنسى ، . ١٤

<sup>(</sup>۱۰) قسة النزاع (۲۱٤) مرجع سبق ذكره ٠

#### سيادة الحس:

انتهى عصر التنوير العقلى بانتهاء القرن الثامن عشر تقريباً بعد أن دام تصف قرن ، وكان موقفه من الدين ( المسيحية الكاثوليكية ) و دوجا . منهم من اعتدل فى الخصومة معه كديكارت ، ومنهم من بالغ كفولوتير . وأياكان الأمر فإن عصر التنوير العقلى كان قد انتزع القيادة والتوجيه من الدين ، وادعى أن العقل ـ وحده ـ هو مصدر المعرف ـ الحقة ، ولا شيء سواه .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر ظهر على الساحة منافس خطير للدين وللعقل معاً . وهذا المنافس كان له وجود قبل القرن التاسع عشر ولكنه لم يظهر كذهب له فلسفة خاصة به بين المذاهب الفلسفية فى أوربا إلا فى أو اثل القرن التاسع عشر . الا هو ، سيادة الحس ، أو ، الوضعيه ، كما أطلق عليه واشتهر به .

وأصحاب هذا المذهب يقولون: لا الدين ، ولا العقل يمكن عن طريق واحد منهما الوصول إلى المعرفة اليقينة. وإيما المصدر الوحيد للمعرفة هو: الملاحظة والتجربة الى موضوعها المادة وحواصها المختلفة ، وطريقها أو أدوانها الحواس الحس . فما يدرك بالحواس هو الموجود ، ومالا يدرك بالحواس فغير موجود ، وإيما هو خداع ووهم من الأوهام . ؟!

#### دعاه الوضعية المادية .

ینست هذا المذهب إلی الفیلسوف الفرنسی أو جست کو قت فی القرن التاسع عشر (۱۷۹۸ - ۱۸۵۷ م) و کان لهذا المذهب نواة مغذالقر ب الخامس قبل المیلاد علی یه الفیلسوف الاسکتلندی هیوم (۱۲۱۱ - ۱۸۸۹ م) واسکنه لم یستفر إلا علی ید أو جست کو نت، و کان یعرف قبله بالمهب التجربی أما فی عهده فعرف بمذهب الوضعية . وإليها تنسب الغزعات المادية الوّ جاءت فيها بعد كالمادية الجدلية أو الشيوعية - كما سيأتي .

الأساس الذى استخلص منه كونت هذا المذهب أنه نظر إلى تاريخ المعرفة كا يقول فندلبند فى تعليقه على فلسفة كونت. وقد فهم من النظار فى تاريح المعرفة الإنسانية أمها مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى :كان مصدر المعرفة فيها هو الدين أو الوحى الإلهي .

والمرحلة الثانية :كان مصدر المعرفة فيها الميتافيزيقا أو العقل أو الفلسفة المثالمة .

أما المرحلة الثالثة والآخيرة : فإن مصدر المعرفة فيها هو د الوائعية ء .

وهذه والثلاثية وصعواكو تت التكون بمثابة القانون الذي يؤيد مذهبه الوضعي الذي يقيد أن مادة الطبيعة وأعمال الملاحظة والتجربة فيها هي وحدها الموصلة للدعرفة الصحيحة ، وليس الدين ولا العقل .

وقد تشبث ماركس بعد كو نت بهذا الفرض التطورى وطلقه فى بجال الاقتصادكما طبقه كونت فى مجال المعرفة .

ويقدم الوضعيون أسما با وتعليلات لفرضهم مذهب الوضعية كمصدر وحيد للمعرفة ومن تلك الأسباب والتعليلات :

ر ـــ فشل الكنيسة فى تقديم تفسير صحبح المعرفة وانحطاط المعرفة التى كانت تتبناها طوال فترة سياستها .

وألدين من جديد (١٩٥)
 وألدين من جديد (١٩٥)

<sup>(</sup>۱۱) الفسكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستمهار الفريا (۲۹۹) مرجع سبق ذكره .

وانتهت الفلسلفة الوضعية إلى نتائج جد خطيرة ، فقد أفكرت الوحى ـــ جملة ـــ كما أنكرت وجود الحالق ، الله ، ودعت إلى إحلال العلم الوضعى (الحسى) محل ، اللاهوت ، وأن يكون هدف الإنسان هو ، الإنسانية ، بدلا من ، الله ، ،

وقد رأيت أنكل من كتب عن فلسفة أوجست كونت قد أجمعوا على أنه وإن هدم دينا هو دين الكنيسة (المصنوع بمعرفة آبائها) فإنه لم يستطع أن يتخلص من فكرة الدين مطلقا ، بل اخترع دينا بدل الدين الذي عاداه . وجول الإنسانية هي الإله الجديد بعد أن أنكر و إله ، (٢٥) المكنيسة . ومؤدى هذا أن الدين والتدين ضرورة فطرية عند الإنسان لايستطيع ـ وإن حاول ـ الإنفكاك عنها .

#### الثورة الفرنسية:

رأينا أن كلا من الفلسفة العقلية المثالية ، والفلسفة الوضعية المادية كانتا رد فعل نظرى على سلوك الكنيسة وإحكام قبضتها على مقاليد الأمور ، وأن كلا منهما : الفلسفة العقلية والفلسفة الوضعية كانت تعمل جاهدة على إزاحة السلطان البابوى عن القيادة والتوجيه . الفلسفة العقلية فى عصرها إدعت سيادة المحمل أو الواقعية العقل على ما عداه ، والفلسفة الوضعية فى عهدها إدعت سيادة الحس أو الواقعية عنى ما عداها . وفى كلا العصرين : العقلى والواقعي المادى كانت المعركة هادئة من جانب خصوم الكنيسة هادئة من جانب ، وعنيفة من جانب آخر : هادئة من جانب خصوم الكنيسة ما كانوا يشهرون فى وجهها إلا سلاح الفكر والبرهان والجدل .

وعنيفة من جانب الكنيسة فإنها لم تكن تحاور وإنما تصطهد . ولم تكن تسمع وإنما تسجن أو تقتل أو تصدر أحكام الحرمان والطرد من ملكوت السموات؟ 1

<sup>(</sup>١٢) ينظر : تاريخ الفلسفة الحديث للأستاذ يو - ت كرم (٣١٤)

والخط الفكرى لم يتوقف رغم الاضطهاد والتعذيب . والكنيسة لم تهادن المفكرين و المهرطفين ، ومحاكم التفتيشكان أكثر عمرانا بنزلائها من الدور والمنازل .

وفى أو اخر القرن الثامن عشر لم يكتف خصوم الكنيسة بلغة الفسكر والعلم والبحث فحولوا الصراع إلى صدام مسلح ، وكانت الثورة الغرنسية عام ١٧٨٩ م تعلن غضبتها العارمة على أساليب القمع والإضطهاد والتنسكيل ، وعلى سحب الجهل التي خيمت على ربوع البلاد ، وعلى الطغيان السكنسي بكل صوره : الديني و الروحي والسياسي و الممالي و الاجتماعي ، ولم يكن المستهدف من قيام الثورة القضاء عنى سلطان السكنيسة وحدها ، بل كان ملوك الإقطاع و أثمة الإستبداد السياسي من الأهداف التي قامت الثورة من أجلها ، وإر الشمار الذي كان ينادي به الثوار لأبلغ وأوجز إعلام بالأهداف السكيري التي كانت تريد تحقيقها : يقول الشعار :

#### . أشنقو ا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس × .

وقد حققت الثورة أهدافها ، ودخلت أروبا في عصر النهضة بعد طول خلام وأزاحت السكابوس الذي كان جائما على صدرها ، وسقط سلطان السكنيسة إلى الأبد ، واندكمش سدنها داخل جدرانها وانحسر المد الذي كان يتدفق نحوها . وحدث دلك التحول الخطير في حياة أوروبا في كل مجال من عالات الحياة .

# النتائج الخطيرة التي أسفرت عنها الثورة:

الثورات ـ دائما ـ من أبرز أسبابها السكبت والتبرم النفسى ، وحين يجد مناحب السكبت متنفسا وفرصة على مضطهديه فإن رد الفعسل يقع عفوياً ، والعفوية تؤدى إلى الاشتطاط وعدم الروية والإتزان . وهذا هو ما تتسم به الثورة الفرنسية فها نرى . . فقد كانت ثورة باطشة عارمة غشوما ، لم تفرق فى ماذا ينبغى عمله وماذا ينبغى تركد . ولذاك ارتكبت كثيراً من الأخطاء أو التجاوزات بجانب ما عملته من صواب .

وكانت النتيجة السريمة لها: أن حصدت المقصلة معظم رؤوس أعدائها من الفئات المترفة في النعيم، والمتحكمة في المصائر. وقامت بأعمال غريبة هو جاء فقد حلت الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال السكتيسة، وألفت كل امتيازانها، وحاربت العقائد الدينية علمنا وعلى رؤوس الاشهاد وأصبح رجال الدين موظفين مدنيين لدى الحسكومة.

أما النتائج التي جا.ت بعد ذلك متأنية فهي :

إ ـ ولدت عنها دولة حمهورية لادينية تقوم فلسفتها على الحيكم باسم الشعب بدلا من - باسم الله ، ١٤

٢- دعت إلى حرية التدين بدلا من ضرورة التدين ولو على وجه

"٣- "دعت إلى الخَرَاية الشخصية في العمل والسلوك بدلا من التحلي بمكارم الآخلاق.".

ع ـ أصدرت دستوراً وضعيا ليكون أساساً للحكم بدلا من التوجيهات الدينية .

وصفوة القول: إن الثورة عالجت خطآ وباطلا بخطا وباطل آخر .

وأزاحت دينا وضعيا وأحلت محله دينا وضعيا آخر . وأن الجمهارة الى قامت فى أوروبا بعد الثورة إنما مى حضارة مادية أو نفعية . ولم تخط أوروبا خطوة واحدة إلى الأمام فى سلم الرقى الحقيق . فكانت لادينية قبل الثورة وظلت لا دينية بعد الثورة وإلى الآن .

#### وقفة إسلاميه ناقدة :

علمت عا تقدم أن الصراع المدمر فى أوربا دار حول ثلاثة مناهج مختلفية كل الاختلاف حسبها صوره لنا إلواقع المؤلم وقتداك:

فالدين ، وهو المنهج الآول نظر إليه على أنه عدو لدود لبكل من العقل والعلم . . ؟ ا

والعقل، وهو المنهج الثاني، تصوروه على أنه عدو لدود للدين٠٠٠٠٠

والعلم ، وهو المهج الثالث ، فهموه على أنه عدو لدود المدين والعقل معاً مـ كا

هذه الفجوات التي امتدت بين المناهج الثلاثة فجوات مفتعلة ، صنعها قيصور النظر وسوء التقدير وتجريف الحقائق .

والعقليون معذورون فى عدائهم للفكر الدينى إذ ذاك بالأنه لم يكن فكراً دينياً بالمعنى الصحيح للدين بالآن إطلاق اسم الدين على الفكر اللكنسي حينذاك كان إسما منتجلا مستعاراً دون أن تكون هناك علاقة بين المستعاد، وهو إسم الدين ، وبين المستعار له ، وهو الفكر الكنسي .

وسبب الصراع الذي دار في القرون الثلاثة الوسيطة : الحامس عشر ، والسادس عشر، والشد أواره في القرن الثامن عشر الميلادية، إن هذا الصراع غلطة شنيعة وقعت منذ القرن الأول الميلادي .

## إضاعة الإنجيل :

تلك الغلطة هي إضاعة الإنجيل الذي أنزله الله على عيسي عليه السلام م وانتحال أناجيل أخرى نسبت إليه . وبإضاعة الإنجيل الحقيق ضاعت من يد القوم د أمانة الوحى ، ففقدوا العاصم من الخطأ ، والمنقذ مَن العبلال . ولو قدر أن إنجيل السيد المسيح كان موجوداً بيدد القوم ، مصّوً فأنا تمن التحريف عالتغير وجه التاريخ و لما وقعت الكنيسة فى المكالأخطاء الجسيمة المتوارثة التى حملتها الأجيال إلى القرن السابع عشر وما تلاه من عصور الفتن والإضطرابات .

ولما وقع الشقاق بينها وبين العقليين و الوضهيين . ولمكن لما أضاع الفوم أمانة الوحى وصنعوا عقائدهم بأهوائهم، لماكان الأمركذلك حق للعقل أن يتمرد ، وحق للعلم أن يثور ؛ لأن كلا من العقل والعلم لم يواجها دينا ، وفي واجها تصورات بشرية ، سميت ـ ظلما وعدوانا ـ باسم الدير ، وفي الواقع أن المناهج الثلاثة المتصارعة في ذلك الوقت كانت مناهج بشرية وليس من بينها واحد اسمه دين ؟ ا

## ومن الذي أضاع الإنجيل؟

سؤال له دوره فى تصوير الواقع فى هذا الجال . وعلى كثرة ما طالعت لم. أر من وقف أمام هذا السؤال .

وليس لدينا إجابة يقينية عليه ، وإن كنا نملك أن نقول فيه كلمة مقنعة . فن الذي أضاع الإنجيل ياترى؟ ا

لدينا ثلاثة فروض :

الآول: هل الذي أضاع الإنجيل هم أتباع السيد المسيح عليه السلام. قبل وقوع التحريف؟

الثاني : هل الذي أضاع الإنجيل هم اليهود؟

والجواب: هذا عكن، بل وممكن جداً . ولهذا الوجه أسباب وجبهة جداً .

 فاليهود من أول يوم فى حياة المسيح عليه السلام ناصبوه العداء، ورموه
 وأمه البتول الطاهرة بالإثم والعدوان . وبذلك جاء القرآن الكريم . د فأتت
 به قومها تحمله . قالوا : يا مرج القد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوم ، وما كانت أمك بغيا ، (١٢) .

ولم يقتنع اليهود بالآيات العظيمة التي أظهرها الله على يد عيسى . فأصروا على مقو لتهم الشنيعة وقالوا : إن أبا عيسى هو يوسف النجار – خطيما – أتت به منه سفاحاً ؟ !

ويسجل عليهم القرآن الأمين إصرارهم على موقفهم، ويسلك ذلك الموقف في سلسلة جرائعهم الشنيعة التي ارتبكبوها مع الله ومع رسله .

د فيها نقضهم ميثاقهم ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبيساء بغير حق ، وقولهم : قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا - وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيها ، (١٤) .

و اليهود ضاقوا ذرعا برسالة المسيح عليه السلام، وأذاقوه مرااهذاب وسعوا بالنكاية القاتلة بينه وبين الروم حتى أعدوا له خشبة الصليب وصلبوه عليها - فيما تراءى لهم - فجريمة الصلب والقتل وقعت منهم قطعا بالقسبب، ومن الروم بالمباشرة - بحسب الثية والقصد - وإن نجاه الله من كيدهم.

ه والبهود – كما يقول ولفسن أحدد مؤرخيهم – حرصوا على تطهير كتبهم الدينية المتداولة من ذكر أى إشارة تفيد وجود السيد المسيح؟ إنهم يحاولون بكل جهد طمس حقائقه ليداروا جريمتهم معه .

هذه أسباب وميررات مقبولة ومعقولة ، تؤيد رأى من يقول : إن اليمود

<sup>(</sup>۳) مریم ( ۲۷ – ۲۸ ) ·

<sup>(12)</sup> Himle (001 - 701).

. هم الذين أضاعوا الإنجيل، لأن فى إضاعته استمراراً لموقفهم منه ، وقوم سعوا جاهدين لإزالة المسيح نفسه من الوجود من اليسيرعليهم إضاعة الإنجيل الدستور الذي جاء به من عند ربه .

الثالث: هل الذي أضاع الإنجيل هو يولس أوشاؤل كما يسمى في المصادر الدينية الكتابية ؟

والجواب: جائز. بل جائز جوازا مؤكدا. والدليل: أن بولس كما تقدم وكما يرجح بل ويعتقدكل من كتب بموضوعية ونزاهـة ـ في تطور المسيحية على مدى التاريخ ـ أن بولس هو الذي وقع منه أول تحريف لرسالة السيد المسيح عليه السدلام: ورسائله الملحقة بالعهد الجديد كانت أسبق تدويةا! من وضع الأناجيل الأربعة. وقد أجمع النقاد والغربيون على أن مسيحية بولس تختلف نماما مع مسيحية المسيح عليه السلام. وهذا دليل كاف جدا على إدائة بولس بإضاء الإنجيل الصحيح بالآن في رجوده وتداوله بين الناس فضحا لأكاذيبه، وكشفا لزيفه الذي ألصقه برسالة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ ولو قدرأن الإنجيل الصحيح كان موجودا ومتداولا في حياة بولس لما وجد بولس طريقا إلى فرض نفسه على التاريخ الكنسي ولانتهى أمره ولم يسمح به أحد . ١٤ ولكن قدر الله وما شاه فعل. و في كل تقدير له حكمة .

ضاع الإنجيل فضاعت بضياعه أمانة الوحى، وصفعت الكنيسة عقيدتها . ؟ ووضعت دينها فأتى ذلك الدين بما ينكره العقل والعلم معا . فحكانت المضادة بينه وبين عدويه اللدودين : العقل والعلم مضادة حقيقة لها أسبابها وأصولها التى لا تنكر .

ولوكان الدين الذي ساد أدوبا في تلك المصور غير دين الكنيسة لما وقيع صدام بينه وبين العقل والعلم . لآن بين الدين الصحيح وبين العقل والعـلم ألفة وتآخيا وانسجاما، لاتنافس وتعاد وافتراق . ولو فرضنا أن الإسلام هو الذي كان يسود أروبا فى تلك العصور لما حدث ذلك الإنشطار الخطير فى الفكر والعقيدة معا .

## ماذاكان سيحدث لو كان السائد هو الإسلام؟:

الذى كان سيحدث لو كان الإسلام هو الدين الذى كان يسود أروبا فى عصر الصراع المرير الذى مرت به ، أن شيئًا عما حدث كان لن يكون ، لأن الإسلام يضع العقل والعلم موضعهما اللائق بهما .

فالعقل فى الإسمالام هو مناط المسئولية والتكليف ، وهدو أدأة الفهم والإدراك والتأمل . ومصدر التفكير والتدبر، ومصدر الموازنات والمقارنات والإسمند لال وهو ، القارى ، الآيات الكونية . والسكون كله أمام العقل كتاب مفتوح . وقد استحث القرآن المكان والمواهب العقلية، ودعاها للتبصر والتفكر ، ولم يأت الإسلام بشى وصدم العقل فيما للعقل فيه مجال . ويمكنى أن نشير إلى منزلة العقل فى الإسلام بالنصوص القرآنية الآتية :

د أقامرون الناس بالبر وتنسوت أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون، (١٥) إن هاهنا موقفا معيبا . فالناصخ بالخير إذا لم يمكن يعمل بذلك الخير فقد أساء إلى نفسه ، وأساء إلى غيره ، لأن القدوة الحسنة التي يرجى قبول نصحها هي التي تلمزم بما تقول . لذلك فإن القرآن يسجل على اليهود هذا الموقف وينبههم إلى الخطأ الذي وقعوا فيه ، مشيرا إلى أن الوقوع في هذا الخطأ لا يصدر إلا عن لا عقل له فقال د أفلا تعقلون ، ؟ ا وهذا تنويه بفضل الحقل وعلو منزلته وفي و احد من مو اقف يوم القيامة ببين الكتاب العزيز أن قوما ندمو اعلى ما فرط منهم في الدنيا ، وتبين لهم سبب هلاكهم ، وهو أنهم لم يعملوا عقو فهم فيا دعو المايه ، وبلغوا به .

<sup>(</sup>١٥) البقرة (٤٤) ٠

« وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير ، (١٦٪ .

وهكذا يسوق القرآن الكريم مادة (عق ل) متصرفا فيها بين الماضي والمضارع وهي في كل موضع وردت فيسه في صيغة المضارع تمدل إما على ندم وحسرة لعدم إعمال العقل في التفسكير والتدبر، وإما للتهييج والإثارة للنظر فيما يذكر من آيات وأدلة ليقودهم التفكير السليم الموجه بالعقل الواعي إلى التي هي أحسن. ومثال القدم قد تقدم، أما أمثلة التهييج والإثارة فنها:

. كذلك يبين أنله لـكم آياته لعلمكم تعقلون ، (١٧) .

. إنا أنزلنا قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون ، (١٨) .

وكذلك يحصر فهم الأمثال المضروبة على من كان له عقـل يعي . فيقـــول:

« وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ،(٩٠) .

كما يحصر تفصيل الآيات السكونية ويقصر فهمها على ذوى العقول فيقول: «كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ع<sup>(٠٠</sup>).

وإجالة النظر في الكون ، والتدبر في نظامه المحمكم وتصريف الأمور فيه إنما هو وقف على العقلات:

« إن فخلق السموات والأرض ، واختلاف الميل والنهار، والفلك للتي تجرى فى البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السياء من ما مفاحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين

<sup>(</sup>١٦) الملك (١٠) . (١٧) البقرة (٢٤٧) .

<sup>(</sup>۲۰) الروم (۲۸) .

السناء والأرض لآيات لقوم يعقلون ،(٢٠) .

أما ننى العقل عن فريق من الناس فمناه أن ذلك الفريق سادر فى الصلال صم لا يسمعون ، بكم لا يتكلمون ، عمى لا يبصرون :

- · صم بكم عمى فهم لا يمقلون ،(٢٢) .
- و بجمل الرجس على الذين لا يعقلون ، (١٣) .
- إن شر الدواب عند الله العم البكم الذين لا يعقلون ، (٢٤) .

فانظر إلى أى مرى يستحث القرآن العقل ويستثيره ليقوم بدوره فىالفهم و الإدراك والتوجيه ، وذلك لأن الإسلام لايخشى العقل ، لأن العقل إتما يشكر الباطل والزيف ، وليس فى الإسلام باطل ولا زيف .

والعقل ربأسرة من الملكات والمواهب منها: النفكر والتدبر والتذكر والتذكر والتذكر والتذكر والتذكر والتبصر، وما من ملكة من هذه الملكات إلا وقد أثارها القرآن وألح عليها في الإقارة وهاجها وأيقظها من سبانها، ودعاها وكرر دعواتها للنظر والتأمل في حقيقة الإيمان ودلائله.

ولذلك أصبح مألوفا بل وسمة من سمات البيان القرآنى أن تكون فواصل آيانه يتفكرون أو تنفكرون ، ويتذكرون أو تذكرون ، ومن التدر ورد:

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ،(٧٠) .

فالإسلام هو دين العقل و الملدكات و المواهب العقلية و الفكرية و النفسية ، وهو أحيانا يتدخل فى صميم د العملية التفكيرية ، فيرسم طريقتها ومنهجها ترى ذلك و اصحافى قوله تعالى :

<sup>(</sup>۲۱) البقرة (۲۱) • (۲۲) البقرة (۲۷) • (۲۳) يونس (۱۰۰) •

<sup>(</sup>۲٤) الأنفال (٢٤) · (٢٥) محمد (٢٤) ·

وقل: إنما أعظكم بواحدة: أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تنفيكم و و و و و و و و و و و و و و و و و الأمين في إثارة ملكات الإدراك و النميين في كان سيكون صراع بينه وبين العقل لو كان الإسلام هو الذى ساد أروبا في عصورها الوسطى إن الإسلام يحتضن العقل و يجعله مناط التكليف و المستولية و بين العقل و التفكير ألفة و انسجام و و أى العقل في الإسلام مصدر من مصادر المعرفة ، وليس هو مصدر المعرفة الوحيد ، وهدذا هو الخطأ الذى وقع فيه العقليون في عصر التنوير ، حيث جعلوا العقل هو مصدر المعرفة الوحيد و لكنهم معذورون ، لأنهم لم يجدوا في دين المكنيسة و العقليون يعترف بدور العقل ، فقابلوا غلوا بغلو ، وكلاهما : رجال الكنيسة و العقليون كانوا بعيدين عن الصواب .

## الحياة المقلية في الإسلام:

صورة الحياة الإسلامية ، ما تزال ولن تزال ، صورة علمية حية لمبادى الإسلام النظريه . يدلك على ذلك أن علماء العقيدة أوجبوا النظر العقلى والتفكير المفضى إلى الإيمان على كل مكلف كان من أهل النظر والفكر ، حتى يحقق الإيمان عن أدلته وبراهينه ، فإذا ترك النظر والتفكر مكلف قادر على النظر والتفكر كان إيمانه باطلا عند علماء الأمة ، حتى ولو قلد غيره من أهل النظر فيما اهتدوا إليه ؛ لأن التقليد في أصول الإيمان مع القدرة على البحث والتأمل باطل .

وهذا الإنجاه مأخوذ من القرآن الكريم فإنه عند كل مطلب إيماني من أصول الإيمان يدعو ويلح ويثير ويستحث على النظر فى ملكوت الله . فى مثل قوله تعالى :

« إن فى خلق السمو ات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما بوقمودا وعلى جنوبهم، ويتفكرون فى خلق

<sup>(</sup>۲٦) سبأ (۲٦) ٠

والقرآن الحكيم هو الذي حمل المسلمين على التفكير العقلى ، ووجمهم إليه توجيها فى مواطن كثيرة . ودعاهم إلى الاعتبار والسير وتقصى الحقائق. خذ إليك مثلا قوله تعالى :

د أفلم يسيروا فى الأرض فتسكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي فى الصدور ، (٢٨) .

والمجالات التي استحث الإسلام العقل لإجالة الفكر فيها كثيرة. منها:

- ( ا ) مجالات العقيدة للتوصل إلى درجة اليقين فيها
- (ب) مظاهر الكون العلوية والسفلية لانتزاع أدلة الإيمان والتوحيد منها.
- (ح) الزروع والنبات للتأمل فى حالهـا ونشأتها وتطورها واختلاف منافعها .
  - ( د ) النفس ومكو ناتها وأسرار الخلقة فيها .
- ( ه ) التاريخ العام و الخاص للإعتباد بحال الآمم والتعرف على أسباب قوتها وضعفها وزوالها وتبدل أحوالها .
- (و) السياحة فى الأرض للوقوف على مافيها من آيات بينات ودلائل قاطقات .
- ( ز ) المذاهب والإتجاهات التي تحاول كل منها \_على حدة \_ الإستثثار بالإنسان وإغراءه باتباعها .

ولذلك نشأ التفكير العقلي في الحياة الإسلامية منذ عصر نزول القرآن

<sup>(</sup>۲۷) سورة آل عمران (۱۹۰ - ۱۹۱) ٠

<sup>(</sup>۲۸) الحج (۲۶)

وكان أولى القضايا التي أثارها أمامهم القرآن مسألة التقليد الأعمى الآباء والأجداد، والدعوة إلى الإستقلال الفكرى والإستدلال وتحقيق قيمة الفرد داخل الجهاعة.

هـذا وقد مد القرآن الفكر العقلي الإنساني بالمنهج السديد ليستمين به المسلم في الزير بين النافع والضار ، والحق والباطل ، والصحيح والعاسد .

وكان استجابة لتنويه الإسلام بالعقل أن قامت المذاهب الفلسفة العقلية ونظرت فى كل شيء ينبغى الفظر فبه و تعددت تلك المذاب و تشعب المذهب الواحد - أحيانا - إلى عدة شعب و أنتحت الحركة العقلية تراثما هائلا من المعارف الإسلامية كمباحث المشكلمين وعلوم أسول الفقه، وعلماء الفقه ، واستعملوا النظر والقياس حتى فى العلوم العربية من محو وصرف وبيان وفقه لغة وأصول لغة ، وواجهوا ثقافات الامم المتحضرة وتعاملوا معها بحدر شديد فأخذوا منها النافع المفيد ، وأعرضوا عن الصار، وقسد أسهموا فى إرساء صرح الحضارة الإنسانية بنصيب وافر، ومن أعلام فلاسفة الإسلام وعلمائه العقليين .

الإمام الشافعي ، البيروني ، الغزالي . الفاراني ، ابن رشد ، الحوارزي ابن النفيس ، الإمام الأشعري ، الإمام أبو منصور الماتريدي ، ابن طفيل ، الشيخ الرئيس بن سينا ، وجابر بن حيان ، والكندي ، وأبو بكر الرازي ، والمسعودي ، والحسن بن الهيئم ، وابن النفيس ، وأبن خلدون ، وغيرهم مما يتعذر عده .

وصفوة القول: إن بين الإسلام و بين العقل رحما كاشحة، وألفة أليعة فلا ينتظر أن يحدث بين الإسلام و بين العقل صدام. كيف و الإسلام لا يخاطب إلا مقلاء ولا يكلف إلا العقلاء ؛ لأن العقل من قور الله كما يقول الإمام الغز الى أو هو الدايل على الله في الأرض كما يقول الجاحظ، و نذكر فيها يلى مناظرة عقلية

دارت بين عالم مسلم كان من فلاسفة المكلام، وبين ممثلي مذهب هندى إلحادى. لننظر كيف استخدم الفيلسوف المسلم النظر العقلي، وماذا كانت النتيجة:

روى الإمام أحمد رضى الله عنسمه ، أن الجهم بن صفوان لتى بعض السمنية ، ـ مذهب هندى فلستى ـ فقالوا له :

نـكلمك فى دينك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت فى ديننا ،و إن ظهرت حجتنا علينا دخلنا فى دينك . فوافق على ما قالوا فبدأوا يسألونه ويجيب :

الست تزعم أن لك إلاها؟ غال : بلى . قالوا: ههل رأيت إلاهك؟
 قال: لا . قالوا: هل سمت كلامه ؟ قال: لا . قالوا: أشمت رائحتة؟
 لا . قالوا: هل وجدت له حساً؟ قال: لا . قالوا: هل وجدت له مجسا؟
 قال: لا . قالوا: فما يدريك أنه إله؟ !

فقال لهم جهم: ألستم تزعمون أن فيمكم روحا؟ قالوا: يلى . قال: هل رأيتموه؟ قالوا: لا . قال: هل جمعة كلامه؟ قالوا: لا . قال: هل وجدتم له حساً أو مجسا؟ قالو: لا .

قال فكذلك الله . لا يرى له وجه ، ولا يسمع له صوت ، ولا تشم له رائحة ، وهو غائب عن الأبصار ، ولا يكون في مكان دون مكان ، (٢٦) .

# كيف انتصر عليهم جهم ؟

جهم فى هذه المفاظرة هو المنتصر . ولكنما المنهج الذى استخدمه معهم؟ واضح أن منهجه الإستدلالي ـ هنا ـ عقلى . وطرق العقل فى الإستدلال والمناظرة كثيرة . منها ما يسمى به : الإستسدلال القياسي ، أو القياس الإستدلالي ، وهو الذى استخدمه جهم مع مناظريه الهنود

<sup>(</sup>۲۹) الشهرستاني (۱۳۷) ط: بدر

وقبل أن نصل إلى مانريد قوله \_ هنا \_ نقول إن عملية عقلية فكرية دارت خيوطها في عقل جهم قبل أن يتسلم زمام المناظرة منهم .

ه فجهم علم أن القوم ينكرون وجود الله .

ه وأن سبب الإنكار ـ عندهم ـ أن الله سبحانه ـ لم يقع تحت حاسة من الحواس الخس كما وضع هذا من سؤ الاتهم .

ه فرآب جهم على هدذا أن يبحث ۔ وفی سرعة ۔ عن شیء أبيقع تحت الحس والقوم به مؤمنون .

- فرقع عقله على ؛ الروح ، التي بها القوم وغير القوم أحياء .

ه وأدرك أن ، الروح ، لا ترى ولا تشم لها رائحة ،ولايسمع لها صوت، ولا تجس ، ولا تذ ق .

 وما دام الروح بهذه المثابة والمناظرون مؤمنون بها فهى إذن طريق إلزام الحصم بوجود الله .

ولا يقدح فى وجوده أنه لم يقع نحت حاسة ، كما لم يقدح فى وجود الروح أنها لم تقع تحت حاسة .

هذه هي خيوط العملية الفكرية العقلية التي جرت في صمت في نفسى جهم . فلما فرغ القوم مما حندهم وما رتبوه على مقدمات استلالا لهم، بدأ جهم يحاورهم على نفس المنهج والطريقة . فلما أقروا له بما أراد قال لهم : فكذلك الله مرجود ولا يقدح في وجوده ما ذكروه من قضايا سلمية .

هذا هو القياس الإستدلالى ، فقد قاس جهم فيه مشكراً على ممتزف به مع اشتراك الأمرين فى الخصائص : المعتزف به هو الروح ، والمشكر هو د الله ، والمناظرون ماداموا مؤمنين بالروح مع أن ما يقال عن الله منحيث عدم وقوعه تحت الحس ، يقال فيه : فسلا عدر لهم فى عدم الإيمان بالله ، ومذا هو المطلوب . فرحم الله جهما ورحم معه أصحاب العقول المستنيرة .

## المقل الذي يقدره الإسلام:

ومع أن الإسلام قد رفع من شأن العقل ، وجعله مناط المسئولية والتكليف ودعا لإعماله في عويصات المعانى ، وحوالك المشكلات ، فإنه يحيط هذا العقل بضافات وضوابط ، لأن للعقل جوحات وشطحات قد تؤدى إن المهالك . ولذلك فإن الإسلام يقدر العقل المهذب ، لاكل عقل ، وإلحقل المهذب هو العقل الذي يعتصم بالوحي ، ويسترشد بما آنزل الله ، وبما قرره رسوله ـ صلى اته عليه وسلم ـ .

وبالنظر إلى هذه القضية انقسم مفكرو الآمة قسمين كبير إن : أحدهما يقدم دلالة النصوص على دلالة العقول إذا حدث تعارض في الظاهر أو أهل السنة والجماعة • وأشد منهم تمسكا بالنصوص أهل الظاهر أو الظاهر بة -

والثانى: يقدم دلالة العقل على دلالة النص. ولكنه لا يهمل النص كل الإهمال بل يلجأ إلى التأويل ليوفق بينهما و هؤلاء هم المعتزلة وما أكثر القصايا التى تبايلت فيها آراء الفريقين تبما لاختلاف النهج و فالمعتزلة مثلاء يذهبون إلى أن العقل و وحده \_ بدون معونة الوحى كاف في مرفة الله وجده مبالخة منهم في تقدير العقل وسمو منزلته .

ولما حجهم أهل السنة والجماعة بأن الله يقول: ووما كتا معد بين حتى فبعث رسولاً ، لم يقف المعتزلة مكتوفى الآيدي أمام هذا الاحتجاج القوى بل لجأوا إلى صرف اللهظ عن ظاهره وقالوا: إن المراد بالرسول عنا ـ هو د العقل ، ١٤٠

وأهل السفة لم يلفوا العقل تماماً ، بل هم يقدرون العقل كل التقدير ومباحثهم العقلية تجل عن الوصف ، وتستعصى على التصوير ، ولهم مثل المعتزلة تأويلات عقلية في كثير من النصوص ، ولكن دون الحد الذي بلغه المعتزلة في هذا الجال .

وقد وضعوا مناهج فى البحث العقلى كان لها أكبر الأثر فى تطوير البحث الفلسنى العقلى فى أروبا وفى غيرها، وقد سبقوا بمناهجهم العقلية عباقرة أوروبا ، وأثروا فى انجاهاتهم وتكوين ملكاتهم العقليه بما لا يدع بحالا للشك (٢٠).

إن العقل الذي يقدره الإسلام هو العقل المهذب الذي يعترف بقدرته المحدودة على المعرفة. لا كما يرى رواد عصر التنوير الأوربي أن العقل يستقل بالقدرة المطلقة على المعرفة.

والصحيح من هذين المذهبين ، والذي يؤيده الواقع المحسوس هو المذهب الإسلامي . إذ لو كان العقل مستقلا بالمعرفة لما اختلف ذوو العقول في كشير من القضايا ، فيقول عقل برأى ، ويقول عقل آخر برأى يضاده أو يناقضه والسر في اختلاف المذاهب الفلسفية وتعددها إنما هو قصور العقل عن الإحاطة التامة بحقائق الأشياء .

فشلا اختلف العقلاء حول الإلزام الخلق ما هو مصدره؟ فالناس في أي يجتمع يلتزمون بأخلاق معينة . كارتداء الملابس مثلا ، والتستر عند قضاء الحاجة . والإستئذان عند دخول الأماكن الخاصة ، وعند الإنصراف منها .

تساءل العقلاء ما هو مصدر هذا الإلزام؟

ه فريق قال : إن مصدره هو الدين ؟

وفريق قال : إن مصدره هو القانون ؟

ه وفريق قال: إن مصدره هو العرف والعادة والتقليد؟

ه وفريق قال : إن مصدرهِ هو . الصمير ، ؟

<sup>(</sup>٣٠) انظر البحث التيم : « منهج البحث العلمي عند المرب ، المدكنتور جلال محمد موسى بر

و فريق قال: إن مصدره هو العقل ، ؟

فهذه مصادر خمسة قال بكل مصدر منها فريق من ذوى العقول من قديم الزمن ، وما تزال المشكلة خاضعة للبحث ولاختلاف الرأى حولها إلى الآن . فلوكان للعقل القدرة المطلقة على تحصيل المعرفة لأجمع العقلاء على وأى وأحد ، ولمكن هيهات .

ونخلص من هذا كله إلى:

أولا: الإسلام لا يعادى المقل وإنما يقدر شأنه ويدعو إلى إعماله وبجعله سناط المستولية والتكليف.

ثالثا: أن المكنيسة أخطأت حين اعتدت على حرمة العقل وصادرت سلطانه وحرمته من أداء رسالة · وأن عقلاء عصر التنوير أخطأوا عندما غالوا فى قيمة العقل ، وهما خطآن متكافئان كل منهما أوقسع صاحبه فى المحظور .

ولو كما فت الكنيسة فى إبان محنتهما تلك انتهجت منهج الإسلام إزاء العقل لاصلحت نفسها من داخلها ، ولا ستأثرت بولاء الناس لها ولاء يقوم على الوعى وحسن الإدراك . ولما تمرد عليها العقليون ولاغير العقليين . ولكنها جمدت على فكرها وعقائدها فتحركت كل القرى ضدها . وكمان ماكان وما أبشع ماكان .

# موقف الإسلام من العلم ووسائل المعرفة:

فى الوقفة الإسلامية الناقدة أوضحنا أن الإسلام لا يمادى العقل ، بل يقدره ويرفع من شأنه ، فالإسلام دين العقل ، ولا يخاطب إلا العقلام، ويوم يفقد إنسان ما عقله فإن الإسلام يرفع عنه الشكليف كلية ، لأن الذ إذا أخذ ماوهب رفع ما أوجب كما يقول الأصوليون. والعقل هبــــة الله للإنسان وبه، وبمزايا أخرى فضله على كشير بمن خلق.

ومنزلة العلم فى الإسلام كمنزلة العقل فيه ، فسلا يضيق الإسلام بالعلم ولا بالعلماء كما لم يضق بالعقل ولا بالعقلاء . ومن يتصور أن الإسلام يضيق بالعقل أو العلم ، أو بعادى وأحداً منهما فقد جهل حقيقة الإسلام ، وأفتى بغير على .

ولا فرق فى الاسلام بين علم وعلم ، فبكل المعارف والعلوم يتلقاها الإسلام بسعة صدر ، ورحابة أفق . وليست هذه وحدها هى علاقة الإسلام بالعلم والعلماء . بل إن الإسلام يستنهض كل همم العلماء ويلفت أنظاره نحو ملكوت الله أرضا وسماء وفضاء وما يتصل بكل مظاهر الكون وأسراره وأعاجيبك .

وليس في الوجود كتاب دعا إلى العلوم والمعارف ، وأشاد بفضل العلم والعلماء كما دعا القرآن الحكيم وأشاد .

وما يجب لفت الانظار إليه أن أول جملة ابتدأ بها "قرآن نزوله هىدعوة مبريحة إلى تجصيل العلوم والمعارف ، وهى قوله تعالى ؛

إقرأ . . ، والقراءة مفتاح العلوم فى كل عصرو مصر، ولم تخل أمة من الحضاره قديما ولا حديثاً الاولها نظام فى فن السكتابة والقراءة . وعن طريق تسجيل تلك الحضارات وقفت الامم اللاحقة على حضارات الامم الفارة .

وإن كمانت القراءة مى أهم مفاتيح العلوم فإن قوله تعالى : باسم ربك الأعلى ، بعد قوله : إقرأ ، يعتبر تقييداً ووصفاً للعلم الذي يحث عليه الإسلام ويفضله ويفضل المحققين له . فالقراءة التي تسكون باسم الله هي القراءة المثمرة النافعة ، لبني الإنسان ولسكل كبائن . وكذلك اليلوم المرموز لها بالأمر بالقراءة .

أى أن الإسلام يوظف العلم لحدمة الحياة لا لتدمير الحياة ، أسعادة الآحياء لا لشقائهم ، للإضافات الحسنة لا لبث المخاوف والقلاقل .

ودعوة القرآن إلى العلم لا يحصرهـا المقام هنا ، ولكيننا نكتني منها بما يوضح المراد .

وأسمى قيمة ، وأغلى غاية في هذه الحياة أن يخشى الإنسان ربه وخالقه وهذه الغاية النبيلة يجعلها الله وقفا على العلماء فيقول :

وإنما يخشى الله من عباده العلماء . و(١٦) .

وفى نغى المساواة بين العلماء والجنهلاء يقول :

د قل هل يستوى الذين يعَلمُون والذين لايعلمون ع<sup>(٣٧)</sup>.

ومن الادعية التي علمناها القرآن قول الحق سبحانه :

، وقل رب زدنی علما <sup>۱۳۲</sup>.

وينص على أن ما فى الـكون من أسرار لا يقف على كنهها إلا ذورَ العَلمَ فيقـــول:

، ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف السنة كم و الوانكم إن في ذلك لايات للعالمين ، (٣٤) .

هذا . وإنى لاكاد أجوم بأن فى القرآن أُلفظيم دَعُوات أَسكل نَوع من أَنواع العلوم النظرية والعملية .

فشلا هذه الآيات المذكورة قبل هذا مباشرة فيها [شارات إلى نوعين من أنواع العلوم وهما :

<sup>(</sup>۳۱) فاطر (۲۸) . (۲۲) الزمر (۲) . (۲۳) طه (۲۲) . (۲۳) الروم (۲۲) .

# الجيولوجيا . ثم الدراسات الإنسانية :

وقوله تعالى : ستربهم آياتنا فى الآفاق ... فيه إشارة إلى عــاوم الفضاء والكون ،

وقول تعالى : وومن آياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعـل بينـكم مودة ورحمة . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفـكرون، ٢٥٥٠. فيه إشارة إلى علمى الإجتماع والنفس :

وقوله تعالى: د وسخر لـكم الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم. مسخرات بأمره . إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ،٢٦٠.

فيه إشاره إلى علوم الفلك .

وقوله تعالى: دوهو الذى سخر البحر لتأكلوا صلى الحما طريا، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فعنله .... (۲۷».

## فيه إشارة إلى علوم البحار .

وقوله تمالى: وفلينظر الإنسان إلى طمامه ، أنا صبينا المداء صباء ثم شققنا الآرض شقا . قانبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا وتعلا . وحدائق غلبا . وفاكه وأبا ، متاعا لكم ولانعامكم ، (٣٨) .

فيه إشارات قوية إلى علم الاحياء والنبات.

<sup>(</sup>۲۷) النحل (۱٤) ٠ . . . (۲۸) عبس ( ۲۶–۲۲ ) ٠

وقوله قعالى: دوجعلمنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل، وجعلمنا آية اللهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب، (٣٩٠).
فيه إشارة إلى علوم الرياضة.

وقوله تعالى : دفإنا خلفناكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مصفة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لـكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ه(٤٠) .

فيه إشارة إلى علم الأجنة .

وقوله تعالى: • أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر بما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، (٤١) .

فيه إشارة على علمي التاريخ الانساني والآثار الحضارية .

وقوله تعالى : . ضرب اقه مثلا رجلا فيه شركا، متشاكسون ، ورجلاً سلبا لرجل . هل يستو يان مثلا ، (٤٢) .

فيه إشارة إلى علم المناظرة والجدل الإقناعي :

وهكذا لو تتبعت آيات القرآن الكريم لاشتخرجت منه إشارات ذكية إلى أصول العلوم والممارف وفروعها ، وما من آية سقناها دايلا على علم من العلوم إلا ولها نظائر يتعذر رصدها ــ هنا ـ فالإسلام هو دين العلم كماكان دين العقل .

وإذا كان الإسلام يقـدر العقل المهذب المعصوم بالوحى ، دون العقل

الجاسح المشتط . فإنه كذلك يقدر العلم المسدّب الذي يسخر لحدمة الحياة ويصيف إليها إضافات حسنة ، دون العلم الذي يغتر به ساحبه ويوجهه وجهة منحرفة.

فالفرق بين الإسلام فى نظرته إلى العلم وبين الكنيسة فى عدائها لاملم فرق كبير ، ولوكان الإسلام هو الذى واجه ما واجهته الكيسة فى الغرب فى أيام محنها لما حدث شىء عما حدث أمام الكنيسة ، لآن الإسلام يحتضن العلم ، وينعى موارده ولا يضيق به كما ضاقت به الكنيسة ، والكيسة إنما ضافت بالعقل ، وضاقت بالعلم ؛ لأنها كان لديها ، أوكل ما كان للديها كان تعشى علية من العقل والعلم معاً . .

كان لديمـا من العقائد ورسوم العبادات مَا تَخشَى عليه من العقل .

وكان لديها من المغارف عُن يعض طو أهر الكون ما تخشى عليه من العلم فعادت العلم .

أما الإسلام فلم يكن لديه ولا يكون لديه من العقائد والممارف مَا يُخشَقَى عليه من العقل والعلم .

ولذلك كان الإسلام سينتصر على ما انهزمت أمامه الكنيسة في أيام مجنتها المؤسفة .

\* فَالْنَظُرُ يَاتَ العَلَمَةُ الَّى ثُوصُلُ إِلَيْهَا بِرُو أَوْ وَجَالَمِلْمُو ، وَنَيُوتَنَ وَهُوتَ كَيَانَ الكنيسة ، وزلزلت عرشها لمجيئها عنالفة الفكر والإعتقاد السكنسي ، باثلك الفقاريات يرحب بها الإسلام ويستقبلها فاتحا لها ذراعيه ولسان خاله يقول: مرحى مرحى بالعلم الصحيح لدى الدين الصحيح .

وعما يسجل لعلساء الإسمالام بحروف من ذهب على رق من الفهنة ان

ما أنكرته الكثيسة من كروية الأرض ودورانها حول الشمس قد قال به علماء المسلمين منذ عهد بعيد .

ههذا هو أبو الريحان البيرونی ( ٣٥١ - ٤٤٠ هـ ) – ( ٩٦٥ – ١٠٤٨ م ) يقرر فی وضوح .

- ١ -- أن الارض كروية وليست مستوية السطح .
  - ٢ أن الأرض متحركة ، وليست ثابتة .
- ٣ أن الجاذبية التي في الأرض هي التي تمسك من عليها.

ويستدل البيروني على كروية الأرض بدايلين :

الأول: أن أعالى الجبال تظهر للعين إذا سار الناظر نحوها ، ثم تظهر أسافلها شيئًا فشيئًا كلما اقترب منها الناظر . ومثل الجبال سوارى السفن والمراكب .

الثاني: أن القائم في محل منكشف الآفق ليس فيه شيء يمنع النظر إلى معيع الجهات برى الأرضر دائما على شكل مستدير الحدود. ومن المعلوم أن السكرة هي الجسم الذي برى على شكل مستدير من أي جهة نظرت إليه ، (٩٢).

أما إشارة البيروني لقانون حركة الأرض فيقول فيــه: • إن الأرض متحركة حركة الرحي على محورها ،(٤٤)

وهذا کلام علی ـ کا تری ـ یسبق به البیرویی علماً. أروبا باکثر من خسة قرون .

ويشير البيروني إلى قانون الجاذبية الذي اكنشفة إسحق نيون فى القرن السابع عشر فيقول:

<sup>(</sup>٤٣) انظر : القرآن والمنهج العلمي المعاصر (١٤٨) .

<sup>(</sup>٤٤) نفس الصدر والموضع .

د لا محالة أن الحلاء الذي في بطن الأرض هو الذي يمسك الفسساس
 حو اليها ، (٥٥) .

قف مليا أمام قوله: ,لامحالة ، تجده يعطيك معنى له وزنه وهو أن البير وني لم يقل ما قال على سبيل الظن وإنما قاله متيقنا .

والبيروني انتهى إلى هـذه الحقائق المثيرة فى القرن الرابع الهجري قبسل. عصر العلم الحديث بزمن طويل .

وأعجب من ذلك أن فيلسوف العرب والإسلام الكندى (١٧٥ - ٢٥٢ هـ) قام قبل البيروني بعمل تجارب على جاذية الأرض وإن لم يصل فيها إلى رأى. عدد، ولكنها محاولة مبكرة جاءت نتيجة لدعوة القرآن إلى التأمل والتفكر في حقائق الكون وسير مافيه من ظواهر .

#### تذكرة لازمة:

والآن يحسن بنا أن نتذكر أن أول امتحان علمي وقع للسكنيسة على أيدى العلماء هو :

١ -- القول بكروية الارض ودورائها حول الشمس . وكانت المكنيسة تعتقد دوران الشمس حول الارض .

عانون الجاذبية . ولم يكن للكنيسة فيه معتقد ولكن ال قال به نيوتن رفضته الكنيسة واعتبرته نوعا من الهرطةة واسنا ندرى لماذا .

وهذان القانو نان قد سبق لعلماء الإسلام القول بهما، ولم يشكرهما أحد من علماءالدين ولا من الولاة والسلاطين ؛ لأن الإسلام ربي عقل المسلم لقبول كل علم صحيح ، كما أن عقيدة المسلم ترى في مثل هذه الحقائق غذا ، روحيا بعمق الإيمان بالله ويكشف عما في الكون من دقائق وأسر ارتدل على الجاالق، وتجلى مظاهر قدرته ، وبدائع صنعته ، لأن العلم \_ في الإسلام \_ دعامة من أقوى دعائم الإيمان .

<sup>(</sup>٥٤) المرجع السابق .

## الملاحظة والتجربة :

رأينا - فيما تقدم - أن الوضعيه التي أرسى قواعدها أو جست كونت كافت تقوم فلسفتها على مدركات الحواس ، والحواستعطى تمارها فى الحصول على المعرفة بالملاحظة والتجربة .

وهذا ماكانت ترفضه السكنيسة وتنفر منه ، وكان موقفها هذا واحدا من أهم العوامل التي تضافرت على عزلها وتقليص ظلها وتمرد الناس عليها .

ونسأل الآن سؤالا:

ما هو موقف الإسلام من الوضعية وملاحظائها وتجاربها ؟ أيرفضها كما وفضت الكنيسة ؟ أم له تقدير آخر فيها ؟

والجواب: إن الإسلام لا يرفض الملاحظة والتجربة باعتبارهما وسيلة من وسائل المعرفة . وإنما يرفض ما انتهى إليه الوضعيون من أن الملاحظة والتجربة الحسية هي طريق المعرفة الوحيد ؟

كا يرفض ما انتهى إليه الوضعيون من إنكار ما ليس مدركا عن طريق واحدة من الحواس الخس .

هذا هو ما يرفضه الإسلام أما التجارب والملاحظات باعتبارهما منهجاً من مناهج تحصيل المعارف والعلوم . فهذا مقبول فى الإسلام ، ومقرر فى مصادره الأولى ، وفى مباحث علمائه منذ بدء تدوين العلوم والفنون وإلى الآن ورود الملاحظة والتجربة فى القرآن الكريم .

فن أمثانة استخدام الملاحظة والتجربة كوسيلة علمية فى القرآن السكريم قول الحق تمارك وتعالى:

, الذي خلق سبع سمو ات طباقاً ، ما نرى في خلق الرحمن من تفاوت .

فارجع البصر : هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كر تين ينقلب إليك المصر خاسناً وهو حسير ع<sup>(13)</sup> .

في الآية الأولى ملاحظة كاملة التكوين:

ففيها الباعث على إجرائها ، وهو تبين هل فى خلق ألرحمن فطور أو عيب . وفيها النوجيه إلى كبفية إجرائها : فارجع البصر .

وفيها التوجيه بكيفية رصد النقيجة : فهل ترى من فطور ؟

وفى الآية الثَّانية كَيفية تمحيص العلم : ثم ارجع البصر كَر تين -

هذا هو منهج تصميم الملاحظة على المنهج الاستقرائي الذي يحدد فيه الغرض أولا ثم يستقرأ ، مؤمنوعه ، لإثبات صحة الفرض أو تخلفه . ولسكن الفرض ـ «نا ـ مثبت كا ترى .

وفى الآيات الآثية :

وأقلا ينطرون إلى الإبل كيف خلقت ، ؟

و و إلى السماء كيف رفعت ، ؟

و و إلى الجبال كيف نصبت ، ؟

ووإلى الأرضكيف سطحت ، ؟

أربع ملاحظات جاءت على منهج استدلالى غير المنهج الاستقرائي الذي جاءت عليه الملاحظة الفطرية السابقة .

فَنَى الآية الأولى : دعوة لملاحظة كيفية خلق الإبل ، •

وفى الثانية : دعوة لملاحظة كيفية رفع السماء .

وفى الثالثة : دعوة لملاحظة نصب الجبال .

وفى الرابعة : دعوة لملاحظة تسطيح الأرض

٠ ( ٤ - ٣ ) دها (١٤٦)

وكم فى الآيات الاربع من المواعظ والعبر التى لا تنسكشف إلا مع التأمل والتدبر ، والقرآن يدعو إلى هذه الملاحظات لأنها دايل صدق على مائله من قدرة لا تعجز ، وحكمة لا تخطىء ، وإرادة لا تقهر .

ومنهج البحث منا ميا مستدلالي استنباطي . لأن العقل ينهي من التأمل والنظر إلى تتيجة من تتأثج الإيمان ، هي أن وراء هذه المقدورات قادراً ، ووراء هذه الحكمات حكيما ، ووراء هذه المرادات مريداً .

آثرة أن نطلق على النماذج السابقة : ملاحظات ؛ لأن ظاهر القرآن في السياق والصياغة يقبادر منه أن المراد الملاحظه الفسكرية العقلية التي يكني فيها النظر المتأمل في ظواهر المادة الملفوت النظر إليها . ولم نسمها تجارب ؛ لأننا أردنا أن نفرق بين الملاحظة والتجربة :

# بأن الملاحظة هي المراقبة والتأمل الفكرى العقلي :

أما التجربة فهى ما نقتزن فيها العمل بالتفكر والتأمل : فهى أخص من الملاحظة فسكل تجربة فيها ملاحظة . وليس كل ملاحظة فيها تجربة .

وفي القرآن من التجارب \_ بهذا المعنى \_ مالا ينازعنا فيه منازع . ومن أبرز التجارب فى القرآن الحكم . ما وقع لإبراهيم عليه السلام حين طلب من ربه أن يربه كريف يحيى الموتى .

فأمره الله أن يأخذ أدبعة أنواع من الطير ، ويذبحهن ويقطعهن قطعاً قطعاً . ثم يوزع كل قطعه على جبل ، ثم يدعوهن وفقعل إبراهم عليه السلام . ثم يوزع كل قطعه على جبل ، ثم يدعوهن وفقعل إبراهم عليه السلام . ثم دعاهن فرآهن قد أتين نحوه سعيا ، وكأنهن لم يذبحن ولم يقطعن ، فهذه تجربة من أروع التجارب ففيها عمل : وهو ذبح إبراهم الطير وتقطعيهن وتوزيمهن على الجبال ودعوتهن إليه وفيها : ملاحظة . وهى تأمل إبراهم عليه السلام - بعد القيام بالتجربة ، وقد عاين عليه السلام كيفية الأحيا . وعليه السلام كيفية الأحيا .

وقد انهى به هذا التأمل (الملاحظة فيأعقاب التجربة) إلى الإيمان اليقيني العملى بعد الإيمان الخبرى النظرى .

## إقرأ معى قول الحق:

وإذ قال إبراهيم رب أرثى كيف تحيي الموتى ؟ قال: أو لم تؤمن ؟
 قال: بلى ، واسكن ايطمئن قلمي . قال: فخذ أربعة ،ن الطير فصرهن إليك .
 ثم اجعل على كل حبل منهن جزءاً . ثم ادعهن يأتينك سعيا . واعلم أن الله عزيز حكيم ، (٤٧) .

هذه التجربة التامة التصميم ، القرآن هو الذي فتل خيوطها . ثم نسجها حداً النسيج المحــكم المرتب العناصر تركيبا بديماً . وإحكام تصميمها هو الذي أحكم مطلوبها فاطمأن قلب إبراهيم . لأن الحبر ليس كالعيان . .

#### قياس العلمة :

إستخدم القرآن الحـكيم الملاحظة والتجربة ؛ لأنهما وسيلتان من وسائلحصول العلم والمعرفة. ولها في مناهج البحث والإستدلال دور عظيم.

واستخدم - كذلك - ما يسمى عند علماء الفظر والبحث ـ فلاسفة وغير فلاسفة - بقياس العلة : وهو أن يعطى بجمول حكم معلوم لاشتراكهما فى علة الحدكم . ومن ذلك إلحام القرآن لمنسكرى البعث بعد الموت والبلى ، فقد جاء احدم إلى رسول الله - صلى الله علميه وسلم - ، ومعه رماد عظام بالية كان قد حرقها ، ثم ذراها فى الهواء فصارت هباء منشوراً ، ثم قال اصاحب الدعوة - صلى الله علميه وسلم - :

<sup>(</sup>۷۶) البقرة (۲۲۰) .

فساق القرآن هذه الدعوى مع الرد عليها :

و وضرب لنا مثلاً و وسى خلقه \_ قال : من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ، (٢٨) .

الدكافر استبعد أن يكون لإحياء العظام بعد للاها فاعل، مريداً بهذا فني قدرة اقة على الإحياء . هـذه شبهته يصورها القرآن بكل أمانة ثم يبطلها باستخدام قياس العلمة .

والعلة مدها منا أن الله هو الذي أنشأها أول مرة ولم يكن لها وجود على أية صورة من الصور . فكيف يعجز عن إعادة إنشائها مرة ثانية وقد كان لها وجود على صورة من الصور ؟ 1 .

إن العقسل لا ينازع فى الإعادة بعد ثبوت الإنشاء السابق ، ولو أن مهندسا شاد قصراً كان آية فى فن العمارة ، ثم تهدم القصر فلن ينكر عليه عقل عاقل إذا قال: إنني سأعيد بناءه على ما كان عليه قبل التهدم وقه ـ سبحانه - المثل الأعلى .

ولاستخدام قياس العلمة صور أخرى في القرآن لا نستطيع - هنا ـ الستقراءها . وفيها ذكرناه دنيل على مالم نذكره .

# وقياس الشبه:

قياس الشبه قسيم قياس العله فى أن كلا منهما يؤدى إلى الاقناع ، ويقطع يهذور الشك ، ويمهد لليةين .

وقد استخدم القرآن قياس الشهره كما استخدم قياس العلة في معرض الجدل مع منكري البعث و المشركين مع الله آلهة أخرى .

<sup>(</sup>۸٤) پس (۸۷ - ۲۷) ٠

وقياس الشبه أن يحمل المناظر أمراً مشكوكا فيه أو منكراً على آخر. مسلم به عند الخصم لشبه واقع بينهما .

ومن ذلك في القرآن العظم في الرد على منكري البعث :

« ما خلقــكم ولا بعثكم إلا كمنفس وأحدة . إن ألله سميع بصير ،(٤٩) .

قال الإمام جاء الله الزمخشرى : د إلا كخلقها وبعثها. أى سواء فى قدرنه القليل والمكثير والواحد والجمع لا يتفاوت ...، دد. .

ومؤدى هذا القياس كما نفهمه:

ه تشبیه خلق جمیع الحلق و بعثهم بالإمكان العقلی و إن كان و اجبا من حیث ورود الخبر به .

ه تشبيه خلق الـكمثرة و بعثها مخلق القلة و بعثها في اليسر والسهو لة .

ومؤدى هذا كله تصوير إمكان البعث ويسره وسهولته بقياس ما تعلق بالكثرة على ما تعلق بالقلة .

وهذا هو قياس الشبه . ومنه قو له تمالى :

كا بدأنا أول حلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين ، (٥٠) .

شبه الإعادة المنازع فيها بالبدء المتقين به ليخرج المتنازع فيـه. مخرج المتقين به، وهو المعالوب.

يقول صاحب المكشاف : و والمعنى نعيد أول الحلمق كما بدأناه تشبيها للأعادة بالإبتداء ورم، .

أي نميد الخلق الأول لـكل من كمان حيا فمات خلقا ثانيا . يعني ؛ البعث ..

> (٤٤) لقمان (٢٨) (١٠٤) التمل (٤٠) . (١٥) السكشاف .

إن القرآن الحسكيم حين استخدم وسائل المعرفة والإقناع أخرجها في صور فطرية بديمة ، يسرى معناها إلى النفس في يسر وسبولة ومخاء بالعامة بخطاب الخاصة فلا يرى العلمي أن القصد مستفلق عليه ، ولا يرى الخاصي أن البيان أيس مسوقا إليه . والمك سمة ، من سمات الإعجاز في القرآن ، وخاصة فريدة من خواصه البيانية . يغلف المعانى ، وإن كانت أحكاما تقريبة ، بما يمتع المشاعر ، ومن الوجدانات ، ويقنع العقول .

والحواس التي وجد الوصعيون عندها طلبتهم، وانتهى إليها مسعاهم يستشمرها القرآن، ويجلى أمامها الحقائق، فتلمسها عن قرب، ثم ترسل أشعتها أو إشارتها إلى العقل فيؤاف بينها ويصقلها، ويخرج منها زبدتها فبحصل العلم، وتتمثل المعرفة. فالعقل لايقبل تلك الأشعة على صورتها الفجة؟ وإنما يحللها ويهذبها ويصل إلى المقصود منها. وبعد أن ينتهى من التصفية والتنقيدة، ويهون القراد والحكم يكون الإيمان ويكون التصديق.

فالعقل، والعلم، والإيمان أسرة مؤتلفة في الإسلام. لايعادي واحــد منها الآخر.

فليس الإسلام مع العقلاء فى تصر المعرفة على العقل، وليس معهم في اعتقاد المجافاة بين العقل والإيمان.

وليس الفرآن مع الوضعيين الماديين في قصرهم المعرفة على الحــواس ، وليس معهم فيمار تبوه على هذه النظرة المخدوعة الخادعة مز إنكار ماورا. الحس من جفائق ، ووضع جفوة بين العلم والإيمان .

و إنما القرآن مع منهجه المكامل المتكامل الذي يستثمركل وسائل الإدراك في الوصول إلى الإيمان بالحالق، والتصديق بما جاء عن لسان رسله، مصونا عن التحريف، بعيدا عن التهديل.

ولما كان هذا هو موقف الإسلام من العقل، والعلم والربط بينهما وبين حقائق الإيمان كان تاريح علماء الإسلام حافلاً في مجال البحث العلمي والعقلى ـ بكل عجيب وكانوا ـ بحق خير أمة أخرجت للناس.

# العلم: أو الملاحظة والتجربة والاستقراء عن العلماء الإسلاميين :

استنهض الإسلام همم العلماء ، ورفع شان العلم ، ووجه الأنظار إليه فنبغ من المسلمين أعلام فى مجال العلم التجريبي ، وصار بعضهم أساتذة لرواد النهضة فى أوروبا ، وسبقوهم فى هذا الميدان ، ومهدوا لهم الطريق فيها وصلوا إليه .

ومن طريف ما بروى فى هـذا المجال أن حملة لواء العلم التجـربي الأوائل من المسلمين كانوا إذا أرادوا إنشاء مصحة (مستشفى) أجروا تجـارب على الأماكن التي يريدون إنشاء المصحة فيها . فكانوا يأخذون شرائح من اللحم النبي، ويضعون فى كل مكان مقترح قطعة من اللحم معلقة على حامل .

نم يعودون بعدمدة يقدرونها لينظروا فىشرائح اللحم المعلقة. فإذا وجدوا نسبة التعفن فى مكان أعلىمن نسبته فى مكان آخر، اختاروا المكان الذى تقل نسبة التعفن فيه ، لانه أصلح الاماكن للإستشفاء لقلة الميكروبات فيه (٣٣).

فهذه تجربة وملاحظه ذات قيمة فى الاختبار وتحصيل المعرفة كاقت ثمرة طيبة للعقل المستنير الذى صقله الإسلام .

ومما يروى كذلك أن أول عملية جراحية دقيقة أجراهما علماء الآندلس المسلمين ، كانت فتح مثانة لإخراج حصاة منها (ا<sup>ه)</sup> .

<sup>(</sup>٥٣) انظر : أثرالإسلام في الحضارة الأوربية للأستاذ المقاد ، ط دارالممارف .

<sup>(</sup>٥٤) نفس المصدر .

نماذج من بحوثهم :

جابر بن حيان: (١٦٦هـ ٧٧٨م) في هذا الزمن المبكر نبغ جابر بن حيان في علوم البحث و الإستدلال حتى عد د إمام النجر بيين، و الاروبيون وصفوه بأفه ، أول كيميائي في التاريخ ، .

وما يؤثر عشه أنه كان يرى أن د فى التجربة كال العلم ، ويريك دقته فى البحث قوله فى وصف كتبه :

د إنا نثبت في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط . دون ماسمعناه أوقيل لمنا أو قرأناه ، بعد أن إمتحناه وجربناه » .

فهو لا يعتمد المعارف السائدة أو التي يقرأها أو تقال له إلا بعد التجربذ والاختيار.

والعالم عنسده هو الدرب الجرب ، وفى ذلك يقول : • من كان دريا كان عالم عنسده هو الدرب الجرب ، وفى ذلك يقول : • من كان دريا لم يكن عالما ، .

وهو أول من أعلن أن لكل تجربة وتصميم متكامل، يبدأ بتحديد الغرض منها، وأنحاذ الأساليب الموصلة إليمه مع تجنب المستحيل عقملا، واختيارالوقت المناسب لإجرائها مع النحلي بالصبر والنحفظ وعدم الاغترار بالظواهر (٥٥٠).

ه الخدوار زمى: ( ٣٣٥ ه = ٨٥٠ م) من مؤلفاته د العالمية ، : كتاب الجبر والمقابلة وقد ترجم إلى عدة لغات ، وعن طريقة عرف أوربا علم د الجبر ، وقد أجاد المؤرخ درايبر حين نسب اكتشاف علم الجبر إلى المنهج الإسلامي في المشاهدة والتجربة .

و الخو ارزى هو واضع د اللوغاريتم ، وإليـه يرجع الفضـل في شهرة اللكسور العشرية وموضع الصفر في الجل الحسابية .

<sup>(</sup>٥٥) القرآن والمنهيج العلمي المعاصر (١٣٠) مصدر سبق ذكره .

و الكندى فيلسوف العرب: ( ١٧٥ هـ == ١٠٨ م ) ولادة . من علماء الإسلام نبغ فى الهندسة والطبيعة، واستخدم الفرجار فى رسم الزوايا الهندسية، وأجرى تجارب على جاذبية الارض . وله مؤلفات فى الفلك وعلم الهيئة وتأثير الكواكب على الارض ، وكان يربي أن كل ما فى العالم من الاجرام كروى الشكل ، وله مؤلفات فى الكيمياء والموسيقى ، ويصفه العالم الإيطالى كاردانو ( ١٠٧٦ ) أنه واحد من اننى عشر عبقرياً ظهروا فى العالم .

أبو بكر الرازى: (٣٤٠ = ٣٨٥) ولادة : اشتغل بالمكيمياوالطب وكان له اهتمام بتشريح الجسم لمعرفة أسراده. وكان يفحص المرضى فحصا دقيقا وهم على أسرة المرض. وقيد احصى له بعض المستشرقين ٣٠ تجربة سريرية وكان أول من استعمل الخيوط المصنوعة من جلود الحيوانات فى خياطة الجروح.

ه المسعودى: (٣٤٦ه = ٣٥٦م) وفاة . عالم فلمكى وجيولوجى ومؤرخ وجغرافى أخذ يجوب الممالك بؤرخ لها ويطلع ويدون مشاهداته ، ومن أبرق مؤلفاته دمروج الذهب ومعادن الجوهر، ثلاثة أجزاء فيه علم غزير وعطاء وفير وله كتاب في علم الفلك : ، التنبيه والإشراف ، .

هِهُ أَوِلَ مِن أَنْبَتِ العَلَاقَةَ بِينَ الْبِيئَةَ وِالْإِنْسَانَ وَالْاقْتِصَادَ ، وَمَا يَفْخُو بِهِ الْمَسِلَمُ الْمُعَلِّصِيرَ أَنْ الْمُسِمُودِي أَنْبَتِ عَلَاقَةٍ بِينِ ظَاهِرَةَ اللَّهُ وَالْجُورُ وَصُو الْقِيمِ .

وقد حدثنى بعض أهل العمام وكنا على شاطىء البحر الأبيض ونحن نشياهد تلاطم أمواجه العالمية ، والجو خال من الرياح عماما فدهشت طمياج البحر دون أن تثيره الرياح العاتمية . فقال لى صاحبي العمالم : لاتعجب . فإن هناك علاقة وطيدة بين هذه الظاهرة وبين أشعة القيمر حتى ولو لم يكن مرثيا

لنا الآن (كانت الساعة الثانية بعد الظهر ) فتذكرت ملاحظة المسعولاتي هذه وكانت تجربة عملية أشهدها .

لهذا فإن بعض علماء الفرامجة يرفطون أن يقارن المسعودي بغديره من العلماء الأقدمين .

ه الحسن بن الهيئم : ( ٢٥٤ - ٢٥٤ هـ) القرن الحادي عشر الميدلاذي من المعلوم أن الحسن بن الهيئم هو أول من أشنار بعمل خوان على النيل عقد السوان ، ولسكنه لم يئم اصعوبة تكاليفه كما يرى بعض الكانبين . وقد اشتهر الحسن بأ قه مكتشف علم الصوء ، و يقول المستشار عبد الحليم الجندي : وأن أوروبا با يعت الحسن بن الهيئم على أنه مكتشف علم الصوء وخطأت نظريات إقليدس و بطليموس (٢٥) من أن الهين ترسل أشعة بصرية بحو الجسم المرئى و أحدذت بالقول أن الجنم هو الذي يرسل أشعة إلى العين : و هدذا قول الحسن بن الهيئم ، وللخسن هذا (٤٧) كثابا في الحسن بن الهيئم ، وللخسن هذا (٤٧) كثابا في المهندسة ، انتفع بها علماء أوروبا ، وفي مقدمتهم روجير يبكون ،

• ابن سَيِمَاهُ: الشَّبْخِ الرَّئِيشُ ( ٣٠٠ – ٤٣٨ هـ ) الحَـُديُثُ عن أَبِي سَيْمًا مَتَسُعَبُ كَثَيْرِ الفُروعِ وهو من أنجب من ولدنهم الغَبْقُريَّةِ الْإِسْلَامَيَّةُ . وَتَقْديرُ الْإِسْلَامَيَّةُ . وَتَقْديرُ الْإِسْلَامُ لَلْهُ وَتَحْسَيلُ المُعَارِفُ الـكُونِيَّةِ .

ومن مؤلفاته القيمة كتاب والقانون فى العاب ، الذي يقوّل فيه لولينم أوشلل إنه والإنجيل الطبى فى أوروبا لأطول مده من الزمان، ١٧٠٠ م بعد أن ترجم إلى اللاتينية بمعرفه جيرار السكريمون ، وطبيع باللغات الأوربيسة أكثن من خمس عشرة مرة فى المدة من ١٤٨٣ إلى ١٥٠٠ م بعد أن أختزيج جوتنبر ج المطبعة عام ١٤٥٠ م به

<sup>(</sup>٣٥) اقليدس مهندس إخريقى قديم ( قبـــل الميلاد وبطليموس عالم مصرى اشتغل بملم الرياضة وله مؤلف فى الفلك وكان يرى الارض هى مركز السكون حتى طهرت نظرية كوبرنيق فى القرن السادس عشر الميلادى .

رصد ابن سينا في كتاب ، القانون ، ٧٩٠ عقاراوزعت على على النبات والصيدلة في جامعات أوروبا ، ومن كتابه ، القانون ، عرفت أوروبا أسباب السكتة ، وإنتشار الحصبة ، وحصى المثانة . كما أوحى كتابه بمسا هو دمروف الآن في المستشفيات بكيس الثلج ، واستخدام التخدير في الجراحات ، وحقن المرضى تحت الجلد . وعلم الأمراض النفسية .

وله كتيب صغير فى نشأة : الحروف الهجائية . قام فيه برسم دقيق للحنجرة وأعضاء النماق مبينا عليه بخرج كل حرف من الحروف كما تحدث عن سبب مكو بن الحروف حال النطق بها .

كما أشار في تـــ اليفه لعلم الطبقات وعلم الرسوبيات في الجيولوجيا ١٠٠٠

هذا هو بعض تأثير الإسلام فى بعض أبنائه من حب العلم والمتعمق فيه م وما ذكر ئاه لا يعد شيئًا بالنسبة لما لم تذكره . مع ملاحظة أننا وقفنا هنا عند وصد الحركة العلمية عند علماء المسلمين عند القرن الحامس الهجرى بل عند. نصفه الأول .

وأردنا أن نستدل بوضوح على منزلة العلم والعلماء في الإسلام .كما دلانا على منزلة العقل والعقلاء فيه .

وفى هذه الفترة التى رصدنا آثارها العلمية لم تنجب السكنيسة عالمسا واحداً: يماثل أحد العلماء المسلمين .

ولذلك إذا قلنا إن الإسلام لوكان هو السائد في أوروبا بدل الكنيسة في أيام محنتها لمسافر وبين العلم من أى توع كان إذا قلنا هذا كنا صادقين بل أكثر من صادقين .

## الإسلام من أسباب النهضة:

ويما يدرج للإسلام فى تصوير موقفه بما حدث فى أروبا فى القرون الوسيطة من انحراف وانشقاق أن مبادى. الإسلام وآثاره العملية فى الشرق الإسلامى كانت واحداًمن أبرق الاسباب الإيجابية فى قيام النهضة الاوروبية وامتدادها إلى العصر الحديث .

فقد كانت أوروبا تميش فى ظلام حالك ، وجهل مطبق فى تلك العصور قبل صلتها بالشرق الإسلامى . فلما وقعت تلك الصلة فى أشكال مختلفة أخذت روح العلم والمعرفة والتبصر بقيم الحياة تدب فى أوصال أوروبا التى كانت قد جفت عروقها ، وضعف نبضها ، وتبلدت فيها المشاعر والاحاسيس(٥٧) .

وليست هذه دعوى بلا دليل . وإنما حق قد أدرك بعض أبناء أوروبا المعتدلين أثره فافصحوا عنه .

ومن مظاهر العلاقات والصلات التي امتدت بين أوروبا وبلاد الاسلام ما يأتي :

الحروب الصليبية التي أتاحت لأوروبا أكرم الفرص للتعرف على الحضارة الإسلامية ومحاولة الاقتباس منها عن كثب ومعايشة .

ب سرجمة مؤلفات العلماء المسلمين في العلوم النظرية والعملية مثل
 الحنوارزي وأبن النفيس والحسن بن الهيثم وابن سينا والفار أبي والرازى وغيرهم.

٣ ـــ البهوث العلمية التي نزحت إلى معاهد العلم الإسلامية في الآنداس
 والاحتــكاك الحضاري وانثقافي بينها وبين جنوب غرب أوروبا وبحاصة
 فرنسا وانجلترا .

<sup>(</sup>٥٧) عد مرة أخرى لقراءة خطاب جورج الثانى إلى الحليفة هشام الثالث في القرن الرابع الهجرى من هذا الكتاب .

ع \_ السياحة المتبادلة بين الشرق والغرب والقو افل التجارية بينهما .

وقد التبست أوروبا كثيراً من العلوم والفنون التي ازدهرت أو بدأت تباشيرها على أيدن العلماء والمفكرين والفلاحة، الإسلاميين . وقد أصاب العقاد حين قال ما معناه في هذا الصدد :

و إن ما تأخذه من أوروبا بعد ازدهار تهضتها الحديثة إنما هو هن باب سداد لديون التي للعرب والمسلمين عليها بما تهلته من المعارف والعلوم الإسلامية قبل أن تعرف أوروبا ما تعرفه الآن ،

وأوروبا - إذن - مدينة للمعارف والعلوم الإسلامية . وما ثارت أوروبا على الأوضاع الكنسية والاقطاعية هيها إلا بعد أن عرفت حلاوة الحرية والمساواة والعدل والمعرفة التي كانت تظل الشرق الإسلامي بفضل الإسلام ومبادئه التي تآخى فيها الدين والعلم والعقل ، واتسقت مع الفطرة الإنساقية السليمة أعا اتساق .

ومن المستحسن - الآن - أن نو جز مظاهر موقف الإسلام من الأيديو لجية الصليبية والتي تحلم بأنها قادرة على سياسة العالم و توجبهه بعد عزل ما عداها، وفي المقدمة الإسلام، في الآتي :

أولا: أن الإسلام يرفضكل التصورات الكُلْسية التي أدت إلى الثورة عليها في الغرب ، لأن تصوراتها فأسدة بكل مقياس ، و بشهادة المنصفين منهم .

ثانياً: إن الإسلام لا يعادى العقل . العاقل ، ولا يعادى العلم ، العالم ، وإنه العلم ، العالم ، وإنه العلم العقل وإنما يرفض التعلم ، ويوجه كلا من العقل إذا اشتط ، والعلم إذا انحرف إلى ما فيه خير الإنسانية في الدنيا والآخرة .

ثانثا: إن مبادى. الإسلام كونت لدى المسلمين ثروات زاخرة من التعقل، وثمار العلم، وحرر الإنسانية من الأوهام ومنحها منزلة رفيعة

فى الحياة وسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات فرقت حياتهم فى ظله م و تعلم منهم الغرب ، واقتبس من حضارتهم وثار ليكر امته . وليكأنه سرعان ما تنكب الصراط السوى .

# قائمة: الأخطاء التي سهدت الطريق للعلمانية :

حفظت ذاكرة الناريخ قائمة من أبرز الأخطاء التي ذاعت في الناس عن السكنيسة ، وأدت إلى الثورة صدها ، وإلى تمهيد الطريق لقيام العلمانية التي كثر الحديث عنها في الربع الأخير من هذا القرن العشرين .

وقاً يُمةَ الْآخظاء البارزة نوجزها كل الإيجاز في الآني :

- ١ بنوة عيسى عليه السلام لله ـ سبحانه عما يقولون علوا كبيراً.
  - ٣ ـ التثليث : الآب والإبن والروح القدس .
- ٣ الزَّمْم بأن الثُّلالة = واحد . والعلم يقول : (+ ١ + ١ = اللَّالة؟ ١
- ٤ ـ الإستحالة فى العشاء الربائى بصيرورة الخبر لحما والحر دما مع أن العظم والعقل يمنغان أن يتحول نه ع ما إلى نوع آخر مختلف عنه تماما فى الحصائص والمكيفيات . : ؟ !
- و \_ إدعاء الكنيسة أن الارضنامركة البكون ؛ وأثبت العلتم أن الشمس
   مركة البكون ، وخطأ التكفيسة فيها تعتقد .
- ٦ ـ الحظيئة الموروثة ، وقال العقل : ماذنب أجيال لم تخظى، تفاقب على خطيئه جفاها غيرهاولم تكن لها وجود حين أخطأ المخطئ.

وأقوالهم بنصوض الوحى ومنحهم أنفسهم حق الحروج غلى ماليم
 السكتاب المقدس .

٨ ـ استخفاف البابوات والكهنة بعقول الناس وإدعائهم أنهم يملكون غفران خطاياهم وبيعهم الجنة ، وهم لا يملكونها ـ بعقود فى المزاد العلنى .

ه - قول الـكنيسة أن بد. حياة الخليقة كانت عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد
 وقال العلم أن عمر الـكون يقاس بملايين السنين .

١٠ ـ ادعا، الكنيسة أن الأفاجيل الأربعة هي كلام السيد المسيح تلقاه
 وحيا عن الله ، وقال النقاد والعلماء أنها أعمال بشرية بدليل ما فيما من أخطاء
 علية وعقلية و تاريخية ، والوحى منزه عن الخطأ . . !

11 - اعتقاد الكنيسة بأن الأمراض من خبائث الشياطين، ويكنى فى علاجها إقامة القداس والمذابح وإحراق البخور، وأثبت العلم أن أسباب الأمراض ميكروبات وكاثنات حية بالفة الدقة والثعقيد وعلاجها يكون عن بعض المستحصرات الكيماوية 13.

١٢ ـ ادعاء السكنيسة أن الموت جاء نييجة للخطيئة الموروثة . ولولاً هذه الخطيئة لما مات الإنسان واسكان من الحالد بن ١٤

١٣ ـ ادعاء الكنيسة أن دالرق والعبودية ، عقاب من الله على الخطيئة الموروثة . و من يدعو إلى تحرير العبيديكون متمرداً على إرادة الله ؟ .

12 - جعل الكنيسة الإعتراف بالخطايا للكاهن شرطا من شروط. الطهارة وتنصيب « السكاهن » واسطة بين « المخلوق » و ، الحالق » .

الباطلة . واضطهاد العلماء والتنكيل بهم مع أنهم محقون وهي مخطئة ؟ ! . . .

١٦ - الإناوة المالية المجحفة التي كانت تتقاضاها الكنيسة من الناس ، ثلة في العشور والوصايا عند الموت وإقامة القرابين بدون وجه حق لها على الرعايا ١٤.

الرذائل بين الرهبان والراهبات في الأديرة وهم يتظاهرون بين الناس بالطبارة والعفاف؟!

مه - بشاعة محاكم التفتيش التي أنشأتها الكنيسة لمحاكمة مخالفها في ارأى جرد الظنة ، وصرامة الآحكام التي كانت تصدرها وشناعة تنفيذ العقو بات كإحر اق المخالفين وهم أحيا، وإخراج الموتى من قبورهم لتنفيذ العقو بات فيهم ١٩ - تحالف الكنيسة مع ، الآشر أن والسلطة الزمنية ، على تسخير الإنسان فاستأثرت الكنيسة بروحه ، ورضى السلطان بجسده وصار الإنسان موزع الولا، بين شركا، متشا كسين ؟!

وبهذا \_ وغيره \_ مهدت الكنيسة للعلمانية الجاهلة .

العلمانية هي الوريث:

عرفنا فيها تقدم أن فكرين مضادين لفكر الكنيسة قاما في وجهما كنافسين خطيرى:

أولها: المذهب العقلي الذي ساد طوال عصر التنوير حركة التمرد المعاكسة للخط الدبني الكنسي .

وثانيهما: المذهب الوضعى العنيف الذي رفض الفكر الديني الكنسي ورفض الفكر الديني الكنسي ورفض الفكر العقلي كذلك، والهمهما بالإفلاس في مجال المعرفة. والريادة والتوجيه.

هذا من الناحية النظرية . أما من الناحية العملية فقد كافت الثورة الفرنسية ( ١٧٨٩ م ) هي الضربة القاضية والقاصمة لظهر البعير وأزاحت سلطان الكنيسة والإقطاع وأفسحت الجال لرائد جديد يكون هو الرائد والموجه والسيد المطاع .

وقدكانت الفرصة مهيأة عقيب قيام الثورة لأن تتجه أوروبا اتجاها مستقما يخلصها من ربق التبعية لحضارات وثنية كانت تغذيها وتسيطر عليهاطوال المدة من القرن الرابغ المبلاذي إلى القرن الثانن عشر الذي حدثت في أو أخره الثورة ، وهي حضارات الإغريق ، وحضارات الروم .

وتخلصها كذلك من الجمود والتحجر البابوي ، ثم نضع قدنها على بداية القررق اصحيح . وكان ذلك تمكنا لوحدثت أوروبا نفسها بالتغيير ألحمود . وقد كان ذلك ممكنا وقريبا منها فى بلاذ الآندلس وصقلية والشرق الإسلام . فلو كانت أوروبا قد ولت وجهها شطر الإسلام ، وأقبلت عليه بصدق وإخلاص لارتفعت هامتها إلى السهاء ولحمت حضارتها المادية الهائلة بمنهنج الإسلام فى الإرشاد والتوجيه والدغوة إلى ما هو أقوم .

ولمكن من سوء حظ أورو با أنأضاعت تلك الفرصة الغظيمة وخرجت من ردة إلى ردة . ومن انتكاسة إلى انتكاسة . . ؟ ا

أضاعت أوروبا الفرصة وارتمت فى أحضان العلمانية الجاهلة وكانت العلمانية مى الوريث الوحيد أو المستبد بأطيب ما فى التركة . ولم تترك منها إلا الفتات وما ليس فيه غناء .

كان البديل الذى نصب نفسه وليا ووصيا على غروش البلادهو الغلمة لية. وكانت الظروف هميأة لانجاء مثل العلمانية أن يحد لنفسه مكانا فى كل القلوب والمشاعر.

أقد جرب الناس \_ هذاك \_ الحياة تحت ظل الدين فكر هوا الدين وفزوا منه ؛ كرهوة وفروا منه لآنه لم يكن دينا بالمهنى العنتخير ، وإنما أطلق عليه اسم ، الدين ، وما هو بدين .

وَقَدُ أَصَبِحْتَ نَلُكُ الْتَجْرِبَةِ الْمُرَةُ لِأُورَوْبِا مَعَ الْدَيْنَ الْمُكَلِّسِي المُزُورِ الْجَرِفُ المصنوع سببا كرهت أوروبا من أجله الدين ، أي دين ، وَإِن كَأَن دُينا قويمًا حوفظ فيه تَتْلَى أَمَانَةَ الوَحَى ، وَتَتَلَّبُ مِثْنَادَتُهُ مِنَ النَّحْرَيْفَ وَالتَّبَدِيلِ . وصابحت تشتريقاً ته لإظلال الحيت الله كالما بالشقادة والرق وتقتيش متهجة حلولا لكل ما فى الحياة من مشكلات ، ورسم الطريق الصحيح لربط اللخلق بخالفهم ، وإفر أده بالولاء . وتحقيق الخير فى الدنيا الزائلة والآخرة الباقية الخالدة .

لم تعط أوروبا نفسها فرصة للمراجعة والنبصر عقيب الثورة ، ولم تحسن الاختيار . فانتقلت من مضار إلى مضار أشد وأفظع ، وخرجت من فتن إلى فتن أخطر وأشنع ، حتى ليصدق عليها قول شاعرنا الحكيم :

المستجير بعمرو عندكربته كالمستجيرمن الرمضاء بالنار

أجل: لقد خرجت أوروبا من الرمضاء، ثم خاصت بقدمبها \_ وهما عاريتان \_ فى قار الجحيم . ولا يخدعنك ما ثراه الآن من حضارات مادية تنعم بها أوروبا، وتصدر فاتضها إلى خارج حدودها لأن رقى الأمم لايقاس بما فيها من حضارات مادية ، ولو بلفت عنان السماء وغاصت أعماق البحار .. وملكت اقطار الأرض . .؟

# العيلمانية برما هي ١٤

ولكن ماهى العلمانية ؟ ومن أحق الناس ببيان المراد منها ؟ أهم منتجوها يرمجيبيروها ؟ أم مِستهلكوها ومستوردوها . . ؟ !

العلمانية عملة أرسلمة أوروبية خالصة . على ربوعها ولدت ، وفى كنفها فشأت وترعرعت . فهم - أعنى الاروبيين - أحق الناس ببيان المراد منها ، أعنى وضع التعاريف التى تحدد معناها الجامع المانع كما يقول المناطقة فى تعريف التعريف الصحيح .

و الكن فريقا منا \_ نحن العرب المسلمين \_ يحاول أرب يزح بأنهه في الموضوع ، ويدعى \_ وهو يعلم \_ أنه أعرف بالعلمانية من والمنتج، و المخترع ، وسنعود لهذا الفريق بعد قليل . والذي يهمنا الآن أن نعرض

تهاريف العلمانية عند مفكرى أوروبا ، وفى مصادرها المعجمية العامه والحاصة وإلمك السيان :

#### تعريفات العلمانية عند الغربيين:

- ه تقول دائرة المعارف البريطانية : و العلمانية هي حركة اجتماعية تهدف المي الناس عن الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذا، وقد أخذ الإتجاء يتطور خلال التاريخ الحديث نحو العلمانية باعتبارها حركة مضاد، للدين وللسيحية ،
- و يعرفها قاموس العالم الجديد: بأنها د الروح الدنيوية أو الإتجاهات الدنيوية. وعلى الخصوص هي نظام من المبادي، والتطبيقات برفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة ،
  - ويشرح معجم أكسفورد معنى العلمانية فيقول:

دنيوى أو مادى: ليس دينيا و لا روحيا ، مثل: التربية اللادينية الفن أو الموسيقى اللادينية ، السلطة اللادينية ، الحكومة المناقضة للكنيسة ، الرأى القائل أنه لا ينبغى أن يكون الدين أساسا الأخلاق والتربية .

و يقول المعجم الدولى الثالث الجديدة العلمانية مذهب أو اتجاه في الحياة أو في أي شيء خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تدخل في الحكومة ، أو استبعاد هذه الإعتبارات استبعادا مقصودا على تعنى : « اللا دينية البحتة في الحكومة » .

. وهى نظام اجتماعى فى الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقيـة على إعتبار ات الحيـاة المماصرة والتضامن الاجتماعى دون النظر إلى الدين ، (٥٨) .

<sup>(</sup>۵۸) انظرالمانية (۵۳) وما بمدها مرجع سابق ذكره .

هذه هي العلمانية وشروحاتها حسب ما أوردته معاجم الغرب. وتتلخص معانى هذه التعريفات في الآتي:

أولا: رفض الإيمان بالله ثم رفض مراسم العبادة على أية صورة كانت. تنانيا: إبعاد الدين عن التوجيه في مجالات: الفن ــ التربية ــ الآخلاق.

ثالثاً: قيام حكومات على فلسفات تستمد أصولها من نظم الحياة المعاصرة دون التقيد بالدن؟!

رابعاً: الإيمان بالمادة المحسوسة ورفض الإيمان بما لايدرك بواسطة حاسة من الحواس الخس ١٤.

خامساً : المحاولة الجادة لصرف الناس عن العمـل للآخرة ، وقصر كل المسلم عليه المسلم عليه الماديا وحدها .

ويضيف المستشرق آربرى ان كلا من : المادية ، والإنسانية ، والمذهب الطبيعي ، والوضعية أشكال وصور مختلفة للعلمانية وإن اختلفت التسمية .

وصفوة القاول: إن العلمانية تعنى الإلحاد وهي لاتكتنى بفصل الدين عن الحياة ، كما يفهم أو يروج بعض الكاتبين عندنا هنا في مصر وفي غير مصر من البلاد العربية والإسلاميه . وإنما هي حركة تقوم على انكار الدين وجعله ضربا من ضروب الحزافة والهذيان؟ .

# أهو دفاع عن العلمانية ١٤

وقفنا على حقيقة العلمانية كما يراها منشوها ومنتجوها فى الغرب على المستوى العام والمستوى الخاص ، وشرحوا ــ لنا ـ بحالات تطبيقها وبان لنا عا قدمناه أنها دشى ، لا يكتنى بعزل الدين عن الحياة ( قصـــل الدن عن الدين ـ وتعمل جاهدة على دحره و محوه .

ولم كانت البلمانية قدوقفت عندمماداتها وتمردها على الدين الذي أخترعته الكنيسة لما لامها أحد ، وليكن انتصارها على الفكر اليكنسي أغراها على التمره على كل دين .

ومع هذا التحديد الواضح للعلمائية ومقاصدها ومجالات عملها ها ننا نرى كثيرا منا ـ نحن المسلمين ـ ننظر إلى العلمائية نظرة دفاع ورحمة . ونحاول جادين أن نبرتها بما ثبت لها ، ونجرى فى وجهها الكالح القبيح عملية جراحية لتجميلها ونمريرها .

ولن أعرض للعلما ثبين العرب الذين عرفوا بأنهم علما نيون وجهروا هم بهذه التسمية ، هؤلاء لرب أعرض لهم فأمرهم معروف ، وحالهم مكشوف ومواقفهم مفضوحة .

وإنما نعرض لأناس لم يقولوا إنهم علما نيون ولبعضهم نتاج غزيروفير منتابع فى الكتابة والنشر والتأليف.

فقسد كتب الدكتور زكى مقالاً فى الأهرام بتاريخ ١٩٨٥/٧/١٢ م عرض فيه العلمانية على القراء عرضا مخالفاً لما عليه العلمانية فى الواقع ؛ وكما وصفها أبناء الغرب أنفسهم وهم منتجوها ومصدروها .

كان عنوان المقال: دعين فتحة عين ، وهدف الكاتب أن يقول: ان الهيلما أيه في في مع كسر العين تكون الهيلما أيه في في في في في في في أما الهيلما أيه في في في أما المنتج العين فهى نسبة إلى ، العالم ، يقصد كل الشعوب وكمانت النسبة حسب القواعد الهرفية أن تكون ، العالمية ، لا ، العلمانية وليكن دخليا إبدال وقلب مكانى فصارت ، العلمانية ، نسبة إلى الجالم شرقه وليكن دخليا إبدال وقلب مكانى فصارت ، العلمانية ، نسبة إلى الجالم شرقه

وغربه شماله وجنوبه . وبعد تقرير ه.ذه الفكرة يدلف الكاتب إلى محاولة غريبة بين دالعلمانية، وبين الإسلام ، فيقول : إن الإسلام علماني ، لآن القرآن اهتم بشئون العالم من جو أنب مختلفة . وأخذ يذكر بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن مقاصد عالية من سياسة وتشريع . الخ .

وقبل مقال الاستاذ الدكتور زكى نجيب قرأت مقالا مشابها نشرته جريدة الجهورية الاستاذ مصطفى مرعى ـ شيخ المحامين ـ قال فيه : إن العلمانية بفتح العين لا بكسرها وشرح معناها بمثل ما شرح الدكتور زكى ، ولـكنه لم يتوسع مثله فى تقرير المعاتى وصوق الشواهد عليها .

#### ولنا هنا مع الشيخين وقفات:

الأولى : إن النسبة الصحيحة إلى د العالم ، هى د العالمية ، وليست هناك ضرورة لغوية أو حتى أدنى مسوغ لغوى لأن تحل د العلمانية ، بفتح العين حسكا يدعيان على د العالمية ، فالعالمية نسبة مألوفة ، وهى أخف من د العلمسانية ، فلماذا حلت تلك النسبة د الغريبة الثقيلة ، محل النسبة المألوفة الخفيفة . . ؟ ا

الثانية: إن أحق الناس بوضع . و الحدود والتعاريف وشرح المراد من عنزع ما هم الذين اخترعوه وابتدعوه به لانهم أدرى به من غيرهم فإذا قالوا فيه قولا و جب على د المستهلك و أن يقف عندما قالوه وليس له أن يتفلسف ليضع و للمخترع و إسما غير الذي وصفوه هم و ومحاصة إذا كان التبديل في القسمية يخرج د المسمى و عن حقيقته ومعناه و وهذا هوما اقترفه الشيخان وإن تفاوتت نسبة الاقتراف بينهما.

الثالثة: لم يقل أحد من الفربيين ، ولم ينص معجم من معاجهم على أن و العلمانية ، مشتقة من و العالم ، ومنسوبة إليه . . و إنما قالوا إنها مشتقة من و العلم ، بكسر العين ومنسوبة إليه على غيرقياس ، إلا إن أرادوا من و العلم ، العلم ، العلم ، العين ومنسوبة إليه على غيرقياس ، الله إن أرادوا من و العلم ، العلم ،

من زيادة الآلف بعد الميم : المبالغة ولو أن الشيخين كانا قد قالا : إنها منسوبة إلى و العلم ، المشمر الذي تقوم عليه نهضات الآمم لا نحصر الخلاف معهما حول الهراد من العلمانية أهو العلم المهذب المؤمن ؟ أم هو العلم الملحد . ولكنهما وسعا دائرة الخلاف فارجعا المعنى إلى غير مرجعه ، ومثلهما مثل محام تطوع للدفاع عن بحرم مقر أمام القضاء بإجرامه ، معترف بخطيئته داعما اتهام نفسه بالآدلة والبراهين القاطعة . فإذا بالمحامى يترافع عنه — رغم اعترافه ، والإعتراف مع الرشد \_ سيد الآدلة ، ويقول ، أى المحامى — أن المتهم برى ه .

أو مفاهدا مثل من يسأل آخر عن إسمه ، ثم يقول له : لاليس إسمك كذا وإنما إسمك كذا؟ 1

إن المتهم أدرى بما فعل ، وأعترافه الحر الراشد ، يقطع كل جدل ؟! .

أو مثل الشيخين مثل من يحذف د الياء ، من كلمة د شيطان ، لتصبح بعد الحذف د شطان ، مشددة الطاء ، فيزيل بهـ ذا قبحا ، لأن الشيطان رمز الشرور والفتن ، ويثبت حسفا ، لأن د شطان ، تثنية : شط أوشاطىء وشط النخل أو شاطىء الماء ومعناهما بيتان البهجة ، والسرور عند السامع بخلاف معنى د شيطان ، المقبض الكثيب .

ولست أدرى: أهـذا دفاع من الشيخين عن العلمانية ؟ أم عدم وقوف منهما على معناها المنصوص عليمه فى دوائر معارف الغرب ، ومعاجمه العامة والخاصة ؟ 1 .

لا أستطيع أن أجيب ، وإن كنت لا أستطيع أن أكف عن النساؤل؟!

ومهما يكن من دفاع عن العلمانية فإن تاريخها العملي في كثير من البلدان يؤكد أنها - كما شرحها الغربيون - أيديو لجية مدمرة ، وبدعة من بدع العصر إن أفادت في جانب دمرت وأفسدت في جوانب ، وإن الشقاء الذي يخيم على العالم - لأن - من أخطر أسيابه العلمانية الجاهلة .

# عوامل مساعدة على نشأة العلمانية وتطورها :

عرفنا أن الوضعية التي أرسى اصولها أوجست كو أت كانت أحد ردود الفعل على التعصب البابوى وجود الكنيسة على قوالب جافة من العقائد وأشكال باهته من رسوم العبادة ، ومعارف بالية من خداع الفكر . كما عرفنا أن وضعية كو نت قصدت فيا قصدت تقليص الفلسفة العقلية ، وإثبات فشلها في القيادة والتوجيه ، وإفلاسها في أحداث أنماط جديدة من الحياة تلائم معارف العصر وثفافاته و تصوراته الطموحة .

وقد استطاعت الوضعية أن تنحى كلا من الفكر الكنسى والفلسفة العقلية المثالية ، وأن تستأثر بعقول المثقفين وتكتسب صداقتهم لها ، حتى افتتنوا بها وعدوها مثلهم الأعلى فى الحياة .

بيد أن العلمانية \_ مع هذا كله \_ وقد حلت عل الوضعية المادية \_ كافت مائزال فى حاجة إلى وقائع وعلمية أخرى، تبسط نفوذها من خلالها، وتشبت أقدامها فى الميدان فأبرز الكشوف كان:

- \* نظرية كوبرنيق حول مركزية الشمس للكون ، وكروية الأرض ودورانها حول الشمس .
- ع نظرية إسحق نيوتن للجاذبية ، وكان لهما تأثير كبير في توطيد أقدام الوضعية الممهدة للعلمانية فها بعد .

 وقد كان ذلك المدد المنتظر ممثلا فى أربع دعائم وجدت فيها العلمانية أكبر عون لفرض نفسها كأيدبولجية بديلة جـــديرة بالتقدير . والدعائم الأربع هى :

- نظرية داروين في التطور وأصل الأنواع .
- ه نظرية فرويدفي التحليل النفسي. وقد أحيت ها تان النظريتان كلا من :
  - ه نظریة مکیا فللی فی الحـکم .
- نظرية جان جاك روسو فى أصل السلطة . وفيها يلى بيان لسكل واحدة
   منها وأثرها فى تطور العكر الوضعى العلمانى :

#### الداروينية :

ولد تشسارلن داروین فی انجلترا یوم ۱۲ فسیرایر ۱۸۰۹ م ، وتوفی عام ۱۸۸۹ م فهو من مفکری الفرن التاسع عشر للذی کانله أثر بعیدالمدی فی تطور الفکر العلمانی فی القارة الاوروبیة وقتذاك .

وقد أصدر داروين كتابه ، أصل الأنواع ، عام ١٥٥٩ م ، وذهب فيه إلى أن أنواع الأحياء \_ جميعا \_ وهي النبات والحيوان والإنسان ، لم يخلق كل نوع منها خلقا مستقلا . بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة (الهروتبلازم) ثم ظهر الحيوان الدودي ، ثم الشوكيات ثم النشويات ، ثم ظهرت صور جديدة من الحيوان ، دل وجودها على وقوع انقلاب خطير في سير الحياة ، وأصبح ابذه الصورة حبل متين تدرج بو اسطة التطور إلى تكوين الفقار ، فو جدت الفقاريات واللافقاريات . ثم نشأت البرما ثيات كالصفادع، ثم تعدرج سلم البحلور من البرما ثيات إلى الزواحف كالحيات ، ومنها شأت الطيور، وذوات الثدى . ومن ذوات الثدى نشأت القردة ، ومن القردة بشأت البشريات أو الإنسان (٥٠٠) ؟

<sup>(</sup>٥٩) أصل الأنواع بتصرف ، نقلا عن: (موقف الإسلام من نظرية ماركس ٠٠) ١٦٤٢ .

و يمضى داروين فى شرح نظريته فيرى أن الأنواع وجدت على الطبيعة متأثرة بالظروف الحارجية المحيطة بها ، وأنها \_ أى الأنواع \_ أخذت تتطور عن طريق الصراع وطلبا للبقاء . وأن الطبيعة كانت تـ قى الأصلح وتزدرى غير الأصل ، وهذا هو مايسمى فى مذهب النشوء والإرتقاء به : والانتخاب الطبيعى ، أى اختيار الطبيعة لبقاء الأصلح وانقراض غيره من الدنايا .

وأنت ترى أن التطور عند داروين بدأ من نقطة هى « البروتو يلازم » وهو الصورة البدائية للحياة . وانتهى عند نقطة هى : «البشريات أو الإنسان» وانتهى داروين إلى أن الآنواع الحالية على اختلافها يمكن أن تفسر بأصل واحد أو ببضعة أصول تمت و تـكاثرت وتنوعت فى زمن مديد بمقتضى قانوت: « الانتخاب الطبيعى ، أو « بقاء الاصلح ، وهو القانون اللازم من « تشازع البقاء ، (٢٠) ؟ ا

وداروين لم يكن أول من ذهب إلى هذه الفيكرة فقد قال بها قبله كشيرون ومنهم من عمم فيكرة النطور هذه حتى شملت نوعى النكون وهما: المادة غير العضوية . و المادة العضوية بأنواعها الثلاثة : النبات والحيوان والإنسان و من ذهب هذا المذهب [ التطور العام في العضويات وغير العضويات ] هزبرت صبنسر ( ١٨٢٠ -١٩٠٣م) وهومن معاصرى داروين . ومن قبل سبنسر هاملتون ( ١٧٨٠ - ١٨٠٤م) وعما نويل كمانت ( ١٧٢٤ - ١٨٠٤م) .

فالفكرة كمانت مطروحة قبل داروين وفى أيام حياتة، ولكن داروين قبحاش القول بالتطور العام واقتصر على أحد شقيه، وهو تطور الحكائنات العضوية. ولهذا الاختيار عند داروين سبب أحسن أستاذنا العقاد فى الحديث عنه أو قل: الحكيف عنه، وخلاصة ما ذكره العقاد يقهم منه أن داروين صرف عن القول بالتطور العام خشية الوقوع فيما وقع فيه سبنسر والقاً ألون به عن القول بالتطور العام خشية الوقوع فيما وقع فيه سبنسر والقاً ألون به عن القول بالتطور العام خشية الوقوع فيما وقع فيه سبنسر والقاً ألون به على المناسر والقاً المنابع المنابع المناسر والقاً المنابع المنا

<sup>(</sup>٦٠) الإسلام والفسكر المادى (٧٧) دُ • الحمد الشأغر •

لأنهم صدموا بعـــدم معرفة الأصول الأولى المؤثرة فى تطوير الـكون. فلم يجرؤا على تفسيرها ، ولم يجرؤا على إنـكارها . . !

ولذلك ارتضى سبنسر أن يقف التطوريون العامون بالمعرفة الإنسانية عند الآثار الظاهرة التي يدركونها ، وإن يحجموا عما وراءها يما لا يدرك لا بالعقل ولا بالحواس . فالمعرفة الإنسانية عند التطوريين العامين نوعان : نوع مدرك لأنه ظاهر ونملك وسائل إدراكه .

ونوع غير مدرك، مع أنه موجود، ولكننا لا ، لمك الوسيلة الموصلة إليه.. ؟! النوع الظاهر هو المؤثرات الطبيعية فى الـكاثنات العصوية، وهو ما انتصر عليه داروين .

أما النوع غير الظاهر فهو يتلخص في هذا السؤ ال المزدوج:

, ماذا خارج الـكون كله يرجع إليه تطور الكون منذ البداية الأولى. وكيف يتفق القول بالتطور والقول بالأبدية التى لاأول لها ولا آخر إذا قيل أن الكون موجود بلا ابتداء ولا ختام ،(٩١) ؟ ١

وهذه وقفة فاقدة وذكية تمدح للاستاذ العقاد . وأرجو من القارىء أن يحتفظ بها ريبًا نعود إليها بعد قليل .

أثر الدارويتية في القارة الأوروبية :

أُولًا: عند العلماء:

<sup>(</sup>٦١) الإنسان في القرآن السكريم (٧٧) ط: دار الهلال.

« إن فى عقولنا تعصباً برجح التفسير المادى للحقائق ،<sup>(٦٢)</sup> .

ويقول سير أرثر كيث: « إن نظرية النشوء والإرتقاء غير ثابتة علميا ، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحر لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد ـ بعد ذلك \_ هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر ؟ . وهـذا مالا يمـكن حتى [ مجرد ] التفكير فيه ، (٦٢) ؟ !

فتأمل عزيزى القارى. حدا القول المتعسف . فآرثر كيث يعترف بكل وصوح أن نظرية داروين لا يمكن إثباتها عليها . وأن إثباتها عنطريق البرهان أيا كمان مصدره عليها أو عقلياً ـ مستحيل .

وهذا الإعتراف كاف في إسقاط النظرية لو كان السير كيث من يعقلون ؟!

والكنه يصرح بضرورة الإيمان بها اضطراراً. .ولأى سبب ـيا ترى ـ ١٤

إن السبب أفصح عنه الـكاتب: إنه الفرار من الإيمان بالخلق الخاض المباشر - وهذا الإيمان ـ يقود إلى الإيمان بالله العظيم خالق كل شيء.ولذلك فر منه السير كيث وارتمى فى أوهام الدارويتية كما ترى ١٢

إلى هذا الحد الزرى ألفَى السيركيث عقله ؟ ومن أجل أي شيء؟ من أجل اختيار الكفر والإلحاد، فراراً من الإيمان بالحالق العظيم المدبر.

#### ثانيا: عند عامة الناس:

تركت نظرية داروين فى المحيط العام الأوروبي آثاراً سيســة للغاية ، وما تزال أوروبا غارقة إلى الأذقان في آثار الداروينية في الإعتقاد والسلوك حتى ولو كانت غير ملاحظة عند التطبيق ، ومن أبرز آثارها السيئة ماياتي :

<sup>(</sup>٩٢) عالم الأسرار لجيمس جنز ( ١٨٩ ) انظر الإسلام يتحدى ( ٣٩ ) .

<sup>(</sup>٦٣) مذهب النشوء والارتقاء (٦) نقلا عن الإسلام يتحدى (٤٠)

١- خلق موجة من الإلحاد وبلبلة الأذهان والكفر بما ورد فى الكتاب المقدس عن قصة آدم وحواء ، واعتقاد أن الجنة التي كانا فها وهم من الأوهام .

٧- ننى الغاية و القصد: كانت التعالم الدينية تعبد الناس بحياة أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه، والمسىء على إساءته. فجاءت الدارويتية تقول لهم: إنهم ثمرة من ثمار تطور الطبيعة، ولم يخلقهم إله لعبادته فيجازى المحسن بالإحسان والمسىء بالإساءة. وأصبح من العبث الإيمان بأن الإنسان مخلوق لغاية وقصد فالطبيعة هي الخالقة، وهي لا تريد أن تعبد وليس عندها ثواب ولا عقاب.

د من المسلم به أن الإنسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ، ولكن قد تحل محله [ في السيادة ] القطة أو الفأر ، (٦٤) ؟ ١

و نتج عن هذا كله أن فقد كثير من الناس الثقة فى الحياة وأصيبوا بذهول قاتل لآن الإنسان إنما يميش بالآمل و يحيا من أجل غاية أسمى ومقصد بحسن يثير لديه كل الطاقات.

٣- تولد شعور عند الناس بأن و الإنسان ، حيوان لا غاية له ولاهدف يسعى إليه . فاذا يفعل ـ إذن ـ وقد اهتز إيما نه بفكرة الخالق المدبر المطلع على السراء . وقيل له : إن خالقه هو المادة، وقو أتينها هي النافذة فيه . وهو لا يرى في المادة إلا الصمت المطلق والعجز المطلق .

ع - و تولد عن الداروينية فكرة النطور المطلق غير المقيد بأية صوابط عدا تحكم الطبيعة غير العاقلة ،الى تخبط ـ كما يقول داروين نفسه خطعتموا . .

<sup>(</sup>١٤) مدركة النقاليد (١٥٩).

فعمليه الخلق الطبيعى عملية حتمية لا تدبير فيها ، والتطور نفسه قلق مضطرب، فليس ببعيد: أن يعود الإنسان فرداً ، أو صفدعة أو ماشئت من الكائنات الدنيساء؟!

والذلك ظهرت الإباحية والتفسخ الخلق وعبادة الملذات قبـــل فوات الآوان ما دام الإنسان لا يرى فى الـكرن حقيقة ثابتة . بل الآشياء رهينة التطور المزعوم .

### الدفاع عن الإلحاد :

وقد تطوع كثير من المفكرين الحالمين بزوال الإيمان بالله ، بالدفاع عن العلمانية والإلحاد ممثلا في نظرية داروين. يقول لويون:

د إن الزمان إله ؛ لأنه هو الذي يولد المهتقدات ، فينميها ثم يميتها ... إن الزمان هو صاحب السياده الحقيقية فيفا . وما عليفا إلا أن نتركم يعمل لنرى كل شيء يتحول ويتبدل ، (٦٠) ؟ ١.

ويقول جون لويس : « نظرية النطور والإرتقاء لا تستيمد قوى مافوق الطبيعة من عملية الحلق فحسب . بل تضع بدل هذه القوى تطور الحياة الطبيعى وقد كان هذا تجديداً مدجمًا ، (٢٦) ١٤

جوناويس ـ سعيدجداً ـ لأن نظرية داروين لم تكتف بإبعادةوى مافوق الطبيعة (الله سبحانه) من عملية الخلق فحسب، والكنها جاءت بالبديل عنها وهو تطور الحياة الطبيعى المستغنى عن قوة أخرى تؤثر فيه ١١٤.

ويرجح جوته عوامل استقاء النظرية إلى أسباب علمية تمادية بحتة فيقول: « إن الدلائل فى تأييد المذهب المادى قد أتت فى الغالب من ثلاثة مصادر : علم الاحياء ، وعلم النفس ، والفيزياء ، .

<sup>(</sup>٥٥) روح الجماعات (١٠٣ - ١٠٤) ٠

<sup>(</sup>٦٦) نظرية التطور وأصل الإنسان (١١) .

هذه النظرية قوت الصلة بين النظر القاصر، والتفكير الفطير وبين الإغترار بالمدانية، وأنها كافية فى تفسير ظو اهر الـكون وأسراره فلا حاجة إذن إلى الإيمان بالله ؟ ١ . إذ لم تدع إلى هذا الإيمان ضرورة فيها بدا لهم وقتذاك .

### دور اليهود في ذيوع النظرية :

لذبوع نظرية داروين عدة عوامل كالصراع بين الدين والعلم ، وتقلص الفكر الكنسى، وعنف الثورة الصناعية التي مسخت صورة الحياة في أوروبا وشيوع الإباحية ، وزعزعت القيم الفاصلة .

ولكن عاملا آخر حظيراً أخذ على عاتقه مهمة الترويج لهذه النظرية بكل وسيلة مكنة .

#### يفصح لك عن هذا قول اليهود:

« لانتصوروا أن تصريحاتناكلمات جوفاء . ولاحظوا – هذا – أن نجاح داروين ، وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل . والآثر غير الآخلاق لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الآءى سيكون واضحا لنا على التأكيد (٢٦) . اليهود ليسوا وراء نظرية داروين فحسب ، بل وراءكل فكر مادى مدمر فهم وراء ماركس وماديته الجدلية (الشيوعية) ووراء نيتشه فى تمرده على حقائق الإيمان (٢٧)، ووراء فرويد فى تقديس الجنس ، وراءكل فكر ملحد ،

واليهود لهم هدف خطير فى مثل هذه المذاهب ؛ لانهم يحلمون بالسيطرة على العالم. وهى غير ممكنة إلا بعد وقوع انتكاسات فى العالم فىمقدمتها تدمير

<sup>(</sup>۲٦)برو اوکولات حکاء صهیون (۲۰۱) .

<sup>(</sup>٦٧) انظر فى نيتشه : قصة الفلسفة (٧٠٥) وكانت له آراء جريثة طائشة فى الدين. والأخلاق ونظام الحكم ، ثم أصيب بالجنون والعمى فى آخر حيانه وماتسنة. . ١٩٩م. وهو مجنون ١٤

العقائد الدينية ، ونشر الإباحية وترويج الدعايات للجنس والملذات الرخيصة وتفكيك النظم الاجتماعية والسياسية والاسرية ، وعلمئة الثقافة والفن والاخلاق والامميون: كلمة ، يطلقها اليهود على من ليس يهودياً . مسلمين ونصارى وغيرهم من شعوب الارض .

### وخلاصة القول فى نظرية داروين :

- لاتؤدى إلى يقين.
   وداروين نفسه لم يخزم بصحة مدعياته ، ولذلك تردد كثيراً فى إعلانها تحسبا
   لما سيكون لها من ردود فعل عنيفة .
- ه إن داروين كان ماديا صرفا ، ووقع فيها وقع فيه الحسيون من بين يديه
   و من خلفه ؟ .
- \* إن الإيمان باقه ، والتصديق بنظرية داروين لايحتمعان فى قلب رجل واحد أبدا لأن مدعيات داروين فيها تكذيب صارخ بالخبر الصادق الذى جاء به وحى الله الأمين .

. هذا وبمرض نظرية داروين على الإسلام يظهر القارى، بطلانها وزيفها من أقصر طريق .

# موقف الإسلام من نظرية التطور:

التطور ثلاثة أنواع:

- ه تطور فى طبيعة الخلق و تولد الآنواع والسكون من القلة إلى السكثرة . ومن البساطة إلى التكور العام في غير العضويات وفي العضويات . على مذهب هاربرت سبنسر وأصحابه .
- م تطور بالمعنى المذكور ولسكنه مقصور على السكائنات العضوية الثلاثة : النبات والحيوان والإنسان ، كما يرى تشارلز داروين ومشايعوه .

» تطور من البدائية إلى التحضر، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفردية إلى الاجتماع ومن السذاجة إلى الذكاء والفطنة مع أن كل نوح من أنواع المخلوقات مخلوق خلقا مستقلا مباشراً، بقدرة الله وإرادته وندبيره.

هذه أنواع ثلاثة من صور التطور . الإسلام يقر بواحد منها ، وهو الثالث ، ويرفض الأول والثانى ؛ لأنهما يسعيان إلى إضفاء صفة الإستقلال الطبيعي في الحلق والتسكوين . فالطبيعة فيهما تحل ـ أرادوا أم لم يريدوا ـ عل و الله ، ١١١٤

والتطور الذي ذهب إليه داروين قد حط فيه من قدرالإنسان. فالإنسان في الإسلام مخلوق كريم قد فضله أنته على كثير من خلقه .

وآدم أبو البشر قد جاء صريح القرآن بنيان قصة خلقه من تراب خلقا مستقلا لم يكن نتيجة لتطور أنواع كما زعم داروين ·

أما حواء أم البشر فقد خلقها الله من نفس آدم عليه السلام . وبث منهتها لا من غيرهما رجالاكثيراً ونساء . وأرسل إليهم رسله مبشرين ومنذرين ، واقعة قد خلق آدم يوم خلقه على الصورة التي نرى ذريته عليها ، صورة ، في أحسن تقديم ، كما جاء في القرآن السكريم ويقول الله تعالى مخاطبا الإنسان :

ديا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ؟ الذي خلقك فسواك فعدلك .. ويقول سبحانه: « وصوركم فأحسن صوركم » .

وفى الحديث الشريف: «إن الله خلق آدم على صورته، ولهذا الحديث معنيان عند العلماء كلاهما يعليان من قدر الإنسان. أحدهما، وهو الذي تميل إليه: أن الله خلق آدم يوم خلقه على نفس الصورة التي وجد بها وتوارثها عنه بنوه ومعنى هذا أن آدم أو الإنسان عموما لم يمر بمراحل في الحلقة ظوراً

بعد طور على النحو الذي لهج به داروين ومتابعوه . و يكون ـ على هـدا ـ هذا الحديث كأنه رد موجه قصدا إلى مدعيات داورين . وهو ـ كدلك لحجة من الإعجاز النبوى الذي كان فيه ـ عليه السلام ـ لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى . وكم من الغيبيات التي ألمح إليها عليه السلام بإلهام من ربه فجاءت كفلق الصبح .

فالمسلم لايحتاج إلى عقيدة فى الإنسان غير العقيدة التى جاء بها القرآن هذه العقيدة القرآنية تجيء العقائد ثم تذهب أشبه ما تـكون بموديلات الموضة وهى ثابتـة لاتزول ولانقبدل ولا تخضع للطوارى، والتغيرات ؛ لأنها خبر صادق حكى الواقع فى أمانة وصدق . بينها كل عقيدة بديله تقوم على الأوهام حينا والتخمينات حينا آخر ، والخبر الصادق لايقبل الننى . وكل من حاول تفيه ركب متن الشطط . وتاه فى ضلال الأوهام .

ويكنى فى مذهبى التطور العام والخاص أنهما أحيطا بأخطر المشكلات الى قد استعصت على الحلول ، ولن بزال ذلك شأنها إلى الأبد .

فقد رأينا أن هاربرت سبنسر وهيوم وهما من القائلين بالتطور الطبيعى العام قد صدما بالآصول الأولى التي حدث عنها التطور . واكتنى سبنسر أن يقسم المعارف الإنسانية قسمين كبيرين كما سر. أحدهماما يتعلق بالآصول الأولى واعتذر سبنسر بأنها تدرك ولاتعرف ؟ لأننا لم نزود بوسائل تمكننا من معرفتها وما أكثر الأشياء التي يحس بها الإنسان ثم لا يعرف كنهها.

والآصول الأولى هذه كثيراً ما يطلق عليها أصحاب مذهب التطورالعام: القوى التي هي فوق الطبيعة . وبعضهم يطلق عليها د القوة الحيوية ، هكذا على الإبهام . وكانت الحقيقة على طرف التمام منهم لوطلبوها . فالمجهول الذي أطلقوا عليه : القوى التي فوق الطبيعة ، أو د القوة الحيوية ، إنما هو د الله ، لوكانوا يعقلون ؟ ا

و هروب داروين تفسه من القول بالتطور الطبيعي العام كان مبعثه

ـ كما تقدم ـ فراره من أن يجد نفسه وجها لوجه أمام قوى ما فوق الطبيعة أو القوة الحيوية التي تقود التطوريين جميعا لحتمية الإيمان بالله خالق الكائنات.

وهروب داروين إلى القول بالتطور الخاص فى العضويات دون التطور العام لم ينجه من الوقوف أمام نفس المشكلة ، التى صدم بها سبنسر ؟ لأن قسيم داروين فى القول بالتطور العضوى أفصح فى وضوح أن وراء هذا التطور قوة مدبرة ، وكان هذا الإفصاح سببا فى أن يختفى الفريد رسل والاس قسيم داروين من التاريخ ، وأن ينسب مذهب التطور إلى داروين وحده . لأن ذلك يوافق مذهب اليهود والعلمانيين حيث انتهى إلى ، الإلحاد ، وهو المطلوب عنسده .

أما ما انتهى إليه الفريد رسل والاس فإنه يمهد الطريق - يحق إلى الإيمان بالله . والإيمان بالله أعدى أعداء البهود والعلما نيين على حد سواء وأرجو أن يستحضر القارىء الكريم ما نقلناه - قبلا - عن السير أرثر كيث حيث جزم بأن نظرية داروين لاتثبت علميا ولاعن طريق برهان . وهذا حقوصواب ولكن أرثر كيث مع هذا الفهم يفرض على نفسه قبول نظرية داروين ، لا لانها صحيحة أو ممكنة الوقوع . ول كن لانها البديل عن الإيمان بالله .

و نختم جولتنا مع الداروينية بكلام لداروين نفسه حول نظريته هذه . ولنا عليه تمقيب قصير :

فقد وجه مستر فوردايس مؤلف كتاب و ملامح من الشكوكية ، سؤالا إلى داروين عام ١٨٧٩ م أى قبل وفاته بثلاث سنوات يستوضحه فيه عقيدته الدينية ، فأجاب داروين بالآتى :

وإن آرائى الحاصة لاخطرفيها ولاتعنى أحداً غيرى . والكنك سألتنى فأسمح لنفسى أن أقول: إننى متردد، والكننى فى أقصى خطرات هذا التردد لم أكن قط

ملمحداً بالمعنى الذي يفهم منه الإلحاد على معنى أنه إنكار لوجود الله. وأحسب أن وصف اللا أدرى يصدق على في أكثر الأوقات ـ لافيجميمها ـ كلما نقدمت بي الأيام ، (٧) .

### تعقيب:

يفهم من هذا السكلام أن داروين لم يكن يجزم بمدعيات نظريته ، وأنه لم يقصد بما قال إنكار وجود الله . كما يفهم منه أنه كلما تقدم به السن علا عنده جانب التردد على جانب الإعتقاد . أنه يفضل أن يصف ففسه بـ و اللاأدرية ، إذن فقد كان الرجل ـ في آخر حياته كما يفهم من كلامه أنه ولا أدرى ،

وهذا ما حمل المقاد على أن يقول فى مواضع متعددة من كتبه أن داروين لم يكن ملحداً .

ويرى الاستاذ يوسف كرم أن داروين إنما تظاهر بنفى الإلحاد عن ففسه مجاراة للرأى العام - وإنه انتهى فى آخر حياته إلى القول بأن المسألة التى خاص فيها تسمو فوق مستوى العقول (٧١) .

ومعنى هذا أن داروين خرج من الحياة غير واثق كل الثقة بمدعيات نظريته . واعترافه بأن المسألة فوق مستوى العقول اعتراف منه بالقوى التي هي فوق الطبيعة أو القوة الحيوية . ومعنى هذا \_ مرة أخرى \_ أن الحلقة المفقودة في مباحث التطوريين ، وهو دليل الإيمان الصادق بالله قهرت أنصار التطور الطبيعي المادى ، فما كان منهم من أحد إلا ووجد الطريق أمامه مغلقاً . وكان مفتاحه في أيديهم لو أرادوا أن يفتحوه وليس ذلك المفتاح شيئا غير

<sup>(</sup>٧٠) عقائد المفكرين في القرن المشرين (٥٦) الأستاذ عباس المناد سط الأنجاد.

<sup>(</sup>٧١) تاريخ الفلسفة الحديثة (٢٤١)

الإعتراف بالخالق العظيم الذي يسجد له من في السموات ، ومن في الأرض طوعاً أو كرها .

ومصير داروين هو مصيركل العلما نيين الذين يزعمون أن العلم المادى قادر على الشرح و الإيضاح وكشف العلل و الاسباب التيوراء هذا السكون. خيبة الآمال، وانغلاق الطريق هو عاقبة كل عالم جاهل وكل عاقل متمرد.

ورحم الله أستاذنا العقاد إذ يقول:

و إن القرن العشرين لم يضع الإنسان في موضع أكرم له وأصدق في وصفه من موضعه عند أهل القرآن بين خلائق الأرض والسياء . وبين أمثاله من أبناء آدم وحواء . موضعه بين خلائق الأرض والسياء أنه المخلوق المميز الذي يهتدي بالعقل فيا علم . وبالإيمان فيا خني عليه ، وموضعه بين بني آدم وحواء أنهم إخوة من عشيرة واحدة أكرمها من كرم يما يعمل ويجتنب من سوء ، وأفضلها من له فضل بماكسبه وما اتقاه ، لا يدان بعمل غيره، ولا ينجو من وزره بغير عمله ، (٧٠).

ثم ختم الاستاذ العقاد كلامه هذا بكلام رب العالمين:

, تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ولانسالون عما كانوا يعملون . .

### الفـرويدية:

الفرويدية نسبة إلى سيجموند فرويد الذى ولد عام ١٨٥٦ م وتوفى عام ١٩٣٩ م وتوفى عام ١٩٣٩ م وورفى عام ١٩٣٩ م وهو نمساوى الأصل بهودى العقيدة وقد برز إسمه فى دراسات علم النفس الحديث وله فيها عدة مؤلفات و فشاطه فى هذا الججال غزير ومتعدد .

<sup>(</sup>٧٢) الإنسان في المترآن السكريم (١٧٧).

ولانعرض للفرويدية هنا إلا من ناحية إسهامه فى والعلمانية المادية، باعتباره حلقه تالية للداروينية، وتطويراً لها . كما نركز على بيان موقف فرويد من الدين به عام . ومن بعض صور الإلزام الخلق، وهو إحدى القضايا التى شاع أمرها بين فلاسفة العصر الحديث وإن كان لها تاريخ صارب فى القدم يرجع إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام (٧٢).

ومن يقارن بين الداروينية والفرويدية يتدين له بوضوح أن فرويد بدأ من حيث انتهى داروين .

فداروين حين بدأ فى سلسلة التطور من الحلية الأولى ، البروتوبلازم ، انهى فى سلم التطور بالبشريات كما تقدم ومنها - عنده ـ الإنسان ، وهو آخر نقطة فى رحلة التطور كما تقدم .

ثم جاء فرويد وبدأ بالإنسان من حيث انهى إليه داروين وقاده فى مرحلة لاحقة حيث أخذ يقنن سلوكيات الإنسان ، ويفلسف تصرفانه على نحو مادى صرف ؟!

مطرحاً من منهجه كل المؤثرات إلا المؤثرات المادية التي تدفع بالإنسان كفعل منعكس لمؤثر آخر خارجي . ويفسر فرويد مدا \_ بعض الأخلاق على أنها تدبير بشرى لجأ إليها البشر في المراحل الأولى من وجوده على الأرض ليدفعوا عن أنفسهم بعض أخطار أنفسهم عند تعارض الرغبات ونشوه الصراع بينهم .

و فرويد يركز كثيراً على مقولة ، اللاشبور ، وهو بمثابة مخزن مخنزن فيه

 <sup>(</sup>٩٣) من أهم المسادر التي حللت تضية الإلزام الخلق ومسادره كتاب مشكلات المسلمة النخبة من العاماء كان يدرس لطلبة الثانوية العامة في الخسينات .

<sup>(</sup> ١٠ - النصوس المقدمة )

الانفعالات التي لم تجد فرصة لإشباعها ، وبواسطة واللاشعور ، تصدر عن الإنسان كثير من التصرفات .

و يكاد فرويد يرجع كل نشاطات الإنسان إلى و الفريزة الجنسية ، ويرى فرويد أن الإحساس الجنسي يظهر عند الإنسان مبكراً جداً منذ مرحلة الطفولة الباكرة يتخيلها الطفل ويسعى لإشباعها . في صور متعددة ، منها : التذاذه بالتقام ثدى أمه وامتصاص لبنها ، ومنها التذاذه بضم أمه إليه واحتضائها ؟ ا

بل إن إخراج الفضلات من الطعام والشراب (قضاء الحاجة اليومية ) يعتبره فرويد تعبيراً عن الإحساس الجنسي وإشباعا له ١٤.

ومن أوهام فرويد المؤسسه على دور الإحساس الجنسى فى تـكوين سلوكيات الإنسان أن تحريم الزواج بالمحادم ( القريبات جدا ) يرجع إلى هذا الإحساس ١٢.

ويفسرفرويد هذا بأن الأولاد ـ قديما عند بدائية الإنسان ـ كانوا يميلون إلى وأمهائهم، ميلا جنسيا، وكل منهم كان يرغب في الاستثنار بالآم دون بقية إخوته . وهذا سبب عندهم نوعا من الصراع يقع بين الإخوة في التنافس على الاستثنار بالآم والزواج يها .

ومن ناحية أخرى كانوا يرون أباهم يحول بينهم وبين الاستثفار بالآم، وليس لديهم وسيلة لإبعاد الآب من طريقهم إلا بقتله ٤٠٠ ا

وقدكون عندهم هذا الصراع فيها بينهم، وكراهية أبيهم مشكلة تتطلب حلا فلجأوا إلى تحريم الزواج من الآم ليتفادوا الصراع الذي يدور بين الإخوة بعضهم ضد بعض ، ويتفادوا كذلك كراهية أبيهم التي تدفعهم إلى قتله ... ١٢٠

وهذا الاتفاق بين الإخوة كنا ثمرة لتحربة مرة في زعم فرويد . لانه

يزعم أن الأولاد فى بدء الخليقة كانوا يقتلون أباهم من أجل إفساح الطريق أمامهم إلى الآم ليماشروها جنسيا . ولكنهم كانوا يندمون بعد قتل الآباء . وأنهم كانوا يقدسون ذكرى الآب ، المقتول ، وهذا التقديس نشأت عنه أو « عبادة ، فى البشر ومنها نشأت فكرة الدن . . ؟ !

أما تحريم الزواج من الآم على النحو الذي عرفنا أسبابه عند فرويد فقد سرى بعد ذلك إلى تحريم الزواج من كل المحارم .

ثم سرى التحريم من المحارم إلى كل المحرمات والمحظورات(٧٤). ١٢

### الدين حاله مرضية :

و يذهب فرويد مع أوهامه حين يفسر لك سبب نشأة الدين والتدين عند الإنسان . ولا يخرج فرويد الدين عن أنه حالة أو ظاهرة مرضية عندالإنسان فيةول :

ر إننا إذا حاولنا أن تحدد الدين مكانه فى تاريخ تطور الإنسانية لم يبد إنه كسب خالد بقدر ما يبدو أنه نظير للمرض النفسى الذى لابد أن يجتازه الإنسان المتحضر وهو يتطور من سن الطفولة إلى سن النضج » .

#### تعقيب

هذا عرض سريع جداً للجانب الذي يهمنا في نظرية فرويد . ومع هذا الإيجاز تستطيع أن تستحلص الحقائق الآنية :

١ ـ إن فرويد ينظر إلى الإنسان على أنه . حيوان ، تتحكم فيه العوامل المادية الصرفة ؟ ١

٧ - إنه يقطع الصلة بين الإنسان وما وراء الطبيعة ، أي بحائقه ومولاه؟!.

<sup>(</sup>٧٤) انظر : التطور والثبات في حياة البشر (٧٨ –٤٩) ، محمد قطب .

٣٠ يفسر سلوكيات الإنسان وفشاطاته على أنها نتاج الغرائز الجنسية باعتباره أحد فصائل الحيوائية البهيمية ؟.

٤ - يزعم أن التحليل والتحريم من صنع البشر لجأوا إليه لتفادى
 نواعات وصراعات كأنت تحتدم بينهم . وأنأول محرم كان زواج الآم ثم عم جميع المحرمات .

ه - يفسر الدين والعبادة تفسيراً بشريا فأصل العبادة والدين هو تقديس الأب د المقتول، في ذكراه ١٠٠٠

إنه يرى أن نشأة دهذا الدين، إنما هو ظاهرة مرضية شبيهه بالمرض النفسى وأن الدين - فى نفسه لليس كسبا خالدا ، أن على الإنسان المتحضر أن يحتازه ويبرأ منه عند الاكتمال والنضج كا يبدأ الطفل حين يكبر من أشياء كان يحترمها فى حال الطفولة ، ثم يظهر له بطلانها فى سن الرشد وكال الوعى ٥٠٠٠

وبهذا ترى أن فرويد قد اسهم فى بناء صرح العلمانية المعاصرة ، وأمدها بكثير من الأوهام التى تذرعت بها العلمانية المادية عند ماركس فيها بعد .

# موقف الإسلام من نظرية فرويد :

. إن أول ما يواجه به المسلم مدعيات فرويد هي أنها فروض لم يقم عليها . دليلا واحداً مقنعا .

ومباحث علم النفس حتى هذه اللحظة ماتزال فى جو انب كثيرة منها مهروزة ...

ومدعيات فرويد مبناها الخيال ومبعثها مجاربة الدين والتدين ليفسح المجال و وهو يهودى ـ لتحقيق الحلم السكبير الذى تحلم به الصهبو أية العالمية، وهو سيطرة البهود على العالم ١٠٠٠

فثلا هل يستطيع فرويد ومشايموه أن يثبت علميا أو تاريخياً حالةواحدة من مدعياته ١٤ من هم الأولاد الذين قتلوا أباهم ليفسحوا لانفسهم الجال في الشمتع بأمهم ١٤ وفى أى عصر كان هذا ١٤ وفى أى مصدر من مصادر الراوية الصادقة اطلع عليه . ١٤

هل لديه إثارة من علم فيخرجه لنا . ١٤

وامتصاص الطفل لثدى أمه ليس إشباعا لغريزة الجنس المبكرة كما يدعى هذا اليهودى المأفون . وعلم النفس الطاهر العفيف يملك تفسيراً وحيداً صحيحاً لهذه الظاهرة :

إنه الإحساس بالجوع والحتواء. ولذلك فإنه حين يشعر بالشمع سرعان ما يترك ثدى أمه ويروح في نوم عميق . •

أما ضمه لأمه فله تفسيره الممقول عند المقلاء . إن النفوس جبات على حب من أحسن إليها . ولذلك فإن الطفل لايحتضن أمه إلا في مرحلة لالجقه لمرحلة طفو الله الها كرة . وهو في هذه الحالة يحتضنها الشعور د بالحفان والعطف تحوها . إنها وطنه الأول والنفوس مفطورة على حب الأوطان . ومشاعر الأمو مة الحافية الراحة كفيلة بأن تستقط كل مشاعر الطفل .

ولوكان ما ذكره فرويد صحيحا لكان الأطفال بعد سن العاشرة أكثر سيلا لها ، ولسكن المشاهد في حياة كل طفل أنه كلما نقدم في السن أظهر استغلالا هن كنف أمه ، فينام وحده وحتى لو نام معما المنه يمل أن يلتصق بها ، وشغ لحذا فإن تقديره لهنا كأم يزداد نضجا واكتبالاً .

وقد استشعر هذا فرويد نفسه ، ولكنه ليفلق باب الإعتراض عليه قال : إن الإحساس الجنسي المبكر يضاب به , الكهون ، بين مرحلة الطفولة ومرحله البلوع ؟ !

ونشأة التدين عند الإنسان البدائي لم يكن سبها تقديس ذكرى الأب

المقتول الذي ندم على قتله أبناؤه القاتلون . هذا السبب لم يقل به إلا فرويد وحده . والذين فلسفوا وبحثوا عن هذه الظاهرة كامم أرجعوها إلى سبب واحد وإن اختلفت عباراتهم عنه :

أرجعوها إلى أن الإنسان اهتدى بفطرته إلى أن وراء هذا السكون قوة جبارة مديرة لاوضاعه، وهي قوة ١٠ وراء الطبيعة كما يميرعنهاالعلما. في عصور التقدم العلمي .

أحس الإنسان بهذه القوة الجبارة المدركة بآ ثارهادون ماهيتها وحقيقتها ولم يرمض الإنسان بأن يقف موقفا سلبيا أمام هذه القوة الحنارقة والله عوهو وإن لم يدرك كنهما فقد تخيلها بعضهم فى الكواكب، وتخيلها بعضهم فى النار وتخيلها بعضهم فى النار وتخيلها بعضهم فى النار وتخيلها بعضهم فى الرياح وبعض الظواهر الكونية.

واختلافهم فى التخيل لم محل بينهم وبين تقديس تلك القوة وتعظيمها معلوها قوة خارقة فخافوها ورجوها فى آن واحد. وتفننوا فى رسوم عبادتها ولكن فرويد شد عن القاعدة . وراح بخياله المريض يدجل ويشعوز وقد قصر فرويد تحليله الجنسى على الأولاد الذكور ، ونسى شعور البنات نحو الآب فلماذا لم يقل : إن البنات كن يتنافسن على أبيهن ولما رأين أن أمههن تحول بينهن وبين الاستثنار بأبيهن قن بقتل أمهن ثم تندهن على قتلها وعظمن قدراها فنشأ عن ذلك العبادة والتدين . ثم اتفقن ـ البنات ـ على عدم الواج من الآب تفاديا الصراع بينهن و تفاديا القتل أمهن ثم سرى التحريم من الآب إلى جميع المحرام من الرجال ، ثم إلى جميع المحرات والمحظورات . . 15

مبلغ ظنى أن فرويدكان يبخث عن سبب وهمى يفسر به ظاهر التدين والدين ليقطع صلمته بالوحى الإلهى . فلما وجد صالته فيحب الأولاد الجنسيم لأمهم لم يفكر فيما عداه .

بقيت مسألة تحريم المحارم من النساء والرجال . إن مرجعها الوحيد

التشريع الإلهى لحسكمة أو لحسكم جليلة لايطمسها دجل فرويد ومشايعيه أن لحسكمة التشريعية من حظر أسكاح المحارم من النساء والرجال لها عدة مظاهر :.

منها: الاستجابة للفطرة السليمة ، فإنها تنفر كل النفور من المعاشرة الجنسية بين الأولاد والامهات، وبين الآباء والبنات، وبين الإخوة والاخوات، وهكذا سائر المحارم.

ومنها: الوقاية من الأمراض التي تلحق بالنسل ، وقد أكدت البحوث العلمية الحديثة أن زواج الأقارب حتى فيها هو مباح كزواج الرجل من ابئه عمه قد يصيب أولادهما بالأضرار كالبكم والحرس والكساح . وأسباب هذه الآفات قد فطن إليها الطب الحديث . فقد يكون في الأسرة أمراض غير ظاهرة في الآباء والأمهات ؟ لأنها ضعيفة فيهم فإذا تزوج رجل با نة عمه مثلا فإن نسبة المرض غير الظاهر الذي فيه ، وهي ضعيفة تؤازرها وتقويها نسبة المرض هذا غير الظاهر في ابنة عمه التي صارت زوجه له . فيظهر أثر هما في الجنين وتقع المكارثة . وقد عرضت وسائل الإعلام صورا متعددة في هذا الجال .

وهذا ما ورد التحذير منه في تعاليم الإسلام: « لانتزوجوا القرابة القريد على الولد يخلق ضاويا ، أي تحيفا هزيلا .

وقد نشرت الصحف عجائب عن زواج المحادم فى أمريكا منذ عام ولايقدح فى هذا أن حالات كثيرة من زواج الأقرباء تخلو ذريانها من الامراض . لأن هذا الإرشاد إنما جاء للاحتياط ووقوع حالة منمائة يسوغ هذا النصح .

ومنها: أن كال المتعة في العلاقات الزوجية يكون عند الإحساس بأن كلا من الزوجين كان غريبا عن الآخر ولم تجمعهما إلا هذه العلاقة الطاهرة السكريمة. وإرجاع هذا إلى أسبابه من علم النفس ميسور ومقبول.

ومنها : إفساح المجال بين أفراد الأمه وأسرها لتكوين علاقات ودية وثبقه بينهم ، وإشاعة جو من الترابط تزيد به الأمة قوة لما ينعقد بين الأسرتين اللتين يتصاهران بزواج أبنائهما من ألفة واتحاد وتعارف . وقد روى عن بعض السلف أنه قال : كان بنو فلان من أبغض خلق الله إلى . فلما تزوجت منهم صاروا من أحب خلق الله إلى .

ومنها: تفادى اختلاط النسب: فمثلا إذا تزوج الرجل أمه فإن ولده منها يكون آبنا لها و تسكون مي جدته في نفس الوقت . ويكون ابنا له وأخا في نفس الوقت ويكون ابنا له وأخا في نفس الوقت ويكون بالنسبة لآخى آبيه أخاه من أمه وهوعمه بالنسبة لآبيه ؟١

وإذا كبر تقذا الولد وولد له ولد ، فإن آباه يكون عمه بالنسبة لآنه أخو أبيه لامه ١٤.

وأما أبو أبيه قيكرن جده وعمه فى آن واحد، لأنه أخو أبيه من أمه ١٩ وهكذا سلسلة من الفروض لا حد لها . ويظهر أثرها السى. فى توزيع التركة وهو نظام لابد منه فى حياة الأفراد والجماعات .

من أجل هذه المقاصد السامية كان تحريم والمحارم، وهي مقاصدلا يدركها العقل البشرى وبخاصة في الحالة والبدائية ، التي يتحسدت عنها فرويد زوراً واختلاقا

و بعد هذا كله ، فإن لفرويد اعترافا جمله عليه جلال الحق يجعله أكبر معول في هدم هذه الأوهام التي لهج بها حينا من حياته :

د ولا شك أن ذلك كله فرض · فلا أنا ولا غيري يملك التعيين في مثل

هذه الأمور؟ ولكنه فرض (معقول) توحى به طبائع الأشياء . وليش هذاك يقين قاطع بنفيه ويطيب لنا ـ الآن ـ أن تردد قول الشاعر :

والدعاوي مالم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياءا

وصدق الله العظم:

إن الظن لا يغنى من الحق شيئًا . . .

# أثر الفرويدية في الفكر العلماني :

الهدانية على عرفت عاول جاهدة أن تنفى كل مالا يقع تحت الحس وقد أمدها فرويد بما يزبدها ضلالا . فيكما أن داروين من قبل قد نفى الحالق سبحانه وجعل خلق الكائنات أثراً من آثار تطور الطبيعة فى الكائنات السعنوية فإن فرويد عينى هنا عالم الوحية والدينية فى سلو كيات الإنسان. فحكل ما فى المجتمعات الإنسانية من أخلاق وسلوكيات وتدين مرجعه إلى الغرازة الحيوانية البهيمية فى الإنسان باعتبار الإنسان فى أصله فصيلة حيوانية للا تأثير عليها إلا من الناحية المادية فلا وحى ولا دين ولا قيم روحية خارج المادة تصرف الإنسان وتحميم تصرفانه . وهذا هو بعينه ما تنادى به العلمانية المجاهلة على الجاهلة . . ؟ 1

## البراجاتية:

فى نظرية داروين رأينا من يقول للناس: ليس لـكم خالق غير الطبيعة وأنكم من سلسلة الحيوان البهيمى، وأنتم والقرود شقيقان، وقد اختار تـكم الطبيعة عن طريق الانتخاب الطبيعى نقيجة للصراع الذى دار ببنكم وبين متافسين لـكم هم أدنى منـكم بدليل أنـكم بأقون، والبقاء فى قانون الطبيعة لايكون إلا للاصلح ، فأنتم أصلح من منافسكم بدليل أنـكم باقون، وباقون لانكم أصلح عن منافسكم بدليل أنـكم باقون، وباقون كل الحياة ومع هذا فلا تأمنوا مكر

الطبيعة فقد تتبدل الأحوال وتكون والسيادة ، لقطة أو لفأر . فليس فى الطبيعة حقيقة ثابتة . وأنتم قد وجدتم بفعل التطور الطبيعى وليس للطبيعة قصد من وجودكم ، وليس لكم غاية تسعون إليها ١٤ .

وفى نظرية فرويد وجدنا من يقول الناس: ليس المكم مصدر للإلزام الخلتي والسلوكي إذن ليس لمكم بجاز بالخير خيراً، ولا الحبيات الشرشراً وسلوكيات كم مبعثها الغرائز الحيوانية وعلى الآخصر الغريزة الجنسية، والدين من اختراعكم أنتم أحللتم ما أحللتم، وحرمتم ما حرمتم وديند كم هذا ظاهرة مرضية أشبه ما يكون بالمرض العصي والنفسي ولا بد من اجتياز الدين وتركه عندما تبلغون كال الفضج ثم جاءت البرجمانية أو الفلسفة العملية النفعية على يدو وليم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١١م) ولها رواد من قبله ومن معاصريه ويمن جاء بعده مثل فرنسيس بيكون (١٩٦١ - ١٩٦٦م) وبرجسون (١٨٥١ - ١٩٣٦م) وبرجسون أن الحقيقة غير ثابتة وليسر لها مصدر علوى بل هي من اختراع اليشر. وليس في الوجود خير بذاته ولاشر بذاته، ولاحق ولا باطل. فما هو خير في خالة أخرى، وماهو شر في ظرف هو خير في ظرف آخر، وكذلك ما هو حق قد يكون باطلا وما هو باطل قدي يصير حقا بحسب الاحوال والظروف. والمكون في البراجمانوم غير متناه ولا هو زائل ١٤٠٠

فليست الحقائق مبادى، ضرورية يلتزم بها الإنسان كما يقول العقلبون، ولا هي فاشئة عن تأثير البيئة في السكائن الحي كما يقول التطوريون ، ولكنها من اختراع الإنسان نفسه .

والسكون إذا كمان فيه د إله ، فهو إله محدود متناه هو جزء من البشم والبشر جزء منه ، يقول هنرى برجسون أحد البراجماتيين :

« الحقيقة اختراع شيء جديد لا اكتشاف شيء سبق وجوده ... ونحن

تخترع الحقائق لنستفيد من الوجود، كما نخترع الأجهزة الصناعية لنستخدم قوى الطبيعة ، .

ولا بدأن يكون فى أجزاء الوجود . . قوة كامنة متشابهة فى الجميع هى الحياة ، وهذه الحياة تخلق فيما تحل فيه ميلا خاصا وتوجيها معيناً بؤثران فى كل جزئى من جزئياته . . . وليس ثمة قوة خارجية تعمل على التطور . . . . .

و لقد فكرنا أولا أن هناك إرادة شبيهة بالإنسانية تحرك الأشياء وتستخدمها في لعبة الكون ... هناك تصميم وقصد للأشياء، ولكنه في داخلها وليس خارجها ، (٢٠٠) .

هذه الأقوال تريك فى وصوح أن هنرى برجسون يحل الحياة مجل الإله ، والحياة عنده هى المحرك للكون ، وهى قادرة ــ عنده ــ على استرداد نفسها ولعله يريد بهذه العبارة أن يفسر أسباب ظاهرة الموت ليسد الطريق أمام الإيمان بما وراء الطبيعة أو القوة الحيوية التى أحس بها الإنسال منذ أقدم عصور التاريخ فما دامت الحياة هى التى تأتى وتعود فليس وراء ها خالق إذن، ولا متصرف فيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الوجود .

وهذا الذي يقوله برجسون ترجمة حية لفلسفة وليم جيمس وخلاصتها أن الحير والشريقاس بنتائج الفكر والعمل ، لا بالمصدر الذي نتج عنه . فكل فكل أو عمل يحكم عليه بعد وقوعه ، فإن حقق منفعة فهو خير ، وإن ترتب عليه شر فهو شر وهذه النظرة شديدة الشبه بما قاله ميكيا فيللى من قبل د إن الغاية تبرو الوسيلة ، ؟!

حتى صفات . الله ، على فرض وجوده ووجدانيته عند وليم جيمس فمنها ـ عنده ـ صفات ميتة (١١٤) لأنها لا تحقق نفعاً للناس ١٤ .

<sup>(</sup>۷۵) نصة الفلسفة ( ۲۶ه ) ول ديورانت .

وفى مقدمة الصفات الميتة ـ عند جيمس ـ وحدانية الله ؟ ا استمع إلى ول ديورانت وهو يروى عن جيمس قوله :

من العبث أن يقال: إن هذه الفوضى التي تعيش فيها من صنع إرادة واحدة .. والكون يقدم الما أكبر دليل على التنافض والتعارض .. قد يكون الاقدمون أعقل منا وأحكم، وقد يكون تعدد الآلهة أصدق وأحق من وجود إله واحد ... لقد كان الاعتقاد بتعدد الآلهه هو الدين الحقبق بالنسبة إلح عامة الناس دائما ولا يزال كيذلك ١٤ والناس غلى صواب والفلاسفة على خطأ ..، (٧٦٠)

وبروى عنه ـ كذلك ـ تعليمًا على أن الله موصوف بالـكمال والقدرة والآبدية عند الفلاسفة والمتدينين ، يقول فيه :

دهى صفات عظيمة جليلة ، و لـكن ما معنى هذا ؟ وما هى النتائج با لنسبة لنا نحن الناس ؟ ١

وبعد سلسلة من التساؤلات ينتهي إلى هذا القرار:

 ولكننا طبعا لا نقبل مثل هذه الفلسفات السكرثيبة الفائمة ...إن ألحياة تتجاهلها وتغمرها وتتجارزها ،(w).

ورجل هذه عقيدته فى الله لا يرجى منه أى فكر مؤمن أو عمل مجود. وقد طبق البراجماتيون مذهبهم هذا فى عسلم النفس كا طبقوه فى العقائد والآخلاق، وصابط العقيدة والخلق عندهم أن كل عقيدة أو خلق حقق لصاحبه نفعاً فهو مقبول وخير وحق. ولو كمانت الحقيقة تخالف ذلك.

<sup>(</sup>٧١) نفس المُصلَّدُر ( ٦٢٠ ) وإنماكان الفلاسفة على خطأ عنده ؟ لأنهم يؤمنون بإله واحد والإيمان إله واحد نوع من الأمراض عند وليم جيمس ؟ !

<sup>(</sup>۷۷) نفس الصدر (۲۱۸ – ۱۹۹۹) .

وكل عقيدة أو خلق جر على صاحبه ضرراً فهو مرفوض وباطل ولوكانت الحقيقة على خلاف ذلك فالذي يموت في سبيل الدفاع عن عرضه ممثلاً مخطى، وشجاعته وغيرته باعل وشر لانه أدى به إلى الموت ، أما بالنسبة لقاتله فهو خرير وحق لانه أزاح خصمه من طريقه وأنسح لنفسه بقتله بها لا للمنفعة ؟!

وحين طبقوه فى مجال عمّ النفس ذهبوا إلى العكس من الواقع . فجيمس يقول : إذا رأيت ذئبا فهربت منه تولد عن هروبك منه خوفك من الذنب . وبأدنى تأمل ثرى أن جيمس قد عكس الحقائق هنا ، وجعل السبب مسببا والمسبب سببا . فإن الخوف هو سبب الهروب ولو لم تخف من الذئب الم تهرب . وجيمس يقول لك : إن هروبك من الذئب نتج عنه خوفك منه ؟ ا

إن المذهب العملى الذي نادى به جيمس بجعل الحقائق نسبية على حد القول: مصائب قوم عند قوم فوائد. وقيمة العمل تقاس بعد ظهور نتيجته م فقياس الخير هو الثمرة أو النتيجة الناتجة عن العمل وليس مقياسها العقل أو الدين والوحى ١٤٠٠

لذلك فإن القوة والبطش عند البراجما تبين هما دعامتا الإيمان الصحيح الذي يو اجه به الناس الحياة . ويروون في هذا عبارة عن رائد البراجمانية الأول فرنسيس بيكون إذ يقول : « إن المعرفة هي القوة ، (٧٨) ؟ ١

#### تعقيب :

إن البراجمانية على الصورة التي عرفناها ترجع بالبشرية إلى شريعة الغاب كما يقولون أو إلى مجتمع حيواني لا يعرف إلى الفردية وإشباع الرغبات. القوى فيه يبطش بالضعيف، والسيد هو الغالب في حلبة الصراع ١٤٠٠ ولي وكأن البراجماني يقول لك: إفعل ماشئت إذا كان في الفعل خير لك . ولا تتقيد بأية قيود تفرض عليك نمطا معينا من الأخلاق ١٤

(٧٨) وما دامت المرفة هي القوة نإن الجاهل القوى هو سيد العلماء ٢ ا

و أين يكون دنا التخريف من منهج الإسلام الحكيم القائم على الإيمان بالله وما جاءت به رسله وعلى الإيمان بالثواب والمقاب الآخرويين .

### العمل في الإسلام:

أن العمل في الإسلام ثلاثه أنواع:

١ - مباح : وهو كل عمل حقق لعامله نفعا ولم يترتب عليه إضرار بالآخرين .

٣ - وأجب: وهوكل عمل توقف عليه صلاح الفرد والجهاعة .

٣ – ومحظور : وهو كل عمل ترتب عليه ضرر لعامله أو للآخرين .

ولنا خذ لذلك ـ مثلا ـ رجل يقود سيارته ليذهب إلى عمله ، البعيد ، فى وقت معين رأى الطريق مزدحما بالناس، فإن أسرع كان الإسراع فى مصلحته، وإن أبطأ كان الإبطاء فى مصلحة المارة .

هب أن هذا الرجل أخذ يوازن أى الأمرين يسلك : تقديم مصلحته على مصلحة المارة أم تقديم مصلحة المارة على مصلحته ؟ !

البراجاتية تقول له: سر مسرعا فإن فى الإسراع منفعة لك ولو حطمت المارة تحت عجلات سيارتك ؟ ١

والإسلام يقول له: لاتسرع حتى لا يكون فى إسراعك إزهاق لأرواح المارة فإن الصرر الناجم عن الإسراع أضعاف أضعاف ماسوف يحققه لك من منفعه ؟ فأى المنهجين أولى بالنقدير والاحترام.

وهبأنك تمر فى الطريق - راجلا - لإدراك منفعة خاصة بك. وأبصرت من بعيد وجلا أعمى يقدم على بثر فإن الإسلام يوجب عليك التوفف لإنقاذه ولو أضر ذلك بك. والبراجماتية تدعوك إلى إدراك منفعتك ولو تردى الاعمى فى البثر ؟ 1 فأى المنهجين ألزم بالإنباع يا ترى ؟ 1

إن الإسلام يرسمخريطة العمل اليومى للإنسان الراقى، ويصع أمامه النور الاخضر إيذا ما يسلامة السير . كما يضع أمامه النور الاحرادا كان في استمر ار السير خطر . . ؟ 1 العملى فى الإسلام ومقدس، ولكنه العمل المهذب لا العمل الحيوانى الباطش المدمر والإيمان بالثوات والعقاب الأخروبين، وبإله قدير مطلع على ما يفعل عباده هو الطريقه المثلى لإصلاح الفرد والجماعة. بل والأمم، وهذا ما كفله الإسلام على أبدع صورة، وأحكم منهج.

وشعور الإنسان بالحرية المطلقة فيها يعمل وما يترك شعور مدمر لحياته ولحيات بنى جنسه ، معطل للطاقات الحلاقة فيسمه ، ١٦ قاتل الإحساس بالمسئولية التي هي أخص خصائص الإنسان في الوجود .

### نموذج من التوجيهات الإسلابية الراقية :

دقل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن ترزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا الكيل والميزان با قسط، لانكاف نفسا إلا وسعها . وإذا تلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربي ، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، .

إن هذه التوجيمات ـ وهى قل من كل ـ حين يرعاهـا مجتمع فلن يبكون فى الوجـود مجتمع أرقى منه ، وأنفع منه وأجدى لبنى الإنسان ، وعلى هـذا المنوال ترقى الإنسانية وتسعد لا بما يقوله الجهلاء وإن ظنوا أنهم من أهل المعلم والريادة والتوجيه .

### دور البراجمانية فى قيام العلمانية الجاهلة:

لسنا في حاجة إلى تذكير القارى، بحقيقة العالمانية بعد ماتقدم من أمرها . ولسنا في حاجة إلى تبصيره بعلاقة الهراجماتزم بالعامانزم . فيكني أن يدرك القارى، أن البراجماترم لايقوم على وجود الله ، ولا تسمح له فى تصوراتها المريعة بأى نوع من السلطان على الإنسان فهو حر طليق يفعل ما يحلو له ، وقد حطمت البراجماترم فكرة الحير والشر فى نفسه . وهدا ما تريده العلمانية . وبالبراجماترم والدارويترم والفرويدترم إكتملت العلمانيزم ثلائه خيوط متهر ثة تهيأت هى انسيج بينها العنكبوتي منها ومن خبوط متهر ثة مثلها سيأتي ذكرها بعد قليل .

### العقد الإجناعي:

العلمانية كا سدياتي و نظام مفكك متهرى، فام إما على حقدائق علممية صحيحة ، ولكنه أخطأ فهمها وانحرف بها إلى غير الجهة التي تهدى إليها ، وإما على فروض علمية واهية أو تخيلات تاريخية تلقفها بدون تمحيص فأسهمت حين وضعها لبنة في بنائه المتداعى في شهدعه .

وقد سبق أن العلمانية تذرعت بالكشوف العلمية التي توصل إليهاكل من كو برنيق و برو نو ، وجاليليو ، وإسحق نيو تن ، وهي كشدوف صحيحة ، ولسكن العلمانيين امحرفوا بها عن الجادة ،

كما تمسلك العلمانيون بنظريات دادوين وفرويد ووليم جيمس ، وهى . أوهام منسوبة إلى العلم . ومن سوء حظ العلمانيين أن ما يمتدون عليه من هذه النظريات ليس له سند علمي يقوم علية ، وإن كان فى بعض دذه النظريات لقطات يمكن إسنادها إلى العلم ، وقد مر بك الحديث عن كل أولئك .

أما الأوهام الناريخية فهى التي كونت ، نظرية العقد الاجتماعى ، فى نظام الحكم وهذه النظرية ألصقت بالمفكرالفرنسى : جان جاك روسو المتوفى عام ١٧٧٨ م ، وصارت تنسب إليه عند الإطلاق ، علما بأنه لم يكن أول من قال بها ، وقد سبقه إلى القول بها ثلاثة معروفون وهم :

۱ - هو برت لانجیه فی أو اخر القرن السادس عشر . فقد ذهب إلى أن كل حكومة تستند إلى عقد بینالله و بین الحاق جیما . و ینشأ عنه عقد آخر بین الراعی و بین الرعیة علی العمل بأو امر الله و نواهیه و أن العقد الذی بین الراعی و رعیته غیر ملزم لهم . و لهم أن ینسخوه .

۲ — توماس هویز الانجلیزی (۱۵۸۸ ) ویری آن السیادة مستمدة من تعاقد بین الناس علی اختیار حاکم یتولی آمورهم لائهم یخشون بعضهم بعضا لفلمة الشر والعدوان علی طباع البشر . ولایحق لهم بعدأن یولوه آمرهم آن یخر جوا علیه لان التعاقد عندهویز یلزمهم ولایلزمه . . ۱۶ با لانه لیس طرقا فیه ، بل منفذ له ۱۶ .

٣- جون لوك الإنجليزى (١٦٠٣ - ١٧٠٤ م) يقرر أن المقد ملزم للحاكم لآمه طرف فيه على عكس ما رأى توماس هو بز و وبدخل جون لوك تمديلا على السبب الذي رآه هو بز فإنشاء المقد، وهو غلبة الشر على الناس وأن ذلك فطرة فيهم . كما يرى أن الرعية لم تنزل عن كل حقوقها للحاكم بل عن بمض الحقوق ليحفظوا سائر الحقوق .

## جان جاك روسن : (١٧٧٩ م ) :

جاء روسو بعد ثلاثة مهدوا الطريق لفكرة العقد الاجتماعي بينهم اتفاق واختلاف . فهوبرت لا نجيه يجمل العقد الاجتماعي ناشئا عن عقد إلهي بين الله وجميع الناس . ويرى خروج الرعية على الحاكم إذا انحرف عن الأوام والمنو اهي الإلهية أما هوبز فيرى عدم الخروج عليه ؟ لا نه بجرد منفذ وليس طرفا في العقد ، كما يضيف هوبز أن الإنسان كان في الحالة البدائية ذئباعلى أخيه مطبوعا على الشر . والعقد الاجتماعي عنده عقد مستقل وليس ناشئا عن عقد ألحى كما يرى لا نجيه .

وبتفق لوك مع هورز في استقلالية النقد ، ولكنه يختلف معه في أن الإنسان د الندائي ، كان ذئبا شريراً .

أما جان جاك روسو فقد ذهب إلى النقيض من قول هو بر . فادعى أن الإنسان في ربدائيته، كان ملائدكميا . وأن تلك لفترة كانت لمرحلة الذهبية في حياة البشر .

ولكن الإسان انحوف عن ملائكيته وأضاع عصره الذهبي (البدائي) متأثراً بعاملين بارزين:

الأول: إنقياده للأطباع والأنائية التي أعقبت المرحلة البدائية ٠٠٠

الثانى: الدين ١٤ يرى روسو أن الدين كان له دورخطير في نقل الإنسان من اصفاء الطبيعي إلى حالة من الفوضوية اقتضت وجود عقد اجتماعي لتنظيم حياة الناس، ومحاولة العودة بينهم إلى الحالة الطبيعية ١١٤٠

ظهر روسو فى الوقت الذى كان الصراع فيه بين السكنيسة وخصومها قد بلغ مداه ولذلك كان لنظريته هذه صدى كبير فى نفوس المتمردين على السكنيسة حتى صار من أقوى الاسباب الممهدة لفيام الثورة الفرنسية ٢٧٩م.

وقد وصفت مؤلفاته بأنها د أناجيل الثورة ، وهذا وصف صادق فيها نرى ؛ لأن أروبا بعد قيام الثورة الفرنسية لم تكتف بفصل الدين عن الحياة استجابة لأحلام روسو ، بل اعتبرت الدين وبا فتاكا أخدت تحاربه بكل الوسائل ، وانهجت نهجا د علمانيا ، صرفا . وبفضل نظرية روسو عرفت أروبا نظام د الوطنية ، و د القومية ، وإحلالها على التدين . ثم وضعت هدفها الأعلى الحرص على المصالح الدنيوية المادية التي كانت نظرية العقد من اجلها . وأعرضت عن علم و بضاعة الكنيسة و السماء ، أو الحياة الأحروية ؟ لأن هذا والملكرت ، هو بضاعة الكنيسة و الكاسدة ، والعقد الاجتماعي لم يبرم من أجله ، وإنما أبرم من أجل الحياة الدنيا ؟! .

هذه هي الآثار السيئة التي نجمت عن دكفريات روسووإلحادياته،وحلا للناس أن يقولوا :

إن الشعب أو الأمة هي مصدر السلطات، والسيادة للشعب . وصارت ديباجة المراسيم والأحكام هي د باسم الشعب ، وقالوا : د إن هذه هي الديمقر اطية ، وهي كما عرفها لذكولن :

د حكم الشعب ، بو اسطة الشعب ، من أجل الشعب . .

وقد أسى، فهم هذه الشعارات حتى صارت عازلا سميـكا بين الخلق والخالق.

ووجد فيها العلمانيون سنداً قويا للتخلص من سلطة الكنيسة أولا . ثم للتخلص من أى دين بعد التخلص الذى تم ـ لهم ـ بنجاح من الدين الذى كانت تدعو إليه المكنيسة .

و إن القارى، الفطن ليلحظ أن الخطوات متسقة تمام الانساق بدءا من نظرية داروين ثم فرويد، ثم وليم جيمس، ثم روسو. وأن هذه النظريات وإن تقدم بمضها على بعض في الزمن فإنها مرتبة على حسب ما ذكرناه عند العلمانيين في مجال التطبيق العمل كما ترى .

### موقف الإسلام من هذا العقد :

قلمنا إن روسو مسبوق بثلاثة مهدوا له القول بنظرية العقد الاجتهاعى . ثم نسبت إليه النظرية كا فسبت نظريات كثيرة غيرها إلى غير و ادها المتقدمين، كنظريه التطور المنسوبة إلى داروين ، وهو مسبوق لاسابق كا تقدم . وكا نسبت البراجما تزم إلى وليم جيمس ، وهو مسبوق كذلك لاسابق .

و فى نظرية العقد الاجتماعى هذه، فإن السبق لايقف عند هو برت لا تجيه بل يتقدمه بزمن طويل.

والأفكار التي تستوضح رأى الإسلام أو حكم الإسلام فيها كما يأتى : العقد ـ مصدر السلطات ـ الإلزام :

العقد: سبق علما، الإسلام مفكرى أروبا فى إطلاق اسم د العقد، على تولى المستولية العلما في الدولة أو المجتمع .

فقد انفق مجنهدو الفرق الإسلامية كلها ـ ما عدا الشيعة ـ على أن طريق ثبوت الإمامة هو الاختيار والانفاق ، أى لا النص ولا التعيين ، وليس لثبوت الإمامة إلا هذان الطريقان . فإذا بطل أحدهما لم يبق إلاالآخر ، (٧٧)

والمراد بالنص والتعيين ، أى من قبل الله أورسوله وهذا الطريق باطل، لأن الله لم ينص على أئمة المسلمين الذين يتولون الحدكم فيهم ، وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم على الصحيح خلافا للشيعة .

لذلك أجمع علماء الآمة على أن اختيار الآمة واليا عاما عليهم واتفاقهم طيه إنما هو دعقد، وهو دعقد حقيق، لاخيالى كما فى نظرية روسو وزملائه فالمقد عند روسو مجرد افتراض وهمى لم يقم، ولن يقوم عليه برهان. أما هند فقهاء الإسلام فهو عقد واقمى له طرفان:

الأول: جماعة المسلمين (الشعب أو الآمة) والثانى: الإمام أو الحليفة. والعقد فى الشريعة الإسلامية درسة الفقهاء دراسة تحليلية رائعة. وقدصور علماء الشريعة الاتفاقات التى تنشئها الإرادات الإنسانية الحرة، ويتم بها التعامل بين الناس فى أحوال خاصة وبشروط معينة على أنها دعقود، وأقاموا تظاما محكما يتألف من مجموعات هذه العقود. وتلك هى التى تكون القسم الاكير من القانون الإسلامى، الذي يسمى دالمعاملات، (١٠٠٠).

<sup>(</sup>٧٩) ينظر الإرشاد لإمام الحرمين (٤٣٣) والرد على الباطنية للغزالي (٦٤) .

<sup>(</sup>٨٠) نظرية الإسلام السياسية (٢١٤) د/ شياء الدين الريس .

ويقول ابن خلدون فى تصوير عقد الإمامة :

« وكانو ا إذا بايعوا الأمير ، وعقدوا عهده جملوا أيديهم فى يده تأكيداً للعقد . فأشبه ذلك مثل البائع والمشترى (طرفى العقد) فسمى (أى عقد الإمامه) بيعة : مصدر باع ، (٨١) .

هذا هو ما اهتدى إليه علماء الإسلام من قديم الزمان ، فسبقوا روسو الذي عرف بأنه و أبو الديمقر اطية الحديثة ، كما سبقوا : لانجيه وهو بزولوك وخلا منهجهم من كل النقائص التي أشر نا إليها عند لانجيه ومن بعدد إلى روسو .

#### مصدر السلطات :

عرفنا أن أربعة من فقهاء القانون السياسي في الغرب قالوا بنظرية العقد الاجتماعي . واحد منهم \_ فحسب \_ جعل العقد مستمداً من الله أولا، ثم من الرعية ثانيا . ولذلك ثراه قد منح الرعية حق عزل د الحاكم ، إذا انحرف عن أوامر الله ونواهيه .

أما الثلاثة الآخرون هو بر ولوك وروسو فقد أغفلوا الدور الإلهى فى العقد . بل إن روسو يذهب إلى أنه دعقد مدنى ، خااص دعت الحاجة إليه للتخلص من الآثر السيء الذي لحق بالناس من الدين حيث نقلهم من الصفاء الطبيعي إلى حالة من الفوضوية فجاء العقد كمحاولة إلى عودة الناس إلى الصفاء الطبيعي . وكان لهذه النظرة في الغرب مالها من انتكاسة لم تفق منها أروبا إلى الآن .

ولمصدر السيادة وصع خاص فى الفقة الإسلامى سما به فوق كل اعتبار وخلاصة مباحث الفقاء وعلماء الـكلام فى هذا الجال هى :

<sup>(</sup>۱۸) القدمة (١٧٤)·

( ا ) إن العقد يقوم بناء على إرادة الآمة وبموجبها كوحدة متضامنة لهسة شخصية مستقلة . فالمستواية مستولية الآمة .

(ب) والأمة تراقب من تختاره إماما لها (حاكما عليها) فإذا ثبت فسقه عزلوه وولوا من هو أصلح منه ، وإليكم نصهم في هذا :

. إن الامة هي صاحبة الرياسة العامة ... ولها أن تعزل الإمام لفسقه »

(ح) للأمة إذا انحرف الإمام انحراها استحق به أن يعول ، فلما الحق في محاكمته بعد عوله ، وإنزال العقاب به .

وجمل ما تقدم أن للأمة :

١ ـ تولية الإمام ( الحاكم ) إذا استوفى شروط الإمامة .

٧ ـ مر اقبته حال عارسة مهام منصبه .

٣ ـ تقديم النصح له وتوجيهه إذا اختلط عليه الآس .

ع ـ عرله إذا لم يستجب للنصح وأتى أعمالا جسيمة مخالفا بها منهج الله .

• ـ محاسبته على ما ارتكب من أخطا. إن لم تكن يسيرة .

إذن فالقول بأن الآمة هي مصدر السلطات قول مقبول في الإسلام بهذا الاعتبار الذي قدمناه ، مع مراعاة التفرقة الدقيقة بين أمرين :

الأول: الأمة مصدر السلطات في التولية والمراقبة والعزل.

الثاني: المنهج الذي يقوم عليه الحكم، ويستند إليه الحاكم.

[ن الحلط بين هذين الأمريين جد خطير . فن تاحية نقول : إن الأمة مصدر السلطات فيكون هــــذا فى نظر الإسلام صحيحا . ومرة نقوله فيكون باطلا؟

يكون صحيحا إذا قصرنا سلطة الآمة على اختيار الحاكم ومراقبته ونصحه، ثم عزله ومحاكمته إذا ارتكب خطأ جسيا ولم يستجب للنصح وعلى هذا الآساس قال علماء الآمة إن الآمه هي صاحبة الرياسة العامة ولها تكون السيادة وهي مصدر السلطات. قالوا هذا لآنهم لم يخلطوا بين المنهج الذي يكون به الحكم، وبين دور الآمة المشار إليه.

أما إذا فهم أن الأمة هي التي تقرر منهج الحدكم بعيدا عن منهج الله فإن القول بأن الأمه هي مصدر السلطات يكون باطلا . إذ ليس للأمدة خيار في تحكيم منهج الله . بل حدكم الله هو الذي له السيادة بلا مزاحم ولا منازع .

وعلى هذا نصور المسألة في الآتي :

١ -- دستور الأمة في الحدكم هو شريعة الله لا نواع في ذلك .

٢ ـــ الأمة تختار من بينها واحدا ترضاه لدينه وخلقه وشجاعته ليكون
 هو دالحاكم، والمنفذ لشريعة الله ،

ع للحاكمية للذن للذي الذن وحده و وتنفيذ أحكام الشريعة كما أنزلها الله هو عمل الحاكم الذي تختاره الآمة و تبايعه و تعاوفه على أداه مسئوليته .

ع - لايفهم - قط - أن للأمة أن تختار دستورا أو قانونا غير منهج الله بناء على أمها مصدر السلطات . والفرق كبير بين «السلطة» وبين «التشريع» أو « الشريعة ، فالشريعة ، جاهزة ، وهى « محل إجماع ، بين الآمة لاتغيير ولا تبديل .

أما ما يناله التبديل والتغيير ويخصع لسلطة الأمة فهو أدوات الحكم البشرية .

فن الذي يحكم ؟ على أم سعيد أم خالد هذا صحيح .

أما دستور الحـكم فهو د شريعة افله ، قولا واحداً . وهو المحور الذي نذار عليه عجلة ، العمل الإسلامي . د ومن لم يحكم بما أنزل افله فأولئك هم : (الحافرون) - (الظالمون) - (الفاسقون) .

على أن عقد الإمامة فى الإسلام الهدف منه حماية الدين وسياسة الدنيا كا يقول الماوردى وليس – كما فهمت أروبا من عقد روسو – لرعاية المصالح الدنيوية المادية . وهذا من أبرز الفروق بين العقد العام فى الإسلام وبين النظم الوضعية الشاحبة .

### 

رأينا اضطراب مفكرى الفرب حول : هل العقد لازم أم غير لازم ، وإذا كان لازما فعلى من يقع الإلزام ولمن التحلل منه ؟ 1

لكننا في المنهج الإسلامي نرى المرونة التي تدور مع المصلحة وجودا وعدما فإذا الزم الإمام (الحاكم العام) بأداء الأمانة وحكم بما أنزل الله بالمدل ورعى مصالح الرعية ، ولم يفرط في الحقوق ، ولم يضيع الواجبات فله على الأمة السمع والطاعة والغصرة ملنزمين أمامه بما له من حقوق كفلها له العقد الصادر عن إرادة الآمة الحرة .

فهاهنا إلتزام أوجب إلزاما : إلتزام صـدر عن الإمام أنشأ إلنزام الأمة أمامه ، فهو ملزم بما أوجبه عليه العقد . وهم ملزمون أمامه بالسمع والطاعة ، وليس لهم أن يخرجوا عليه أو يعزلوه ما دام على الهـدى يسير .

فإذا انحرف ونصح ولم يستجب، وتمادى فى أخطاء جسيمة ، كان يحلل ماحرم الله أو يحرم ما حرم الله خلمته الآمة وولت غيره ، فعدم إلتزامه بمقتضى العقد حلل الآمة من طاعته .

وبهذا فإن الإسلام يقر مبدأ: الأمة عصدر السلطات أو السيادة لكن لا على الإعتبار الذي بني عليب روسو فظر بته فهو لم يفرق بين السلطة والدستور. وفظرية الإسلام السياسية تفرق بينهما. فالأمه والسلطة، وليس طا إصدار تشريع مخالف لشريع الم المن وعقد روسو مقصور على حماية المصالح المادية الدنيوية وعقد الإسلام شامل لسكلتا المصلحتين، وعقد روسو عقد وهمي لا دليل عليه، وعقد الإسلام عقد حقبق، وعقد روسو مهدر للدين، وعقد الإسلام قائم على إعلام كلمة الدين ومستمد سلطانه منه، فكم ذا رياتري بين العقدين من فروق وفروق ؟ ا

# الميكيا فيللية :

من الخيوط التي نسجت منها العلمانية ثوبها البالى الفاضح نظرية ميكيا فيللى في الحديم وميكيا فيللى هو الفيلسوف السياسي الإيطالى نيبكولو ميكيا فيللى ( ١٤٦٩ - ١٤٦٧ م ) وقد تقلد مناصب ديبلوماسية رفيعة في حكومة بلده د إيطاليا ، في ذلك الوقت ولما سقطت جمهورية إيطاليا وعادت أسرة مديتش التي كانت تحكم إيطاليا قيام النظام الجمهوري فيها ، وتولت حكم إبطاليا من جديد عذبت ميكيا فيللى عدابا أليا ، واضطهدته ثم أفرجت عنه حيث لم تشبت إدانته . وكانت إيطاليا في عصره ضعيفة سياسيا وعسكريا مع ما لها من حضارة رفيعة الشأن ، ومقسمة إلى ولايات زادت ضعفها ضعفا . هذه الأوضاع انهسكست آثارها على ميكيا فيللى الذي كان يود أن يرى بلاده قوية بعيدة عن الفوضي والاضطراب السياسي والاجناعي والعسكري .

وقد أخرج ميكيا فيللى عدة مؤلفات الذي يغنينا منها هوكتاب والأمير، وهو كتاب في د فن الحكم ، كما أراد منه مؤلفه ، والحكن الرجل كما ساءت سريرته ساءت علائيته ، ويتضح لك هذا من آرا، مبكيا فيللى في ما ينبغى أن يكون عليه الأمرا، والحكام ،

فهو يرى أر على الحاكم أو الآمير إذا أراد لنفسه النجاح أن:

: \_ يتنصل تماما من القرم والمبادى. الأخلاقية . . ؟ ١

٢ ـ يعتمد على القرة والبطش والخدأع ٥٠٠٠ ا

س ـ يفعل ما يغضب الشعب بقوة ولو مرة واحدة ليخافه الشعب
 ولا بجرأ على مخالفته ؟

ع سـ يحمل الشعب على الحوف منه وعلى حبه إن أستطاع ، وإن كان لابد من واحدة منهما فليلجأ إلى تخويف الشعب لآن تخويفهم لا يكلفه شيئًا أما حبهم إياه فإن ثمنه يسكون باهظا ١٤٠٠

ه ــ لا يعتذر للشعب إذا وعدهم بخير ولم ينفذه ١٠٠٠ !

٣ - لا يؤمن بشيء قط إذا كان الإيمان يموقه عن تحقيق مطالبه ١٤٠٠

برى أن الغاية تبرر الوسيلة ، فإذا كانت الغاية مفيدة للحاكم فلا يعبأ بأضرار الوسيلة مهما عظمت ، لأنها تضر غيره ـــ الشعب ــ ولا تضره هو ولا حاشيته المخلصة له (٨٢) ؟ !

هذه خلاصة أمينة وموجزة لآراء ميكيا فيللى في ، الحكم ، ونصائحه للحكام في كل زمان ومكان .

وكان لآرائه صدى كبير عند معاصريه ولاحقيه . وقد أطلق عليه والعقلاء ، أنه و فيلسوف نصاب آفاق سافل لا أخلاق له ، .

وسموا كتابه : الأمير ، بأنه كتاب د الطفاة . .

### موقف الإسلام من هذا التصور :

كانمن المتوقع أن لانمقب على آراء ميكيا فيللى هذه ببيان موقف للاسلام منها . لأن موقف الإسلام إنما يكون من شيء فيه صواب وخطأ ، أو يحتمل

(۸۲) الخالدون مائة أعظمهم هجد صلىالله عليه وسلم (۳۶۷–۳۶۸) ت : ما يكل هارت . تمريب أنيس منصور . أنه كدلك . وآراء دميكيا ، ليس فيها ذرة من الصواب ، ولست أدري لماذا كتنى المؤرخون الناقدون بوصــنه بالـكدب والسفالة ١٤. ولم كانوا قد وصفوه بأنه دمدهوب العقل ، لأغناهم عن كل ما ذكروه فيه وفي فكره إن جاز أن يسمى ما صدر عنه ، فكرأ ، ١٤

وكان أولى برفيقه على الطريق و فرويد ، أن يحلل و ميكيا ، تحليلا ففسيا المطلع الناس على و المسخ ، الذي أصاب عقله ولسكن فرويد معدور ، لأنه ففسه محتاج إلى عالم من علماء النفس يكشف عن الرواسب الحبيثة التي افترست صفات الإنسانية السوية من كيانه الداخلي .

أما أن للإسلام موقفا بما قال د ميكيا ، فإن الإسلام يشترط فى دالأمير، كل معان الطهر والعفاف والعدل والنزاهة وسلامة الفطرة . بيها دميكيا، يحلل د أميره ، بكل معانى السفالة .

## أسس و اهية وبناء منهار :

ها نحن قد فرغنا من عرض الأسس الى أقام عليها العدانيون علمانيتهم الجاهلة وإن كنت - عزيزى القاربي مدفى حاجة إلى إعادة مركزة لما تقدم فهاهى ذى أمام ناظريك:

أولا: العلما فيون يحصرون وسيلة المعرفه فيها يدرك بواحدة من الحواس الحمس: البصر، السمع، اللمس، المذوق، الشم ، وبناء على هــــــذا التصور الضيق لوسائل المعرفة أنكرواكل مالايرى، ولايسمع، ولايجس، ولايذاق ولايشم.

فالجيفة ـ مثلا ـ قد استكملت كل مقومات المعرفة عندهم:

لأنها ترى ملقاة على الأرض. و إذا حملها أحد العلمانيين ثم أطلقها من بين يديه، فهو إذن قد لمسها. وسمع صوت ارتطامها بالأرض حين ألقاها من بين يديه. ولوذاق طعمها لوجده متعفناً، وهاهو ذا قد اشتم لها رائحة كريهة.

إذن فهذه الجيفة ـ عندهم ـ من أكمل صور المعرفة . أما دالله ، فهو ـ عندهم ـ غير موجود ؛ لأن وسائل معرفتهم لم تحققه ؟! فلا هو مرئى بالبصر . ٢١١ ولا هو حس بالاسمة مثلا . ١١٤

ولا هو بجس بالإصبع مثلاً . 115 ولم يسمعو اله صوتاً . . 115

ولم يذوقوا له طعها . . . ۱۱۶

ولم يشموا له رائحة ١١٤٠٠٠

فالعلمانيون - الجهلاء - يؤمنون بالجيفة المنتنة لم بمانا تزول الجبال و لا يزول و يكرفون ، بالله ، كفراً راسخا متأصلا لو تحول كل من فى الارض إلى أنبياء وحكاء ليحدثوا الإيمان بالله فى قلوب ، العلمانيين ، لما استطاعوا ؛ لان دستورهم الحالد : مالا يدرك عن طريق الحواس فهو غير موجود . . . 1 اى أنهم حصروا معرفتهم فى ، المادة ، وافكر وا ما بعدها . وقد تمسكوا بهذا الاعتقاد وساعدهم على هذا التمسك ، وقل : الإلحاد نوعان من الشبهات :

الأول: كشوف علمية صحيحة أساء العلمانيون فهمها وعكسو الهولاتها أو نتائجها ومقتضياتها . كمكشفكو برنيق وبرونو وجاايليو من مركزية الشمس للمكون ودوران الأفلاك حولها ومنها الأرض .

وكـكشف فبوتن لقانون الجاذبية . فوقف العلمانيون والجمسلة، عند ظواهر هذه والظواهر ، وقالوا : إن قوانين الطبيعة كافية بتفسير ما فى الكون من أسراد ، ولاداعى لفرض قوة أعلى والله ، يقال: إنها خالفة السكون ومدبرة أمره .

وقد لخص هذا الزعم هودسن فقال : « كل ما فى الوجود من أول ذرة الهباء ، إلى عقل الإنسان محكوم بقوانين ثابتة لاتتغير وبنا، على هذا فلاصانع للوجود ، (۸۲) . . ؟ ١

<sup>(</sup>٨٣) العلم في رحاب الله (٢١) طبيب : حسين عباس الأنصاري .

الثانى: نظريات مغلوطة علمها ، و تصورات تاريخية وهمية ، وفلسفات واقعية مريضة تضافرت حول شيء واحد هو إزاحة حقائق الدين الصحيح من الوجود ، أو تحييده وعزله عن الحياة . وقد مر بك كل أولئك وهي:

- ه تطور دارو بن المزعوم ١٠٠
- ه فرويدية فرويد الخميثة . . !
- ه براجمانزم جيمس ومشايعيه ١٠٠
- ه عقد روسو الاجتماعي الواهم ١٠٠
  - ه طفياً نية مكياً فيللي الوحشية ١٠٠

منف إلى عذين النوعين ما أسفرت عنه الثورة الفرنسية من ارتداداحل طغيانا ، وباطلا محل باطل . .

هذه هى الأسس التى بنى عليها الفكر العلمانى علمانيته الجاهلة وهى أسس واهية كا علمت من التعقيبات التى ذكرناها عقبكل واحد منها . ولذلك فإن البناء الذى شيد عليها انهار وتقوض ، أو وجد ـ هكذا ـ منهاراً متقوضا .

ويمياً يزيد في « توهين ۽ ما استند إليه الفكر العلماني :

۱ – أن مكنشنى السكشوف العلمية الصحيحة لم يكونوا ملحدين ولاقالوا:
 إن تشوفهم و نظرياتهم دليل على إنكار وجود ألله . فبرونو آثر أن يحرق ويذرى رماده فى الهوا.

وجاليليو روى عنه أنه قال وهو خارج من المحكمة التى قظاهر أمامها بأن الأرض ثابتة \_كما ترى الكنيسة \_ وأن الشمس هى التى تدور حو لها فأصدرت المحكمة قراراً بيراءته \_ بناء على هذا التظاهر \_ قال جاليليو هذا فى صوت خفيض وهو خارج من المحكمة : ومع ذلك فإن الارض هى التى تدور . 15

لماذا عادتهم الكنيسة . ؟

و لا يقدح في إيمان هؤلاء الرواد، إذا لم يرو عنهم كلة الـكفروالإلحاد،

معاداة الكنيسة لهم؛ لآق الكنيسة كانت تحمل الغاس على الإيمان على مقتضى منهجها وتصوراتها المشوشة. وهؤلاء سلكرا طريقا آخر فى تحقيق الإيمان. لذلك حاربتهم الكنيسة، وما أكثر العلماء غيرهم الذين وقفو اعلى حقائق الكون ثم ربطوا ربط! قويا بين أسرار الكور الني أدركوها وبين الإيمان الحق بالله سيحايه وتعالى

ومثل هؤلاء العلماء الذين لم يقولوا كله الكفر ، معالعلما نيين الذين كفروا لما تعلموا من هؤلاء الرواد مثل سليمان - عليه السلام - مع الشياطين الذين يقول الحق فيهم :

د وما كمر سلمان ولكن الشياطين كفروا ٠٠٠٠

ونحن لانذكر أن بعض العلماء المداديين قد انحرفوا لما وقفواعلى بعض الأسرار ؛ لأنهم لم يخطوا الخطوة الآخيرة فى مسار العلم فانخدعوا بماوصلوا إليه من المعارف ، ولو أنهم خطوا الخطوة الآخيرة لقادهم العلم إلى أروع وأنصع حقائق الإيمان .

والكن العلما نيين لما وقفوا عندما يدرك بالحواس قسموا المعرفة الإنسانية قسمين كبيرين :

### الواقمية والمبتافيزيقية:

الوافعية: وهي كل معرفة تفع تحت الحس والمشاهدة، والملاحظة ويمكن إجراء التجارب عليها. وهذا القسم هو المعترف به عندهم \_ ومجاله المادة وخراصها الظاهرة الموزعة على فروع العلم المادي مثل: الطبيعة، والكيمياء والجيولوجيا.

و بناء على هذا هإن الوجودكاه محصور فى السكرن المدادى المحسوس. وصلتنا به نكون عن طريق الحواس لمعرفة خصائص المسادة واستخراج قوانينها منها وجما وحدها تفسر أسرارها ١٤.

القسم الثانى: ماورا، الطبيعة من غينيات لاتدرك بالحواس، وهذه الغينيات أو د الميتافيزيقيات ، نسبة إلى د الميتافيزيقا ، وهي المرادف عندهم لما وراء الطبيعة أو الغيبيات ، هذه الغيبيات لا وجود لها لأنها لاتدرك بوسائل المعرفة عندهم .

#### وفى مقدمة الغيبيات :

فكرة دالله ، و دالدين ، و دالحياة الآحرة ، ودالملائك، كه ، ودالشياطين ، وكل الأمور العقلية أو الروحية . ولذلك أجمع العلمانيون على أن الميتافيز يقيا خرافه ، هذا هو الصرح دالعلماني ، المتداعى بكل تصور الهوأوهامه وأعاليطه وشبهه الواهية التي قام علمها .

### نقض على نقض:

الغةد والنقض شقيقان يعملان فى بجال واحد هو: الكثف عمافى الشيء من صواب وخطأ أو خطأ فقط: ولمكل منهما النقد والنقض ، يعد هذا التعميم تخصيص:

فالنقد يختص بالعمل فيها فيه صواب وخطأ ليميز بينكل منها .

والنقض يختص بالكشف عن خطأ ماليس فيه صواب ، والعلمانية عموعة أخطاء ليس فيها صواب فهى داذن ـ من اختصاض دالنقض ، لا دالنقد . .

والنقض فى اللغة هو: الإبطال. وهذا هو واقع العلمانية ومصيرها المحتوم ولهذا أثرنا أن نعنون هذا الفرع به د نقض على نفض ، لأننا سنضيف فيه نقضا للعلمانية فوق د النقض ، للذى تقدم لنا عقب كل تصور من نصوراتها الهزيلة . فليس فى العلمانية شىء يغرى على الإطلاق . فهى باطلة فى أسبابها وفى تطبيقاتها ، ولن يكون لهاوزن عادام فى الحيأة عرق ينبض وعقل يفكر ، وحق بواجه باطلا .

## نيوتن والدلبل على وجود الله :

قلمنا إن د النيو تنية ، كان قد تزرع بها د العلمانيون ، على تأصيل الإلحاد ولو كانت نظرية نيو تن سببا من أسباب الإلحاد لمكان نيو تن أحق بهذا القول من العلمانيين الذين وجدوا النظرية «جاهزة، ولم يعانوا أدنى معاناه في صنعها، و نيو تن نفسه يتخذ من نظريته أكبر دلبل على الإيمان فقد قال حين سئل أن يقيم الدليل على وجود الله:

« لا تشكوا فى الخالق. فإنه مما لا يعقل أن تدكمون الضرورة وحدها هى قاعدة الوجود (١٨٠)؛ لأن ضرورة عميا متجانسة فى كل زمان و مكان لا يتصور أن يصدر منها هذا التنوع فى السكائنات، ولا هذا الوجود كله بما فيه من ترتبب أجزائه وتناسبها مع تغيرات الأزمنة والأمكنة. بل إن كل هذا لا يعقل أن يصدر إلا عن كما ثن أعلى له قوة و إرادة . . . ومن الجهل الواضح أنه لا يوجد أى سبب طبيعى استطاع أن يوجه جميع السكواكب و توابعها للدوران فى جهة واحداة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث أى تغيير للذكر ، فالفظر لهذا الترتبب بدل على وجود حكمة سيطرت علية . . . (٥٥) .

أفلست معى فى صدق التمثيل الذى ذكرناه أنفا: دوما كفر سليمان ولسكن الشياطين كفروا.

# لا بلاس والدليل على وجود الله :

وينتج العالم الفلك المشهور « لا بلاس » صاحب نظرية السديم نفس المنهج الذي انتهجه نبوتن في إقامة الدليل القاطع على وجود الله فيقول : « إن القدرة الفاطرة ـ أي الحالقة ـ قد عنيت جسامة الأجر ام الموجودة في المجموعة الشمسية ، ومسافاتها . وثبتت أقطار مدارتها ، ونظمت حركاتها في المجموعة الشمسية ، ومسافاتها . وثبتت أقطار مدارتها ، ونظمت حركاتها في المجموعة الشمسية ، ومسافاتها . وثبيت الأنصاري : نقلا عن دائرة مسارف القرنالمشر بن الاستاذ فريد وجدي (١-٩٦) ومعنى الضرورة ي التخالق بلاإرادة . (٥٤) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي نقلا عن : المعلم في رحاب الله (١٥٥) .

بقوانين بسيطة ، ولكنها حكيمة . وعبلة مدة دوران السيارات حول الشمس والتوابع حول السيارات بأدف حساب . إن هذا النظام المستمر إلى دما شاء الله ، ١٤ لا يعروه خلل . هذا النظام المستند إلى حساب يقصر عقل البشر عن إدراكم بحيث لا يحكن أن يحمل عنى المصادفات ، .

فهذا عالم كأبد مشاق العلم ينفى ـ فى يرضو ح ـ أن يكون هذا السكون وليد الصدفة . كما يدعى العلمانيون الجهلاء .

# اللورد فانسترت والدفاع من الميتافيزيقا :

اللورد فانسترت من كبار رجال السياسة الحارجية البريطانية ، كان يقدر الدين من ناحيته العملية . ، لا يحصر مصدر المعرفة فى المادة ، بل يؤمن كل الإيمان بما وراء الطبيعة من عالم رحب فسيح ، ويحمل فقدان الثقة بما وراء الطبيعة كذقدان الإنسان الثقة فى نفسه أموجود هو أم غير موجود، فيقول:

د إن نقدان الثقة بما فوق الطبيعة على صلة بفقدان الثقة بأنفسنا . وكلاهما لم يسعدا أحسدا . بل أعقب بعده خلا فى ميزان الحياة لم تصلحه مذاهب الشك واللذة ٢٨٧ م .

صورٌ فانسترت في عبارته الموجزة هذه ثلاث حقائق :

ضرورة الإيمان بما وراء الطبيعة وتوسيع مصادر المعرفة حتى تشمل
 كل المعقولات .

ه فقدان الثقه بما وراء الطبيمة بعادل شك الإنسان في وجود نفسه ١٤ المان الذي أصاب الحياة في أروبا مصدرة انعدام الإيمان بما وراء الطبيعة ، وأن البدائل التي حلت محل ذلك الايمان من مذاهب الشك واللذة ليس في قدرتها منهج للإصلاح .

<sup>(</sup>٨٦) عقائد المفكرين في القرن العشرين ( ٣٣ ـ ٣٣ ) • ( ١٢ ـــ النصوس المقدسة }

وه كذا فإنك تجد علماء متخصصين فى كل فروع العلم التجريبي ينتهون بعد وقوفهم على الاسرار التي أودعها الله فى المادة الكونية وخصائصها ونظامها الدقيق إلى وجود الله وراءكل سر من الاسرار. وهذا ينشىء لدينا سؤالا ذا خطر:

إذا كان العلم بكل مظاهره يدعو إلى الإيمان بالخالق المدبر العظيم . فما الذي العلمانيين على الـكمر بالله وبما وراء الحواس من عالمز اخر بالأعاجبب؟

والجواب لا يخرج عن واحد من عدة إحتمالات :

إن العلمانيين وقفوا عند دلالات الحواس ، ولم يستعملوا الملسكات العقلية . فوقفوا عند الخطوة الأولى ، المجة ، ولم يسكملوا الخطوات الباقية في مسار العلم .

والاعتباد على الحواس وحدها فيها هو من أخص خصائصها لا يؤدى إلى معرفة إلا بمعونة العقل . فالعقل يتلقى الإشارات الحسية من أى نوع ثم يفحصها وينسقها بعد أن تتمثل عنده على شكل مدركات حسية مؤقته . وهده هى العملية الثانية فى تحصيل المعرفة عن طريق الحواس . ثم يؤلف منها العقل مدركات عقلية تختزن فى الذاكرة بعد زوال الإشارات الحسية التى كونتها والمدركات العقلية هى المهر عنها بالاحكام المجردة أو القوانين العقلية التحلية الكية .

هذه خلاصة أمينه لمذهب «كانت» في تكوين المعرفة التي مصدرها الأول الحو اس(٨٧).

والوقوف عند الإشارات ألحسية الآولية جهل بمنهج المعرفة الصحيحة . وهذا هو الذي جر العلما نيين إلى هاوية الضلال .

<sup>(</sup>٨٧) أنظر قعبة الإيمان (٢٧٥) للائسة أذ ند بم الجسر .

وقد جهل العلمانيون ما وصل إليه بسطاء الناس من إنتقال دلالات الحواس إلى قوانين عقلية راسخة ، فهذا قس بن ساعدة الانياذي يصل إلى ماوراء الجواس ، وهو عربي لم يدرس علوما ولا فلسفة ولا تتلذ على معلم يقول : «البعرة تدل على البصير ، والسير يدل على المسير ، وأرض ذات بقاح وبحر ذو أمواج ، وسماء ذات أبراج . . . أفلا يدل هذا على العليم الخبير » ؟

إن النظر الذي سلمكه قس نظر ساذج ، والأدوات التي استخدمها في القياس والإستدلال عادية مألوفة . إنه لم يحلل مادة في معمل بواسطة أجهزة دقيقة الصنع . ومع ذلك وصل إلى أرقى ما تصل إليه أذهان وعقول الفلاسغة الحسكاء . . ؟

ولو أن العلمانيين ـ لو كان هذا الاحتمال هو سبب صلالهم ـ خطوا إلى ثما ية الطريق لـكانوا من أعظم المؤمنين .

أو يحكون السبب هو نقص فى عقولهم لم يمحكنهم من إدراك الحفائق
 من مصادرها الاصيان وهذا فيها أرى مجرد احتمال ليس له أثر فى الواقع .

ه أو يكون السبب وراء تمسك العلماتيين غاية رخيصة يسعون وراءها وعقد دفينة مسخت سرائرهم . والغالب عند الباحثين والمحللين أن العمهيونية العالمية وراء كل مذهب هدام ؟ لآنهم ـ أى البهود ـ كما قلمنا مرارا يحلمون بالسيطرة على العالم في يوم ما . كما تعدهم التوراة التي حرفوها .

ودارس تأريخاليهود والحن التي مرت بهم يجد أن المناخ صالح جدا لأن يقوم اليهودبهذه و المدمرات ، الآن تحقيق حلهم لن يتم وفي العالم دين وعقيدة وخلق ونزاهة وعفة .

وبرو توكولات حكماء صهيون خير دليل على كشف نياتهم، فهم يطنعون الخطط فيها لتدمير العالم معنويا قبل تدميره عسكريا وسلطانيا على أيديهم . ووسائل تدمير العالم معنوياكما ترسمها البروتوكولات هي:

- ١ ــ إفراغ القلوب من العقائد الدينية -
  - ٧ إثارة الفتن وتفرقة الجماعات .
- ٣ ... إفشاء الرشوة بين الأفراد على جميع المستويات .
  - ع تزيين الشهوات الجنسية وكل ما يؤدي إليها .
    - نشر الإباحية بكل وسيلة عكمنة .
      - عاربة الأخلاق الفاضلة .
- - ٨ أو ظيف الفنون و الآداب لخدمة أطماعهم العالمية .
- تسخير الصحافة ووسائل الإعلام فى الترويج لمكل مايخالف الدين
   ويغرى على الفساد .
- ١٠ ترويج النظريات العلمية والفلسفية د الملحدة ، كالداروينية والفرويدية والميكيافيللية والجلسية والوجودية وكل ما يقوض دعائم الإيمان.
   وهذا الاحتمال أقرب الاجتمالات في ضلال العلمانيين وإضلالهم . . ؟ 1

# الفلسفات الجلكيمة والعلم المستنير والدليل على وجود الله :

الفلسفة الإطمية على اختلاف منازعها ، والعلم التجريبي على تنوع مجالاته كلاهما استقر في المهاية على الجسسارم بأن دالله موجود، وجوداً يحيط بكل مظاهر الكون وتدبير أمره بقوة غير متناهية ، وإرادة كلها حكمة واتزان وعلم لايضرب عنه شيء ، والله هو : المظمة في أكل صورها .

الفيلسوف قرأ كتاب الكون فى صمت بغير صوت ، والعالم غاصرورا. الأسرار فى ما أخضمه للتجربة والمشاهدة . وكانت النتيجه الحسمية لكل فلسفة حكيمة وعلم مستنير أن دانله موجود ، وهى نتيجة قر عندها عقمل

العقلاء . وركن إليها علم العلماء . وكل عقل لم يهتد إلى الحقيقة ، وكل علم حاد عن الجادة فليس هو بعقل عن الجادة فليس هو بعقل الجهل بعينه . وكل عقل حادا علم يق فلبس هو بعقل ولا صاحبه بعاقل .

يقول بسكال: صنفان من الناس يصح أن نسميهما العقلاء: والذين يخدمون الله ؟ لأنهم يعرفونه والذين يجدود في البحث عن الله ؟ لأنهم لا يعرفونه ، أجل لقد صدق بسكال . لأن الجاد في البحث عن الله هو لا يد واصل.

وجملة مالدى الفلاسفة الالهيين القدماء من أدلة عقلية على و جودانة ثلاثة أو أربعة على التفصيل:

- ه قانون الوجوب.
- وقانون الحدوث .
- 🕳 وقا نون النظام وهو من فلسفة ابن رشد وقد نوعه نوعين : 🎌
  - ﴿ ﴿ أَ ﴾ قَانُونَ العِنَايَةِ أَوْ دَلَيْلُهَا .
  - (ب) قانون الاختراع أو دليله .

فائله موجود واجب الوجود ؟ لأنه لو قدر غير موجود المزم مر ذلك عمال وهو زوال العالم . والعالم موجود فائله موجود واجب الوجود .

و هذا العالم حادث . وكل حادث لابد له من محدث قديم لا يتو قف و جو ده هلي و جو ده على و جود عيره . و محدث العالم هو الله سبخانه و تعالى .

و دليل النظام عند أبنرشد بفرعيه :

دليل العناية : وهو أن كل مافى الـكون من المخلوقات موافق لمصلحة الإنسان ودال على عناية الله الخالق به كما بين الله ذلك في كتابه العزيز.

ودليل الاختراع: هوكل ما في الـكون من مخلوقات إنما هي مخلوقة لله

فهو الفاعل، وخلقها بإرادة حرة . وكل المخلوفات موافقة لمصلحة الإنسان حتى تركيب الإنسان نفسه وصورته وأعضاؤه كل هذه مخلوقة مخترعة نقه، ومواقفه لمسلحة الإنسان دالة على عناية الله به .

هذه خلاصة موجرة لما وضعه الفلاسفة الأقدمون من أدلة حولوجود القه سقناها طخصة ميسرة بعيداً عن الصياغة الفلسفية الدقيقة توخيا لسرعة فهمها.

وإليكم نموذجا من الصياغة الفلسفية لأحد طرق الإستدلال لتتأمل كيف عنى العقل الفلسني بقضية وجود افله سبحانه .

يقول الفارابي:

د إن الموجودات على ضربين : أحدهما بمكن الوجود، والثانى : وأجب الوجود، وعكن الوجود إذا فرض غير موجود لم يلزم عنه محال .

أما واجب الوجود ــ الله ــ فتى فرض غير موجود لزم عنه محال.ولا عله لوجوده. ولا يجوزكون وجوده بغيره ... (٩٠) . .

وكان لفلسفة الفارابي هذه ، وأبن سينا وابن رشد دور مهم فى الذب عن صدة العقيدة فأضافوا إلى الأدلة النقلية القطيعة الثبوت والدلالة على وجود أقد وكاليات صفاته أدلة عقلية باهرة .

والأدلة النقلية التي جاء بها القرآن الكريم بنيت عليها الأدلة الفلسفية

<sup>(</sup>۸۸) أى أنه فى وجوده منتقر إلى غيره ، وهو واجب الوجود . لأنه سبب وجوده .

<sup>(</sup>٨٩) أي، بالله خالقه .

<sup>(</sup>٩٤) هو فاقال العالم . والعالم موجود فاقه موجود ، قصة الإيمان (٩٠). .

والعلمية قديماً وفى عصر النهضة الأروبية . فالنقت صفوة مباحث العقول والعلموم مع المنهج القرآني الحسكيم فى إقامة أقطع الأدلة على وجود الله وكاله المطلق . وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز العلمي العصري فى القرآن السكريم . يقول أستاذنا العقاد في هذا الصدد :

د أما فلسفة القرآن فى إثبات وجود الله فهى جماع الفلسفات التي تمخضت عنها أَوْوَ ال الحَجَاء في هذا الباب .

و وأشهر الحجج التي اعتمدت عليها الفلسفة الإلهية ثلاث ، وهي :

ه برهان الخلق الممروف عند الأروبيين بالبرهان المكوى . . وبرهان النظام المعروف عندهم بيرهان الفاية والقصد . . وبرهان المعروف عندهم بيرهان القديس انسلم ، (٩١) .

ويلخص الاستاذ العقاد أو يشرح هذه البراهين الثلاثة بما لايخرج عن الفكرة التي اهتدى. إليها الفلاسفة الإسلاميون من قبل . فيقول :

\* و فحوى برهان الخلق أو البرهان الـكمونى أن المتحركات لابد لهما من عورك لانجوز عليه الحركة . و أن المسكنات لابد لهما من موجد واجب الوجود . . . وهذا الموجد هو اقه .

وفحرى برهان القصد أن نظام للمالم يدل على إرادة محيطة بما فيه من
 الاسباب والغايات -

و فحوى برهان المثل الأعلى أن العقل إذا تصور شيئًا عظيما تصور مأهو أعظم منه . . . حتى بنتهى إلى العظمة التي لامزيد عليها ، والعظمة التي لامزيد عليها لا تكون مجرد تصور يقع في الوهم و لا يوجد في الواقع . . . فاقه إذن موجدود لانه أعظم الموجودات (٢٢) .

<sup>(</sup>٩٩) الفلسفة القرآ نية (٩٩) وما قبلها .

<sup>(</sup>٩٧) تفس المصدر بتصرف في الحدف (٩٩).

وذكر الأستاذ المقادآيات من القرآن شاهداً على كل مان من البراهين المتقدمة .

فشاهد رهان الخلق و خلق فسوي ، .

وشاهد برهان القصد، وجعل الكم السمع والأبصار والأفتدة العلمكم تشكرون، شاهد برهان الإستعلاء والإستكال د ليس كشد شيء وهو السميع العلم ، .

والواقع أن الأدلة القرآنية على وجود الله وكالاته لاتقع صورها ومعانيها تحت حصر سريع. وهى أدلة سيقت للعامة كما سيقت للحاصة على حد سواء. خاطبت العقل واستثارت الهمم ، وحركت المستاعر وأبعشت الوجدان ووصفت كتاب الكون بكل ما فيه من مشاه. فهى أدلة فطرية جمعت بين الإمتاع والإقناع. وسوف نقف عند باقة منها في فصل تال من هذا المكتاب. أما الآن فنزيل وقفتنا هذه مع العلمانية الجناهلة بسؤال فحسبه ضربة قاصية لكل أوهام العلمانية والأيديو لجيات المشتقة منها:

السؤال: هل المرجودهو ما يدرك بالحواس فحسب ؟ وأن مالايدرك بالحواس غير موجود في أية صورة من الصور؟!

إجابة العلمانيين والحسيين أو الوضعيين الماديين على هذا السؤال معروفة وهى : لا وجود لما لايدرك بالحواس . نعم هذه هى إجابتهم فإن أقروا لشا بها لزمهم أن يقبلوا تقصنا الآنى لمذهبهم .

و إن لم يقرواكان هذا هدما صريحاً لمذهبهم . فهم مدانون أقروا أو لم لم يقروا فإذا قالوا ... في حالة عدم الإقرار ان هناك موجودات لاتدرك عن طريق الحواس قلنا : حسنا ما قلتم . فذهبكم ... إذن ... باطمل مادمتم قد وافقتمو نا على أن الحواس ليست هي المصدر الوحيد للمعرفة .

و إذا قالوا : ليس هناك موجودات وراء الحواس قلنا : اسمعوا إذن؟

ما هى الروح الى بها تكون الحياة أهى موجودة أم غير موجودة . فإن قالوا : غير موجودة لامهم أن يفرقوا بين حالتين : حالة الحياةوحالة الموت. وليس إلى هذا سببل قط .

و إن قالوا: موجودة قلنا لهم: على أدركتموها بحاسة من الحواس . فإن قالوا: بلى أدركناها بحاسة كذبوا على أنفسهم.

وإن قالوا أدركناها بآثارها وهي الحياة. قلنا :حسنا إن من الموجودات مالا يدرك بالحواس وإنما يدرك بآثاره . وكذلك و الله ، سبحانه . لم يدرك بواحدة من الحواس . وإنما عرفناه واستدللنا على وجوده بآثاره وهي الخلق والتصرف في الكون والتدبير .

وتقول للعلمانيين الجملاء :

افرقوا لنا بين العاقل والمجنون فإن قالوا لافرق بينهما كدبواعلى أنفسهم وإن قالوا إن العاقل من كان عقله موجوداً فيه . والمجنون من ذهب عقله قلمًا لهم :

وهل العقل موجود وأنتم لم تدركوه بحاسة من الحواس فكيف أدركتموه فإن قالوا ـ ولا بد أن يقولوا ـ أدركناه بآثاره وهي حسن التصرف ، قلنا لهم: حسنا ما قلتم ، وكذلك ، الله ، لم يدرك بحاسة وإنما عرفناه بآثاره وهي أعظم وأبهر وأخلد من آثار الروح ومن آثار العقل ، فعلام إذن تنكرون الله وما وراء الطبيعة وها أنتم أقررتم أن من الموجودات ما لا يدرك بالحس وإنما يدرك بالعقل .

وصفوة القول:

أن الموجودات نوعان :

ه نوع يدرك بالحواس وهو ماكان متعلقا بخواص المادة جماداً ونباتا وحيوانا وإنسانا . ه ونوع لايدرك بالحواس وطريق إدراكه إما العقل ، وإما الوجدان وبذلك يبطل مذهب العلمانيين من أقصر طريق .

# حكمة الحكيم:

فتأمل - معى - عزيزى القارى. كيف أن الله سلب عباده حقيقة العلم بالروح وبالعقل معاً . ليثبت حقه ويدحض باطل المبطلين من عباده وذلك من احتفاظه بحقيقة الروح وحقيقة العقل .

فأرقى مخلوقات الله الارضية هر الإنسان .

والإنسان مكون من جسد ( مادة ) وروح ، وعقل .

والجسد بلاروح جيفة منتنة .

فبالروح يحيا الجسدويرقي .

وبالعقل تحيا الروح وترمى . والروح بلا عقل أو عمنالسو اثم البهيميه .

والروح والعقل أسمى نعم الحياة ، ومع هذا فإن واحدا منها لايقع تحت الحواس ، وهما أظهر وأسمى مظاهر الوجود، الافتعساً لبكل علماني جاهل!!؟.

### الشروعدية

الشيوعية : هذا المعنى يعبر عنه بعدة مصطلحات :

فهو حينا الشيوعية وحينا: الاشتراكية العلمية . وحينا آخر: المادية الجدلية ، ومرة: المادية التاريخ. المادية التاريخية . ومرة: التفسير المادي للتاريخ .

وكل هذه التعبيرات ترجع \_ في الأصل \_ إلى شيء واحد ، هو : المذهب الفلسني الذي ينسب إلى كارل ماركس ( ١٨١٨ - ١٨٨٨ م) . وكل مصطلح منها منظور فيه إلى معنى خاص في نظرية ماركس هذا . بيد أن التصير عنه به د الشيوعية ، يمثل تلك المعانى كلها لأنه المصطلح السياسي العام الذي عرف به مذهب ماركس الفلسني . وزاد من شهرته عندما صار لهذا المذهب دولة بعد الثورة الحراء التي قامت سانة ١٩١٧ م وانصوى تحت الإنجاه الشيوعي مجموعة من الدول .

و بمض الكتاب يعبر عن الشيوعية بدر الإلحاد، الآحر أو والإلحاد، العالمي ويمكن إرجاع هذه التعريفات إلى عدة اعتبارات:

- ه فالشيوعية منظور فيها إلى الطابع السياسي .
- ه والمادية الجدلية منظور فيها إلى الممنى الفلسني .
- ه والمادية التاريخية أو التفسير المـادى للتـاريح منظور فيها إلى التطور التاريخي الذي توهمه ماركس .
- وإلاشتراكية العلمية منظورفيها إلى المعنى الاقتصادى فى فلسفة ماركس.
- أما الإلحاد : فنظورفيه إلى عقيدة ماركس وانباعه من حيث الإيمان

باقة وعدمه . وإذا وصف الإلحاد بالأحرفالمراد الرمز إلى خطورة الشيوعية وسفكما للدماء فى سبيل غايتها مهما كانت الوسائل الموصلة إليها وإذا وصف الإلحاد بالعالمي . فلأن الشيوعية تبشر بأن ضبقة من الناس والشيوعيون طبعا ، سوف تسيطر على والعالم ، فى يوم من الآيام فى آخر مرحلة للصراع حسب و مبدأ ، النقيض الذى سطا عليه ماركس من و هبجل ، الفيلسوف الألمانى ، ثم مسخه بعد السطو عليه كما سيأتى بإذن الله .

وقبل أن نوجز الحديث عن مادية ماركس، وكيف سطا على أصل المذهب من وهيجل، وعلى أى نحو مسخه بعد السطو عليه كما يمسخ كل سادق صورة والمسروق، قبل هذا كله نربد أن تلفت نظر القاري، إلى حقيقة بالغة الأهبية وحتى يسير مع هذا والعرص، وهو على بصيرة بحقيقة المادة بالني ندرسها حمنا ويتبين الرباط الوثيق بين سراحل الأيديو لجيات الأروبية في خط سيرها على مسار التاريخ البعيد والقريب.

فقد بدأنا هذه الدراسة بالحديث عن تاريخ الكنيسة في الغرب وعقائدها وتصوراتها العامة والخاصة وسلوكيات رجالهما وآبائها ، وصراعهما مع خصوبها ثم سقوطها في النهماية وقد رضيت من الفنيمة بالإياب ، وقد كانت لها الغنيمة خالصة بلا شركاء .

وعرفنا أن «العلمانية» بما فيهما من صواب وخطأ قبل إلحادها وكفرها كانت ثمرة طبيعية للإنتصار على الكنيسة ، وأن قانون «السببية ، وأضحكل الوضوح بين تعنت الكنيسة وجهلها الذي أدى بها إلى «السقوط» وبين قيام «العلمانية ، على النحو الذي مر بنا تصويره ،

فوقف الكنيسة هو د السبب، وقيام د العلمانية، هو المسبب مافى ذلك من شك وهدف حقيقة بجمع عليها كل المنصفين عن درسوا تاريخ أروبا الفكرى أوكبتوا حول مبير المعرفة والأيديولجيات فيها .

ونفس الشيء يصدق على الصلة الوثيقة بين والعلما نيسة ، و والشيوعية » مع اختلاف مهم لاقصى غاية .

ذلك أن العلافة بين الكنيسة والعلما نية كانت علاقة تضاد ونفور ، فقامت العلما نية على أنقاض الكنيسة . وبهذا ماتت فكرة وحييت فكرة هي نقيض لها أو تضاد وورث اللاحق منهما السابق .

أما العلاقة بين العلمانية والشيوعية فهى علاقة توافق وتما لف وانسجام إلى د أبعد حد ، فالعلمانية لم تحت فى ظل الشيوعية كا مانت الكنيسة فى ظل العلمانية . بلكانت الشيوعية مظلة واقية أو حصنا أمينا للعلمانية وما قامت الشيوعية إلا لحماية العلمانية . وتحضرنى . هنا . عدة تشبيهات لتوضيح العلاقة بين العلمانية والشيوعية اخترت منها الصورة الآتية :

إذا تصورنا العلمانية في صورة « ثعبان ، نشأ بلا أنياب فإن الشيوعيسة هي التي ركبت للعلمانية « الانباب » لتستطيع « العلمانية ، أن تبث سمومها بو اسطة تلك الانباب السامة . فالعلمانية لم تكنذات خطر قبل قيام الشيوعية بل كانت مجرد فلسفة فكرية تقاوم بالحجة والبرهان . ولما قامت الشيوعية حمارت للعلمانية دولة أو دول مسلحة تحمكم بالحديد والنار • هذا هو الواقع الذي يشهد كل المنصفين بصدقه .

وفي إبجاز شديد نقول :

إن الشيرعية إنما هي تقنين وتطور للعلمانية خرجت بهامن مجرد تضورات واهية مقضى عليها بالفشل إلى دكتلة ، بشرية عاملة بكل سلاح . ومن أوضح الآدلة على ذلك أن الشيوعية - الآن - مقتولة عقليها وعلميا ونظريا . . ولكنها دعمليا ، قوة ضاربة تخشى سطونها كبريات الدول .

إذن فالعلاقة بين العلمانية والشيوعية تختلف كل الاختلاف عن العلاقة

بين الكنيسة والعلمانية ، وحسينا هـذا في الحديث عن تصوير العلاقات بين المسميات الثلاثة .

#### بين هيجل وفيتشه:

قلمًا إن ماركس استمار أصـل مذهبـه من فلسفة دهيجل، ثم مسخه وغير معالمه فـا هـى ــ إذن ــ فلسفة هيجل؟ وكيف وقعت عمليـة السطو الماركسي علمها؟!

مذا ما نبينه ـ الآن ـ ومن الله التوفيق .

#### فلسفة هيجل:

طبيجل فلسقة ولكنه لم يبدأها من فراغ ، بل سبقه إلى أصولها فيلسوف ألماني آحرفتيشه وهيجل من أفصار العقل وتكاد أن تتحد نتائج فلسفتهما إلا منوجوه وملاحظات يسيرة تفصل بين المتشابهين إلى حدما .

فقد بدأ فيتشه: بوعان من الفلسفة العقلية المثنائية انتهى منها إلى نتائج وغايات محددة . وجاء هيجل فبنى فلسفته العقلية المثالية على أسس فلسفة فيتشه ، ولكنه اختلف معه بعض النتائج كما سنرى .

### فلمفة فتيشة التي نهج عليها هيجل:

يرى فيتشه : أن تصور الإنسان لنفسه هو بداية الطريق في.فهم العالم الخارجي إلى أبعد حدود المعرفة . وفي ذلك يقول فيتشه ما معتاه :

إذًا تصور الإنسان نفسه . . . أى إذا و أنا ، تصورت : و أنا ، فإن هذا المتصور ينتج عنه :

أولاً : أن وأنا ، هو دأنا ، .

ثانيـًا : وأن ، ما ليس أنا ، هو غير , أنا ،

إيضاح : هذا الكلام في حاجة إلى إيضاح وكثيف. ولإيضاحه نقول:

إن لكل كلمة أو جملة معنيين أحدهما يسمى بـ د المنطوق، والشانى يسمى بـ د المفهوم، فإنك تفهم يسمى بـ د المفهوم، فإنك تفهم من هذه الإجابة أن المسئول هو ، محد، .

وأنه ليس شخصا , غير محمد , .

والمعنى الأول يسمى منطوق العبارة ؛ لأنه فهم من دلالة اللفظ المنطوق مباشرة ، أما المعنى الثانى فيسمى مفهوم العبارة ؛ لأنه فهم من عرض الكلام لا من لفظه .

وإذا قال لك ناصح: لا تسافر ليلا وحدك . كان المعنى المنطوق لهذه العبارة: النهى عن السفر ليلا وحدك .

أما المعنى المفهوم لها فهو: دجواز السفر ليلا فى صحبة جماعة ، بهــذا يتضح مراد فيتشه ، من أن دأنا ، إذا تصورت دأنا ، نتج عنه أن دأنا ، هو دأنا ، وهذه هى دلالة منطوق العبارة كما علمت .

أما المعنى الثانى الناتج عن تلك العبارة وهو رأن ماليس أنا. هو غير دأنا، فهذا المعنى هو مفهوم العبارة لا منطوقها كما علمت .

ومالیس أنا عند فیتشه ، هو العالم الخارجی عن . أنا ، فإذا تصورت أنت نفسك بدر أنا ، كان ماعداك وهو دمالیس أنا ، هو العالم الخارجی كله . وهذا تصویر صادق كل الصدق كما "رى .

ويمضى فيتشه فيقول:

فيها: . أنا ، وهنا أيضا: . ليس أنا ، وتصور: دأنا ، يستلزم تصور: د ليس أنا ، وهذا كما ترى إجمال الما تقدم . وقد فرع عليه فيتشه قوله: و إذن . أنا ، باعتبار أنه يطوى فى ذاته وحود؛ ليس أنا ، هو جامع الشيء ومقابله ، .

والمراد بالشيء هنا هو د أناء أما مقابله فهو د ليس أنا ، .

ویستطر د فیتشه فیری أن العالم الخارجی المرموز له ب د ایس أنا ، لما کان ، أنا ، منطویا علیه و مستلزما له فهو \_ أی العالم الخارجی ـ من عمل دانا، ومن خالمه و إنتاجه ؟ !

و إذا جاز لنا أن نختصر الطريق فى الوصول إلى النتائج من فلسفة فيتشه فإننا نقول:

أَن فيتشه استنتج من فلسفته تلك الحقائق الآثية :

- ه إستقلال العقل فى الوجود عن الجسم وأى كائن آخر ،
- وأن العقل هو سيد نفسه . وسيد غيره « العالم الحارجي ، عنه .
- ه وأن الإنسان حر فى عمله حرية تامة ايس عليه سلطان من خارجه لامن الدين ولا من غير الدين .

وقد خرج بفلسفته هذه من دائرة الفكر الفلسني الجرد إلى عالم الواقع بما فيه من اتساع واستداد على النحو الآتي :

- 1 إن العقل هو وسيلة المعرفة دون ما سواه.
- ٣ إن العقل هو سيد الطبيعة « العالم الخارجي ، لأنها من خلقه وعمله؟!
  - ٣ ـ إستقلال الفرد في المجتمع وصيانة حرماته .
- إن أصحاب العقول الخلائة يجب أن يسودوا و الجماهير ، في شمكل حكومات يتولاها عظماء القوم . وتسكون الغاية هي رقى و الإنسانية ، وسعادتها .

و تقوم فلسفة فيتشه على ( مبدأ النقيض ) الذى سبتضح أمره بعد قليل في عرضنا الموجر لمثالية هيجل .

### هيجل على الطريق(٥):

ولد جورج ولهلم فريدريك هيجل عام (١٧٧٠ م) في شتو جارت بالمانيا و توفى عام (١٨٣٠ م) وكان في بدء حيات العقلية مؤ منا بعقائد اليونان منكراً لمعجزات المسيح و الوهيته ولكنه رجع عن هذا وألف الكتب التي تضمنت هذه المعان . ثم بدأ يضع أسس فلسفته على غرار فلسفة فيتشه .ولكنه أكثر منه وصوحا وشهره . وتتلخص فلسفته في التصور الآتي :

#### المقول الثلاثة:

( إن هناك فكرة مطلقة لها وجود ذاتى أطلق عليها اسم (العقل المطلق) ووجوده ذاتى أزلى قبل خلق الطبيعة . وهذا (العقل المطلق) هو (الله) ومنه افبيقت (الطبيعة) وهى تغايره تماما ؛ لأنها مقيدة ومحددة ومتفرقة أما العقل المطلق فهو واحد وحدة مطلقة عن كل قيد أيا كان ، والطبيعة هي (العقل المقيد).

وبعد ظهور الطبيعة ووجودها انتقلت الفكرة من (العقل المطلق) إلى العقل المغلق) إلى العقل المفيد المحدد): الطبيعة أو الوجود السكوني المشاهد. فالطبيعة سرارة مي خروج الفسكرة من دائرتها الأولى ومن أجل ذلك كانت ضرورة بعني لم تصدر عن إرادة به وهذا بما يؤخذ على فلسفة هيجل. ولذلك تعتبر مقابلا ونقيضا للفكرة في العقل المعلق؟! فالفكرة به هنا به انتقلت من المطلق إلى المفيد أو من النقيض إلى النقيض، فهي إذن باأى الطبيعة أوالعقل المعلق . ؟!

<sup>(،)</sup> انظر في فلسفة هيجل : قسة الفلسفة ( ٧٧٥ ) والفكر الإسلامي الحديث ( ٢٥٩ ) .

ولكنها \_ أى الطبيعة أو العقل المقيد \_ أخذت تسعى من جديد لتكتسب الوحدة الأولى التي كانت لها في العقل المطلق بعد أن افتقدتها في التفرق في السكائنات التي تكوفت في الطبيعة (أجزاء الكون) فوصلت إلى (العقل المجرد) والعقل المجرد يتمثل في:

القانون . والأخلاق . والفن ، وألدين ، والدولة ، والجماعة ، والفلسفة والنظام وهكذا .

وسمى هذا بالعقل المجرد؛ لآنه ليس له وحدة المطلق ولاتقييد المقيد ، أو هو كما يرى هيجل: فيه تقييد بالنسبة للعقل المطلق، وإطلاق بالنسبة للعقل المقيد (الطبيعة).

و المحظ ـ هنا ـ حسب فلسفة هيجل:

أن العقل المطلق احتوى على نقيضه أو مقابله ، وهو الدقل المقيد .

وأن العقل المقيد احترى على نقيضه أو مقابله وهو العقل المجرد .

إذن فالشيء ( العقل المطلق ) انتقل إلى نقيضه : (العقل المقيد)وهو يدوره انتقل إلى نقيضه ( العقل المجرد ) .

وبِدُلك أسفرت فلسفة هيجل عن المبادىء الثلاثة الآتية التي كان فيتشه قد قال بها مع الإختلاف في التسمية • ومبادى، هيجل الثلاثة أسماها :

- ه الدءوى .
- ه مقابل الدعوي. .
- ه الحامع بين الدعوى ومقابلها .
- و تطبيق هذه المبادي عن مراحل الفسكرة عند هيجل هو:
  - ه العقل المطلق دعوى .
- والعقل المقيد هو مقابل الدعوى ؛ لأنه نقيض الدعوى وهي المقل المطلق .

ه الجامع بين الدعوى ومقابلها وهو (العقل المجرد) لأنه يقيد بالنسبة للمقل المطلق، ومطلق بالنسبة للمقل المقيد ·

فإذا أخذنا مبدأ (النظام) مثلا فإنه يكون جامعاً للعقل المطلق (ابقه) وللعقل المقيد (الطبيعة) أى أن العقل المجرد إنما هو جامع لدعوي ومقابلها وقد طبقت هذه المبادى، على عناصر أخرى منها: الماء فقالوا:

إن المادة دعوى به ولاماه مقابل الدعوى و فيحول الماء إلى بخار جامع للدعوى ولما يقابلها وهكذا فى كل شىء تتصوره فيكون دعوى. وتتصور فقيصه فيكون مقابلا لتلك الدعوى . ثم تتصور ما يشمل الجالتين فيكون جامعاً للدعوى ومقابلها .

وقد خص هيجل الفكر وحده بفلسفته فالعقلان الأول والثالث أمران فيكريال وأن توسطهما (الطبيعة) فهي عنده فكرة لأن ما يتعلق بقوانين الطبيعة يسمى عند هيجل به (فلسفة الطبيعة) وما يتصل بجامع الدعوي ومقابلها يسمى: (فلسفة العقل) أما ما يتصل بالعقل المطلق وحده (الله) فيسمى عنده: علم المنطق، أو علم الموجود أو علم الميتافيزيقا. أو ماووام الطبيعة كاشاع ذلك عند جهوور المفكرين فهذه الفلسفات الثلاث:

- ه فلسفة الوجود أو الميتافيزيقا .
  - ه وفلسفة الطبيعة .
  - ه وفلسفة العقل •

هذه المظاهر الثلاثة يتملق كل مظهر فلسني منها بما هناسيه من مبادى مهيجل التي أخذها عن سلفه فيتشه ، فهو إذن جار على منهجه بيد أن هيجل خالف فيتشه في:

أن فيتشه برى أن سيادة العقل يعيادة مطلقة على كِل شيء آخر بيواه حتى على الدين والوحى. بينها هيچل بري أن سيادته مقصورة على الطبيعة وحدها دون الدين والوحى. ثم يتفق الفليسوفان فيما عدا ذلك.

### والخلاصة :

ي أن كلا من فيتشه وهيجل اعتمدا على مبدأ النقيض فى بناء مذهبيهما فالشيء يحتوى على نقيضه ثم يصيران : الشيء ونقيضه إلى ما يجمع بينهما وهكذا فى صور متعاقبة بين المكائن و نقيضه فى دورات متعاقبة لا حصر لها ، لأن جامع الدعوى ومقابلها ليس هو آخر مرحلة فى الوجود بل هو نفسه خاصع لقانون النقيض حيث يتحول نقيضه إلى منافس له ، ثم يجتمعان فى جامع جديد وهكذا .

م وأن كلا منهما أعمل مذهب في مجال الفكرة وانتهيا إلى سيادة العقل سيادة مطلقة عند فيتشه . وعلى الطبيعة وحدها عند هيجل .

وأن هيجل، وهو الذى استمار ماركس فلسفته لميهدر قيمة الدين بلكان مبالغا فى احترامه وتقديره لدرجة أن نحى العقل ولم يجعل له سلطانا على قيم الدين وتماليمه. والآن قد جاءت المناسبة لمعرفة فلسفة ماركس وتصوراته

### ماركس وفلسفته المستعارة :

ليس لماركس أصول فلسفية خاصة به . وإنما أصول فلسفته مستعارة من فلسفة هيجل التي استخدم فيها رمبداً النقيض، على النحو الذي أوجزناه . وهدذا بإجماع دارسي فلسفة هيجل وفلسفة ماركس ، ولن أجد بيانا أوضع للعلاقة بين فلسفتي هيجل وماركس من التمثيل الآتي :

لو تصورنا أن رجلا صاغ بمهارة نادرة ثلاثة إنادات. فأحكم صناعتها وصوغها ثم وضع الآواني الثلاثه على شكل هندسي بديع أحكم فيه العلاقات بين الآواني الثلاثة ، ثم وضع فى كل إناء منها سائلا معينا ، وراعي أن يكون بهين والسوائل الشلائة ، نسبا وعلاقات محددة ، تصترك في بعض الخصائص وتفترق في بعض الخصائص في غفل عنها وجاء رجل آخر فسطا على الآنية وتفترق في بعض الخصائص .ثم غفل عنها وجاء رجل آخر فسطا على الآنية فيها فيها من سوائل ومواد، محافظا على العلاقات الموجودة أبين الآنية، ثم أنرغ

الآنية الثلاثة من محتوياتها ذات النسب والعلاقات الموضوعة وضعاً حكيا متقناً ، ووضع بدلها محتويات جد غريبة عن الأولى وهي فيها بينها متنافرة لاذوق فيها ولا بديع سنعه . إذا تصورناه ذه الواقعه فإن الوجل الأول هو وهيجل، والثاني هو وماركس، والآنية الثلاثة هي مبادى، وقيم هبجل ، ومحتوياتها هي الأفكار المجردة أو المثالية التي كسابها هيجل أصول فلسفته ، إذا تصورنا هذه الواقعة ظهرت اننا بوضوح انتحالية فلسفة ماركس . وأنه لأفضل له إلا في تفريغ الآنية من محتوياتها . ثم ملؤها عموب ومفارقات .

هذا هو ما صنعه ماركس ، فقد سطا على مبادى هيجل و مسخهاوغيركل معالمها وأدعى أنه هو و ساحب مذهب فلسنى ، لم يسبق إليه وهذا إجمال في حاجة إلى تفصيل :

### و التفصيل:

إن هيجل لايرى وجوداً لغير الفكرة، وأنها سابقة على وجود الطبيعة م وإن الطبيعة منخلق وإبجادالفكرة المطلقة أوالعقل المطلق الذي يرمزبه هيجل عن والله وأن العقل المطلق الذي هو \_ عنده \_ الله قادر على كل شيء وعنه انبثقت كل السكائنات .

بينما يرى هيجل ذلك إذا بماركس وقد سطا على مبادى ميجل وأساس فلسفته وهو استخدام ومبدأ النقيض وإذا به يعكس القضية المسطو عليها عكساً قبيحا وفلا يرى في الوجود وجوداً لغير ولمادة وسالطبيعة وأنها سابقة على الفكرة، وأن الفكرة أي فكرة دينا أو غير دين إنما هي من خلق وإيجاد المادة ويجول المادة هي القادرة على كل شيء هي المخالفة والأزلية والابدية أي أن كل مافال به هيجل في وصف العقل المجرد (الله) أخذه ماركس ووصف به الطبيعة وراح - بعد ذلك - يطبق مذهبه المسموخ على أحداث

الكون و تطوره و يرجعها كلها إلى عامل واحد هو : «الاقتصاد، وهو عنصر مادى أقامه ماركس ليشرح على هداه تصوراته الفلسفية على شكل تطبيقات وهمية ليس له عليها دليل . لافى ما مضى من الاحداث ، ولا فى قلبؤاته عن المستقبل البعيد والقريب على حد سواء .

وماركس لولا هيجل ليس شيئًا ؛ فقد وجد أصول منهج هيجل جاهزة وميداً النقيض هو مركز الدائرة فيها ، ولم يصنع ماركس إلا أن أفرغ مبادى عيجل من محتواها وصب فيها ، ماديته ، وهي غريبة كل الفرابة عن مبادى عيجل ولم يبد بينهما أي انسجام .

يقول لينين وهو واحد من أقطاب المذهب الشيوعى ، ومن كسار مؤسسية فى بيان الصلة بين فلسفة ماركس ومبادىء هيجل التي سطا عليها ماركس:

د إن كتاب رأس المال لا معنى له بغير مذهب هيجل القائم على تطور النقائض أو الثنائية ، ٢٦٠ .

هذا اعتراف خطير من لينين بتبغية فلسفة ماركس لفلسفة هيجل، مع الفارق الكبير بين الفلسفتين: فلسفة هيجل مثالية بجريدية محضة. وفلسفة مأركس مادية خالصة وماركس نفسه يعترف بهذا الفارق الكبير بين فلسفته وفلسفة هيجل إذ يقول: ولا يختلف منهجي الجدلي في الأساس عن منهج هيجل فقط، بل هو نقيضه تماما، إذ يعتقد هيجك أن حركة الفكر التي يجيدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس هو سوى الصورة الظاهرية للفيكرة. أما أنا فاعتقد على العكس أن حركة الفكر ايست سوى انعكاس حوكة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الإنشان،

فى هذه المكلمة الموجزة أودع ماركس جماع الأمر كله فى فلسفته فبينها يرئ هينجل أن الفكرة سابقة فى الوجود على المادة وأنها صافعة المادة بكل الإنسانية والشيوعية (٩٩) عباس النقاد .

صورها وهيآنها وأركانها وأشكالها إذا بماركس يقول: إن المادة سابقة فى الوجود على المسكرة وأنها ـ أى المادة ـ سانعة الفكرة بكل صورها وهيآنها وأركانها وأشكالها .

وترتب على مقولةماركس مذه ضلال كبير سوف أمرض لابرزمظاهر. عند المادبين الجدليين أو الشيوعيين.

### معنى الجدلية :

نقب ـ هذا ـ وقفة قصيرة حول معنى: المادة ، ومعنى الجدلية لنـكون على بينة من الموضوع الذي نحن بصدده .

و معنى المادة فى أبسط صورة أنها ما يدرك عن طريق الحواس : لمس أو ذوق أو نظر . أو شم ، أو سمع ، وقد يعبر عنها بأمها ماله وجود خارج الذهن، فأنت مثلا تمسك الآن بهذا الكتاب : فيدك تلسه ، وعينك تبصره . فهو إذن مادة مدركة بحاسنى اللمس والنظر .

وفى نفس الوقت لهذا الكتاب وجود حارج الذهن ، أى ذهنك وذهنى وذهنى كل من بيصور كتابا ، بدليل أنه يشغل جيز من الفراغ .

أما معنى حدل أو جدلية ، فأصل الجدل هو فتل الحبل باليد ايقوى ويمتد ، ثم تو سع فى هذا المدلول فصار الجدل يطلق على المناظرات والبحث والإستدلال بإيدا . كل خصم ما عنده من أدلة وبراهين والإحتجاج بها على الخصم الآخر ، ثم يبدأ الخصم الآخر بمناقشة ، أدلة خصمه ويكشف عما فيها من تناقضات ، و بهذه العملية الجدلية أو المناظرة ينكشف الحق ويندحن الباطل ، هذا هو مغنى الجدل (٢) .

ويرادب كلمة الجندل مصطلح: الديالـكتيك، وهو كما يقول ستالين للزهيم الشيوعي المعروف:

(٢) انظر الأسان ج ١٦ ص ١٠٣

، اخزت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية: دياليغو. ومعناها المحادثة والمجادلة وكان الديالكتيك يعنى في عهد الأولين: من الوصول إلى الحقيقة، باكتشاف التناقضات التي يتضمنها إستدلال الخصم، والتغلب عليها.

وسميت المادية الجدلية \_ يعنى الشيوعية \_ لأن الديال كتيك أواجدل هما خير وسيلة لاكنشاف الحقيقة . . . وقد استخدم الجدل أو الديال كتيك (٤) عند ماركس وأشياعه كنهج فكرى طبق على حوادث الطبيعة فصار الطريقة ، المألوفة عندهم لمعرفة الطبيعة .

ومعنى هذا في إبجاز : أن المادية تعنى أمر بن:

أولهما . المادة المدركة بالحواس أو ماله وجود خارج الذهن .

وثانيهما: الحوار أو الجدل حول هذه المادة سعيا لمعرفة حقائق الطبيعة بواسطة القوانين الحاصة بها، والتي أسفر عنها المنهج التجريبي المغاوى، للمنهج العقلى والوحى الدبني.

# مجال استخدام هذا المنهج عند المادبين أو الشيوعيين:

لا بحث عند الماديين إلا حول المادة وفى المادة على الأصل عندهم . والبحث المادى عند الشيوعيين له عدة مظاهر يجمعها ـ فيما أرى ـ إتجاهان كبيران:

أولها: الإنجاه التاريخي ، وهو المرموز إليه بالمادية التاريخية .

وثانيهما: الإتجاه الواقعى، وهو المرموز إليه بالمادية الجداية وفي هذين الإطاريين بقتصر حديثنا عن الشيوعية تصوير أو تقداو تقضا ومناقشة، إذ ليس همنا في هذه المواجهة دراسة الشيوعية من حيث أنها مذهب فكرى وسياسى.

<sup>(</sup>٤) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية بتصرف (١٤ ـــــــ٥١ ) .

وإنما همنا مواجهه أصولها ومبادئها على ضوء العقل والعلم والواقع وما قرره الإسلام من حقائق وعقائد .

و الإسلام قد استخدم كلا من العقل والعلم والواقع مصادر حية فى جدله الوجداني مع خصوم الحق ، وكثير! ما أدار معاركه الجدلية على هذه المصادر فغلب ولم يقلب د وقهر ولم بقهر وان يقهر إلى قيام الساعة ،

## المادية التاريخية :

هذا هو أحد الإتجاهين الكبيرين اللذين كانا بجالا لبحث الشيوعيين أو الماديين في المادة والطبيعة وحول المادة والطبيعة والعنصر الآساسي فيه هو الافتصاد؛ لآنه المحرك عندهم لكل أحداث التاريخ ، وهو أولرابطة ربطت بين البشر عندهم وطم في تحقيق هذا فلسفة عجيبة لآنهم يقولون :

« لابد لأجل الحياة البشرية من أن يكون فى مقدور البشر تلبية حاجاتهم الصرورية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ؛ لذلك فإن المطلب الأول هو إنتاج هذه الوسائط القمينة بسد هذه الحاجات ، .

ويرتبون على هذه المقدمة هذ الفرض:

و فالرابطة المادية مى الأساس الاول الذى جمع البشر ، وهى قـــديمة
 وجدت منذ وجد الإنسان ، وسابقه على كل رابطة أخرى ، .

وفى ذلك يقول ماركس تفسه :

و هكذا فإنه من الجلى تماما منذ البداية أن ثمه رابطه مادية تجمع بين البشر بعضهم بعضا . . وهى قديمة قدم البشر أنفسهم . . وبذلك تمثل تاريخا حتى قبل أن يوجد أى هراء سياسى أو دينى . .

فالاقتصاد ـ إذن ـ هو الرابطة المادية الآولى والوحيدة ـعندالشيوعيينـ جعت البشر وكونت منهم جماعة إنسانية قبل أن يكون هراء ـ هكذا ـ سياسي أو ديني ؟ !

وليس هذا بفريب على تفكير ماركس والشيوعيين عند من بعرف أصول الفلسفة الماركسية التى تقوم على أن المادة سابقة فى الوجودعلى الفكر. وسيأتى بيان هذا والرد علميه قريبا بإذن الله . و لما كان الاقتصاد هو المحرك لحوادث التاريح فإن الشيوعيين يفترضون أن المجتمع مربعدة مراحل تاريخية مهدة لقيام النظام الشيوعي العالمي . ونلك المراحل عندهم هى :

- المشاعية المدائية ، ثم انتقلت البشريه منوا إلى :
  - ه نظام الرق ، ثم انتقات من نظام الرق إلى :
- ه نظام الإنطاع، ثم تحوات من الإنطاع إلى :
  - الرأسمالية . وأبحوات من الرأسمالية إلى :
- الإشتراكية . أما الإشتراكية فبى المرحلة قبل الآخـيرة التي سيأتي
   بعدها النظام العالمي الدائم ، وهو الشيوعية .

ويفسرون المشاعية البدائية بأن الطفام كان مشتركا بين الناس جميعا ولم يكونوا يعرفون نظام الملكية الحاصة ، وكان حصولهم على الغذاء ارتجاليا يوميا ولم يعرفوا نظام ادخار القوت. وحتى المسكن كان مشتركا بين عدة أسر ، بل القبيلة كانت تسكن تحت ستف واحد ، ولم يعرفوا والتوحيد ، في الزواج فسكان الزوج عدة زوجات ، والمزوجة عدة أزواج . ١٢

يقول الشيوعيون:

كان القطيع البدائي أول شكل انتقالي المجتمع ... واقد ظهر ذلك القطيع عندما انفصل الإنسان عن الحيوان ١٤ .. وما زال باقيا حق تكونت ملامح الإنسان الحديث نتيجة لتطورها التدريجي البطيء ، (\*) ١٤

هذا النص يدل دلالة و اضحة على صلة المادية التاريخية ـ الشيوعية ـ بنظرية

<sup>(</sup>٥) المادية التاريخية ( ٣٢٥ ) .

داروين التي سبق ذكرها وكانت إحدى دعائم العلمانية التي استمدت الشيوعية مقدمات وجودها منها .

وبانحلال المشاعية البدائية ، وسبب انحلالهما عندهم تقدم الفرد ووصل إلى اختراع أدوات الإنتاج ، عرف الأفراد طريق الملكية الحاصة التي نشأ عنها نظام الرقيق وهو التحول الأول بعد المشاعية البدائية . ثم نشأ عن هذا النظام نظام الإقطاع الذي ظهرت فيه المزارع المكبيرة والإقطاعبات . وعن نظام الإقطاع نشأت الرأسمالية . وعن الرأسمالية نشأت النظام الاشتراكية . وكل هذه النظم كا نت خاضعة لقانون الصراع بين الطبقات ، ومحكومه بقانون آخر يطلقون عليه :

# قانون : نفى النفى أو سلب السلم . وسيأتى بيانه قريبا إن شاء الله .

أما النظام أو التحول العظيم عندهم الذي ليس بعده نظام يضارعه ويحل محله فهم النظام الشيوعي الذي سيسيطر فيه العال أو البرولتاريا على أدوات الإنتاج. ويعدها تصبح الدنيا جنة ملا متاعب ولاشقاء؟!

### الوسائل والأهداف:

لما كان الاقتصاد عند الشيوعيين هو (الوقود المحرك لعجلة الحياة) وكانت الأوضاع الاقتصادية الآن تذيى إلى نظامين كبيرين.هما:الرأسمالية وهو النظام الاقتصادى والاشتراكية فإن الشيوعيين يحملون الرأسمالية وهو النظام الاقتصادى المناوى م لنظامهم كل المتاعب والإنقسامات والشرور التي تمنى بها الآن المجتمعات البشرية . وأصبح للشيوعيين أهداف يحلمون بها ويعملون من ألمحتمعات البشرية ، وأصبح للشيوعيين أهداف يحلمون بها ويعملون من ألوضول إليها ، وهي تعميم النظام الشيوعي في العالم وسيادة الطبقة المكادحة والعال ، الذين يسخرهم أصحاب رءوس الأموال في مصالحهم ويحرمونهم من من هرة عملهم ، ويستأثرون هم بفائض القيمة من الإنتاج فيعيشون في بذخ ورفاهية ، ولا يعطون العمال إلا القليل ،

إذن لابد أن يسقط النظام الرأسمالى المتطرف وصولا للغاية المرجوة أو الأهداف السكبرى للشيومية ، وللوصول إلى هذه الأهداف فإن الوسائل المرضية عند الشيوعيين هي :

ه الصراع إلى النهاية مع النظام الرأسمالي و عدم مهادنته في أية صورة من الصور .

ه القضاء على الملكية الحاصة قضاء ناماً ، وتمكين المجتمع أو الدولة من الثروة القومية .

ه محاربة كل العوامل التي تسائد الرأسمالية وتساعد على بقائباً .

هذا وقد انطلت أحلام الشيوعية على بعض الشعوب وبعض الأشخاص من المثقفين - وذلك يرجع إلى أسباب سلبية فى النظام الرأحمالى الغربى قد استغلثها الشيوعية وركزت عليها فى الدعاية والترويج لها - ومن أبرز تلك الأسباب:

١ - ظهور مشكلة البطالة والفقر في دول الغرب بعد الحرب العالمية الثانية
 ف ظل النظام الرأحمالي .

٢ ـ سوء سيرة دول الغرب في الشعوب المستعمرة ، وامتصاص خيرانها
 وحرمانها من كثير من حقوقها الطبيعية .

٢ ـ إظهار التحول من الرأسمالية إلى الشيوعية في مظهر ضروري حتمى
 سيقع نتيجة للتطور التاريخي المزعوم .

الترويج لمبدأ (عدم الشات) نتيجة للتطور ، وإشاعه القول بأن القيم والمبادى، غير ثابتة كالدين والأخلاق والعادات والتقاليد .

ه ـ إنخداع الشعوب الفقيرة بأن الشيوعية ستحلكل مشكلات وتقصى على متاعمها قضاء تاما . تلك هي الاهداف ، وهذه هي الوسائل إلى وسائل أخرى بجدة ما الرفاق، لمحادبة الدين ، وتلويث سمسة المفكرين ، وخلق الفتن والاضطرابات ، وشيرع الإباحية والإستهتار بقيمة المرأة ، وجعل وظيفتها خاضعة لخدمة الإنتاج من حيث إنها مصدر لقاح للرجال .

## تطور من نوع آخر :

ولدى السمو عيين نطور آخر غير تطور المجتمع من الزاوية الاقتصادية من المشاعية البدائية إلى الفقام من المشاعية البدائية إلى الفقام السيوعى العالمي المرتقب.

وإذا كان هذا النطور الاقتصادى خاصا فإزالتطور الثاني عاما ولكنه على ثلاث درجات لا تمس كما في التطور الاقتصادى والشيوعيون لما كابواهم الوريث الشرعى للعلما نوين . فإن النطور ذا الدرجات الثلاث مستعار من تصورات العلما نية بالحرف و المعنى . وذلك إنهم يقسمون تاريخ المعرفة الإنسانية ثلاثة أقسام مرحلية ، أعنى أنه تقسيم زمنى لا نوعى ، وقسد تصوره على التحو الآثي :

١ --- كانت وسيلة المعرفة الأولى فى عصور الإنسان البدائية هى الدين.
 كان الدين عندهم فى تلك المرحلة هو مصدر المعرفه .

٣ -- ثم حل محل الدين الفلسفة العقليه ؛ وأقرب شاهد معروف على هذا
 د عندهم ـ الفلسفة الإغريقية ومن أقطابها سقراط وأفلاطون ، وأرسطو ،
 وغيرهم .

٣ ـــ وأنتهى دور العلسفة العقليه كما انتهى دور الدين من قبل . وحلت الفلسفة الحسيه أو الوضعية القائمة على المادة المدركة بالحواس محل الفلسفة العقلية التى كانت. بدورها \_ قد حلت محل المعرفة الدينية . وكان أوجست كونة هو حامل لوا، الفلسفة المنصمة .

و فلسفة كو نت الوخدمية الحسبة من ملائمات الفلسفة المادية الجدلية التي قامت عليها النظم الشيوعية ؛ وذلك لأن كو نت يرى :

د أن المعرفة الإنسانية تستند إلى علاقات الظو أهر بعضها يبعض ، وأنه ليس هناك في دائرة المعرفة مطلق يجعل أساسا لمجهول ؟ 1

والمبدأ المطلق الوحيد الذي له اعتبار عام هو أن كل شيء نسبي ؟!

وإذن ليس هناك فائدة من الحديث عنالاً حوال والعلل الأولى للوجود، ولا عن أهدافها الآخيرة وسي معرفة الميتافع بقا والدس، ١٦١٤.

ولعل القارى، الحكريم قد فطن لماذا حدث الإنسجام التام بين تصورات الشيوعيين وللسفة أرجست كونت . وأسباب الإنسجام هي :

١ - إن كونت يحصر مصادر المعرفة كلها في المادة المدركة بالحواس
 ويدعو إلى سيادة العلم .

۲ – ویننی أن یکون فی الوجود ( مطلق ) یعنی ( الله ) نفسر بوجوده المجلوم الامور المجهولة ویری :

ع - والمعرف المادية التي تأتي من المادة عن الحواس ( قواتين الطبيعة ) كافية في تفسير مظاهر الكون فلاداعي لمذن لمعرفة ماوراء الطبيعة (الميتافيزيقا) أو الدين .

هنا هو التقسيم ذو الدرجات الثلاث:

من الدين إلى العقل إلى الحواس والمادة .

وبمضهم يعبر عن المرحلة الأولى (الدين) بمرحلة السدّاجة أو البدائية

<sup>(</sup>٦) الفسكر الإسلاى الحديث ٣٤٣ - ٢٤٤

ومعلوم أن المرحلتين الأوليين قد انتهى دورهما فى سلم التطور والرقى فى تصورات العلما نيين وللعلما نيين الشيو عيين ١٤

ومعلوم ـ كذلك ـ أن الشيوعية تهدر قيمة الدين وتلغى وظيفة العقل؟!

# قانون نني النني أو سلب السلب :

كنت قد حدثتك حديثا عابرا عن هذا القانون . والآن جاء دوره و بيان قيمته عند الشيوعيين .

هذا القانون هو من صنع العلمانيين الذين ورثهم الشيوعيون. ومعنى ننى الننى أو سلب السلب أن كل سرحلة أن مراحل التطور اقتصاديا كان أو معرفيا تعقبها مرحلة أخرى هى أرقى منها وأسمى . أي أن المرحلة السابقة تعتبر نفيا أو سلبا بالنسبه للمرحله التي لحقتها ، فالسابق أدنى واحط ، واللاحق أعلى وأفضل . أي أر ننى الذفي أو سلب السلب هو إحلال ظاهرة فاضلة ، رفيعة على ظاهرة مفضولة منحطة ؟!

و تطبيق هذا القانون على مراحل التطور الاقتصادى ينتج:

- أن نظامَ الرق أفضل من نظام المشاعية البدائية ١٤٠٠
  - ه وأن نظام الإقطاع أفضل من نظام الرق .
  - وأن نظام الرأسمالية أفضل من نظام الإقطاع .
- وأن نظام الإشتراكية (المجتدلة) أفضل من نظام الرأسمالية .
- ه وأن نظام الشيوعية أفضل النظم المتقدمة ، ولدلك فلن يأتى نظام آحر منفيه ؟ !

أما تطبيق قانون نني النني على المراحل المعرفية الثلاث فينتج.

ه أن الفليفة العقلية أفضل من الدين ١٩

• وأن الفلسفة الوضعية أفضل من المسرفة العقلية ، ومن المعرفة الدينية • وأن اللدن حسب هذا القانون هو أحط الدرجات الثلاث • • ؟ !

و من يدقق النظر فى هذا يلحظ بوضوح استخدام نظرية داروين فى التطور والإنتخاب الطبيعى : لأن الطبيعة عند داروين تختار الأصلح دائماً والاصلح فى التطور الاقتصادى هو : الشيوعية العالمية ؟ ١

والأصلح في التطور المعرفي هو المعرفة الوضعية الحسية ١٤٠٠٠ والأصلح فلن ينفي الشيوعية نظام آخر ؛ لأنها أصلح النظم أا

ولن يننى المعرفة الوضعية الحسية معرفة أخرى . لأنها أصلح المعارف؟!

هذه خلاصة موجزة كل الإيجاز الجانب التاريخي من فلسفة ماركس، وهــــذا الجانب مقصور كا ترى ـ على التطور الاجتباعي الاقتصادي. وعلى التطور الاجتباعي المعرفي .

وهذان المظهران لم يسلم واحد منهما من النقد والنقض والإبطال لامن خصوم الشيوعية فحسب وبل من الشيوعيين أنصهم مما اضطرهم إلى الانتقال من وصف القداسة الذي كانوا يضفونه على قس الشيوعية الأول (ماركس) إلى موقف الدفاع عنه ربحاولة تنقية فلسفته من اللاخطاء الجسيمة التي ظهرت في أثناء التطبيق وعلى أيدى فاقديه من غير الشيوعيين .

### بين الماضي والمستقبل :

قد يهون الخطب إذا اقتصر النقد الموجه إلى فلسفة ماركس على التانب التاريخي الاقتصادي منها لأن ماقاله هو فيه مجرد فروض و تخمينات ترجع إلى عصور لم يعما وعى التاريخ وعيا كاملا ، والسكن ماركس ورط نفسه في تنبؤات عن المستقبل بامت كلما ـ تقريبا ـ بالفشل وما يزال الواقع حتى في أقوى المجتمعات الرأسما أية يضيف صور بعد صور من فشل التنبؤات الماركسية

عن الواقع الرأسمانى وصلته بالعال. وبذلك ظهرت فلسفة ماركس وكأنها. همهمات محموم غلبه الوجع وأفقده القدرة على ضبط لسانه فطفق يقول وهو لايدرى ما يقول.

### مناقشة من وجهة نظر إسلامية :

لانريد أن نطيل فى مواجهة ما تقدم من فلسفة ماركس من وجهة النظر الإسلامية لذلك لن تتمرض بتوسع لمراحل التطور الاقتصادى الحمس التي تصورها هو وأنبابهم ، فالتاريح الموغل فى القدم لا يملسكم أحد ومن يدعى أنه يملك القول الفصل فيه فقد تنسكب سواء الصراط .

أما أول نقطة نتناولها في هذه المواجهة فهي :

### ١ \_ مأخذ علمي خطير:

نهم : مأخذ علمي خطير تورط فيه ماركس وأثباعه ظانين أن خصومهم لن ينتبهوا إليه أو لم يظنوا ولكنهم في حالة يأس لم يكونوا يبادلون فيهابما يسفر عنه النقد أو النقض من نتائج.

فاركس كما علمنا سطاعلى فلسفة هيجل القائمة على استخدام مبدأ النقيض أو الثنائية المادية . و مقتضى فلسفة هيجل عدم الوقوف عند مرحلة معينة من مراحل التطور .

فالدءوى، ومقابل الدعوى ينتهيان عند و الجامع بين الدعوى ومقابلها وبهذا تتم دورة واحدة من دورات استخدام مبدأ النقيض. ثم تبدأ دورة أخرى فيها:

دعوى ، ومقابل دعوى ، ثم جامع بين الدعوى ومقابلها . والجامع بين الدعوى ومقابلها . والجامع بين الدعوى ومقابلها يصبح بدوره ـ فى عملية جديدة ــ دعوى لهما مقابل جديد وجامع بينها وبين مقابلها جديد كذلك .

أى أن النقيض يعمل على شكل مستمر بدون توقف مادامت الحيساة لم تتوقف هذا هو عمادفلسفة هيجل. ولكن ماركس بعد أن سطا عليها أفرغها من محتواها الفكرى كا تقدم وصب فيها محتوى ماديا. وهذا قد أخذ على ماركس من كل ناقديه .

ثم أتبع هـ ذا المسخ خطأ آخر حيث جمد مبدأ النقبض عند الوصول به إلى الشيوعية فى التطور الاقتصادى ذى المراحل الخس ، وعند المعرفة الحسية الوضعية فى التطور المعرفى ذى الدرجات الثلاث. وهذا معناه أن ماركس ، ومعسه كل الشيوعيين ، لم يكونوا موضوعيين ولا أمناء ولا صادقين فى فلسفتهم ، بل إن الهوى هو الذى كان يسيطر عليهم حيث أعملوا المنهج فيما حقق لهم غرضهم ، ثم جمدوه أو أبطلوا مفعوله فيما وراءه من ثنائيات وتطورات ،

ولو كانوا صادقين فى فلسفتهم لأفسحوا المجال لتحول الشيوعية حين يصلون إليها من خلال استخدام مبداً النقيض إلى نقيض لها تصدح معه الشيوعية دعوى، ونقيضها مقابل لها. ثم يتحولان: الدعوى ومقابلها إلى جامع بينهما، وهكذا فى سلسلة من الدعاوى ومقابلاتها والجوامع بينهما، ول.كنهم لم يفعلوا ولن يعقلوا وهذا يلزمهم - جدلا ومناظرة - بواحدة من انتير لاثالث لها:

أولاهما : أن يعترفو ل بأنهم غــــير موضوعيين ولا أمناء في البحث والإستنتاج .

وأخراهما: أن يفسحوا المجال لتحولات أخرى تأتى بعد الشيوعية إلى نهاية المطاف فإن أقروا بالآولى فهم الحاسرون.

وإن أقروا بالثانية فهم الحاسرون .

وإن لم يقروا بواحدة منهما فهم ـ أبداً ـ الخاسرون .

إن الخسران محالف لهم كمحالفة الظل لصاحبه . وذلكُ عقبي كل مُبطلٌ معاند .

#### ٢ ــ الاقتصاد في سلوكيات البشر:

من أبرز الدعائم التي قام عليها التفسير المادي للتاريخ عند ماركس إعتبار الاقتصاد مصدرا لتفسير أحداث التاريخ وماركس بهذا القول يناقض سنن الحياة ولم يستمد في تأصيل نظرته إلى أدلة علية أو تاريخية صحيحة . فن حيث الزمان استمد ماركس كما يقول الاستاذ المقاد ملاحظاته من خلال تلاثين سنة سابقة على القول المنسوب إليه ، وثلاثون سنة ليست تمثل شيئنا في تاريح الإنسانية السحيق الذي لا يستطيع أحد أن يحدد متى بدأ . وكرف بدأ ؟!

ومن حيث الممكان فإن ماركس لم يستمد ملاحظاته إلا منخلال المجتمع. الغربي في أوربا .

وأوربا لبست مى كل المجتمع الإنساني •

والعامل المادى ( الاقتصاد ) مع ماله من أهمية فى حياة الأفرادوالجماعات والأمم ؛ لأنه عصب الحياة ، ولا يشكر تأثيره أحد فإنه ليس المطلب الوحيد ولا العامل الوحيد فى حياة البشر أفراداً وجماعات وأبماً . بل للإنسان مطالب مى أرقى وأبرز من المطلب المادى .

وقد أجمع علماء النفس على أن العوامل النفسية من الألفة والنفرة هي التي تحمر فيه الشيوعيون كل أثر في تمكون الطبقات ونشوء الصراع.

إن مطالب الحرية الفردية والجماعيدة ، ومطالب السيادة والأستقلال موضوعة بالدرجة الأولى فى حسابات الإنسان ، وهى مكاسب لايفرط فيها فرد ، ولا تفرط فيها جماعة . وقد ننشأ حرب عوان بين أمتين أو دولتين إذا

اعتدت إحداهما على حرية الآخرى وعلى سيادتها وسلطانها دون أن يكون للمال أدنى نصيب في البواعث والغايات .

فقد شهد العالم قبل تصورات ماركس عدة ثورات قام بها الأرقاء صد نظم عاتبة وكان الباعث على تلك الثورات مطالب روحيـة ونفسية واحتماعية :

ه حدثت ثورة عارمة فى مصر بعد الأسرة الرابعة قام بها الفلاحون ضد. طلاب السلطان المتنازعين عليه ولم يقم بها عمال الصناعة الذين يعول عليهم ماركس فى هذا الجالكل التعويل 1

• وحدثت حركة الأرقاء فى اسبرطة قبل الميلاد بأربعة قرون وقام بهما الفلاحون صد سلطان زمانهم ولم تخمد إلا بعد عشر سنوات ولم يقم بها عمال الصناعة كذلك لأن الصناعة لم تمكن ذات خطر فى ذلك الزمان .

، وحدثت حركة الارقاء فى الدولة الرومانية القديمة فى القرن الاول قبل الميلاد.

م وحدثت ثورة .لأرقاء في العصر الإسلامي بعد منتصف القرن الثالث. الهجري ، وهي المعروفة بثورة الزنج .

حدثت كل تلك الحركات لأسباب اجتماعية و نفسية وروحية وأدبية . ولم يكن للعامل المادى فيها وجود . وحتى لو كان فإنه ليس العامل الفعال فى قيام تلك الحركات ولو كانت العوامل الآخرى قد انتفت لما صلح العامل الاقتصادى وحده فى قيام تلك الثورات .

وبم نفسر الحروب القديمة بين الفرس والروم مثلا؟ هلكانت تقوم من

العامل الاقتصادى وحده؟ أم بسط النفوذ والسيادة ، وهما مطلبان أدبيان كان وراء قيامها ؟

وكذلك النزعات التى وقعت بين معسكرات العالم فى التاريخ القريب و المعاصر لم يكن العامل الاقتصادى هو العامل الوحيد أو الملحوظ فيها بقدر ما نلاحظ عوامل أخرى لاترجع إلى العامل الافتصادى فى قيامها .

والشورات الداخلية التى تقوم فى دولة واحدة من بعض بنيها قد تكون - وقد للتكثير - لقضاء على فساد استشرى فى الدولة ، أو تبعية تقلل من حرية بنيها دون أن يكون للعامل الاقتصادى فيها أى دور يذكر .

إن عشرات الوقائع التاريخية فى القديم والحديث تكذب بصراحة م مدعيات ماركس والشيوعيين وتسقط الفلسفة المادية من حساب الفلسفات الصحيحة والسبب الوحيد عند الشيوعيين فى الإصرار على أن العامل المادى هو السبب فى نشوء الصراعات بين الامم والشعوب، أن الشيوعيين لم ينظروا إلى الإنسان على أنه إنسان له بجانب مطالبه المادية مطالب روحية أدبية إذا افتقد شيئا منها ثار من أجلها ثورة لم يثرها لجوع أصابه أو حرمان نزل به وحتى ثورته من أجل مطالب مادية سببها أنه يشمر بأنه قد هضم حقه واعتدى على كرامته .

نظر الشيوعيون إلى الإنسان على أنه د حيوان ، يعيش ليأكل ويأكل ليعيش وقدد حصر البيان الشيوعى مطالب الإنسان كا هو معروف ــ فى ثلاثة : هى فى الواقع مظالب للحيوان الاعجم ، وهى :

المسكن، والمأكل، والجنس، ولم يروا الإنسان مطلباً آخر سوى هذه المطالب الثلاثة . وقد أخطأ الشيوعيون حين جصروا مطالب الإنسان في هذه الماديات ولو كانت فعلا هي كل مطالبه فما الفرق \_ إذن ـ بين الإنسان وبين ذئب يطلب فريسة يملاً بها بطنه ومخبأ يأوى إليـه . وصاحبة من بنات جنسه تكون له موضع لقاح ١٤

فالفشل لازم للتفسير المادى للتاريخ من الناحية الاقتصادية . فقد سقنا عدة أمثلة على فشله ، وعلمنا أن الفطرة الإنسانية لها مقدمات سوى المال قد تدفع المال ثمنا للحفاظ عليها . وقد أدرك هذا المعنى الفطرى شاعر عربي قدم حيث قال :

أصون عرضى بمالى لاأدنسه لابارك الله بعد العرض فى المال وعلى نفس المنهج يقول شاعر آخر:

ولم يحفظ مضاع المجدد ثي. من الأشياء كالمال المضاع

جُرِية العقيدة ، وحرية الرأى والقول ، وحرية العمل ، وحرية النملك ، وحرية النملك ، وحرية النملك ، وحرية التصرف، هذه كلما مطالب إنسانية خليقة أن تنشب من أجلما الحروب، وتبييل الدماء ، ويرخص المال .

وما أصدق من قال:

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالروح لابالجسم إنسان

### ٣ - حرية التملك:

ومن أقتل المقاتل الى منيت بها الفلسفة المادية الشيوعية من وجهة النظر الإسلامية أن الإسلام قد لبى مطالب الفطرة الإنسانية ، حين وضع الفرد موضعه اللائق به بين الجماعة الإنسانية ، فأباح له في حدودمنا سبة جدا حرياتة الشخصية ومن أبرزها حرية التجلك والعمل وإنه لاحجر عليه في تصرف لم يؤد إلى الإضرار بالآخرين .

الشيوعية تلغى الملكية الخاصة إلغاء تاما، وتنسب إليهاكل صنوف الظلم وتمنح الدولة حق السيطرة على كل الموارد الفعالة على أن يكون الفرد أجيراً عندها يعمل بما تمكنه منه طاقاته ومواهبه، ولا يعود عليه من ثمرة عمله إلا ما يسمح به نظام الدولة من ضروريات، وتحظر عليه أن يمتلك شيئا ذا قيمة مؤثرة في عجلة الإنتاج.

بينها أباح الإسلام الملكية الخاصة أو الفردية . وجعلها هي الأصل وما يخرج عنها هو الإستثناء .

ولم يكم ف الإسلام بإباحة الملكية الفردية بل شرع لهاالضانات الواجبة لحايتها إذا اعتدى عليها معتد ، فشرع حد السرقة وضمان المسال المتلف على من أتلفه

والملكية الفردية فى الإسلام تمنح صاحبها عدة حقوق نرجع فى الأصل الى أربعة حقوق هى :

١ – حق الدوام . فللمالك أن يحتفظ بملكيته طول حياته .

ب حق حرية النوع . فله أن يمثلك ما يشاء أرضا أو زرعا أو عقاراً
 أو فقوداً سائلة .

٣ ـ حق المقدار . فليس لما يملك حدود يقف عندها ولو ملك مدينة بأسرها .

ع ــــ حق التصرف بالبيع والشراء وألهبة والصدقة -

وكُل ما يَطْلَبُهُ الْإُسْلاَمُ فَى هُذَا الْجَالَ أَنْ يَكُونَ الـكُسْبِ بِطَرِيقُ مُشْرُوعُ تجارةً أو عَمْلُ أو غير هما .

و آن يؤدى المالك الزكاة الواجبة عليه حسب ما عنده من متلكات بالفة ما بلغت وأن لا ينفق ما بلغت وأن لا ينفق ما بلغت وأن لا ينفق ما يملك فى معصية الله .

وأن لا يحمله غناه على الـكبر والطفيان .

وفي هذا الإطار الإنساني المهذب أباح الإسمسلام الملكية الفردية أو الخاصة.

وبذلك فتح الإسلام بابا واسعا لاستثمار المواهب والطاقات أمام الناس. ولم يكبلهم بقيود من حديدكا تفعل الشيوعية التي حولت الآفراد إلى آلات صماء تعمل تحت السيطرة القاهرة لحساب الدولة وهي كارهة أو راضية-أعنى جماعة الآفراد ـ مع حرمانهم من ثمرة عملهم إلا من العيش الـكفاف .

### الملكية الفردية أمام المصلحة العامة:

ومع تقرير الإسلام لمبدأ الملكية الفردية ، وجعلها الأصل في النظام الاقتصادي فإنه أباح تقييدها إذا دعت مصلحة عامة لذلك التقييد كأن تقع أرض في مسار طريق رؤى انشاؤه أو بناء معهد للعلم أو مصحة للإستشفاء من كل ما يدخل تحت المصلحة العامة ، في هذه الحالات تنزع الملككيات الخاصة مقابل تعويض مناسب لأصحابها إذ لاضرر ولاضرار في الإسلام ، ومصلحة الجماعة إذا تعارضت معها مصلحة الفرد رجحت مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، بذاك جاء التشريع الإسلامي الحكيم حيث أباح تقييد حريات المقدار والتصرف في بعض الحالات .

وقد عرف الإسلام منذ العصر الأول الملكيات العامة حيث حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرضاً بالربذة وجعل كلاها حقاً مشاعا لفقراء المسلمين يرعون فيها ماشيتهم، وأمر أن يبعد عنها ماشية الأغنياء أمثال عبد الرحمن بن عوف وعنمان بن عفان رضى الله عنهم أجمين وبين عمر أسباب هذا القرار فقال: وأن تهلك ماشية الغنى رجع إلى ماله، وإن تهلك ماشية الفقير يأتني متضوراً (جائعاً) بأولاده يقول يا أمير المؤمنين طالبا للذهب

والفضة وليس لى أن أنركه فبذل العشب من الآن أيسرعلى من الذهب والفضة عندئذ.

وصفوة القول: إن الإسلام أباح الملمكية الخاصة وجعلها الأصل ، ثم أباح نزعها بلا ضرر إذا دعت إلى ذلك مصلحة عامة أرلى بالاعتبار . وعمر لم يكن مبتدعا فيها فعل ، بل له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة فقد حمى عليه السلام قبل عمر أرضاً فى منطقة النقيع ووقفها على خيل الجيش ترعى فيه ليجاهد عليها المجاهدون فى سبيل الله (٧) .

وبهذا جنب الإسلام الفرد من مساوى. الشيوعية التي يصيرفيها آلة صماء لا تملك من أرحا شيئا .

ومن مساوى، الرأسمالية التي يكون المال فيها دولة بين فريق من الناس هم الأغنياء • والإسلام يحذر من هذا الاتجاه فيقول:

و احكيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، .

فالإسلام ليس شيوعيا يحرم الأفراد من استثبارطاقاتهم ومواهبهم وثمرة أعمالهم .

وليس رأسماليا يجمع الثورة ومصادرها فى أيد قليلة يتحكمون فى مصائر الأمور ، وبشرعون لحماية ثرواتهم .

و إنما هو نظام وسط برعى حقوق الأفراد ، ويصون حقوق الجماعة فلا يلحقالفرد ضرر من قبل الجماعة،ولا يلحق الجماعة ضرر من فرط حقوق الآفراد .

 والجماعة هي مظلة الفرد فيجب أن تحترم مقومانها وترعى حقوقهاوايس عد هذا النظام من مزايا يحلم بها الإنسان ما دام يشعر أنه إنسان .

# أيهما أصلح للإنتاج؟:

والنظام الشيوعى يقوم على السخرة والقهر وإلغاء المشاعر الذاتية للعامل. والمامل فيه يؤدى عمله تحت وطأة الحزوف والجلد، ولو خلى بينه وبين العمل لآدر عنه غير مقبل علمه .

أما فى النظام الإسلامى فإن العامل يعمل وهو يشعر أنه سيد نفسه وله مقوق مكفولة ووآجبات محددة سواء كان يعمل فى ميدان هو يملنكه أو يعمل لحساب غيره بعقد منظم للواجبات والحقوق فإن جار أحد الطرفين على الاخر فساخة القضاء العادل كفيلة بإعادة التوازن الذى تحتيني معه كل أسباب الشكاية والخصومة .

والفلاح الذي يسهر على رعاية حقله ويبذل أفصى ما عنده من طاقة في رعايته بالأنه يشعر بأن تمرة عمله عائدة إليه هو دونغيره هل هو على استعداد نفسى لآن يبذل نفس الجهد لوكان يشعر أنه يعمل في مزرعة شيم عية نذهب حاصلاتها إلى سادته من الرفاق الكبار؟! .

كلا . إن العامل النفسى – هنا – مفقود ، والنفوس البشرية لاتسخو في العطاء تحت عوامل الرهبة بقدر ما تسخو بلا حدود تحت عوامل الرغمة .

وقل مثل هذا فى العامل الذى يدير مصنعا لحسابه والعامل الذى يسخر لإدارة مصنع تدر ارباحه فى د جيوب ، سادة مبجلين لهم من نمرة العملكل ما لذ وطاب وليس للعامل المنتج إلا الفتات ؟ 1

إن النظام الاقتصادي الشيوعي فيه قتل لمواهب البشر ، وحرمان من

ثمرة الجهد والعرق ، وهذا صد طبائع البشرية ومصادرة كريهة لتطلعاتها المجبولة عليها سليقة وفطرة .

### كذب التنبؤات :

ومن صور الفشل الذريع الذي منيت به نظرية ماركس الشيوعية في مجال الاقتصادكذب التنبؤات التي لهج بها وانحـــذ منها دعاية لترويج المذهب الشيوعي البغيض .

فقد تنبأ ماركس أن اضطهاد العمال وحرمانهم يزيد ويتناقم كلما زادت الصناعة وازدهرت ١٢٠

وجاء الواقع يكذب هذه الأنبوءة أفضح تكذيب حتى فى ظل اعتىالنظم الرأسمالية . فبدلا من صياع العمال وانتقاص حقوقهم زادت مكاسبهم فى ظل ازدياد الصناعات الكبرى وازدهارها .

ه فأصبح للعامل نصيب من الربح بالإضافة إلى راتبه الذي يتقاضاه بافتظام وزيادة مطردة عاما بعد عام .

ه وقد كفل قانون العمل حقوقا للعامل لم تكن معروفة من قبل .

عدد له ساعات العمل أالاسبوعية فإذا احتاج صاحب العمل إلى بذل وقت أطول فعليه أن يبذل أجراً إضافيا مناسبا للعمل الإضافى الذى يقوم به العامل - وليس لصاحب العمل إرغامه عليه بدون أجر.

منحه راحة أسبوعية يسترد فيها قواه ويستمتبع بوقته فيها. كيف شاء - بالإضافة إلى ، إجازة ، سنوية يشمتع بها العامل بأجر كامل .

٣ - أجاز له تقاضى حوافر دورية أو غير دورية علاوة عن نصيبه
 من الأرباح .

٤ - كفل له حق الرعاية الصحية والاجتماعية ، والتعويض عن إصابات العمل ، وأمن مستقبله بعد بلوغه السن التي لا يصلح فيها الإستمرار في العمل .

با إذا شعر العامل بظلم وقع عليه من صاحب العمل لجأ إلى القضاء
 العادل عماليا كان أو غير عمالى . وفى سماحته يسود التوازن وتستماد
 الحقوق .

وبعض النظم تشرك العامل معها فى مجلس إدارة المؤسسة عن طريق الإنتخاب الحر البيثل زملاءه من العاملين ويكون صوته حاضراً عندد صدور القرار .

٨ - أتيح للعامل أن يحكون شريكا فى بعض المؤسسات الصناعية أو الاستثمارية الني يتحكون رأسمالها عن طريق الاكتتاب العام فى شكل أسهم أو سندات .

هذه المزايا وغيرها كثير اكتسبها العال فى ظل زيادة الأنشطة الصناعية والتجارية والاستثبارية . وبذلك هوت أنبوءة ماركس بأن العال يزداد ضياعهم واضهاده بازدياد الصناعات الكيرى . هوت تلك الأنبوءة إلى الحضيض .

# الرأسمالية ليست أسوأ من الشيوعية :

ومن فشل التنبؤات التي تصورها ماركس أن النظام الشيوعي سوف يخلص العالم من مساوى، الرأسمالية . وعندما أتيح التطبيق للمبادى، الشيوعية ظهر كذب غيرها من تنبؤات ماركس وأتباع علم

مذهبه من بعده . ووقعت الشيوعية \_كما أسفرت التجربة \_ فيما كانت تأخذه على الرأسما اية من قبل .

فالثروة فىالنظام الرأسمالى محموسة فىأيدى قلة منالبشر هم أصحاب رءوس الأمو ال والمؤسسات الصناعية الكبرى . هذا صحيح .

والثروة فى النظام الشيوعي فى يدقلة لا تتمداهم، وهم رجال الحوب الشيوعي وحدنته الاعلون.

وإذا كان العمال مستذلين فى النظام الرأسمالى فإن الآثرياء والمفكرين مستذلون فى النظام الشيوعي .

ف كلا النظامين له صحايا ، وله سادة . ولم يسلم نظام منهما من اللمن والهمد ، والوصف بالمعايب والنقائص . ولذلك لم يستطع واحد منهما أن يسكون جديراً بالريادة والتوجيه ، وليس في حساب أي منهما قضاء على المحقد الدفين وبواعث الثورة والإنتقام .

ولا مخرج من هذا وذاك إلا بنظام الإسلام الذي يزاوج بين مطالب الآفراد ومطالب الجماعة ، ويستشمر كل المواهب والطاقات الحلاقة في العمل المستمر المفيد . وتقوم أسس النظام الاقتصادي في الإسلام على أن المال كله ونه » .

وأن الناس جميعا عباد الله فهم شركاء فى ماله وفضله . والملكية الحاصة لها اعتباران فى الإسلام :

فهى ملكية فرد دون فرد بالنسبة لعلاقات الأفراد بعضهم ببعض . ولها ضما نات فى الإسلام تحميها من الإعتداء عن طريق السرقة ، أو الإختلاس أو الإغتصاب ، كفائنها الشريعة على نظام بديع منبع . فليس من حق فرد

أو جماعة أن تسطوعلى ملكية فرد أو جماعة . وليس له ولا لها حقالانتفاع بها إلا بإذن صاحبه عن طريق الإعارة أو الهبة أو الصدنة أو الإهداء .

أما بالنسبة لعلاقة الفرد بربه فلا ملكية للفرد بهذا الإعتبار بل المالك هو الله ، ومن بيده المسال إنما هو مستخلف فيه ، وغير مأذون له فيه بالتصرف إلا في الحدود التي أذن بها المالك الآعلى د الله ، ونصوص القرآن صريحة في ذلك :

د وأنفقوا بما جعلكم مستخلفين فيه ، .

. و آ توهم من مال الله الذي آتاكم ٠٠٠ .

وفى الحديث : دلا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يســأل عن أربع خصال ، وذكر منها : دوعن ماله مم اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ، ؟ ا

فلو كانت ملكية العبد للمال خااصة لكان حر النصرف فيه من كل الوجوه والواقع فى الإسلام غير ذلك .

# حكمة هذا التشريع

والحكمة فى جعل الملكية فى الإسلام ملكية خالصة بالنسبة لعلاقات العباد بمضهم ببعض ، ومن جعلها ملكية نسبية مؤقته بالنسببة لعلاقة العبد بربه :

أنه فى الأولى كان الهدف حماية الممال من العبث لو اعتقد الناس أنهم. شركاء مع المالك فيها يملك . وهذا يحقق الامن والإستقرار وصوت الحقوق فى المجتمع .

وفى الثانية كان الهدف الحد من استبداد الملاك لو شعروا أن ملكيتهم للمال ملكية خالصة ، وحملا لهم على حـن التصرف فيه بما يعود على المجتمع. وعلى الفرد نفسه بالنفع والخير . ولذلك فإن المالك فى الإسلام يعمل تحت رقابة الله المالك الحقيقي للمال ولرب المال . فله الآجر إن أحسن التصرف فيه وعليه الوزر إذا أساء .

وللمال في الإسلام وظيفة اجتماعية ليس لها مثيل في أي نظام إلا إذا كان نظام الإسلام مستعاراً فيه ، كنظم الاشتراكيات المعتدلة التي تحكنفي ببعض التدحل في نظم التمليك فلا هي إلى الأفراط . كما في النظام الشيوعي الماركسي الليفيني . ولا هي إلى التفريط كما في النظام الرأسمالي الغربي و خلو النظامين : الشيوعي والرأسمالي من مزايا النظام الاقتصاد الإسلامي هو الفارق بين :

ه نظام قائم على هدى الوحى الإلهى المصوم من الخطأ والإفراط. والتنفريط.

ونظام مصدر وضعه اجتهاد البشر وهو عرضة للخطأ والإفراط. في
 جانب والتفريط. في جانب آخر .

وينفرد النظام الاقتصادى الإسلامى بمزايا أخرى لم تعرف لنظام سواه عالمج من خرابا ما يعرض للمجتمع من عقبات . إذ لا يخلو مجتمع ما من الفقراء والمماكين وغير الفادرين على الكسب من ذوى الآفات والعامات . هذه الفئات لامكان لها في النظام الشيوعي الذي يسير حسب القاعدة الحديدية دمن كل بحسب ما يعمل إلى كل محسب ما يحتاج ، فغير العامل في المجتمع الشيوعي مقضى عليه بالحرمان والموت "بطيء .

وكذلك المجتمع الرأسمالى الذى لايجود بأدنى مقدارمن المال إلا للعاملين في المؤسسات والمصانع والحقول نظير ما يؤدونه من خدمات لأصحاب العمل أما في النظام الإسلامي فإن هذه الفئات وغيرها لها فيه نصيب كريم وحق واجب .

ومن أجلهم شرع الإسلام الزكاة وجعلها ركنا من أركان الدبن لاشعيرة ثانوية بؤديها من يؤديها ويعرض عنها بلا حرج فى حالتى الأداء والمنع . بل هى واجب على ذى المال وحق للسائل والمحروم والعجزة والذين لا يجدون عملا .

وَالْمُمْرُوفِ أَنَ الْإِسْلَامِ رَصِّدَ لَهُذَهِ الفُمُّاتِ؛ نَسْبَةً مَعْيِنَةً مِنَ الثَّرُوةَ القومية تزيد في بعض الحالات ولا تنقص في أي حال من الاحوال .

هذه النسبة التي رصدها الإسلام لذوى الأعدار لاتنقص في أى حال من الآحوال عن هر ٢ إ من الثروة القومية ، تخرج كل عام مرة من المال العامل وغير العامل ، ومن عروض التجارة ودخول العقارات . وهي تعادل جزءاً من أربعين جزءاً من إجمال الثروة القومية ، فإذا فرضنا أن مدينة صغيرة فيها المحاب رءوس أموال وفيها أصحاب أعدار وكان رأس المال فيها ما ثتي مليون جنيه ، فإن الحق الواجب إخراجه منها لأصحاب الاعدار يبلغ خمسة ملايين جنيه ، وإذا فرضنا أن عدد أصحاب الاعذار فيها ألف معدور عدراً يستحق به نصيبا من الزكاة كان نصيب الفرد الواحد منهم ألف جنيه في العام ، وهذا القدر يكني لحاجياته طوال العام ليعيش حياة كريمة ،

وتزيد هذه النسبة إلى ه ﴿ فَى مُتَاجِ الْأَرْضَ مِنَ الْحَاصِيلِ الزَّرَاعِيةِ التَّى تَجِبِ فِيهَا الزَّكَاةِ ٠

وكذلك فى نتاج الآرض من المعادن الطبيعية كالمذهب والفضة والمنجنين ويلحق بها البترول أو الذهب الآسودكما يحلق للبعض أن يسميه •

كارصد لهم نسبة فى قطعان الماشية والآنعام بأنواعها المختلفة • وبهذا لم يفت نظام الإسلام الاقتصادى أن يكفل مصادر الرزق لجميع من فيه من طوائف •

ومراءاة العدالة فى الإسلام اقتضت أن تعفى أصحاب الملكميات الصغيرة

من إخراج الزكاة . فوضعت حدا معينا فى كل ما يملك إذا بلغه وجبت الزكاة وإذا لم يبلغه أعنى منها .

كذلك فرقت العدالة الإسلامية بين نوعين من المحاصيل ااز راعية . نوع تكون النسبة المخرجة فيـــه ه / أى العشر إذا كان المحصول مسقيا بدون عنا ـ ـ بالسيح ـ ولم يشكلف رب الزرع فى سقيه نفقات غير معهودة .

أما إذا كان السق بنفقات باهظة فالنسبة الواجب إخراجها هي ٢٥٠٪ أي ربع العشر . وهذه الدقة في التشريع ومراعاة الظروف لا وجود لها في غير النظام الافتصادي في الإسلام ؛ لأن الإسلام شريعة أصولها من السياء وليست اجتهادات بشر يخطئون ويصيبون . ا

. وأصحاب الأعذار الذين أجاز الإسلام إعطاءهم من الزكاة ذكرهم القرآن بطريقة حاصرة جامعة مانعة . وذلك في قوله تعالى :

إيما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل. فريضة من الله والله عليم حكيم، التوبة (٦٠).

للفقراء: وهم الذين لايملكون مايقوتهم لقلة دخولهم .

وللمساكين: وهم الذين لايقدرون على العمل لعجز فيهم مأخوذ منسكن إذا لم يتحرك فهو مسكين .

وللعاملين عليها: وهم من يعملون على جمع الزكاة وتوزيعها وقد استنفدوا كل وقتهم في سبيلها ولم يعملوا عملا آخر فلهم منها مايكني حاجتهم طول العام.

وللمؤلفة قلوبهم: وهم من دخلوا الإسلام يعطون منها تحبيبا طم فى الدين وإشمارا بأنهم لم يخسروا شيئا بسبب دخولهم فيه ، وهذا المصرف وإن وقف من عهد عمر بن الخطاب لسبب وجيه كان وقتذاك فإن العمل به الآن واجب،

لأن كثيرا عن يدخلون فى الإسلام الآن يضارين فى أرزاقهم من قبل أهلمهم ويضايقون فى حياتهم . هؤلاء يحب أن تسميد حاجتهم الحياء تصفيهم من الزكاة .

وى الرقاب: وهم الأرقاء الذين يطلب منهم ما لسكوهم أن يشتروا أنفسهم عال يبدلونه لاسيادهم .

والفارمين: وهم الذين ركبتهم الديون فى نفقات وأجبة ولم يجدوا سدادا لديونهم، ومنهم التاجر يخسر كل ماله فى التجارة . والصانع والرارع إذا نوئت بهم جوائح كإحراف المصنع وتلف الزرع وكل صاحب مورد أصيب مورده إصابة بالغة .

وفى سبيل الله : إذا المعدمت الأعدار السابقة فلا بأس من إنفاق الزكاة في المرافق ذات المنفعة العامه كشق الطرق وعمارة المساجد والمستشفيات ومعاهد العلم والمؤسسات الاجتباعية والوقف الخيرى .

وابن السبيل: وهو الغريب إذا فقد ماله حال غربته يعطى من الزكاه حتى يبلغ مأمنه أى بلده أريحصل على مورد رزق ولو فى نفر بة هده الأعذار لا اعتقد أنها تركت عذرا إنسانيا إلا وله فيها وجود فقد تتبع القرآن أمهات الأعذار التي يستحق أصحابها الزكاة ونص عليها ، وهذا لا يعرف خارج دائرة الإسلام.

#### القرض الحسن :

ومن صور المرونة والانساع في الاقتصاد الإسلامي أن المحتاج إلى المال للإنفاق منه في غرض شريف مشروع إذا لم يكن من دوى الاعدار المدكورين في آية الصدقات فإنه يستطيع أن يحصل على حاجته عن طريق القرض الحسن، وعلى القادر إقراضه مع ضرب موعد للسداد أو إطلاقه. فإذا جاء وقت السداد استرد المقرض وقدار قرضه بلا زيادة ولا نقص.

؛ على المقرض أن يصدق فى الوفاء ولا يماطل . فإذا حان وقت السداد وعجز المفترض عن الوفاء فالإسلام يتوجه إلى المقرض برجاء جميل ، وهو أن يفسح الحجال للمقترض فيسد قرضه فى الوقت الذى يستطيع فيه الوفاء .

وفى هذه الحالة إذا تدكرر العجز عن الوفاء فإن الإسلام يعرض على المقرض موقفين إنسانيين نبيليين :

أحدهما: أن ينتظر المدادحي يحصل المقترض على ميسرة من أمره مهما طال الانتظار.

وثانيهما : أن يتصدق به على المقترض مادام عاجزا . وفى كلا الأمرين هو مثاب ومأجور قال سبحانه :

د و إن كان دَو عسرة فنظرة إلى ميسره. وإن تصدقو اخير لـكم إن كنتم تعلمون ، البقرة ( ٨٠ ) .

إن ألاقتصاد الإسلامى قائم على دعائم إيمانية رخلقية ، لذلك كان النموذج الوحيد القادر على إسعاد البشرية و الوفاء بمطالبها فى ظل عقيدة صادقة ومحلق كريم .

وكلاهما: العقيدة الصادقة ، والخلق النبيل يصنعان مجتمعا قويا مثآ لفا متحايا لايشعر فيه الفقير بعنيم أو حرمان لانه فقير ، ولا يحس فيه الغنى بحقد أو حسد من المحرومين والمعوزين . لأن جميع أفراد المجتمع اشتركوا في قعم الله بفضل التوجيه الإسلامي الحكم .

### ميز تان أخريان :

أُ من مُوَايَا نظامُ الاقتصاد الإسلامي ميزُنَّان أَخْرِيَان نشير إليهما في اليجاز .

إحداهما : الإنفاق الحر غير المقيد بمقدار مخصوص أو زمن مشروط ً ـ

وهو رصيد احتياطى من فيوضات الإسلام الشعورية النبيلة يواجه به الأغنياء الظروف الطارئة في المجتمع ، كأن يجوزوا جيشا لقتال واجب ، أو يخففوا شدة أصابت الناس ، مثلما صنع الأغنياء في عهد عمر بن الحطاب عام الرمادة فقد سخا الاغنياء واستطاع عمر أن يجتاز بالمسلمين تلك الازمة بسلام ، وقد خرج المسلمون منها بدرس عملي تجلت فيه روح الإيثار وصار مضرب الامثال في التاريخ ومثلما فعل عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر الصديق حيث أنفق كل منهما جل ماله في سبيل الدعوة .

ومثلما فعل المسلمون فى تجمييز جيش العسرة كل حسب مقدرته المالية وأثلجوا صدر رسول الإسلام بكرم ونخوة لم يسبق لهما نظير فى أمة غير أمة الإسلام ٠

ومثلما فعل عثمان بن عفان حين اشتد القحط بالمسلمين فى المدينة، وجف الغيث واستغل يهودى الله الظروف ، وكان يملك بثراً وأخذ يبيع الماء بشمن بهيظ فتقدم عثمان واشترى \_ بحيلة وذكاء فادر \_ البئر من اليهودى ووقفها على مفافع المسلمين .

ومثلها صنع عثمان رضى الله عنه وقد نزلت بالمسلمين بجاعة فجلب القوت من الشام فى قافلة غنية بما طاب ولذ، وتقدم له الشجار وبذلوا له أرفع الأثمان ولكنه كان يقول لهم : هناك من بذل لى ثمنا أكثر . وقالوا له : ليس بالمدينة تاجر غيرنا فن الذى أعطاك ثمنا أكثر ؟ قال : الله ثم تصدق بما فى القافلة على المسلمين ولم يبع منها بدرهم واحد -

هذا هو الرصيد الاحتياطي الضخم في نظام الاقتصاد الإسلامي وسيظل هدا الرصيد مادام في الدنيا إسلام ومسلمون ، وليس في النظام الشيوعي ولا في النظام الرأسمالي رصيد مثل هذا الرصيد ، لأنهما نظامان مهما قيل فيهما مدكاريان ، أما نظام الإسلام فهو نظام له رسالة نبيلة يؤديها في الحياة

حسب الخطة الإلهية الموضوعة له بكل إتقان وحكمة . لذلك فاق كل النظم ، وليس فى الوجود نظام مثله .

أما الميزة الثانية: فإن النظام الاقتصادى فى الإسلام خلا من كل سمة من سمات الاستغلال البشع والغش الحادع. لذلك حرم الله الربا بكل أشكاله سواء كان فى القروض أو الأعمال التجارية أو فى استغلال الأرض. فن أقرض عليقرض لله قرصا حسنا لا تزيد فيه المقادير المستردة بحال من الاحوال.

وألغه قد ضمن للمقرض قرضا حسنا ثوابا جزيلا بدل الزيادة الربوية التي قد يتقاضاها المرابون في أي نظام من النظم .

وحذر الله المرابين بطرقعدة . حذرهم بلمن المرابين من اليهود.وحدهم بسوء مصير المرابين حتى لوكا نوا مسلمين . وحدرهم بخراب ثروات المرابين ولو بلغت عنان السياء .

وحذرهم بحرب من الله ورسوله على المرابين إذا لم بتوبوا ويستقيمو على الجادة ومن يقرأ أخريات سورة البقرة تبدوله سمات المنهج الإسلامي الذي هدف فيها هدف إليه إلى :

١ ــ حظر تـكوين الثروات عن طريق الربا أد الغش الخادع.

٧ ــ حماية صفار الملاك من استفلال أصحاب رءوس الأمو الالضخمة .

٣ ـ حاية ذوى الآعذار من براثن المرابين الجشعين .

وقد أعلن هذه المبادى. صاحب الدعوة فى حجة الوداع، وقرر حقوقاً كثيرة للإنسان قبل أن تعرف المنظمة الدولية تلك الحقوق بأكثر من أربعة حشر قرنا من الزمان

ذاركم هو الإسلام . وهذا هو نظامه المالى والاقتصادى ، قائم على العدل والرحمة والتوازن وعاربة الجشع وسوء الاستغلالوحماية الملكيات الصغيرة

وأصحاب الاعدار . وستحمد البشرية هذا النظام إذا أتيم لها فرصة التمامل به . ولن تحمد نظاما سواه لانه قائم على أسس المقيدة الصادقة . والخلق النبيل . وغيره قائم على الجشع أو الحرمان شيرعيا كان أو رأسماليا .

#### مراحل تاريخ المعرفة:

فرغنا من مناقشة مادية ماركس التاريخية في الججال الاقتصادي وانتميها في هذا المبحث إلى تعريه فلسفة ماركس في هذا المجال ، وأن العامل الافتصادى ليس هو المستول وحده عن تفسير حوادث التاريخ . وأن من يحصر مطالب الإنسان في العنصر المادي وحده قمين بأن يوصف بأنه جاهل بطبيعة الإنسان من أن يوصف بأنه رائد من رواده، وملهم يرسمله معالم الطريق . وقدذكر نا كثيرًا من الشواهد الكاشفة عن دجل ماركس والمجموعة الشيوعية ، شواهد استقيناها من حركة التاريخ الإنساني نفسه ، وشواهد استقيناها من الواقع الإنساني المعاصر . وقارنا بين نظام الاقتصاد الإسلامي، وبين ماوضع على أيدي ماركس من تصورات أرادوا حمل الاقتصاد العالمي عليها وظهر لنا بالدايل القاطع أن النظام الاقتصادى الإسلامي هو المساوق لمتطلبات الفطرة الإنسانية الحلاقة ، وأنه موضوع على أسس حكيمة مبنية على العدل والرحمةو الموازنة بين الحقوق والواجبات وأنه لا ضرر نيه ولا ضرار ، بزواج بين حقوق الفرد وواجباته وحقوق الجماعة وواجباتها وأبه وضع حسابا دقيقا لحاجيات كل فرد في المجتمع القادر منهم على العمل والكسب ، وغير القادر على العمل والبكسب، وأصحاب الأعذار الموجبة لإعانتهم وتوفير أسباب الحياة النكريمة لهم بحيث يستفيد . الجميع، من نعم الله ويعيشون بلا أحقاد ولا أمنغان بفضل التوجيه الإسلامي الرشيد، لأن نظام الاقتصاد في الإسلام ذو رسالة عالمية إنسانية ولم بوضع لحساب طبقة على طبقة . بل هو عام النفع يجلب من مصادر مشروعة وينفق في مصارف مشروعة . ومالك المال الأول هِو الله ، وهو

و بقى علينا أن فناقش ماركس والماديين جميعاً من وجهة نظر إسلامية فى التقسم الثلاثي لمراحل المعرفة وهى :

المرحلة الأولى : وكان مصدر للمرفة فيها هو الدين .

المرحلة الثانية : وكان مصدر المعرفة فيها هو العقل .

المرحلة الثالثة: وكان مصدر المعرفة فيها - وما يزال ـ هو العلم الوضعى أو ماكان وسيلته الحواس الخس .

هذا ما تصوره الوضعيون بدءاً من أوجست كونت. وتابعهم عليه المأديون وأول ما يقال في هذا التقسيم إنه رجم بالغيب وتخمين بغير دليل. هذا إذا أرادوا بهذا التقسيم التاريخ للمرفة الإنسانيه جمعا، وهم قد أرادوا هذا فعلا.

رجم بالغيب لأن التاريخ الإنساني مجهول ، ولم يملك أحدولن يملك الوسائل التي تضع أمامنا الحقيقة خالصة من كل احتمال ومعلوم أن منهج البحث في نشأة الحياة معامة ، والحياة الإنسانية بخاصة يعتمد على محورين كبيرين معروفين عند علماء الإنسانيات وهما :

الأول: عصور ما قبل التاريح.

والثاني : عصور ما بعد التاريح .

وقد أصاب الياحثون حينها انتهوا إلى هذا التقسيم المعقول والكل منهيما طريقة فى البحث والاستمكثاف .

. فطريقة البجث في محصور ماقبل الثاريج تعتمدعلى الفروض والتخمينات ولا يقطع فيها برأى حاسم .

ه وطريقة البحث فى محصور مابعد التاريخ تقوم على الروايات ودراسة الآثار والحفريات و ويمكن ويمكن ويمكن ويمكن واية وصدقت الدراسة وأن يقطع فيها برأى حاسم •

وأوجست كونت وأنصار المذهب الوضعى الحسى والماديون قد ورطوا أنفسهم حين أرادوا بهذا التقسيم شمول مراحل التاريخ كله ، سواء ماوقع تحت الصبط ومالم يقع ، وهذة ورطة لا يمكن أن يبرأهم منها باحث منصف ، إذ ما الذي أدراهم بأرف تاريح الإنانية كلها كان على هذا النمط ؟ هذه دعوى تحتاج إلى دليل ، وليس من سبيل إلى دليل سوى الحدس والتخمين .

والذي لاجدال فيه أن أرجست كونت لم يستق تقسيمه الثلاثي لمراحل المعرفة الإنسانية إلا من تاريخ المسرفة في أروبا وحدها. لأن تقسيمه الثلاثي على الوجه الذي حدده صادق على مراحل المعرفة في أروبا كل الصدق. فقد مرت أروبا فعلا بهذه الادوار في المعرفة؟ لأنها:

١ ـ سادت فيها المعرفة الدينية من القرن الأول الميلادى ، وهو القرن الذي عرفت فيه أروبا الدن المسيحى . وصارت المعرفة الدينية هي السيطرة على أروبا إلى أواخر النصف الأول من القرن الثامن عشركما تقدم في مبحث المسيحية في هذا الكتاب .

٧- ثم عرفت أروبا ماسمى به دعصر التنوير ، بدءا من أوائل النصف الثانى من القرن الثامن عشر حتى نهايته ، وهى المرحلة التى عرفت بمرحلة سيادة العقل ، والتى كانت معبراً قصيراً اجتازته أروبا من السيادة الدينية إلى سيادة الفلسفة الجديدة وهى:

٣ سيادة الحس أو الفلسفة الوضعية الحسية ، أو المادية الواقعية . وقد علت خلال هذه المرحلة أصوات انتزعت القيادة من الفلسفة المقلية

المثالية إلى مايدرك بالحواس ويمكن خضوعه للتجربة والملاحظة والفحص المحملي . وقد قاد هـنه الفلسفة الجديدة أوجست كونت نفسه ، وتلاه فيرباخ وآنشتين تال وغيرهما .

وقد اهتدى أوجست كونت إلى هذا التفسيم من دراسة أطوار المعرفة عند الإغريق القدماء كما يرى فندلبند فى نقده لفلسفة كونت أو تقسيمه الثلاثى على وجه التحديد .

- ه فقد كانت المعرفة عند الإغريق في أولى مراحلها ذات طابع دينى .
   ه ثم صارت عقلية على أيدى سقراط وأفلاطون .
- ه تم صارت واقعية حسية تعتمد على التجربة والملاحظة على يد أرسطو فكو نت على صواب إذا قصر تقسيمه هدا على معارف أروبا فى تاربخ محدد معروف ، وليس على صواب إذا أصر على أن هذا التقسيم شامل لتاريح للمعرفة عندكل الأمم والشعوب ، و فى كل العصور مادخل منها تحت الضبط ومالم يدخل .

متاريخ الإنسانية كلها منذ أقدم عصورها إلى أحدثها أجل وأكبر من أن يقع تحت حصر ، فضلا عن أن يحيط به باحث واحد .

والمعروف عثد علما. الإنسانيات مخالف لما يرى كونت وأشياعه . فقد رصدوا في سير المعرفة الإنسانية عدة مراحل يمكن إيجازها في الآتي:

مرحلة الأديان البدائية التى لم تستند إلى وحى سماوى، وهى أولى مراحل المعرفة عندالباحثين، ومن مظاهرها تقديس الظواهر الطبيعية كعبادة الكبر أكب شم الطوطميات، ثم عبادة الأسلاف، وكذلك عبادة بعض أعضاء الجسم (أعضاء التناسل) وعبادة الآوثان والأصنام، وقد انتشرت الديانات البدائية بين أمم الحضارات القديمة كمصر وفارس والهند والصين واليونان واليابان والعمر الهين ،

ه مرحلة الفلدفات العقلية الأرلى وكان مهدها نفس الأمم الحضاربة التي أشرقا إليها ، ولمع في هذه المرحلة أعلام ما يزال التاريح يذكرهم ويذكر خلاصة أرائهم مثلكو نفوشبوت وأختانون وزراد شت وغيرهم .

ه ثم أعقبت هذه المرحلة الأديان السياوية من اليهودية والمسيحية،
 والإسسلام .

م ثم نشأت فى أحصان الأديان الكتابية الثلاثه فلسفة أو فلسفات حقيلة متعددة المشارب والمنازع ، وصار لبكل دين فلاسفة متعددون ، ومنهم فى الإسلام علماء البكلام ومن أرزهم مدرستا أمل السئة والمعتزلة ومن أعلامهم الإمام الغزالى وابن رشد وابن سيئا ، ومن فلاسفة اليهود موسى بن ميمون وسبينوزا ، ومن فلاسفة المسيحية كافت ودبكارت وهيجل وفلونير وغيرهم .

ه ثم نشأت فى أحضان هذه الفلسفات الفلسفه الوضعية ومن أعلامها فرنسيس بيكون، وستيو ارت ميل ووليام جيمس على الفلسفات العقلية المثاليه، كونت نفسه فظهور الأديان الكنابية لم يقض على الفلسفات العقلية المثاليه، ولاحتى على الاديان البدائية التى ماتزال قائمة عند بعض الشعوب إلى الآن والفلسفات الوضعية لم تقض على الأديان البدائية ولا على الفلسفات المثالية والميتافيزيقا، بل إن هذه الانجاهات تتجاور فى تنافر مرة و وما أكثر وجوم الاختلام عند الأمم والشعوب بل عند أبناء الأمة الواحدة، ومن يزعم أنه يمكن أن يحصر سير المعرفة الإنسانية في مضامين أو أشكال محددة فقسد أبعد في الدعوى كن يدعى أنه قادر على أن ينزح ماء المحيطات بدلو مصنوع من شبك الصيد ؟.

وهمدنا التقسيم الثلاثي أسير المعرفة الإنسانية تلقفه الشيوعيون

عن كونت ليبنوا عليه شرعية موقفهم من الدن كما المقفوا من قبل كل الافكار المريضة لتكون لبنات في بناء الشيوعية المتداعي للسقوط أو الساقط فعلا .

وقد حملهم حبهم للإغراب والتذندق أمرم إذا احتاجوا إلى استعارة مناهج فكرية صحيحة من غيرهم أنهم لا يأخذونها إلا بعد أفسادها بأى مسح أو تعديل كما صنع ماركس بمادى، هبجل على النحو الذي نقدم بيانه فهيجل وضع فلسفته لدعم الإيمار. الله الحالق العظيم ، ولكن ماركس لما رأى نفسه في مسيس الحاجة إلى أصول فلسفة هيجل استخدمها ممكرها لحال فدم الإيمان بالله وبالدين وبكل ما هو موصول بالدين .

## إصرار على الكفر والإلحاد:

. إن ماركس كم منجل عنه الباحثون فى فلسفته أصولها وغاياتها كان مصراً على النكفر والإلحاد من قمة الرأس إلى أخمص القدمين .

فالمادية التي اختارها ماركس سماها والمادية الثنائية ، با لأنه أراد أن يميزها عن مداهب مادية أخرى كانت شائمة في عصره .

منها و المادية المكنية ، وهي تتخيل السكون على شكل محكنة مدارة قد ركبت كل أداة منها في موضعها و تدور كلها كما تدور الآلات .

وقد رفض ماركس هذه ، المادية المكنية ، وسلب رفضه إياها قد فطن إليه الباحثون يقول أستاذنا العقاد في توضيح هذا السبب :

وهي \_ يعنى الماديه المكنية \_ مذهب يفتح الباب لتصور و المدير ، الذي يركب تلك الآلة وبحرك دواليها . ويضع كل جزء منها في موضعه ويديره بالتوافق مع الآجزاء الآخري لإنجاز علها ، وبحقيق أغراضها ومثل هذا الباب قد تأتى منه الرحمة ، وقد يفضى إلى افتراض القدرة المديرة الحكيمة . فلا ينبغي أن يفتح ولابد من إغلاقه وإن لم نقم في المذهب المكارسي حجة واحد على إغلاقه .

أى أن ماركس عدل عن المادية المكنية ، لأنها صالحة لأن تكون حاريقا للإيمان بالله وقدرته ، وماركس لا يرى للكون خالقال المكون نفسه؟!

ويستشيد العقاد بكلام لماركس يقول فيه ناقداً لمادية فيرباخ أحد دعاة الوضعية فيقول:

ديقول ماركس فى رسالته عن الفيلسوف فيورباخ: أن العيب الأكبر فى مذاهب المادية الموجودة، ومنها مادية فيورباخ أن الموضوع والحس إنما تفهم على أنها موضوعات للتأمل ولا تفهم على أنها عمل إنساني يحس ويتصرف، وأنها هي صاحبة "لفاعلية».

وماركس ــ هنا ــ يعيب على فيورباخ أنه جعل المادة الطبيعية موضوعاً للتأمل فقط، بينها التأمل عند ماركس عمل إنساني . أما الطبيعة نفسها أو المادة فهى صاحبة الفاعلية ، يعنى الخلق والإيجاد والابداع ..؟!

ثم يعلق أستاذنا العقاد على عبارة ماركس بما يكشف مرادة بكل وصوح فيقول :

و فلابد عند ماركس من مكمة تدير نفسها من باطنها ولا يمكن أن تدار
 من خارجها على فرض من الفروض . ولهذا يحب أن تسقط المادية المكنية
 من الحساب على أى احتمال ، .

الاستاذ العقاد لم يتجن على ماركس فى هذا القول ؛ فعبارة ماركس نفسه نص قاطع فيه .

#### المادية الناموسية :

ويرفض ماركس، وهو يصرعلى الكفر والإلحاد مادية أخرى غيرالمادية المكنية، وهى المادية الناموسية، وهى التى يقول أصحابها: إن ظواهرالكون المحسوسة كلها مادية تديرها النواميس – يعنى القوانين – المركبة في طبائعها، وتتحرك في نظامها بأمر خالق المادة، وخالق النواميس.

#### يقول الاستاذ العقاد:

• وإذا كانت المادة المسكنية مرفوضة فى رأى ماركس؛ لأنها قد تفتح الباب لافتراض المدير المدير ، فالمادية التى تؤمن بوجود الحقيقة من وراء الظواهر والنواميس مرفوضة من باب أولى ء (٦) .

إن كارل ماركس كان يحمل فى يده معولا وهو يطالع الفلسفات التى هاصرها فيحطم بذلك المعول كل الأشعة التى تقود إلى الإيمان بحقيقة الحقائق الكبرى وهو دالله ، البارىء الخالق المصور . ولم يحمله على هذا إلا إصراره على الكفر والإلحاد مهما كانت قوة الأدلة والسبراهين الداعية إليه .

وحركة التمرد على الإيمان الدينى التى سادت فى عصر التنوير فى أروبا خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر بدأت أولا بالنسبة إلى العقيدة الإلهية بتحييد د الله ، عن السكون ، وشبهته — سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا \_ شبهته بصافع الساعة ، ومرادهم من هذا التشبيه أن الكون ـ الآن \_ يسمل بدون احتياج إلى خالقه كا تعمل د الساعة ، وهى فى معصم لا بدون احتياج إلى صافعها . . ؟!

وبمد عصر التنوير خطا العلمانيون في أروبا الخطوة الأخيرة في طريق

<sup>(</sup>٣) الشيوعية الإنسانية في شريعة الإسلام ( ١٠٧ – ١٠٨ ) .

السكفر والإلحاد، ورفضوا فكرة الإله صانع الساعة إلى فكرة الساعة التي صنعت نفسها. بل تفاخروا بهذا القول وقالوا: إن في السكون إلها واحداً هو قوانين الطبيعة ولا نداء لهذا الإله إلا النسداء المشكرر منده وهو: لا تؤمنوا بإله. ؟!

وهاركس اختار فكرة والساعة التي صفعت نفسها، وهي آخر صبيحة كان قد وصل إليهما العلمانيون الذين قامت فلسفة ماركس المادية على تصوراتها الوادية.

وهكدا تبنت الشيوعيسة كل الأفسكار الميتة ، وارتمت في أحضان شياطين الإنس والجن بوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ومنلالا وجهلا .

هذه المفدمة تقودنا إلى الافتراب من تفسير الشيوعيين للدين بوجه عام . ولسكن قبل التعرض لهذا الفرع نرى من الواجب أن تقف وقفة أخرى أمام المدخل الذى اتخذه الشيوعيون مهرراً لذكران الدين وكل ما انبثق عنه من عقائد وسلوكيات والخلاق وآداب ، فالشيوعيون لم يهجموا على الدين بدون مسوغات لفقوها تلفيقا شأن المذهب الشيوعي نفسه من التلفيق والترقيع من شواذ الآفكان وضلالات الآراء والمذاهب .

## المادة سابقة في الوجود على الفكر ١٤

هذه العبارة المكونة من هذه المكلمات الست هي أس الصلال والتصليل المتفدى بين الشعوب والدول والآفراد بمن انطلت عليهم أكدوبة الشيوعية فحسبوها فلسفة ومذهبا وما هي بفلسفه الامذهب الآن الفلسفة بواد منها محبة المدكمة ولا حكمه ولا محبة فيما يؤدن به الشيوعيون الآن أو قبل الآن وإن رقصوا حوله وطبلوا وملاوا ربوع الكرن نهاقا وخواراً.

وكان ماركس وهو يسطو على مبادي. هيمل يعمل لهذا التحول المطير

كل حساب، فرفض استخدام مبادى، هيجل في الفكر واستخدمها في المادة كا رفض كل من المادية المكنية والمادية الناموسية ليطلق لفلسفته المنان فيما أراده لها من وسائل وغايات من أجلها كانالفكر الشيوعي ـ بل استغفر الله ـ كانت المادية الشيوعية .

#### ما هي المادة ؟

من اليسير أن نمرف الماءة بأنها ما كان لها وجود خارج الذهن ، وتدرك بواحدة من الحواس الحس . ولسكن هذا التعريف غير مرضى عند الشيوعيين، المذلك ثرى لينين يقول في تعريفها :

و هي مقولة فلسفية تحدم في تعيين الواقع الموضوعي المعطى الإنسان في إحساسانه التي تنسخه ، أي تصنعه ـ ؟ تصوره ، تعكسه ، والموجود بصورة مستقلة عن الإحساسات ، (٧) .

وخلاصة هذا التمريف أن لينين يتابع قس المادية الأكبر (ماركس) ويجدد دور المادة بعد كونها موجودة وجوداً مستقلا عن ذهن الإنسان بأنها هي الذي يحسه الإنسان، فهي إذن الفاعلة كما سبق أن قال ماركس في تعليقه على فلسفة فيورباخ؟!

بتابع ستالين سلميه ماركس ولينين في هذا المعنى فيقول:

به تقوم المادة لفلسفية على مبدأ آخر ، وهو أن المادة والطبيعة والكائن هى حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك أو الشمور وبصورة مستقلة عنه . وأن المسادة هى عنصر أول ؛ لأنها منبع الإحساسات والإدراك والتصور ، بيما الإدراك هو عنصر ثان مشتق ؛ لأنه المكاس للمادة ؟ إنمكاس للمائن . وأن الفكر هو تتاج المادة لما بلفت في تطورها درجة عالمية من السكان،

<sup>(</sup>٧) الدهائر الملسفية (١/٣٧) لقلا عن : مونف الإسلام من نظرية ماراكس • (٢٣٣) مكة المسكرمة •

أو بتعبير أدق: أن الفكر هو نتاج الدماغ ، والدماغ هو عضو التفكير ، فلا يمكن بالتالى فصل الفكر عن المادة دون الوقوع في خطأ كبير . (^ .

و إنجلز صديق ماركس ذهب هذا المذهب من قبل فقال : « لا يمكن فصل الفكر عن المادة المفكرة ؛ لأن المادة هي جوهر النفيرات التي تحدث ، (٩) .

فاركس وإنجلز، ولينين وستالين هم مؤسسو المذهب الشيوعي. وهاهي آراؤهم في المادة وصلتها بالفكر . فالمادة سابقة ـ عندهم ـ في الوجود على الفكر ، وهي ـ أي المادة ـ منبع الفكر وخالفته إلى أبعد الحدود . وقد منحوا المادة أو الطبيعة أوالكائن على حد تعبير اتهم ، منحوها صفات أخرى لتكتمل دائرة الإلحاد حسيا تصوروا .

وبناء على هذه التصورات التى تخيلوها بل توهموها حول المادة أنكروا كل وجود ماعدا وجود المادة . وقالوا أن ما وراء المادة من تصورات أو غيبيات إنما هو وهم من الأوهام . وإليكم أولا نص عبارته :

به ليس للمكون نهاية ، ولا حدود؟ . العالم أبدى ؟ وليس له أى بداية ولن يكون له أى نهاية؟ ومن هنا فأى عالم غيبى غير مادى غير موجود ولا يمكن أن يوجد؟ وفى واقع الآمر أنه إذا لم يوجد شىء غير المسادة فلا يوجد غير عالم مادى واحد . . . . . (١٠) .

وهااني هذا البكلام في إيجاز:

. أن المادة أزلية لم يسبق لها بداية ١٠٠٠

<sup>(</sup>٨) المادية اله يالكتيكية والمادية التاريخية (٣٩) أقلاعن : موقف الإسلام من نظرية ماركس (١٢٤) ٠

<sup>(</sup>٩) نفس المصدر .

<sup>(</sup>١٠) اسس المادية الديالكتيكية ٥٠٠ (٣٩) مرجع سبق ذكره

- أن المادية أبدية فلن تـكون لها نهاية . . . ؟ ا
- ه ليس في الكون وجود غير وجود المادة نفسها ٢٠٠٠ ا
  - ه أن كل ما وراء المادة وهم من الأو هام ...؟!
- . أن المادة هي الحالقة لما سواها ، إنسانا وغير إنسان . . . ؟ !

هذا صريح معنى كلامهم . وهذه الصفات التى منحوها للمادة هى الصفات الوّاجبة لله عند المؤمنين سطا عليها الماديون كما سطوا على أفكار غيرهم من العلماء والفلاسفة والمتعالمين والمتفلسفين . وأصفوها على و كفرياتهم ، كما ترى .

## من التعميم إلى التخصيص:

فى النصوص التى نقلناها عن كبار مؤسسى المذهب الشيوعى تعميم فى إنكار كل وجود عدا وجود المادة الطبيعية . وها نحن أولاء أمام كلام أقس المادية الآكير ماركس يقترب فيه من التخصيص بدل المتعميم ، ويبدأ بالهجوم على الحقيقة الإلهية في أسلوب مباشر فيقول :

د إن العزة الإلهية والهدف الإلهى هي السكلمة السكبيرة المستعملة اليوم لتشرح حركة التاريخ. والواقع أن هذه السكلمة لا تشرح شريبًا، (١٩) ١٤ هسدذا البكلام لم يقله ماركس وإنما قاله، والشيطان، الذي استذله وأنخمذ منه بوقا بشريا ينفيث من خلاله ضلالات السكفر والإلحاد. وللبس في هذا غرابة، ولا هو مجرد نخيل منا. بل هو حقيقة جاء بها صريح القرآن في قول الحق سبحانه و تعالى:

ر ١٦ -- النصوس المقدسة )

<sup>(</sup>١١) أصول الفلسفة الماركسية (٢٠٩/١) نقلا عن موقف الإسلام من نظرية ماركس (١٧) المؤسس الفلسفة (١٢٣).

، هل أنبئه على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثبم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ، .

فالشياطين تتنزل فى كلحين على أوليائها، واولياء الشياطين هم الأفاكون الآثمون وكارل ماركس ضليع فى الأفك والإثم . وسيأتى يوم القيامة وهو يحمل أوزاره وأوزار خلق كثيرين تسبب فى ضلالهم وإضلالهم .

وأستاذنا العقاد في تحليله الرائع لشخصيه ماركس انهى إلى أنه مريض مرضا ففسيا هو المسئول. يعنى مرضه النفسى - عن كل أرهامه وضلالانه ومذا يتسق تماما مع ما أضفناه - هنا - من أن ماركس كان يتولاه شيطات ويوحى إليه زخرف القول غرورا .

ذهب الشيرعيون ـ تطبيقا الهلسفتهم ـ إلى إنكار وجود الله سبحانه وإلى إنكار الاخلاق الفاصلة والقيم وإلى إنكار الاخلاق الفاصلة والقيم والمواسف الدينية ، وإلى إنكار البعث والنشور والحساب والسسواب والعاب. وحصروا مطالب الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، ولم يروا من ورائها شيئا .

ولما فتح لهم ماركس باب الهجوم على الحقيقة الإلهية تجرأوا وقالوا: م يحب القول بأن الله والديانة هما ظاهر نان إنسا نيتان لأن الهنصر الإلهى هو من إبداع الإنسان. وليس الإنسان من إبداع الله ، ؟ ا

# منهج الإستدلال:

من حق القارىء أن يسأل : وما هى طريقة استدلال الشيوعيين على أن المادة سابقة على الفكر فى الوجود حتى رتبوا على هذا السبق مارتبوه من أوهام ١٤

#### والجواب :

ها أنتذا تمسك الآن بكتاب تقرأه . وحين أمسكت به ثار فى ذهنك بحموعة من الأفكار ، فهذا الذى تمسك به فى يدك كتاب، لون غلافه كذا وموضوع السكتاب كدا . وعلاقتك بهسذا الكتاب كذا .

هذه الآفكار لولم تسكن لك صلة بهذا لسكتاب ، ولا أنت تعرف عنه شيئًا ، أو تعرفه معرفة سابقة وأنت لاه عنه الآن ، لوكان الآمر كذلك لم يشر شيء فى ذهنك من الآفكار الني ذكر ناها .

وهب أنك ألقيت الكتاب من يدك ، ووافت فى شرفة منزلك المطلةعلى الشارع فأبصرت العربات تسير فيه ، وهاهى ذى عربة تسير أمامك لونها أحمر مثلا ، وماركنها مرسيدس ، وموديلها كدا، فإن أفكارا من نوع آخر تقفو إلى ذهنك خاصة بالسيارة التي ركزت عليها ملاحظاتك .

هذان مثلان وغيرهما كثير، ومن أكثرها غنى بإنارة الأفكار إذاكنت مثلا ـ تستقل وسيلة من وسائل النقل لتصل إلى مكان بعد عشرة كيلو ميرات و فأنت تجلس على مقعد يتاح لك منه أن تبصركل المناظر التي تقع على جانب المطريق الذي تسير فيه السيارة . فإن عدة مناظر ومرئيات تلحظها ، وكل منظر عنها يثير في ذهنك فكرة خاصة عنه وإن كانت عابرة عبور البرق ، وأنت تنتقل من مشهد إلى عشهد ، ومن فكرة إلى فكرة إلى نهاية الشوط . وكل فكرة نقفز إلى ذهنك ومشاعرك تكون نتيجة للمنظر الذي شاهدته أياكان فيكرة نقفز إلى ذهنك ومشاعرك تكون نتيجة للمنظر الذي شاهدته أياكان الرحلة إفإن شيئا عاذكرت الك لن يحدث على الإطلاق وقل مثل ذلك في الرحلة إفإن شيئا عاذكرت الك لن يحدث على الإطلاق وقل مثل ذلك في المذوقات ، والمعمومات ، والملبوسات كل عنصر منها يترك عند التجربة فكراً أو شعورا خاصا به عندك أما إذا لم تر شيئا ، ولم تذق ولم عند التجربة فكراً أو شعورا خاصا به عندك أما إذا لم تر شيئا ، ولم تنم ولم تنم ولم تسمع فلا يثور عندك شيء على الإطلاق .

إذا تأملت هذا جيدا ظهر لك:

١ - أن كل حاسة من حواسنا الخس عندما تحدث صلة بينها وبين أي فوع من أنواع المادة تثير فينا شعورا خاصاً عنها بحسب الحاسة القائمية بها:

لونا فى المرثيات ، وطعا فى المدوقات ، وحدة ورقة أو غلظة وخشو أة فى المسموعات ، ورطو بة أو حرارة فى الملموسات، وطيبا أو قبحا فى المشمومات ، وهذه المشاعر التى تثيرها فينا الحواس عند اتصالها بالمادة هى الفكرة ، الواردة فى كلام الشيوعيين .

٧ - أن هذه اله كرة - فعلا - متأخرة عن المادة والمادة سابقة عليها في الوجود ؟ لأن المادة سبب ، والشعور المثار عنها مسبب ، والسبب سدائما مقدم على المسبب إلا في بعض الحالات فيكون السبب والمسبب مقترنين في الزمن (١١) .

هذا هو منهج الشيوعيين فى الاستدلال على أن المادة سابقة فى الوجود على الفكرة . وقد ضربت لك هذه الامثال لاوضح لك معنى هذا الكلام فحسب، لا لاقول لك أن الشيوعيين صادقون فيا نحن بصدده من البحث وإن كانوا صادقين فى هذا النوع من الصلة بين المادة وبعض الاثار الناتجة عنها . وستملم كذبهم وخطأهم بعد قليل .

<sup>(</sup>۱۷) المنقدان المسبب بالسبب في الرمان الواحد صور كشيرة ، مثل حركة القلم وأنت تسكتب ، فهي مسببة عن حركة يدك ومع هذا فإن الحركتين تحدثان في وقت واحد ، ومثل حركة الجرصبع وزمانهما واحد ،

## مواجهة إسلامية لهذه الأوهام :

ها نحن أولاء قد عرضنا وجهة نظر الشيوعيين بكل أمانة وصدق. وجاء الآن ـ دور المواجهة والمناقشة من وجهاة النظر الإسلامية التي تتآخى فيها حقائق العلم والواقع والعقل مع النصوص الدينية . فلنأخذ في المواجهة ومن أقد التوفيق .

قبل البدء فى المواجهة تعيد مرة أخرى مزاعمالشيوعيين فياتقدم ومرادهم من هذه المزاعم ليسهل علينا مضمون المواجهة فيها يستحق المواجهة منها .

ومزاعم الشيوعيين الى تقدمت ليست على درجة واحدة ، بل منها ما هو أساسى فى مذهبهم، ومنها ماهو مبنى على ذلك الاساس بحيث إذا انهار الاساس المهار ما بنوه علميه ، وإليدكم رصد المزاعم من جديد :

١ - مزعم سبق المادة على الفكرة ١٠٠١

٣ ـ مرعم أن المادة أولية ليس لها بداية ١٠٠٠

٣ ـ مرعم أن المادة أبدية ليست لها نهاية ١٠٠٠

ع ـ مزعم أن المــادة هي الحالقة وليست مخلوقة ٢٠٠٠

مزعم إنكار وجود ما وراء المادة المحسوسة ، وهو الله والدين والقيم الروحية

وعلى هذا الترتيب تمضى ـ بعون الله ومدده ـ فى تفتيد تقذه المراتحتم ـ

## مزعم أسبقية المادة على الفكرة في الوجود:

هذا المزعم هو نطب الرحى الشيوعى، فقد بنوا عليه كل أوهامهم ألتي الخطوا بها طول حيانهم وما يزالون يلفطون ؛ لانهم لما توهموا أن المادة سابقة فى الوجود على الفكر ، نسبو الإليها كل ما فى حياة الكون فالإنسان والحيوان والنبات من مخلوقات المادة ؟!

والإنسان هو الذي اخترع فكرة الإيمان بالله والقيم الروحية والآخلاق

وما دامت المادة سابقة فهى أزاية لم يخلقها خالق سو اها ١٢

ومادامت المسادة أزلية فهى ـ إذن ـ أيدية لاتفنى ، لأن ما ليس له بداية غلن تسكون له تهاية ؟ !

ويناء على هذا فليس وراء وجود المادة وجود بل هـو وهم من الأوهام ١٢٠٠

فأنت ترى أن مزعم أسبقية المادة فى الوجودعلىالفتكر هو قطب الرحى الشيوعي ، ومداو الأمر كله عندهم .

وحين يثبت خصوم الشيوعية بطلان القول بأسبقية المادة على الفسكر في الفسكر في الوجود فإن البنيان الشيوعي ينهار في لحظة على من بناه وخصوم الشيوعية من وجهة نظر البحث الموضوعي غير مطالبين بجديد يقولونه في أبطال الشيوعية بعد إثبات كذب القول بأن المسادة سابقة على الفسكر في الوجود إلا إذا أرادوا أن يرفعوا الانقباض المنهارة فوق رءوس المناة . . !

# الفكر نوعان :

وأول ما نواجه به دعواهم أن المادة سالمة على الفكر فى الوجود ، وهى كما تقدم مرات أصل أصول مذهبهم ، أننا نقول لهم مجتمعين ومتفرقين، من مات وهلك منهم ، ومن ما يزال حيا يأكل كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

· نقول لهم: أن الفكر نوعان:

فكر سابق وفكر لاحق، أو بلغة الفلاسفة: فكر فاعل وفكر منفعل والشيوعيون على طريقتهم في الهروب والمسخ فروا من أحد توعى الفكر واحتصفوا النوع الآخر.

فروا من الفكر السابق أو الفاعل ، واحتصنوا الفكر اللاحق أو المنفعل. ونحن نعرف لماذا فروا بما فروا منه ، ولماذا أقبساوا على ما أقبلوا علمه . ؟

تعرف أنهم فروا من الفكر الساق أو الفكر الفاعل؛ لأنهم لو وقفوا أمامه لما خطوا خطوة واحدة في طريق الهاوية التي هووا إليها ·

و تعرف أنهم أقبلوا على الفكر اللاحق أو المنفعل لأنهم وجدوا فيه مركبا زلولا حملهم ، وهم سكاري ، إلى بملكة الشياطين، وأحلهم دارالبوار..!

نعم: إن الفكر نوعان: إ

سابق ولاحق ، أو فاعل ومنفعل . رقد تمسك الشيوعيون في استدلالهم على أسبقية المادة على الفكر بشو اهد بما تثيره المادة بعد إنجادها من مشاعر وأخكار في الأذهان . وهذه هي الأدكار اللاحقة للمادة ، أو المنفعلة بها . استمدها الشيوعيون من الواقع الملوس المشاهد ، وهم في استدلالهم هذا قد ابتعدوا عن . الحقيقة ، وإن كان مصدرهم جانبا من جوانب الولقع .

ونحن فى مو اجهتنا لهذه الدعوى تتمسك بأصل و الحقيقة ، ونبدأمن أول خطوة فى الطريق و نستمد أدلة إبطال دعواهم من جانب من جو انب الواقع. ولكنه الجانب الذى يجب على طالب الحق أن يبدأ منه وهذا ماسنراه الآن:

# شواهد من الواقع تبطل دءوى الشيوعيين:

، \_ أنت الآن تقرأ هذا المكلام المكون كل كلة منه من حروف مسطورة على ورقة . والمكلام من حيث هو رسم وتصوير مادة مرئية ،

وكذلك هدنه الورقة التي سطر هذا الكلام عليها . والكلمة عندما تقرأها تثير عندك فكرة بلا محالة . ولكن الفكرة التي تثيرها المكلمة عند قراءتها ليست هي الفكرة الوحيدة المتملقة بالمادة أو الكلمة . لأن المكلمة كانت ثمرة لفكرة تقدمت عليها ،وكذلك بحوعة المكلمات التي تألف منها كلام مفيد طال أو قصر و لأن الكلام هو الظل الحادجي للأفكار ، وإذا لم نتكلم ظل الفكر معاني تفسية مجردة لايعلم ولايحس به إلا من تجول تلك المعاني في نفسه .

أي أن المكلام سوا. كان مقروءاً أو مسموعاً يكتنفه نوعان من الفكر نوع تقدم عليه وهو النوع الفاعل المبدع الذي كان المكلام مسبباً عنه، وهو العملية النفسية التي جالت في نفس المتمكلم فصدر المكلام معبراً عنها . وكان ظلالها وصدى و نوع تأخرعنه وهو المشاعر أو آلائر الذي أثاره المكلام عند قراءته أو سماعه في ذهن القارىء والسامع . وهذا هو النوع المنفعل . كأن يشير فينا المكلام المقروء أو المسموع مشاعر بهيجة سارة، أو حزينة مقبضة .

وكل من نوعى الفكر اله صلة بالمادة ، ولكنها مختلفة من نوع إلى نوع فالفكر السابق على المسادة صلته بها صلة السبب بالمسبب أو الفاعل بالمنفعل ولولا سبق هذا النوع من الفكر ما كانت المادة ولا الآثار المترتبة عليها والفكر اللاحق لموجود المادة له بها صلة ، وصلته بها صلة المسبب بالسبب أو المنفعل بالفاعل أو المعلول بالعلة .

فالفكر السابق هو سبب وجود المادة وفاعلما ولولاه لم يكن .

والفكر اللاحتي هو مسبب عن يوجود المادة ومنفعل بها ولولاً لم يكن . ومعنى هذا أن المادة نفسها والفكر اللاحق المثار بسببها كلاهما مسببان عن الفكر الفاعل الذي تقدم عليهما ولولاه لم تكن المادة ولا الفكر المثار عنها.

و نستمين لإيضاح أكثر بالعملية الآنية:

إذا رمزنا للفكر السابق على المادة بـ ( أ ) •

ورمزنا للمادة نفسها التي تسببت عنه بـ (ب).

ورمزنا للفكر اللاحق المثار عن المادة بـ (ج) .

وإن صلة دب، به رأى صلة المعلول بعلته أو المفعول بفاعله أو المسبب بسببه . والمعلول لا يكون إذا لم تتقدم عليه علته ولو تقديما ذهنيا كحركة القلم الناشئة عن حركة اليد.

إذن رب، مدين في الوجود لـ را، .

وصلة . ج، بـ . ب ، مثل صلة . ب ، بـ . أ ، صلة المعلول بعلته . إذن . ج ، مدين في الوجود لـ . ب . ولولا . ب ، لم يكن . ج ، .

وعلى هذان فإن : وب ، و وج ، مدينان في الوجود لـ وأ ، ولو لم يكن وأ ، لانتني وجود وب ، وإذا انتني وب ، لزم منه ضرورة انتفاء وج ، .

والخلاصة: أن كل صورة مادية لها ثلاثة عناصر:

- ه الفكر الفاعل المتقدم عليها . وهو الفكر الميدع الخلاق .
  - ه والمادة نفسها من حيث مي مادة ، وهي المبدعة المخلوقة .
- والفكر المنفعل المتأخر عنها ، وهو الفكر الثانوى التقليدي .

والعنصر الأول هو الفكر السابق الفاعل الذي لولاه لما كانت الصورة المادية ولا الفكر الناشيء عنها .

والمنصر الثاني هو المادة نفسها .

والعنصر الثالث هو الفكر الغاشيء عنها ، أى أن الترتيب ألوجودى بين عناصر الصورة المادية هكذا .

أ ــ ب ــ ج: بحيث لا يتقدم , ب ، على , أ ، ولا بتقدم , ج ، على , ب ، وإلا اختل التكوين أو انعدم .

ونسأل \_ الآن \_ مذا السؤال:

أى نوعى الفكر وقف عنده الشيوعيون ١٩

#### والجواب:

إنهم وقفوا عند النوع الثاني من نوعى الفكر ، وترتيبه الوجودي هو التالث في تكوين الصورة المادية .

وليس له وجود مستمر ، لأنه يتحقق إذا حدثت سلة لحاسة من حواسنا بالمادة . أما إذا كانت المادة معزولة عن صلة الحواس بها مع وجود المسادة فلا وجود لحذا الفكر الأول المسادة أثراً من آثار ، الفكر الأول الفاعل ، .

وهــــذا يبين لك فى وصوح أن الشيوعيين إنما توقفوا عند « فـكر » ميت لاصلة له بعملية التـكوين والإيجاد وبنوا على هذا الاساس المنهار مبدأهم القائل أن المادة سابقة على الفـكر فى الوجود ،

وها انتيذا قد عرفت أن الفكر الذي كان ينبغي أن يستخدم في الاستدلال هو الفكر الأول والفاعل ، ويترتب على هذا التحليل الواقعي

العلمى الذى مر بك أن استدلال الثيوعيون باطل. . باطل. منهار منهار منهار .

#### ومثال آخر:

٢ - إذا وقع بصرك على حديقة زاهية ، نسقت فيها الأشجار ، فى نظام به يع ، وجرت بين روعها أنهار صغيرة يجرى فيهما الماء الصافى الفضى اللون . وفرشت ساحانها بالحشائش الحضراء ، تدفقت خلالها نوافير المياه ، وازدانت بالأزهار ما بين أبيض وأحمر وأصفر . وفاح أريجها عبقا يزكى الأفرف ويبعث البهجة والسرور فى النفس . هأنت ـ لا شك ـ أمام صورة مادية ساحرة وسرعان ما تعكس عليك آثاراً بمشاعر طيعة من حيث مافيها من نظام بديع، ومناظر أخاذة تسبح مالنفس فى جورحب فسيح هذه الصورة المادية المبهجة ترجع إلى العناصر الثرائة الني مر بنا حديثها . . .

( ا ) تقدم عليهما فكر كان السبب فى إخراجهما على الصورة التى وأيت . فسكم من حطط هندسية وصعت وهى أفسكار مجردة رسمت الصورة جزءاً .

وكم من يدعملت في تسوية الأرض وتهيئها وغرس الأشجار وتركيب الآلات والأجهزة ، والحديقة ، التي رأبت كانت جنينا في غيب الغبوب ثم تفاعلت الأسسباب مع المسلبات ، وخرجت الصورة من الفكر الجرد إلى الصورة الحسية بكل ما فيهما من أشكال وألوان وتنسيق بديع ، وصارت منهما لإثارة المشاعر المناسبة لدى من يشاهدها ويتأملها .

ولولا الفعكرة الأولى ماكانت الثانية ، ولولا الفكرة الثانية ماكانت الثالثة . ولولا الفكرة الثانية ولاالثالثة الثالثة المنفعلة الفاعلة ولاالثالثة المنفعلة دائما .

وأنت خبير أن الشيوعيين يتمسكون بالفكرة الثالثة المنفعلة دائما وهي لا تأثير لها في عملية التكوين بل هي أثر من آثاره .

إذن فالشيوعيون يقفون عند ووجود، واحد من والوجودات، الثلاثة محددين الصلة بينه وبين الوجود الأوسط صاربين عرض الحائظ بالوجود الفاعل.

اى أنهم وقفوا عند تحديد الصلة بين (ب ؟ ج) وألفوا وجود (أ) وهو أول خطوة فى عملية التكوين (ب – ح) وأسسوا على هـ نبا التصور الفاسـد أسبقية (ب) على ﴿أَ) ومن هنا بطل استدلالهم على مبدئهم ،

وهكذاكل صورة من صور المادة حين تعكس مشاعر على إحدى حو اسنا فإن تلك المادة توسطت فكرين : فكر سابق هو فاعلها ، وفكر لاحق هو منفعل بها سواء كانت تلك المادة عما يرى أو يذاق ، أو يشم أو يسمع أو يلس :

عمارة صخمة ، سيارة ، خضرة ، طعام شهى ! شراب لذيذ ،رائحة طيبة، صوت رخيم ، ملس ناعم ، إلى آخر ما يمكن تصوره من مدركات .

فالعمارة الصخمة: البيديجة الصنع سبنقها تصميم هندسي وهو فكبر مجرد قبل رسمه على الورق ، صميمه المهندس حزءاً جزءاً حتى صار وحدة كاملة . وقد سبنق أن رمزانا لهذا الفيكر بده أ ، .

ثم برزت المهارة في الوجودكثمرة لذلك الفكر فكان . ب ، ٠

ثم أثارت هذه العارة ممشاعر خاصة عندكل من رآها فكان ، ج. ٠

والممول عليه علمه اوعقلا وواقعامن هذه العناصر الثلاثة: (أ ـ ب ـ ج) هو ( أ ) وحده ؛ لأن فرض انتقائه يترتب عليه انتفاء كل مرب ، ب ه و د ج ، .

وبعد هذا الترويفض والتتحليل تصل إلى هذا الجبدأ الذي يقر به العلم والعقل والواقع وهو :

# إن الفكر أسبق فى الوجود من المادة :

وهذا المبدأ يهدم من الأساس مبدأ الشيوعيين القائل:

إن المادة أسبق في الوجود من الفكر ؟!

فهذا مبدأ باطل، لأن العلم يبطله، والعقل يقر بفساده، والواقع يشسهد بسكذبه. والدين يؤيد ما أجمع عليه العلم والعقل والواقع...

و لـكن هل مبدؤ ما الذي وصلمنا إليه خالص الثبوت مائة في المائة حتى هذه الحنطوة من المحث؟

### والجواب:

إن هدذا المبدأ من حيث الحقيقة خالص الثبوت مائة فى المائة . أما من حيث البحث الجدلى فما نزال أمامنا شبهتان قد يتمسك بها الخصوم . ولابد من إزاحتهما عن الإعتراض أو الإستدلال الذي قد يلجأ إلية الخصم .

## الشبهة الأولى :

تد يقول الجصم: إن صانع السيارة كان فى يده دكتالوج ، قبل صنعها، كاكان فى ذهنه صورة السيارة السابقة التى تقدم صنعها .

و المهندس الذي صمم العارة الضخمة كان في ذهنه إعشرات بل مثات الصدور لعمارات قامت بالفعل. فمكل من صانع السيارة وصانع العمارة حاكى أنموذجا كان قد رآه وارتسمت صورته في مخيلته. إذن فالمادة هي السابقة على الفكر، وليس الفكر هو السابق على المادة . ؟!

#### والجواب:

أفنها لا نعتمد على الفكر الذي هو رد فعل لمادة سابقة ، و إنما نعتمد على الفكر الذي لم تسبقه مادة .

فتى مثال السيارة نحن لا نعتد بالفكر الذى أنتج السيارة رقم اثنين أوثلاثة أو الف فى ترتيب الموديلات ، وإنما نعتد بالفكر الذى أنتج أول سيارة فى الموجود فهو بلا نزاع فسكر فاعل غير مسبوق بمادة قط أما الفكر الوسيط بين صنع صورة وصورة فلا نعته به والإعتداد به ساقط عندنا وعند الخصوم على حد سواء .

وفى مثال العمسارة الصخمة البديعة النظام بحن لا أهتد بالفكر المسبوق بتصور عن ماده سابقة. فهذا الفسكر ساقط فى دندا المجال. وإيما تعتد بالفكر الأول الفاعل الذى صنع أو تقدم على صنع أول عمارة أنشئت فى الوجود .

وهو بلا شلك فكر لم يسبق بصورة مادية قط . محن نعتد بالفكرة الى أنصات أول مثال مادى فى الوجود من تلك الأنواع الى ذكرنا طائفة منها .

ومن الصور المادية ما لم يتكرر له مثال قبله ولا بعده . مثل الأهرامات الى أنشأها الفراعنة القدماء . فم استوحى الفراعنة تلك الأشكال، إنها وابيدة فكر غير مسبوق بمثال مادى . ولم يتكرر لها مثال فى قوتها وصخامتها حتى الآن؟.

ومثل برج بیزا المائل إنه زلید فیکر غیر مسبوق بمادة من أوعه ولم پیتکرر له مثال.

إذن فالشبرة التي يشمسك بها الخصوم – هنا – ساقطة ولا تقدح في عجة المبدأ الذي توصلنا إليه .

# إن الفكر سابق في الوجود على المادة:

والمراد بالفكر - هنا - هوالفكر الفاعل الأول: وليست الأفكار الثواني فهي لا قيمة لها في أسل الموضوع ·

#### الشبهة الثانية:

وللخصم أن يقول: إنكم تتحدثون عن مادة وصنعة ، ونحن نتحدث عن مادة وصنعة غير التي اتخذتموها أنتم طريقا للإستدلال.

أثتم تتحدثون عن مادة او صورة مادية صنعها الإنسان .

ونحن نتجدث عن مادة أو صورة مادية لم يصنعها الإنسان.

وأنتم تتحدثون عن مادة صغيرة وصنمة صغيرة ، وبحن نتحدث عن مادة كبيرة هي الأصل وعن صنعة كبيرة وجدها الإنسان وليس له عمل فيها . بل هي عاملة فيه .

إذا قال الخصوم - الشيوعيون والعلما نيون - هذا قلمًا لهم :

إن الذي تقولونه ـ الآن ـ لم يكن مفاجئًا لنا . بل له عندنا ألف حساب وحساب . وكنا واثقين كل الثقة ونحن نصوغ المبدأ الحق انذي توصلنا إليه بعد تحليل صورة المادة الصغرى وهو :

أن الفكر أسبق من المادة في الوجود: كنا واثقين بما ستقولون وواثقين أن قولكم هذا لن يؤثر في صحة هذا المبدأ ، لأن فولكم هذا باطل ـ كذلك ـ مشهادة العلم ، وإقرار العقل ، وحكم الواقع ، وتأييد الدين .

## و إليكم البيان :

إذا أبصرنا أمامنا ناراً موقدة ولكن في حيز ضيق ، ثم أبصرنا على مسافة منها ناراً موقدة ولكن على حيز واسع ممند وعميق ، ومع اختلاف المنارين في المقدار فإننا ـ بناء على التجارب المخبزنة في أذهاننا ـ نثبت المنار الموقدة في حيز ضيق نفس الخصائص الى نثبتها النار الموقدة في حيز واسع ممند وعميق فكلتاهما جسم ملتهب مضيء ، محرق .

هـذا هو حكم العلم والعقل والواقع ؛ لأن الشيئين اللذين بينهما تماثل تام منكل الخصائص الذاتية غير العارضة ما يثبت لأحدهما يثبت قطعا بالضرورة للآخر ، إذ لامرجح لأحدهما على الآخرحتي يقع بينهما تفاوت ما .

وحين تأخذ قطعة من الحـديد و نضعها فى النار فإنها تلمين و تمتـد و يحمر لونيا بعد أن كان داكنا .

وهذه التغيرات التي حدثت لقطعة الحديد نعلم بالضرورة أنها ستحدث لكل قطعة حديد من نوعها ، لأن ما يثبت لبعض أفسراد الجنس أو النوع ما دامت الماهية من التغيرات الذاتية يحدث لكل أفراد الحنس أو النوع ما دامت الماهية والحدة .

وإذا وضعنا مقداراً ما من الماء تحت درجة حرارة منخفضه فإنه بعد فترة معينة من الزمن يتكثف ويصبح ثلجاً ويزداد حجمه ويصفو لونه فإذا ورضعناه تحت درجة حرارة مرتفعة انحلت كثرفنه وعاد إلى السيولة مرزاخرى . فاذا تركناه لمدة أطول تبخر شيئا فشيئا حتى لم يبق منه شيء .

وهذه التغيرات نعلم بالضرورة كذلك أنها ستحدث لكل مقدار من الماء إذا وضعناه فى نفس الطروف المذكورة . وليس حدوثها وقفاعلى المقدار الذى أجرينا عليه تلك التجارب، لأن الماءكله له طبيعة واحدة فما يثبت لبعضه يثبت لسكله بهذا قضى العلم ، وشهد الواقع وأقر العقل .

إذن فالأشياء المتماثلة تماثلا تاما فى الخصائص الذاتيـة فإن ما يطرأ على بعضها من العوارض يطرأ ضرورة لكل شيء منها إذا امحـدت الظروف والمؤثرات التي حدثت فيها تلك التغيرات. وهذا قانون لم يتخلف وإن يتخلف، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ونمود فغربط بينها مثلثا به الآن وبين الإجابة على الشبهة الثانية التي من حق الخصوم أن يثيروها ، ومي :

إن تمثيلنا بصنعة البشر غير تمثيلهم بما ليس للبشر صنعــة أيه وهو الكون بما فيه من أرض وسما. وأنهار وهوا، ومعادن وأفلاك فالعارة الصنخمة البديمة النظام ، والسيارة ،ن قبيل المادة الصغرى والعكون مادة كيرى.

وصنعة الإنسان صنعة صغرى ، وصنعة السكون صنعة كبرى ، والفرق. جدكبير بين المادة الصغرى والمادة السكبرى ، وبين الصنعة الصغرى والصنعة السكيرى .

قلنا إن من حق الخصوم أن يقولوا: إن المادة الصغرى كتشبيد العادة الصخمة أو مستع السيارة ، أو بناء الأهرامات ، أو برج بيزا المائل إذا سلمنا لكم أن الفكر فيها سابق على المادة فى الوجرود فلن نسلم لدكم بأن ألمادة الكبرى دالدكون أو الطبيعة ، قد سبقها فدكر بل هى التى سبقت الفكر ؟ لأمها كانت ولم بكن إنسان فلم يكن \_ إذن - فدكر ؟ 1

مذا قصاری مایقوله الخصوم ، ولیس لهم بعده من مقال . فلنأخذ فی ایمال دعواهم هذه بما یأتی :

## إبطال هذه الدعوى:

طبنا بما سبق أن ما يطرأ على بعض أفراد الجنس أو النوع تحت ظروف ومئ ثرات معينة يطرأ بالضرورة على بقية أفراد الجنس أو النوع إذا وضع تحت تلك الظروف والمؤثرات . لافرق بين صفيرها وكبيرها . فما يخضع له أقل جزء يخضع له أكبر جزء بل والوحدة المكاملة التي تشكون من جميع الاجزاء .

وقد علمنا أن العقل والعلم والواقع هذه المصادر الثلاثة أجمعت على أن و العيارة المشيدة ، وهي صورة مادية قد سبقها فكر صادر عن مفكر كان ( ١٧ - النموس المقدسة ) ذلك الفكر واحدا من أسباب تشييد العارة وهى الصورة المادية الماثلة أمام العيان، ويستحيل فى حكم العلم والعقل والواقع أن تلكون تلك الصورة المادية قد أوجدت نفسها .

فالعارة المفيدة صورة مادية مصنوعة على شكل مخصوص

والكون أو الطبيعة صورة مادية مصنوعة على شكل مخصوصرواختلاف الشكل بين الصورتين لايقـدح فى أنهما منهائلتان فى الخصائص الذاتبة ، فيكل منهما :

مادة + صنعة = صورة مادية ماثلة للعيان أما اختلاف الشكل فهور من العوارض الطارئة على المادة من حيث أنها مادة ترى أو تسمع أو تلمسأو تشم أر تذاق.

وقد علمنا \_ يقينا \_ أن ما مخضع له أفل جزء من مادة متمائلة تماما في الحضائص الذائية بخضع له \_ ضرورة \_ كل أجزاء المادة أو الوحدة المكلية المبكونة من جميع الاجزاء \_

والعاره المشيدة ، وهي صورة مادية صفيرة بالنسبة الكون كله قد خضعت في إيجادها لله كمر سابق عليها صادر من مفكر ذي علم وإرادة وقدرة .

وكذلك المكون كله ، وهو المسادة السكبرى خاصع فى إيجاده لفهكر سابق عليه من مفكر ذى علم وإرادة وقدرة ، هذا هو حكم العقل ، والعلم ، والواقع وليس بعد هذه المصادر مصدر آخر ـ غير الدين ـ يحتكم إليه .

لأن ما يخضع له جز من المادة المنهائلة ينتقل ـ بالسراية ـ إلى جميع أجز ١٠.

و من يفرق بين المتمائلين تمام التماثل في الخصائص الذاتية فقدد قال بما لم مصدقه أحد.

وهنا. يحق لنا أن نقول: إن المبدأ الذي توصلنا إلمه وهو: إن الفلكن أسق من المادة في الوجود: صحيح مائة في المائة صحيح من حيث معطيات العلم. ومن حيث شو اهد الواقع، وصحيح من حيث إذ اله كل الشبهات المؤثرة في إثبات صحته. وصحيح من حيث بحيء الوحى الأمين به وها نحن قد وقفنا على معطيات العلم وشو اهد الواقع، وإقرادات العقل وسلامة المنهج البحل المزبل لكل الشبهات. فاذا قال الوحى الأمين إذن؟

## بلاغات الوحى الأمين :

بلاغات الوَحى الآمين القاضية بنسبة خلق المكون ومن فيه وما فيه لله خالق كل شيء أجل من أن تحصيما في هذا المكتاب ، فلابد إذن من التمثيل دون الاستقصاء ، ولنبدأ بهذا النص الآلي لأنه كأنه صبغ خصيصا لمؤاجهة الماديين للماضرين من علما نبين وشيوعيين ووضعيين والنص هو قولة تعالى يه

« قل أثنه كم لته كفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبادك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للماثلين، نم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إننيا طوعاً أو كرها، قالتا أنينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يرمين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجفظا، ذلك يرمين ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وجفظا، ذلك تقدير العزيز العلم ، فصلت ( ٩ - ١٢) .

فالأريض والسمو الت وما بين الأرض والسمو الت مخلوق لله تفالى ، فهو - وجده الحالق ، وهو - وجده ـ رب العالمين ، والحلق - كله - من تقديره ، لا نه هو ـ وحده ـ العزيز العلم .

#### ويقول سبحانه:

دخلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من تعلقة فإذا هو خصيم مبين والأنعام خلقها لهم ، فيها دف ومنافع ، ومنها تأكلون . ولسكم فيها جال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالسكم إلى بلدلم تسكونوا بالفيه إلابشق الأنفس . إن ربكم لرءوف رحيم . والحيل والبغال والحير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لاتعلمون . وعلى الله قصد السبيل ومنهاجائر . ولو شا . لهدا كم أجمعين ، وهو الذي أنزل من السياء ما . لهم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لهم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ، ومن كل الثمرات ، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ، وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسحرات بأمره . إن في ذلك لآية لقوم يتذكرون . وهو الذي سخر لبحر لتأكلو امنه خلم ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يتذكرون . وهو الذي سخر لبحر لتأكلو امنه خلم ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يتذكرون . وهر الذي سخر لبحر لتأكلو امنه خلم منه ولمله والمدكم تشكرون ، وألق في الأرض وراسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلالعلم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم بهتدون . وواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلالعلم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم بهتدون . أفن يخلق كن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن القد الخفور رحي ، النحل (٣ – ١٨) .

إنشار مع هذه النصوص أمام لوحة خالدة كلها دلائل ناصعة . إنها كلمات ولكنها ليست رسو ما جامدة . بل هي صورة حية للحياة التي نشاهدها وتحن بين أركانها كالذرات الهائمة في الفضاء . فكل كلمة فيها نقابلها حركة من حركات الكون المدار بتدبير الحالق العظيم ثرى فيها أقطار السموات والآرض ، وحركات الأفلاك السابحة في مداراتها التي صنعتها يد القدرة . وترى الماء فازلا وجاديا على الأرض ، وترى الأرض جنة فيحاء فيها من كل زوج بهيج ، وثرى ماخلق الله لنا من أنعام تجود بما أودع فيها الحالق من خيرات وعطاءات هي طعامنا وشرابنا صباح مساء ، ومع مافيها من خيرات فهي مبعث السرور والجمال والبهجة . والبحار والانهار بمدنا بمصدر الحياة د الماء ، وتقذفنا بما والجمال والبهجة . والبحار والانهار بمدنا بمصدر الحياة د الماء ، وتقذفنا بما

أودع الله فيها من لحم شيء، وملبس غني. وتعبر عليها السفن والبواخر العملاقة . كطريق ميسر عهد التجارة والنقل ، بالإضافة إلى الوسائل البرية من خيل وبفال وحمير . المهيئة للركوب والمستخدمة كوسائل للزينة وتعاقب الأفلاك السياوية لإمداد الكون بالطاقة والضوء والنور والحداية . كلهذا هو من خلق القه . وهذه البراهين الساطعة . والأدلة القوية القاطعة . والشواهد الماثلة الناطقة إنما يخاطب الله بها من عباده من كان له عقل يتفكر ويتذكر ، والكن الذين هم كالأنعام أو هم أصل أعرضوا عنها وسروا بين الخالق وغير الخالق فضلوا وأصلوا . فأواهم النار فتمسا لهم .

#### ويقول جل في علاه :

د الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ،ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصل لآيات لعلم بلقا، ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض ، وجعل فيها رواسي وأنهارا ، ومن كل الثرات جعل فيها زوجين إثنين ، يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ، يستى بما، واحد ، ونفصل إبمضها على بهض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، الرعد (٢-٤) ،

فى هذه الآيات دلائل خارقة على عظمة قدرة الحالق، إنها فى الواقع تتحدث عن معجز ات باهرة أولاها رفع السمو ات بدون أعمدة. وفى هذا تحداقدرات الحلق جميما ؟ لأنهم يعجزون عن رفع ، ريشة ، ثثبت فى نقطة من الفضاء غلاتميل و لا تتحرك ، ولا تعلى ولا تسفل . وماذا يكون وزن الريشة فى دون السياء الواحدة ، بله السموات السبع .

إن هذا الـكون كا، مسير بقدرة الله وعلمه وتدبيره وإرادته . وليست مناك وسائل مادية تدير هذا النظام البدبع الباهر :

و إن الله يمسك السموات و الأرض أن تزولا ، واثن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حلما غفورا ، (١٢٥ .

وفى التعمير بالمصارع ويمسك، ما يفيد استمرار هذه الظاهرة الإلهية المعجزة فهو ـ سبحانه ـ يمسكهما الآن، كما أمسكهما قبل الآن، وكما يمسكهما بعد الآن إلى أن يأتى الآجل المسمى المؤذن بزوال هذه الحياة الدنيا .

وألم تر أن الله سخر لدكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره ؟
 ويمسك السماء أن تقع على الارض بإذنه ؟ إن الله بالناس لرءوف رحيم ،(١٢) .

أجل: إن الله يمسك السموات إوالأرض أن تزولاز والا تاما أو تعنظر با . وحين ومسكم إياها مسك قدرة وأمر ، فهما الآن غير مأذون لهما بأن نزولا ، وحين يصدر الأمر لهما بالزوال زالتا . أي أن كلمة من الله صدرت فسكتا بلا عمد ولا حوامل ولا جسور ولا روافع . وبكلمة من الله يؤذن لهما بالإزالة أو مثلا والنفر ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، .

فإذا تركنا السموات إلى الشمس والشمس حجم صفير جدا بالنسبة السماء ولفير السماء من الكواكب الآخرى . ونحن نراها الان في حجم دائرة بالغة الصغر تحت أديم السماء والسماء ممتدة حولها من كل جانب إلى منتهى عقوق البصر . هذة الشميس التي نراها صغيرة هكذا لآنها تبعد عنا بمقدار ١٥٠ عليون كيلو متر هي أكبر من الأرض إذ يبلغ قطرها . . . ر٢٠٣٠ وأي مليون وإنتان وتسعون وثلا تماثة كيلو متر . أي أنها أكبر من قطر الأرض بدر الله المدرس الأرض المدرس المنا أكبر من قطر الأرض بدر السمون وثلا تماثة كيلو متر . أي أنها أكبر من قطر الأرض بدر المنا الشمير المنا ا

<sup>(</sup>١٣) فاطر (٤١) ومعنى أن الثانية في ﴿ إِن أَمْسَكُهُمَا ﴾ النبي . أي إذا زالتا فلا يستطيع أحد من بعد الله أن عسكهما .

<sup>(</sup>١٣) الحج (٦٥) .

مرات وأثقل من الأرض بـ ٢٠٠٠ و٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ألف مرة (١٤٠):

هذه الكتلة الضخمة محمولة بالقدرة الإلهية فى الفصاء الكونى الفسيح، وكذلك السموات الطباق.

هذه الصنعة البديعة التي ليس للبشر تأثير فيها كيف يسوغ في عقل عاقل أو علم عالم أو وهم و اهم أنها وجدت قبل أن يكون شيء في الوجود غيرها . وأنها هي أول خطوة في الـكون كله ، لم يتقدم عليها فـكر ولا مفـكر ذو علم وقدرة وإرادة ؟!

إن حديث القرآن عن السكرين حديث الحبير العليم بكل أسراره و قوانينه وظو العره و كو الله و مباديه ومقاصده ومصيره ، وصاحب كل صنعة دقت أمّ جلت هو وحده صاحب السكلمة عنها .

فصانع الإبرة لايحق له أن يتحدث عن سر صنعة ، الطيارة ، وإذا تطفل وتحدث عنها هذى هـ نيان المحموم ، وصار ، بهلولا ، من والبهاليل ، يثير الضحك العميق عند أناس ، وقد يحملهم كبهاليل الشيوعية \_ على الاشمراز والتقزز وحديث القرآن الصادق كل الصدق ، والباهر كل الانبهار عن الكون دليل على أن صاحب هذا المكلام ( الله ) هو صانع هذا المكون بكل ما فيه من أسرار ودقائق سواء ماظهر لنا منها ، وما بطن منها عنا ، وما نوال مباحث العالما في كل فن من فنون المعرفة المكونية يأتي الصنواب والصادق منها مطابقا للإشارات أو التفصيلات العلية الواردة في القرآن الحكيم العظيم العزيز .

والعقل الإنساني بدلالات العلم والواقع المحسوس لايسعه إلا الاعتقاد اليقيني بأن موجد هذا السكون هو «أقله، لاشريك له . إن العقل يسلم في رضا بالغواقتناع شديد بهذه الحقيقة بالأنه لم ولن يعثر على حقيقة سواها. هذا هو حكم العقل في كل زمان ومكان . وهذا هو حكم العقل فيما أشبه هذه القضية .

<sup>(</sup>١٤) الموسوعة العلمية الميسرة (١٠) سكتبة لبنان .

## مثال وتوضيح:

هب أن اثنين تنازع حول جهاز من أجهزة العلم الحديث . يدعى كل منهما أنه هو صانع هذا الجهاز فيجب أن تكتب براءة الاختراع له دون صاحبه . ثم احتمكا إلينا . وقد وقفا أمامنا أحدهما ممسك بالجهاز والثاني لم يتجاوز حدود الدعوى باللسان .

إن موقنى الخصمين هذا غير متعادلين فالممسك بالجهاز حائز، والحيازة قرينة قوية من قرائن التملك ، فلو أننا حكمنا بأحقية الممسك بالجهاز لكنا على شعبة من صواب .

ولكن هب أننا أردنا أن نستو ئق أكثر وأكثر فطلبنا من كل من الرجلين معلى حدة ـ أن يشرح لنا حقيقة الجهاز المخترع المتنازع عليه . فأجاد أحد الرجلين وفصل الحديث عن تصميم الجهاز الداخلي ، ووضع أجزاء ، وعلاقة كل جزء بالآخر ، ووظيفة كل جزء في الحركة الكلية للجهاز مع رسم واضح للدوائر الكهربائية التي فيه ، وكيفية تشغيل الجهاز وكيفية توقيفه ، والمهمة التي يؤديها الجهاز وهكذا .

ثم سألنا الآخر فلم يستطع إلا أن يصف الجهاز وصفا ظاهريا مثل لونه وشكله الهندسي مربع أو مستطيل ، وعجز تماما أن يقدم لنا أية معلومات عن تصميم الجهاز الميكانيكي الداخلي ، ولا عرف كيف يعمل ولا متى يتوقف عن العمل ، وقد جهل كل الجهل الوظيفة التي يؤديها الجهاز ما هي ؟

إذا حدثت هذه الواقعة فلمن نحكم بأخقية الجهاز المتناوع عليه . ١٩ ليس أمامنا إلا أن نحكم به لحائزه الحبير بأسراره ودقائقه. أما الآخر فهو مدع كذاب وقف به كذبه حيث يقف الكذب أمام الصدق .

والشيوعيون ـ قاتلهم الله ـ يدعون أن الطبيعة هي الخالقة ، ولم يأتو ا بدليل واحد يقوى هذه الدعوى ـ والوحى يقول: وإن الله هو الخالق. ويقدم مثات الآدلة الصادقة على حجة هذا الفول، فليس للعقل ولا للعلم، ولاللواقع المشاهد إلا الإقرارالقائم على كل اقتناع بأن الله هو الخالق المصور. لأنه هو الخبير العليم بأسرار السكون القادر على كل شيء.

أما الطبيعة فلم تدع أنها عاقمة ، ولا تصلح لأن تدعى هذه الدءوى . ولا تما الذى ادعاها لها قوم آخرون . وهذا يجعل دغوى الشيوعيين أضعف بكثير مردءوى الرجل السكذاب الذى نازع فى شىء ليس له وهو به جاهل ١٢.

والناظر فى حديث القرآن عن الكون والطبيعة يخرج بنتيجة واحدة على وجه الإجمال . فإذا ريم شرحها اتسع المبحث والمقال . وتلك النتيجة الواحدة على وجه الإجمال :

ه إن السكون أو الطبيعة أو المادة مقهورة نته، مصنوعة نته، طائمة فله مسخرة لمنافع العباد. انته هو خالقهما قبلا والآن وبعداً.

فليست المـــادة خالقة ، بل هي مخلوقة ، ولا قاهرة ، بل هي مقهورة ، ولا مسخرة بل هي المسخرة . ولا متصرفة بل هي المصرفة .

و إنما الخالق القاهر المسخر المصرف هو الله والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجمون .

#### هذا كاف:

أجل . هــذا كاف فى تقويض دعوى الشيوعيين ، فإن دعواهم الطويلة العربضة قد بنوها ــ ولسوء حظهم ــ على أن :

المادة سابقة فى الوجود على الفكر: هدا هو أساسهم الذى أقاموه على شفا جرف هار فانهدار بهم فى نار جهنم . وها نحن - بحمد الله - قد أثبتنا ـ فى يقين لا يقبل الشك ـ أن الفكر أسبق من المادة فى الوجود . بل

ليس الفنكر وحده . وإنما معالفكر السابق مفلكر أسبق ذوعلم وإرادة وقدره وسقنا على هذا المبدأ الإيماني الراسخ العظيم عشر الت الأدلة والبراهين فكان يكفينا هذا في ففض أيدينا من غبار الشيوعية ورمادها دون أن فقف وقفات أخرى أمام فرعيات مزاعهم التي بنوها على هذه الدعوى التي انهارت فانهارت معها مابنوه عليها من فرعيات . كان يكفينا هذا كم قلنا من قبل . ولكنا نملك وفتا لا نبخل به على ما تهاوى من أنقاض البناء الشيوعي المنهار ومن فلنرفع من المك الأنقاض \_ كي تنم عمليه التطهير \_ ما يسمع به الوقت ، ومن الله \_ وحده \_ العون والسداد .

## أزلية المادة :

لا أرانا ونحن أو اجه فرية الشيو عبين القائلة بـ ، أزلية المادة .

لا أرانا أننا أمام فكرة جديده لم تواجه من قبيل . بل قد مر بنا مضموتها ومعناها وإن لم تكن بهذا العنوات ، أزلية المادة ، لأن مبدأهم الذي تقدم وأسبقية المبادة على الفكر في الوجود ، متضمن لهذا المعنى وأزلية المادة .

ويريدون به دأزاية المادة ، قدمها وأسها وجدت بلا بداية ، وقد نقضنا فيها تقدم مبدأهم المذكور ، وأثمتنا بالآدلة القواطع أن المفكر أسسبق من المهادة في الوجود ، وأن ما من صورة مادية أيا كانت صغيرة في حجم علبة الكبريت ، أو كبيرة ضخمة مترامية الآطراف بعيدة الغور متعددة العناصر دقيقة التركيب كالكون ، مامن صورة من هذه الصور المادية إلا وقد تقدم عليها فكر هو سبب فيه أو واحد من أسبابها إن أردنا تحرى الحقيقة وضبط الموضوع .

وفى قولنا: الفكر أسبق فى الوجود من المادة؛ مجاراة للخصم فى أصل القضية لأزةو لنا:الفكر أسبق فى الوجود من الماءة، هو العكس المنطق لقو لهم،

و المادة أسبق فى الوجود من الفكر ، نعم أنه مجاراة جداية . وإلا فاتنا لا نكتفى بتقدم ، الفكر على المادة ، فالصورة عندنا لها عناصر أخرى بها تتم عملية التكوين لأى صورة من صور المادة صغيرة كانت أو كبيرة .

ولنأخذ من هذا الكتاب الذي تقرأه ــ الآن ــ مثلا، لانه أقرب المدركات إليك وأنت تقرأ

هذا المكتاب صورة مادية بلا نزاع . وقد تقدم عليه من حيث أنه كلام مؤلف خمسة عناصر :

مؤلف + فكر + علم + إرادة وقدرة، وقد جرى منهج الشيوعيين على اعتبار الفكر في هذا الجال. ولكنه كاعلمت فيها تقدم الفكر اللاحق لا الفكر السابق.

فهذا الكتاب سبق على تشكيله في هذه الصورة المادية التي تراها العناصر الخسة المشار إليها ، وهي :

المؤلف، والفكر الذي تعلق يتصور الكتاب قبل البده فيه والعلم الذي أهل للسير في تحرير المادة العلمية والإرادة الحرة التي لم يعقب عائق عن بمارسه العمل المطلوب لهذا التصور . ثم القدرة المنفذة لإخراج ذاك التصور في هذه الصورة المادية على الشكل الذي صارت به كتابا يفرأ .

إذن فلا بد ـ ضرورة ـ قبل تكوين أية صورة مادية من توافر هاتم العناصر قبل إخراجها في صورتها الماثلة ، وهي :

- الفمكر الذي يتصورها •
- ه و المفكر الذي يصدر عنه الفكر .
- · والعلم المحيط بذلك التصور الموضوع.
- 🚁 والإرادة الحرة التي تتعلق بإنجاز ذلك التصور •

ثم القدرة المنفذة لذلك التصور على الهيئة التي أريدت.

وهذا الكون بما فيه من أسرار ودقائق وأرض وسماه، وفضاء وأفلاك ويحار وعيطات وأنهار ، وزروع وجبال وصحارى وملائك وجن ولمنس وأنعام وطيور ، هذا الكون إنما دو صورة مادية كيرى مجتمعة فى تفرق، ومتفرقة فى اجتماع ،

وقـــد علمنا أن كل صورة مادية لابد أن تسبق بعناصر خمسة لانها

الصانع، والممكر، والعلم، والإرادة، والقدرة. ولكل صنعة صغرى عناصرها المناسبة لها. أما صورة الكون أو المادة السكبرى فإن الله وحده مد صانعها بتدبيره وعلمه وإرادته وقدرته فهى إذن ليست أزلية، لآنها حادثة قد تقدم عليها فاعلها المدبر العالم المريد القدير.

هذا دليل من أدلة حدوث المادة ولها أدلة أخرى نذكر منها :

و إن الآزلى هو الفاعل غير المنفعل ، أو المؤثر في غيره ولا يتأثر هو بغيره . أو كما يطلق عليه بعض العلماء : هو المحرك الأول الذي لا يحرك . ويقصدون به دلا يحرك ، لا يؤثر فيه غيره أو هو د العلة الأولى التي يفسر بها غيرها ، ولا تحتاج هي إلى نفسير لاستغنائها بذاتها عمن سواها ، .

وهذه الضو ابط كلها لاتنطبق على ، المادة أو الطبيعة ، .

أما أولا ؛ فلأنها منفعلة غير فاعلة فى غيرها فعلا يعتد به فى هذا المجال . وأما ثانياً : فلأنها متأثرة غير مؤثرة فىغيرها نأثيراً يعتد به فى هذا المجال . وأما ثالثا ؛ فلأنها محركة غير محركة لغيرها حركة يعتد بها فى هذا المجال . وأما رابعا ؛ فلأنها معلولة غير معللة لغيرها تعليلا يعتد به فى هذا المجال .

إنها منفعلة لعلم الله وإرادته وقدرته ، وخاصعة لتدبيره وتصرفه . وإنها مثائرة بعلم الله وإرادته وقدرته وخاصعة لتدبيره وتصرفه . وإنها محركة بعلم الله وإرادته وقدرته ، وخاصعة لتدبيره وتصرفه . وإنها معلولة لعلم الله وإرادته وقدرته ، وخاصعة لتدبيره وتصرفه . وهذه كلها صفات الحوادث فالمادة حادثه وايست أزلية .

ودايل ثالث: إن المادة التي يزعم الماديون والشيوعيون أنها أزلية هي إ
 أحط أنواع المادة ؛ لأن أنواع المادة أربعة :

١ حما يحس و يشمو ويتحرك بالإرادة الحرة ويعقل وهوالإنسان.

٢ - ما يحس ويشمو ويتحرك بالإراده ولا يعقل ، وهـو الحيوان
 الأعجم .

٣ ـ ما ينمو ولا يحس ولا يتحرك بالإراده ، وهو النبات .

ع ــ مالا ينمو ولا يحس . وهو الجاد كالارض والجبال والصخور وحكذا .

هذا النوع هو الذي يعنيه الشيوعيون وأضرابهم . ويقولون إنه أزلى وهو الخالق لكل شي. . وهو منهم دعوى في منتهى السخف إذ كيف يهب الحياة ماهو ليس بحي. إن فاقد الشيء لا يعطيه . فلو كانت المادة أزلية وهي الخالقة الكان الأولى أن تهب لنفسها الحياة قبل أن تمنح غيرها حياة ؟ 1 1 الحياة الكان الأولى أن تهب لنفسها الحياة قبل أن تمنح غيرها حياة ؟ 1 1

#### أبدية المادة:

المراد من أبدية المادة أنها ستدوم أبدا بلانهاية ، لأن المدادة عند من يقول بأبديتها : لاتفنى ، هكذا قال الماديون فى العصور الحديثة ، والقول بأبدية المحادة قديم . فقد كان عن قال به فى القديم الحكيم اليونانى ، جالينوس ، ودليله على أبدية العالم ظاهرة جزئية من ظواهر الحكون ، وهى ثبوت المعمس على حالتها دون أن يطرأ عليها تغيير ، قال : لو كانت الشمس تقبل الإنعدام لظهر عليها ذبول فى مدة مديدة ، قال : والارصاد الدالة على مقدارها منذ

آلاف السنين لاندل الآن إلا على ذلك المقدار واستدل جالينوس بهدده الملاحظة على أبدية العالم . . ؟ !

ثم جاء الفلاسفة من بعده وتمسكو ابرأيه هذا . وقد تصدى لهم الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه , تهافت الفلاسفة ، وأبطل رأبهم ، علميا ، من ثلاثة وجوه:

الأول: أن هذا الدليل ـ وغيره ـ على فرض صحته هو دليل بقاء طويل. وليس دليل أبدية (١٠٠).

الثاني : الجزم بانتفاء ذبول الشمس غير مسلم ولا هـو صحيح لجواز أن يكرَن قد حدث لها ذبول ولسكنه خني علينا

الثالث: وهيذا الدليلكازيمكن النمسك به لوكانت أسباب الفناء محصورة في الذبول، ولكن أسباب الفناء ليست محصورة في الذبول، ولكن أسباب الفناء ليست محصورة في الذبول فلا يصح أبداً النمسك بهذا الدليل. [ تهافت الفلاسفة : ( ١٣٦ ) وما بعدها ] .

وحجة الإسلام الفرالى موفق كل التوفيق فى نفض أدلة الفلاسفة على أبدية العالم، وقد كان رحمه الله قد نقبض أداسم - بوضيوح - على أزلية الماده . وذكر في تصديه لبطلان الأزلية أنماذكر في بطلان الأزاية أنماذكر في بطلان الأزلية المائة هو يعينه أهلة يطلان الأبدية وهذا لم يمنعه رحمه الله من التصدي من جديد لنقض أدلة الأبدية .

والدى ذكره الإمام الغزالى فى تساوى الأزلية والأبدية فى أدلة إيطالهما تمسك به النقاد المعاصرون. فقالوا بعد إثبات فساد أزاِية المادة حين تصدوا لمننى الآبدية:

<sup>(</sup> ١٥٠) الهدوام الطول له نهاية كممر نوح عليه السسلام . وهمر الكون تفسسه . والتبويام. والبقاء بمنى واحد ، أما الأبدية ثنناهـ الانهاية له . وزنك تفهم تفرقة المغز إلى بين الابدية والبقاء .

إن الماده بطل القول بأزايتها وثبت أن لها , بداية ، وكل ما له بداية فله حتما نهاية ، فالمادة ليسيت أبدية لأنها حادثة .

وأثت خبير أن هذا من قبـل الجدل النظرى القائم على المسلمات العقلية . وبقى من مصادر السحث :

دلالة العلم الواقعي .

ثم دلالة الوحى ألديني . ونذكرهما على هذا النظام :

### دلالة العلم الواقمي :

كانت المادة قبل تطور العلوم محتفظة بذاتها فالحجر حجر، والصخرصخر، والأرض أرض والكلكتلة مادية ثلاثة أبعادكما قال آتشتين صاحب النظرية المفروفة بالنسبية . وتلك الابعادهي:

الطول + العرض + الممق ويضاف عند صاحب النسبية بعدد رأبع هو: الزمان • ولكن الزمان غير داخل فى نظام الركبيه الذاتيه المسادة • وبتلك الابعاد الذاتية الثلاثة شغلت الكتلة المادية وحيرا ، من المكان متناسبا مع حجمها تناسبا طرديا •

وهذا حمل الناس قديما بل وإلى عهد قريب أن يقولوا: . إن المسادة، لا تعنى وامل هذه الملاحظه هى التي أوحت إلى القلاسفه وإلى الماديين من الشيوعيين والعلمانيين والوضعيين من بمدهم بأن يقولوا . . إن المادة، أبّدية وسيطر هذا اللفهم على العقول ردحا من الزمن ، وظنوا أنها حقيقة لا تقبل الزوال .

## الملم يبدد مذا الإعتقاد

ولـكن العلم جاء بما يبدد هذا الإعتقاد , ويزعزع ذلك الفهم المخدوع الذي وثق فيه الناس حينا . ودعا العلم بموقفه اجديد إلى تغيير النظرة اعتبقه وإحلال العقيدة الصحيحة ، محلها .

فبعد أن وقف الناس حينا عند الذرة ، وظنوا أنها وحدة الوجود المادى وأنها غير قابلة الإنقسام لفرط صغرها ، سرعان ماتبدت الحقيقة عارية من كل ليس فإذا بالعلم يقول : أن المادة قابلة للإنقسام ، وأنها تتحطم ؛ لانها مركبة من شحنتين كهر بيتين سالبه وموجبة ، والشحنة الكهر بية بجردة عن كل حامل مادى . وأن المادة إذا حطمت تحولت إلى قوة إشعاعية هائلة يمكن أن تستخدم فى تعدير الكون أو تدميره على حد سدوا ، وهكذا ظهرت المفاجآة السخيرى :

و هكذا تخلع الطبيعة ثوبها المستعار، وتتكشف المادة عن أصلها الآصيل فإذا هي ، طاقة ، أى قوة بجردة يلزم البحث عن مصدرها خارج ذلك الهيكل المأدى المحطم، وذلك الصنم الساقط المهدم، وهكذا يقترب عالم المادة رويدا وويدا من عالم المجردات ، ويكاد يتصل عالم الشهادة بعالم الغيب من جهة حده الآدني كما يتصل به من جهة حده الآعلى . وهو غيب يؤمن به العلم وإن لم يره لأنه يحس أثره، ويكاد يلس خطره . أجل ، لقد أصبح العلم اليوم يؤمن بأن في الوجود قوى لا يناهما الحس المجرد ، ولا الحس المجهز بأقوى الجماهر ، المؤود بأدق المقاينسي والموازين (١٦)

#### ومعنى هذا :

١ - المادة تفنى فهى إذن ليست أبدية ولا أزلية .

٣ -- وحين تفنى المادة تتجول إلى طاقة مجردة من أشكال المـــاده تماما .

٣ ــ إن الإعتباد على التجارب الحسية \_ وحدها \_ ليس هو مصدر المهرفة
 الوحيد ، فإن فى الوجود عالما أو عوالم لا يمكن إدراكها عن طريق الحواس \_

<sup>(</sup>١٦) الدين ( ٩٠) للمرحوم د \_ محمد عبد الله دراز .

إن العلم بؤ منءن اقتفاع ورضى تامين بحقائق خارج الكون المادى
 يبسركها العلم بمعو نة العقل فلا يسعه إلا الإيمان اليقيني بها .

# ومع العلم في دليل آخر :

إن مبدأ تحطيم الذرة وتحويلها إلى إشماع هائل هو إحدى الوسائل العلمية التي بددت وهم الواهمين بأن المادة لاتفنى ، وأنها أبدية لبست لها نهاية .

وللعلم وسائل أخري غير التجطيم في إثبات فناء المادة ، علميا ، و من تلك الوسائل الكشف العلمي الآتي :

## الانتقال الحراري :

يقول إدوارد لوثر كيسيل في الرد على القائلين بأزلية المادة أو الكون أو الطبيعة . . . ولكن القانون الثاني من قو اثين الديفاميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأى الآخير . فالعلوم تثبت بكل وصوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزاايا . . فهناك انتقال حرارى مستمر من الأجسام الحارة (كالشمس) إلى الاجسام الباردة . ولا يمكن أن يحدث العكس يقوة ذانية بحيث ترتد الحرارة من الاجسام الباردة إلى الاجسام الحارة (١٧) .

، ومعنى ذلك أن السكون يتجه إلى در جه تقساوى فيها حرارة جميع الأجسام و ينصب فيها معين الطاقة ، ويومئذ لن تسكون هناك عمليات كيمارية أو طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها فى هذا السكون ، ولمساكانت الحياة لا تزال قائمة ، ولا تزال العمليات السكياوية والطبيعية تسير فى طريقها فإننا فستطيع

<sup>(</sup>۱۷) لإيضاح هذا نقول: إذا وضعنا جسما باردا بجوار جسم ساحن فإن الحرارة تمتقل من الحار إلى البارد تدريجيا حتى تتساوى درجتا الجسمين الحرارية ثم تأخذان في الانخفاض بتوقف المصدر الماد بالحرارة ويستحيل عودة الحرارة من البارد إلى الحار مرة أخرى . بل سترول الحرارة منها معا .

أَنْ نَسَتَنْتُجَ أَنْ هَذَا الحَمُونَ لَا يَمَكُنَ أَنْ يَكُونَ أَزَلِياً ، وَإِلَّا لَاسْتَهِلَـكَتَ طَاقَتُه من زمن بعيد ، و تو قف كل نشاط في الوجود .

و هكادا توصلت العلوم ـ بدون قصد ـ إلى أن لهذا الـكون بداية ، وهى بذلك تثبت وجود الله: لأن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بتفسه، ولابد من مبدى، أو من محرك أول أو من خالق هو ، الله ، (١٨) .

ويقول جون كليفلاند كوثران:

« وتدانما العلوم الكيميائية على أن بعض المواد فى سبيل الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير محو الفناء بسرعة كبيرة . والآخر بسرعة بطيئة ، أى أن المادة ليست أزلية وليست أبدية كما يزعم الماديون .

فالعلوم الكيماوية و الطبيعية و عيرهما تخطوان خطوات كبيرة يومابعد بوم بما يكشف عن الحقيقة التي غابت عن الاذهان على أمد طويل و تنحو العلوم الآن إلى ما يؤيد حقائق الإيمان، ويثبت خطأ الاستنتاجات والفطيرة، الني يتمسك بها الماديون، وما تقدم بدا لنا واضحا أن الثنيوعيين الآن تائبون بين خبر كاذب، وتنبؤ أكذب:

بين خير كاذب حيث قالوا بأزلية الـكون . وقد أثبت العلم والعقل والواقع كدب قولهم .

وتنبق أكذب، حيث قالوا: بأبدية المكون وقد أنبت العسمام والعقل. والواقع كذب ماقالوا .

# إخبار الوحى الديني :

فى الوحى الديني نعولكل التعويل على ماورد فى القرآن السكريم وحده دونما سواه من التوراة والأناجيل .

أما التوراة المحرفة فإن عقيدة البعث فيها لا فكاد تعثر عليها في نصر مريح. (١٨) الله يتجلى في عصر العلم (٢٧) .

بل أن من أوضح الواضحات فى النوراة أن الثواب والعقاب مقصوران على هذه الحياة الدنيا . فالثواب إما خير تجود به الأرض ، أوكثرة فى الدرية وسيادة اليهود على كل الأمم من غير اليهود .

وأما العقاب، فهو إما حرمان من الخيرات الدنيوية، وإما في الذرية أو حزيمة أمام الأعداء.

أما الآناجيل فإن ثقة الباحثين فيها قد اهتزت ، حتى أخرجوهامن دائرة النصوص المقدسة ووصفوها بأنها ، تعيير بشرى غير أمين عن حقيقة كيرى لايشك أحد فى وقوعها ، وهى رسالة السيد المسيح عليه السلام ، إن الآناجيل هى تدوين لتلك السيرة النبوية لم يراع فيه المدونون أمانة النقل ولاصدة التعبير .

ولذلك . فليس أمامنا سوى القرآن الكريم والنصوص القرآ نية الترقدله على زوال الحياة الدنيا وتبدل المادة الكونية وزاولها فأكثر ما يحاطبة ـ هنا ـ ومن ذاك :

ديوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات. وبرزوا قه الوحدالقهاي (١٩٥٠). فهذا نص قاطع بأن مظاهر الحكون المألوف لنا حالان - سنوف تزوق و تحل محلها عناصر أخرى . فتبدل الأرض يتبعه تبدل ماله صلة بها من خبال وأنهار وزروع ومعادن وأشكال وصور لآحصر لها .

و تبدل السموات علوم منه تبدل كل الأفلاك الانتموات أعظم فيما تربيد الابصار والرأ معى هذا النص :

، إذا الشمس كورت، وإذا النجوم المكترت، وإذا الجنّبالُ سيرت، وإذا الجنّبالُ سيرت، وَإِذَا المُمّنالُو عطلت مُ وإذا الوحوش حشرت. وإذًا البخالُ سجّرت مُ وَإِذَا النّفرُسِ روجت، وإذا المو، ودة سئلت، بأنى ذاب ثلت، وَإِذَا الصحف لشرت، وإذَا

<sup>(</sup>١٩) إبراهم (١٩)

السماء ، كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذ الجنة أزافت ، علمت نفس ما أحضرت ، ، ، ، ، ، ، ، فل في هذا النص أخبار صادقة عما سوف يصيب بعض عناصر الكون من تبديل فالشمس تكور وينتهى دورها ، والنجوم يذهب نورها ، والجبال تسير وتنسف ، والبحار تشتعل نيرانا ، والسماء تزال منها زينتها ولونها ، والنار تبرز مستعرة ، والجنة تظهر دانية من أهلها .

وفى نصوص أخرى السهاء تنشق ، ويتبدل لونها . والنجوم تنتش وتزول والجبال تنسف نسفا وتكون كالصوف المحلوج ، والأرض تخرج مافيها من ودائع كانت أمينة عليها .

#### ثلاثة قوانين :

وصفوة القول: أن نصوص القرآت المكريم تضع المكون بين ثلاثة قو أنين منه سبحانه وتعالى:

الأول : قانون الخلق والإبداع على غير مثال . فالكون له بداية وغير أولى .
الثانى : قانون التصرف والندبير بعد الخلق والإبداع . فالله هو المدبر الآن للمدا الكون وشئونه وليس له فيه ثمريك ولا ولى من الذل . فالكون محتاج لله في ذرة من حياته . وليس الكون مكتفيا بنفسه .

الثالث: قانون الإفناء والإبادة · فالله هو الذي سيفني الوجود الدنيوي تهيئة للحياة الابدية · فالعكون له نهاية وليس أبديا .

وليس بين ما يقرره القرآن من نهاية هذا العالم وما يقرره العلم من نهاية العالم حين يتوقف مصدر الطاقة ويصل الكون إلى د الصفر المطلق و تنعدم الجياة و يختل الوجود و ليس بين ما يقرره القرآن و ما يقرره العلم من تناقض مادام العلم لم يدرك متى يصل الكون إلى و الصفر المطلق ، فقد يكون هذا و الصفر غير المدرك ، هو نهاية حياة و بداية حياة أبدية .

<sup>(</sup> ۲۰ ) النكوير (۱ – ۱۶) .

### لا وجود لفير المادة . . . ؟ ١

أعود فأذكرك بالأساس المتهاوى الذى بنى عليه الماديون (الشيوعيون) مذهبهم ــ استغفر الله ـ بل تصورانهم حول قضايا الوجود . ذلك الأساس المتهاوى هو ـ كما علمت - : المادة أسبق فى الوجود من لفكرة .

وقد رتبوا على هذه المقولة التي ظهر لك فسادهاعدة تصورات واهمة مثل: أزلية المادة، وأبدية المادة. وقد فرغنا من بيان فساد هذين التصورين في البحازكما عرفت.

والتصور الواهى الذي نقف أمامه الآن اعتقادهم أن لاوجود لغيرالمادة. ويسمون ماعدا المادة عدة مسميات :

غيبيات + ما وراء الطبيعة + الميتافيزيةا , وقد حصروا وسائل المعرفة في معطيات الحواس الحس . وهذا لازم تصورهم ، إذ ماداموا لايؤمنون بشيء سوى المادة فليس لهم وسائل معرفة إلا الحواس الحس . فهم في مادتهم سجناء كما ترى . أما المعاني والحقائق المجردة فلاصلة للشيوعيين بها ، فهم يعيشون في حالة طاءولة دائما ، وأعنى بها طفولة المعرفة لا طفولة الطهارة والنقاء .

وفى مو أجهتنا لهذه الجهالة العمياء التى لانرى وجودا لغير المادة نسير على تغس المنهج من الإحتكام إلى العلم والواقع والعقل والوحى الدبنى الأمين، وهى مصادر الفكر والمعرف الإنسانية الراشدة.

### دلالات العلم والعقل:

خذ إليك . مثلا ـ الرقم ( ٣ ) مكررا تمهيـــدا لإيجاد فيمته على الطريقة الرياضية أي :

Y + Y = 3 فطر قـة الجمع هي إحدى وسيلتين من وسائل الرياضة في إيجاد قيمة العدد (Y) مكررا . أما الطريقة الثانية فهي طريقة الضرب ، أي  $Y \times Y = 3$ 

فإذا استعرنا الأسلوب المنطق لهذه العملية بنوعيها جمعا وضربا نستطيع أن نقول إن المقدمتين فى كلتا العملتين هما : النتيجة ؛ لأن الرقم المراد إبجاد قيمته مكرر فى كل من العميلتين كما ترى :

وقداشتركت الحواس مع العقل في إدراك عناصر العملية سواء كانت جما أم ضربا .

فالمين ترى المدد مفرقا (٣٠٣) وتراة مجموعا (٤) . وليس للحواس هنــا من دور سوى الإدراك المادى . أما العقل فهو الذى توصل إلى القيمة (٤) وكل ماندركه الحاسة هنا هو الانتقال من رقم إلى رقم: ٣، ٣. ٤ .

وخذ إليك ـ مثلا ثانيا - العدد (٣) مكررا (٣،٣) وطبق عليه نفس العملية بن في إيجاد قيمته هكذا .

٣ + ٣ =٣ . هذا في عملية الجمع ، أما في عملية الضرب فيسكون :

٣ × ٣ = ٩. فإنك تجد الحواس فى العملية الأولى ( الجمع ) أدركت العدد المطلوب مفرقا (٣+٣+٣) وجموعا ( = ٩ ) فالنتيجة هى المقدمتان وهما ماثلات أمام النظر .

أما فى عملية الصرب فإن شيئا قد طرأ لم تدركه الحواس؛ لأنها فى العدد المفرق لم تجدها أمامها إلا (٣،٣) أما فى العدد الجمعى فقد فاجآها الرقم (٩) فاختلفت الفتيجة مع المقدمتين. فن أين جاء تكرار العدد (٣) ثلاث مرات فى النتيجة (٩) ١٤

 فى نفسه أرار لجموع = وعمل الفقل - هنا - عمل ذهنى لا تدركه الحواس بداهة .

ويمكننا أن نكرر هذا في ميدان العمليات الرياضية آلافي آلاف المرات فنجد العقل يدرك من المعاني الذهنية المجردة ما لاحصر له ولولا فدخل العقد ل بملكانه لضاعت أكثر حقائق الرياضة أدراج الرياح وإن الإحساس (الحواس) إنما تحمل إلى عقولنا صور الأشياء فقط، أما العلاقات القائمة بين الأشياء، سواء في ترتيبها المكاني أو الزماني أو تسبب بعضها عن بعض فانها إدراكات وأحكام عقلية لا وجود لها في صور الأشعاء الحسوسة . . (٢٥).

## ومثالآخر:

وقد ترى إنسانا وبيده حروق ظاهرة فيسعفك العقل فى الحال بأزيد هذا الإنسان قد مستها النار أو جسم ملتهب ما له صلة بالنار أو مولدات الحرارة المرتفعة . يسعفك العقل بهذا دالح كم، وأنت لم تر الواقعة التي تسببت عنها تلك الحروق . فأين شاهد الحواس هنا ياترى؟ إن الحاسة اقتصر دورها على أن تريك الحروق معزولة تماما عن سبب حدوثها ثم تتوارى وقد أدت دورها ليتولى العقل وحده ربط المسببات بأسبابها .

و الحدكم الذى أقره العقل حقيقة مجردة نماماعن التقيد بقيو د المادة وصورها المحسوسة .

وقد تسمع وأنت مار فى طريق طفلا يبيكى بصوت مرتفع، أو إنسانا يثن أنينا عاليا، فتدرك فى الحال ــ بعمل العقل ــ أن هذا الطفل يبكى من أمر أساءه، خوف، أو جوع، أو ضرب.

وأن الإنسان الذي يتن إنسان يتألم من وجع أو ألم نزل به ٠٠٠

<sup>(</sup>۲۱) قصة الإيمان (۲۲)

تدرك هذا بحكم العقل الذي يحاول ـ دائما ـ وفى صمت وهدوء أن يربط كل ظاهرة يدركها بأسبابها الماسبة . ويحدد العلاقات بين المسببات وأسبابها وقلما يخطىء فى هذا الجال .

وقد تلتق فى طربق بائنين تعرف أحدهما ولا نعرف الآخر، فيقول لك الذى تعرفه أن هذا شقيق فلان ، فتدرك من هذه العيارة أنهما ولدا عن أب وأم فهما ينتميان إلى شجرة نسب واحدة . وأنت لم يتفق لك أن رأيت أباهما أو أمهما. ولم تعرف العلاقة التي كانت بينهما من قبل . ولكن العقل استطاع حين أدير مفتاح عمله أن يحدد تلك العلاقات ويؤلف بينها وهي غائبة عنه .

فكيف يستقيم لأولئك الجقى أن ينفوا وجود غير المحسوسات ، ووجود غير المحسوسات ، ووجود غير المحسوسات . فما من مدرك حسى إلا وقد تولد عنه مدرك غير حسى . فهما بهذا الاعتبار متساويات ، ولكن المدركات غير الحسية فا مصادر أخرى غير التولد عن المدركات الحسية ، وبهذا الاعتبار فإن الموجودات غير الحسية تفوق بكثير المدركات الحسية وهذا ما غفل عنه سجنا، المادة المظلمة ،

والعلم مع تسليمه بوجود حقائق يعرفها بآ ثارهـا يعترف بأن ماهياتها لاتدخل تحت الضبط العلمي من أي نوعكان ذلك العلم .

فَالْأَثْيَرِ يَسَلُّمُ بِهِ العَلْمِ ؛ وَلَكُنْ مَا هُوَ الْأَثْيَرِ ؟ لَا أَحَدَّ يَعَرَفَ .

والروح التي هي قوام الحيماه ، حقيقة لا ينازع فيها العلم ، ولسكن ما هي الروح؟ لا أحد يعرف .

بل والعقل تلك الملكلة الهائلة ، ماهو ؟ وأين موقعه من جسم الإنسان؟ وكيف يعمل؟ لا أحد يعرف .

والأشعة الحراء ، والأشعة فوق البنفسجية التي يستخدمها العلم ما همــا ؟ لا أحد محيط عهما ؟ إن الوجود غير المادى أكثر من أن يحيط به الإنسان . ونحن لا ندرك إلا ظاهراً من الحياة الدنيا ـ كا جاء فى الكتاب العزيز ـ فكيف تذهب قطعان من البشر إلى نفى كل وجود خارج وجود المادة ؟.

وبم نسمى هؤلاء إلا أنهم يعيشون حدائما حفى طفولة المعرفة فالطفل حوحده وإن شاركته العجموات لا يدرك إلا ما وقع تحت واحدة من حواسه المدركة ، وهو عن إدراك المعانى المجردة بمعزل وقد فات الشيوعيين أن وراء كل معلومة حسية مادية حكما عقليا لا يتخلف وأن الحواس جميعا إنما هي أسسلاك منبثة حول ذلك والعملاق ، العجيب لتقذف إليه بالمعلومات والفجة ، فتنصير في د بو تقته ، ثم يصدر العقل في الحال حكابه تم عملية المعرفة في حدودها المالوفة عند البشر ، ولاصله للحواس فيها كان من شأن العقل و داخلا في سلطانه .

فالعين ترى ـ مثلا ـ جماعة من الناس فو امها خمسة أفراد مثلا . والعقل يصدر حكمه بأن هذه الجاعة . قليلة . .

وترى المين جمعاً من الناس لايدخلون تحت حصر ، فيسارع العقل ويصدر حكمه ويتول أن هذه الجاعة دكثيرة ، .

فرؤية أحياء دهى عمل العين، والقلة، والكاثرة هي عمل العقل.

ويذوق اللسان شرابا يتقرز منه فيقول العقل هدندا دمر ، ويذوق شرابا آخر يتلذذ منه فيقول العقل هذا دحلو ،

و تلمس اليد جسما مضرسا فيقول العقل: هذا د خشن ، .

وتسمع الآذن لحنا مفرحا فيةول العةل: هذا وطيب. .

وتسمع صوتًا مقبضًا منفرًا فيقول العقل: هذأ دردي ، .

ويشم الأنف رائحة ، مبهجة فيقول العقل: هذه رائحة ونركية ، •

ويشم رائحة مقزرة تشمئز منها النفوس فيقول العقل: هذه ( منتنه ) . ويشم رائحة مقزرة تشمئز منها النفوس فيقول العقل: هذا ( ثرى ) . وترى آخر رث الثياب هزيل الجسم فيدرك العقل أنه رجل ( فقير ) . وهكذا دو اليك ما من ظاهرة حسية إلا وللعقل فيها ( حكم ) .

والظاهرة الحسية ظاهرة محسددة ، أما الحكم العقلى فقاعدة كلية مجردة كانت تلك الظاهرة أحد (ماصدقاتها ) أوأمرادها فالعالم (غير المادى )أرحب أفقامن العالم المادى الضيق ومما اختص به العقل طائفة من ( الكليات المعنوية ) بصعب حصرها ومنها التفرقة الدقيقة بين :

الصدق والكذب، والصحة والبطلان، والحسن والقبح، والشرف والخسة، والأمانة والحنيانة، والوجود والعدم، والتآلف والتنافر، والتلادة والطرافة، والحضور والمضى، والغنى والفقر، والعلم والجهل، والكمال والنقص، والوفاء والغدر، والكرم والبخل، والبطولة والجبن، والحلم والطيش، والإعتدال والتطرف، والإستقامة والإنحراف، والإيمان والكفر.

هذا ولو رحمًا نتتبع هذه المتقابلات لما وقفنا عند نهاية قريبة . والكننا فكتنى بهذا القدر من الموجودات (المثالية) التي لم يدركها من رصوا طهولة المعرفة ، فسجنوا أنفسهم في حدود (المادة) المظلمة وحسبوا أنهم هم (الفهما) من بين الناس ، وهم أغبي أغبياء البشر . ١٤

# دلالة الوحى :

وحى الله الأمين يتحدث عن العالمين حديث الأمانة والصدق. والعالمان اللذان يتحدث عنهما هما :

عالم الحياة الدنيا وعالم الحياة الاخرة . وحديثه عن عالم الحياة الدنياجامع بين الحسيات والمقاليات . فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليدوم

الآخس ، والقيم الفاصلة التي دعا إليها ، ورغب فيها هي قيم روحية مثالية لا تستقيم حياه البشر إلا بالتصديق بها .

وحديث القرآن عن الحياة الآخرة وما فيها من بدئ وحشر وحساب وثواب وعقاب ، وجنات وارفة تجرى من تحتها الأنهار أكاما دائم وظلمها وفار تتلظى لا يصلاها إلا الأشقى ، هذا كله تجسيم وإبراز للعالم الآخر الذي لم يدخل فى حيز الماده الضيقة التي يدور في فاكما الشيو عيون ،

ومن الحقائق الإيمانية قوى الخير، وهم الملائدة. وما أكثر ما تحدث عنهم القرآن وقوى الشر، وهم الهياطين، والقرآن عنهم حسديث متواتر، والجنة والنارهذه هي معالم العالم غير المادي في القرآن الكريم، وهو عالم زاخر فياض لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الامين من الحديث عنه إجمالا أو تفصيلا أو إشارات لامحة، وفي النصوص الآثية قطوف من حديث القرآن عن العالم عير المادي:

( شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط، لا إله لا هو العزيز الحكيم ) (٢٢) .

( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النارالتيوقودها الناس والحجـــارة أعدت للمكافرين ) .

(وبشر الذين آمنو ا وعملو ا الصالحات أن لهم جنات نجرى من تحتما الأنهار كلما رزقو ا منها من ثمره رزقا قالوا: هذا ما رزقنا من قبل، وأنو ا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) (۲۲٪.

<sup>(</sup>۲۲) آل عمران (۱۸) .

<sup>(</sup>۲۳ ) البقرة ( ۲۵ ـ ۲۰ ) ٠

، كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومذنرين وأنزل ممهم السكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيها اختلفوا ...، (٢٤).

، قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا: إنا سمعنا قرآ نا عجبا. يهدى إلى الرشد فآمنا به وان نشرك بربنا أحداً ، (٢٥) .

و القد زينا السياء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين . . ، (٢٦) .

، و أفخ فى الصور فصعق من فى السمو ات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ففخ فيه أخرى فإذا هم نيام ينظرون ، (٢٧) .

توخينا فى هدف الآيات أن تكون دالة على أمس الإيمان بالعالم غير المادى ففيها الحديث عن الإيمان بالقه وهو الآصل الآصيل للحقائق كلها . ثم الملائكة ثم النار وصفائها . ثم الجنة ونعيمها ، ثم الجن والشياطين ، ثم لمحه عن أسم جنس يشمل السكتب السياريه كلها ، ثم الجن والشياطين ، ثم لمحه عن يوم القيامة . والشيوعيون ينكرون هذه الحقائق كلها ، لأنها ليست من الصور المادية ، وهب عزيزى القارى ان الشيوعيين عنوا فى كهرهم باقه وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره واليوم الآخر ، لأنهم لم يروا شيئا منها . هب أن طم عنوا فى هذا فكيف يكون لهم عنو فى إنكار الشياطين والكفريهم ، إن السكفر بالشياطين معناه أن الشيوعيين يكفرون بأنفسهم ه ١٤ وهل يرجى من أناس يكفرون بأنفسهم خير قط ١٤ .

<sup>(</sup>۲٤) البقرة ( ) ٠

٠ (٧-١) نابا (٢٥)

<sup>(</sup>۲٦) اللك (٥)

<sup>(</sup>٧٢) الحدر (٨٦) ٠

### حديث القرآن عن العالم المادى:

الحياة الدنيا فى القرآن وسيلة لا غاية . فهى ليست مطلوبة فى نفسها ، وإنما هى وسيلة لحياة أخرى أطيب وأخلد وأبقى . وقد طالب الله فيها عباده بمدم الركون إليها وأن يتخذوها معبراً للنعيم المقيم . فمن أحسن فيها كان له جزاء الحسنى . ومن أساء فقد خسر الدنيا والآخرة ، وحديث القرآن عن الحياة الدنيا وما فيها من مظاهر وصور مسوق لغرضين إذا افترقا اجتمعا .

أحدهما: الإمتنان على الحاق بمظاهر النعم المسداة إليهم من الحالق ليشكروه ويقدروا نعمه حق قدرها .

والآخر: أن يلفت الانظار إلى بديع صنعته سبحانه، وبليغ حكمته وجليل قدرته فيما صاغت يد القدرة بما ليس البشر إليه سبيل ليكون في ذلك دلائل الإيمان اليقيني بالله وامتثال أمره واجتناب نواهيه.

هذان الغرصان نحسب أسما محيطان بكل صور الحديث عن الحسيات في القرآن الكريم . ولنسق على هذا ما يؤيده و يقويه :

أولا: والهرأيتم ما تمنون. أأنم تخلقونه أم نحن الحالقون؟. نحن قدرنا بعد من الموت وما نحن بمسبوقين، على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون، ولقد علمتم النشأة الآخرى الولا الذكرون، أفرأيتم الحرثون، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟. لو نشاء لجعلناه حطاما فظللتم تفكمون، إنا لمغرمون. بل نحن محرومون، أفرأيتم الماء الذي تشربون؟. أأنتم أزلتمو من المزن أم نحن المنزئون؟ لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون، أفرأيتم المار التي تورون؟. أأنتم أنشأتم شجرتها أم نجن المنشئون؟. نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين، فسبح باسم ربك العظيم.

في هذا البيان الساحر الآسر عظات بالفات استظهرها البيان الحكيم من بعض الصور المادية المحسوسة التي بعيشها البشرفي الأحو الرالحاصة. والأرضاع

الهامة بدأ بظاهرة التناسل ، ووقف الإنسان عند طرفيها الأدنى والأعلى . فالطرف الآدنى هو ، وضع ذرة الماء فى الرحم ، وفى هذا عملان ، عمل ساذج حيوانى للإنسان ، وهو بجر دالقذف ، وعمل حكيم لعلم الله وإرادته وقدرته ، وهو الخلق والتكوين والتنشئة . وجانب الإنعام حد هنا حظاهر فى العملين المبشرى و الإلهى ، بيد أن البيان الحكيم يقفز قفزة سربعة من تمثيل هذه الصورة الحسية إلى إبراز أثر القدرة والحكمة الإلهية التى تعجز عندها قدرات البشر ، فهى الخالقة حد أعنى قدرة الله حوازاكان الخلق هو ، الحياة ، واقته البشر ، فهى الخالقة حقد الموت لكل حى ، والقدرة الإلهية لائتقف عند واهبها ، فإنه حدلك - قدر الموت لكل حى ، والقدرة إرادة ـ أن تبدل هذا الحد المألوف ، بل هى قادرة ـ إذا تعلقت بالقدرة إرادة ـ أن تبدل الأوضاع التى عليها الخلق و تنشئها فى أوضاع أخرى لاتقع تحت سمع وبصر البشر ، دليل ذلك أن النشأة الأولى ظاهرة جلية . وانه الذي أنشأ النشأة الأولى قادر على قادر على نشآت آخريات ، لأنه على كل شى ، قدير .

وهذا مع أنه بيان الإنعام الإلهى على الحلق، فهو دليل من أدلة الإيمان بالخالق العظيم .

ثم أنتقل إلى صورة أخرى عامة تتكرر كثيراً وتفترس جوءاً كثيرا من الإنرض وتقوم عليها حياة الإنسان والطيور والانعام. ويتصدر هذه الصورية المبتفهام وما هو باستفهام. وإنما لتمثيل الصور في الذهن ليتحدث عنها البياس وهي ماثلة للعيان. وأفرأيتم ما تحرثون، انها جملة تضع فلاحة الارض كيها على مسرح متحرك.

أأنتم تزرعو فه أمّ نحن الزارعون. إن عمل الإنسان فى فلاحة الآرض. ينتهى بوضع و الحب ، وسقيه ، ثم نتولى العناية الإلهية الإنبات والإنماء والتشكيل والتصوير والتمكوين والإنمار والإنجاج، والتهيئة للإنتفاع بضروب من المنافع التي تفيد الإنساز فى حياته .

والقدرة الإلهية معادل أومعادلات أخرى. فهى قادرة على أن تجمل الزروع حطاما قبل أن تصل إلى درجة التهيئة للإنتفاع. وإذا أراد الله هذا جمدت أرادت البشر، وكلت قدراتهم إلا من التحسر والتندم، وهكذا تآخت مظاهر الإنعام ودلائل الإيمان والتوحيد أمام صورحية لا يملك المخاطب أمامها إلا التسليم والإذعان طوعا أو كرها.

نم ينتقل البيال الحكيم إلى و الماء ، الذي جعل الله منه كل شيء حي : إنه ينزل من السياء من جبال فيها من يرد. ويتوجه البيان بهذا الاستفهام : . أفرأ يتم الماء الذي تشربون ، ليصور حقيقة الماء في الاهن وكأنه حاضر مائل ينظر إليه المخاطبون وهي يجرى سهلا طبعا بين أيديهم ، وقد كان في الآفاق العالية لا ثنا له يد مخلوق ولو طالت ، ويعاد الاستفهام مرة أخرى ليذكر الإنسان بضعفه وبجلائل نعم الله عليه: أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، ؟ .

ثم يجمع إلى هذه الصور صورة والنار ، ومنافعها عند الإنسان لا نقف عند حد معلوم فهى والطاقة ، الثانية بعد الماء تستخدم فى الآغراض الصغيرة كطهو الطعام وفى الآغراض السكبيرة كصهر الحديد والنحاس والمعادن التي هى قوام الصناعات العملاقة ، ويسأل البيان الحكيم: وأأنتم أنشأنم شجرتها أمنحن المنشون ، ،

و نلحظ، أن البيان القرآني حرص على حنف الجواب فى كل استفهام فى فو اصل الآيات التي ترددت فيها نسبة ، الظاهرة الملفوت إليها النظر ، بين فإعل ليس هو بفاعل ، وفاعل هو حقاً ــ الفاعل .

وسر هذا الحذف أن هذه الاستفهامات جوابها معلوم . فالحالق هو الله والزارع هو الله ، ومنزل الماء من المزن هو الله ، ومنشىء النار هو الله ، فليس السؤ ال عن الفاعل من هو؟ بل هو تذكير وتقرير بحقائق أدت وتؤدى غرضين جليلين .

أحدهما لفت الانظار إلى جلائل نعم الله ودقائةها. وصنوفها وصورها مـ والآخر سوق الادلة والبراهين على صحة الإيمان بالله وما بعث به رسله .

فالمادة أو الطبيعة أو السكون موضوعات للتأمل والغذاء الروحى الإيماني من جهة. ووسيلة من جهة أخرى إنها طريق الإيمان بالحاق، ووسيلة للإمتاع الذوق الجانى أكثرمنها مطعما ومشربا وملذات ، فهذه زائلة ، وتلك باقية هذا لمن كان له قلب أو ألتى السمع وهو شهيد.

ثانياً وضى الآن على مقربة من لوحة صنعت بريشة المبدع الخبير فاقت. كل صور الإبداع فى صوره وأشكاله البشرية لوحة جمعت مساخات شاسعة من خريطه الكون المرثى وغير المرثى بمقياس رسم تمثل وحدة القياس فيه، وهو أبعاد ومساحات على الورق واحداً من المليون من عمق المشاعر، وأضعافا مضاعفة بلا حصر من المساحات الواقعية التي تمثلها تلك اللوحة البديعة حقا. وتلك اللوحة هى:

#### قال الحق تبارك و تعالى :

وقل الحد لله ، وسلام على عباده الذين اصطنى ، آلله خير أما يشركون. أمن خلق السموات والأرض ، وأنزل له من الساء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة . ما كان له م أن تنبتوا شجر رها . ألله مع الله ، بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الأرض قراراً ، وجمل خلالها أنهارا ، وجمل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ، ألمه مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعله خلفاء الأرض ؟ ألمه مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل المراح بشرا بين يد رحمته ؟ ألمه مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون .

أمن يبدؤ الحلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقدكم من السياء والأرض ؟ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهاندكم إن كنتم صادةين قل لا يعلم من في السموات

والأرض الغيب إلا الله . وما يشعرون أيان بيعثون . بل إدارك علمهم في الآخرة . بل هم في شك منها . بل هم منها عمون ، (٢٨) .

هذه اللوحة المبدعة جمعت أقطار السموات والأرض وما بينهما القطات عميقة فسيحة تنقلات سريعة خاطفة ، ولكنها شديدة التأثير ، حيث نرى قدرة الله ـ وحدما ـ هي المهيمنة على كلذرة من ذرات الكون ، هي الحركة وهي الحالفة ، وهي الواهبة ، وهذه المناظر الحسية تخللها وقنات تتجاوز مظاهر النعمة التعود بالحقيقة إلى مصدرها ، وتضمها موضعها بين حقائق الإيمان ، فالله ـ وحدد ـ هو الله وليس له شريك لقد المترجت مظاهر الإنعام الحسي وغير الحسي هذا بدلائل الإيمان الناطقة ، ولو لم يسكن في الوحي إلا هذه المجموعة من الإيات الحائت كافية في تقرير عقيدة التوحيد ، لانموضوع هذه اللوحة كما ترى هو موضوع الكون والحياة ، بطول الكون وعرضه وعمقه و بطول الكون وعرضه وعمقه و بطول الحياة وعرضها والمتدادها .

وهـكذاً يوظف القرآن المشاهد المادية المحسوسة للفرضير الكبيرين اللذين هما :

١ -- الامتنان على العباد بجلائل النعم ودقائقها ، ظاهرها و باطنها .

م \_ إبرازها كدلائل على عقيدة التوحيد، وهى \_ فى الواقع \_ كذلك. دلائل مسطورة بحروف واضحة يقرؤها كل الناس . بكل سهولة ويسر . وتقوم الحجة لله على خلقه .

فالمادة مخلوقة لا خالفة ، لها بداية وليست أزلية ، ولها نهاية وليست أبدية وهي ، وضوع للتأمل واستخلاص العبير الداعية إلى الإيمان بالخالق العظيم وليس الوجود المادى هو كل ، الوجود ، بشهادة العلوم ، وإقرار

<sup>· ( 17 - 01 )</sup> المرل ( ٢٨)

العقول؛ ودلالات الواقع، وتأييد الوحى . وهذه هي أسس الفكروالمعرفة الإنسانية وليس وراءها إلا الوم .

والذين لا يتجاوز إيمانهم المادة وصورها خلقاء بأن يسلكوا فى عداد المهجموات. هذا نولهم عند الله وعند الناس. وإن رفعنا من قدرهم ولم تخطى م في وصفهم ، فهم يعيشون فى طفولة المعرفة . وقد قطع الناس عيرهم الشراطا واسعة الخطو فى الرقى والتسامى وصدق النظر ، وبعد الإدراك ، وصدق الله العظيم :

إن الذين كفروا سوا. عليهم أأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون · ختم
 ألقه على قلوجم وعلى سممهم ، وعلى أبصارهم غشاوة . ولهم عذاب عظيم » ·

ولنكرر \_ معا \_ قول الشاعر في وصف البلادة :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

## الله ذو الجلال والإكرام:

الله ذو الجلال والإكرام ، هذا «العنوان، آثر نا أن نجعله هو «العنوان، الذي نناقش نحته فكرة الألوهية عند الشيوعيين ، وهو مناقض تماما لتلك الفكرة عندهم ، والعنوان الذي كان يتبغى وضعه على هذا المبحث ، ولمكننا تأديا مع والله ، ذي الجلال والإكرام آثر نا وضع هذا العنوان ، ولم نخضع لما يقتضيه البحث من وضع عنوان مطابق للفكرة التي تبحث في ظله ، فالشيوعيون ينمكرون وجود الله عملا بمذهبهم المادي ، والعنوان الذي كان مناسبا لهذه الفكرة أن يقال ه الله لا وجود له ، \_ سبحانه عما يقول الظالمون ولو أننا صنعنا هذا الصنع لسكان لنا مندوحة ، فناقل الكفر على سبيل الحكاية وليس بكافر ، ولكننا لم ننظر لطبيعة الاعتقاد الشيوعي في الله ، الحكاية والذي سنعرض له وهنا و بل نظر فا إلى الواقع والمسآل فآثر فا على دالا نبات، والذي سنعرض له وهنا و بل نظر فا إلى الواقع والمسآل فآثر فا على دالا نبات،

عَلَى مَمَى وَ النَّفَى ، ، لأن هذا والنَّقى ، لا وجود له إلا في أَدْمَان أو في اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

هذه مقدءة كان لابد منها حتى يمكرن القارى، على بينه من الأمر. ولا ويب أن حسن التأدب مع الله أولى بالرعاية من أدب البحث نفسه و بخاصة إذا كان التصور المراد درسه وهما من الأوهام، وهو ما عليه الشيوعيون في كل تصور فضلا عن تصورهم في فكرة د الألوهية ، التي هي مدار الإيمان عند المؤمنين .

; (4)....

إن تصور الشيوعيين أن الله غير موجود . كان الهدف من وصمع أنساس المذهب المادى عنده . وأساس مذهبهم كما تقدم مرات تلك الفكرة الزاهمة التي قالوا فيها :

## إن المادة أسبق في الوجرد من الفكرة :

وقد وقفنا على حقيقة المادة وهي ما يتدرك بواحدة من الحواس الخسن أبناء على هذا التصور الواهي قالوا بكثير من الصورات الواهية . منها ما تقدم من قولهم بأزلية المادة وأبديتها ، وأنها هي الحائقة ، وحدما ، وقد أخذوا هذا القول عن داروين الذي قال : د إن المادة هي الحالقة ، وأنها ليست لها تهاية في الحلق ؟ 1

ثُمْ قالوا ؛ إن الوجود الحقيق هو للمادة وأنَّ ما وزاء المَّادةُ مَن غَرِيبَاتُ وروحانيات لا وجود له ، وإنما هو دما وزاء المادةُ ، إنْمَكَأْسَاتُ للمادةُ في ذهن الإنسان وليس له وجود في الواقيج؟!

<sup>(</sup>٩٩) هذا الفراغ هو موضع عنوان فكرة الأنوهية المنفية عند الشيوعيين أثرنا تركّنها هسكذا « فراعا » لأن نفي الأنوهبة لا وُجود له إلا في خيالهم .

ومعلوم أن فى مقدمة . الغيبيات ، التي لم تقع تحت الحس د لقه ، سبحانه وتعالى الذي يدرك الابصار ولا تدركم الابصار وهو اللطيف الخبير .

فالله فى التصور الشيوعى الواهم لا وجود له ؟ لآنه ليس مادة فلا يقع عليه الحس بأى صورة من الصور ، وما دام هـذا شأنه فهو ــ عندهم ــ فير موجود ؛ لآنه ـ عندهم ـ لوكان موجوداً لأمكن أن يقع تحت الإدراك بو أُجدة من الحواس :

یری ، أو یسمع له صوت ، أو بجس ، أو تشم له رائحة ، وهذا لم یقع فہو إذن غیر موجود عندهم ؟!

قم راحوا يتوسمون في هذا النوهم فقالوا: إن الله انعكاس من تأقيرات الطبيعة فهو من ابتداع الإنسان، وليس الإنسان من ابتداع الله. وكذلك كل العلوم والفنون والآداب والقيم الأخلاقية والعادات والتقاليب والقوانين والوطنيه، كل أولئك أمور ابتدعها الإنسان متأثرا فيها بالعكاسات الطبيعة أو المادة، إذ لا وجود الهير الطبيعة أو المادة المحسوسة عوانها كانت ولم يكن الإنسان ثم كان الإنسان من خلقها وابتدعها وفرحها والإنسان هو الذي ابتدع كل تلك الأشكال والصور الذهنية وقسمها ونوحها كيفما شاء .. ؟!

ثم ذهبوا بعد ذلك إلى أن كل القيم غير المادية عاضعة للتغير حسب تأثر الإنسان بظروف المادة . فإذا طرأ عليها تغيير تغيرت تبعا لها قيم الإنسان الدينية والخلقية وسائر آرائه ومعتقداته . فليس فى الوجود شىء نابت قط ، بلكل ما فيه خاضع للتطور والتبدل والتغير . . ؟!

يقول كارل ماركس فى البيان الشيوعى:

و إن الشبهات التى تلقى على الشيوعية من جانب الدين، أو جانب الفلسفة،
 أوجانب الأفكار النظرية على العموم غير جديرة بالجدفى تمحيصها واختبارها.

فهل يحتاج الامرإلى بداهة عميقة لنعلم أن خواطر الإنسان وآراءه ومداركه، أو بكلمة واحدة وعيه ، يتغير مع كل تغير يطرأ على كيانه المادى وعلاقاته الاجتماعية وحياته العامة ، (٣٠) .

ماركس يذهب إلى أن تغيركل القيم والآراء تبعا لتغير المادة أمر بدهى عظاهر لا يحتاج إلى شرح وتدليل . هكذا يشقكل الثقة كا ترى . وكأنه يتكلم عن معادلة رياضية أو بديهة عقلية ، أو ظاهرة حسية جايية . وفائه كا فائه قبل ذلك كثير أنه يقف مع الفروض المثيرة ، والأوهام الزائفة . ولا أعتقد أن القارى م في حاجة ب بعدما تقدم من هدم الأساس الذي بنوا عليه هذه التصورات بمن مواجهة جديدة لفكرة نني الألوهية عثله المشيوعيين . ومع هذا ، الغني ، عن المواجهة فإننا نقف أمام هذه الفكرة بالمرصاد المرى زيفها بسمن حديد . يحكم العقل، والعلم ، والواقع والوحى ، فتعال معني والله يرعانا ويسدد خطانا فإننا من أجل نصرة حقه نعمل وفي سبيله نجاهد .

#### المقل والإيمان بالله:

العقل أعظم الملكات الإنسائية فى إدراك الحقائق واتخاذ القرارات والأحكام ، ومن موجهات العقل والأحكام ، ومن موجهات العقل ومرشداته الوحى الإلهى والحقائق الدينية . ومعلوم أن دور العقل يأتى في أعقاب مدركات الحواس ومحصلات العلوم ، فهو القضاء العالى بعدها ، والحقائق الدينية عاصم للعقل من الإنحراف والزيغ ،

والعقل يصل إلى و أحكامه ، عن طريق عملية التفكير والسبر والقياس والموازنة والترجيح واليمبيز .

وموقف العقل من قصية الإيمان بالله موقف قديم قدم العقل نفسه. فهو

<sup>(</sup>٣٠) الشيوعية الإنسانية (١٦٢) مرجع سابق ذكره .

منذ وجد متطلع نشط فى السمى وراء هـذه الحقيقة التي لا مناص للعقل من التعلق بها والآخذ فى الحوم حول حماها حتى فى عصوراً لهمجية منذ أول أطوار التعلق بها والآخذ فى الدى يدرك بانظنة قبل العنبط والتحديد .

## ثلاث مراحل للعقل:

وعلماء الإنسانيات والمقارنة بين الأديان قد أجموا على أن العقل الإنساني من بثلاثة مراحل ـ قبل الأديان السماوية ـ فى مسألة العقيدة الإلهية . وأن تلك المراحل كانت تنمو نموا رأسياكل مرحلة منها كانت تعلوالتي قبلها تبعل لتعلور العقل ونضجه حتى بلغت فى المرحلة الثالثة مرحلة القرب من المرحلة الثالثة مرحلة القرب من المرحلة الثالثة عركة القرب من المركال .

### والمراحل الثلاث هي :

ُ الْأُولَى : مرحلة التعدد ، وفيها لم يرالعقل حرجا فى أن يكون لهذا السكون. أرباب متعددون لا رب واحد .

الشانية: مرحلة الترجيح والتمييز، وفيها تنبه العقل إلى ضرورة المقارنة بين الآلية والآرباب وتقديم إله على إله والركون إليه دون سواء مع إبقاء وسواه، على أنه رب أو إله، ولكنه في حكم المعزول أو الموتوف.

الثالثة : مرجلة التوحيد ، وفيها عزل العقل الإنساني الآلهة أو الأرباب الذين كانوا موقوفين أو معزولين في مرحلة الترجيح والتمهيز ، أوكانوا كلفة د احتياطين ، عزلهم العقل في مرحلة ، التوحيد ، وصار يؤين بإله واحد كاملا أو قريبا من الكال حبيب الجهد العقلي المبذول .

هذا ما أجمع عليه علماء المقارنة بين الأدبان(٢١).

<sup>(</sup> ٣١ ) انظر كتاب دالله ، ( ٧١ ) للأسدناذ عبداس محسود العقاد ط دار المعارف .

ونرى أن سمة أخرى من سمات البحث فى العقيدة الإلهية كان يجب أن يشار إليها — هنا — وتوضع فى مرتبتها اللائقة بها بين هذه المراتب الثلاث وهى — فيما نرجح من خلال القراءات العاويلة فى هـذا المجال — مرحلة الانتقال من:

التجسيم والتشبيه إلى التجريد والتنزيه . ونعتقد أنها رابعة المراحل في الترتيب .

وهدنا التدرج كان ثمرة للنظر العقلى المستمر، وكان التوحيد والتجريد هو أرقى مراحل الاعتقاد، وقد جاءت الأديان السماوية بصدق ما أقلى إليه العقل مضيفا إليه ما كملت به عقيدة التوحيد والتجريد في أسمى صورة.

فالعقل أدرك منذ ـ البدء ـ ضرورة الإيمان بالخالق ، واهتدى إلى بعض صفائه التي رأي أنها لازمة من لوازم ، الألوهية ، .

وكان دور الوحى محصورا فى دائرتين كبيرتين فى مجال العقيدة الإلهية : إحداهما : سوق الادلة والبراهين القاطعة على و جودالله سبحانه ونني أن يكون للبكون خالق سواه ، أو مشارك له أو معين :

والثانية : إثنيات الـكمال المطلق قه وأنه ليس كمثله شيء .

لماذا اتجه المقل نحو عقيدة الألوهية . . ؟

للعقل بينه وبينها انسجام مستمر يضني العقل من خلاله ما يمكن أن نطلق عليه يكون بينه وبينها انسجام مستمر يضني العقل من خلاله ما يمكن أن نطلق عليه عشر عية الوجود، وإذا استعصى على العقل فهم ظاهرة من الظواهر ولم يحدث انسجام بينه وبينها ظل يقدكر فيها إلى أن يصل إلى تحقيق ذلك الإنسجام من خلال تفسير مقدع لإضفائه، شرعية الوجود، عليها و إلا ظلمت مصدر قلق واضطراب مستمر عند العقل.

وهذا الإنسجام الذي يسمى العقل لتحقيقه بينه وبين الـكائناتوالظو اهر يتقسم قسمين كبيرين:

#### الإنسجام القابت:

أحدهما: إنسجام ثابِت ومطرد بين جميع العقول لقيـــــامه على أسباب وتفسيرات واضحة كاشتداد الحرارة صيفا، واشتداد البرودة شتاء، واستواء سطح سائل كالماء في أوان متجاورة بينها اتصال من الداخل [الأوابي المستطرقة] ورؤية الإحسام الطويلة قبل القصيرة إذا كانت على بعد واحد من دالناظر، عبل الوصول إليها. وهكذا.

### الإنسجام المتردد:

والآخر : إنسجام غير ثابت وغير مطرد عند كل العقول . وهذا القسم عاص بكل ظاهرة أو كائن له تفسيرات مختلفة ، وتعليلات متباينة نانجة عن خفاء في دحقيقته، وتعدد الإنجاهات حوله تبعا لقوة الحفاء وضعفة ، فالروح ـ مثلا ـ شديدة الحفاء لدرجة أمها بتابي على العقول فهمها، ومعذلك فإن كثيراً من العقلاء قد حاولوا وضع تصور لها . ولكن على سبيل الظن لا اليقين مع أن العقل يؤمن بخروج و الروح ، عن دائرة بحثه .

ومثل القيم المثالية كالخير والجمال والحق والإلزام الخلق ، وقد مر بنا الإشارة إلى المذاهب في مصدر الالزام .

ومثل البيحث عن مصادر المعرفة فقد اختلف البحث العقلي والوضمي حولها . وقد ناقشنا هذا في شيء من التفصيل فيها تقدم .

وكل هذه المحاولات كان الهدف منها تحقيق الإنسجام بين العقل وبين الظو اهر والمكاتنات وفهم القيم فيها هو خارج عن دائرة البحث الحسى الوضعى.

ذاك هو ـ إجمالاً ـ موجز موقف العقل من حقائق الأشياء فيما كان

الإنسجام فيه ثابثًا مطردًا كالقوانين الرياضية والطبيعية وما كان الإنسجام فيه غير ثابت وغير مطرد .

وسبب اختلاف العقول حول تفسير بعض المكاثنات راجع فيها أدى إلى مصدرين لاثالث لهما ، وهما :

الطاهرة موضوع البحث،
 أو محيط بكل جو البهاكالروح والعقل.

عظمة المكائن أو الظاهرة موضوع الدراسة . ومن أبرزالا مثلة على ذلك البحث حول : لماذا انجه العقل أول ما انجه إلى البحث عن و من العقيدة الإلهية . و «و موضوع الدراسة في هذا الفرع الذي سبقت الترجمة عنه منذ قليل .

### تموذج من العمل العقلي :

قد تكون جالسا فى مكتبك تقرأ أو تكتب ، وفجأة تسمع ، جرس التليفون ، يرن بجو ارك ، فتتوقف عما كنت فيه وترفع سماعة التليفون ، وتستعد لعملية إرسال واستقبال ، لانك قد جاءت إشارة سريمة من العقل بأن أحداً قد طلبك ويريد أن يحادثك فى شأن ما .

فإذا لم تجد أحداً على الطرف الآخر وإن حرارة الجهاز عادت ترنزنات داخلية متنا بعة وضعت السياعة . ولكن العقل يعطيك تصوراً آخر يقسر به هذه الواقعة . وهي أن أحداً لم يطلبك ؛ لأنه لو كان الأمركذلك فإن واحدة من حالتين كان يجب أن تحدث :

فإما أن الذي طلبك لم يجارك في الحديث بل امتنع لأمر ما .مع استمرار وفع السباعة من الجهاز الطالب . وفي هذه الحالة لانسمع إلا صمتا فلا الجهاز يعطيك علامة و المشغول ، ولا الرفين المتواصل الداخلي الذي فسمعه عادة عندما نرفع سماعة الجهاز لنتصل بجهاز آخر وإما أن الطالب سارع ووضع سماعة الجهاز وفي هذه الحالة تسمع الصوت الخافت المتقطع [أوو - أوو] وهي علامة الجهاز المشغول .

ومعنى هذا أن ماساً كهر بائيها غير مقصود قد مس جهازك ثم زال أثره بعند. رفعك سماعة تليفو نك .

وياً بى المقلكل الإباء أن الرئين الذي سمعته وكأن شخصا آخر قد أراد الإتصال بك . يا بى العقل أن هذا . الرنين ، قد حدث بدون مؤثر قط .

والعقل فى مثل هذا المؤقف يمارس عمله فى حرية كاملة حول تفسير الظواهر لتحقيق الإنسجام وإضفاء وشرعية الوجود ،عليهاوهو حين مايفه ل هذا يستند إلى قوانينه وبدهياته ومنها قانون :

العابية أو السببية . وهذا القانون تسلم به كل العقول أيا كان مصدرها .. اللهم إلا فرقا من الناس يتفون مبدأ السببية وسوف نشير إلهم فى موضع قادم بإذن الله . وهذا المثال الذى قد مِناه للعمل العقلي حول ظاهرة د بسيطة ، أو د جزئية ، ولحن العقل يعمم هذا العمل فى كل الظراهر والحقائق حقيرها وعظيمها ومن عظيم الحقائق التي حاوات العقول .. قديما وحديثا .. فقصها ودرسها بفية الوصول إلى معرفة أسبابها ومكوناتها ودواعيها تحقيقا لإيجاد الإنسيجام بينها وبينه :

حقيقة التدين قبل نزول الأديان السياوية : هذه الحقيقة هي التي قد ترجمنا الها من قبل به :

لماذا انجه العقل نحو العقيدة الإلهية : وكنا قد أرجأنا الحديث عنها حتى نفرغ من التمهيد الذي قد مناه . و نبدأ الآن ـ بعون الله ـ في الإجابة على هذا السؤال الذي شغل ويشغل العقلاء من مفكرين و فلاسفة وعلماء منذ أقدم العصور إلى الآن .

وغير خاف على القارىء أن هذه الحقيقة من الجفائق العظيمة ، ولذلك.

كان لاختلاف الآراء حولها مجالات واسعة كما سيتضح في غضون البحث .

#### قدم النزعة الدينية:

دل البحث الحديث في تاريخ الإنسانيات أن النزعة الدينية قديمة منذ أقدم العصور ، لافرق بين القبائل الهمجية والتي أخذت بقسط من الحضارة . فقد كثرت الرحلات إلى خارج أوربا في القرن الثامن عشر ، وقد اكتشفت من دراسة الأساطير والعوائد والتقاليد أن فكرة التدين فكرة مشاعة لم تخل منها أمة من الأمم القديمة ، رغم التفاوت في الرق . وأنها أقدم من الجهنارات المادية . ولم يكن السبب فيها خداع الرؤساء وتضليل لدهاة من الكمان . وليست أسبابها طارئة على الإنسان بعد قطعه أشو اطامن أشواط التاريخ . بل كانت تعبر عن نزعة أصلية مشتركة عند جميع الأمم والشعوب على مدى التاريخ الإنساني كله .

فقد أثبت لا نج وجود عقيدة الإله الاعلى عند القبائل الهمجية فى كل من أوستراليا وأفريقيا وأمريكا . وأثبتها شريدر عند القبائل الآرية الفديمة . وأثبتها بروكلان عند القبائل السامية قبل الإسلام .

وأثبتها لرواه ، وكاترفاج عند أقرام أواسط أفريقيا . وأثبتها شميدت عند بعض الاقرام وعند سكان أوستراليا الجنوبية الشرقية .

وانتهت بحوث شميدت إلى أن فكرة . الإله الأعظم ، توجد عندجميع الشَّفِيوب الذين يعدّون من أقدم الاجناس الإنسانية (٢٠٠).

ويقول معجم لاروس للقرن العشرين :؛ إن الغريزة الدينية مشتركة بين · كل الأجناس البشريه حتى أشدها همجية وأفربه إلى الحياة الجيوانيــة وإن

<sup>(</sup>٧٧) ألدين : تحوث مهدة لدراسة تاريخ الأديان (١٠٨) بتصرف .

الاهتمام بالمعنى الإلهى و بما فوق الطبيعة هو إحدى الغزعات العالية الخـالدة للإنسافية » .

ويقول: « إن هذه الغريزة الدينية لاتختنى ولا تضعف ولا تذبل إلا في فرات الإسراف في الحضارة ، وعند عدد فليل جداً من الأفراد » .

هذه الحقائق التي تكشفت للدارسين تولدت عنها نظرية في مجال نشأة العقيدة الآطية . عرفت بإسم :

و فطرية التوحيد وأصالته ، وقد ناصرهاجمور من علماء الأجناس وعلماء الإجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس ، منهم من أشربا إليهم منذ من قبل .

وقد قضت هذه الدراسات التي قام بها لانج وزملاؤه على فكرة واهمة ووج لها فولتير محييا بها رأى السوفسطائيين القدماء الذن كانوا يقولون: إن ظاهرة التدين عرفت متأخرة في تاريخ الإنسان الذي كان يعيش دهراً طويلا بلا دين فعمت الفوضى الفاتية عن الحرية المطلقة ثم اهتدى بعض العباقرة إلى فكرة إبهام الناس بأن في السياء قوة أزلية أبدية ترى كل شيء، وتسمع كل شيء، وتهدين محكمتها على كل شيء، فإها، فولتير وقال:

و إن الإنسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حالة مادية خالصة قوامها: الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحدادة ، والنجارة قبل أن تفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات . . . وإن فكرة التأليه إنما اخترعها الدهاة الماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحقى والسخفاء ، (٣٢).

<sup>(</sup>٣٣) المرجع السابق (٨٠) هذا وقد ردد ماركس وانجلل نفس هذه المبارة في تغليل نشأة المسيحية • وسيأتي ذكره فيما بعد •

هذه الفكرة الى تا بع فيها فولتير السوفسطائيين ماهى إلا مجرد دعوى واهمة عادية عن كل دايل يقربها من التصديق. وقد عرفنا أن مباحث لا نج و زملائه وانتهائها إلى وفطرية التوحيد وأصالته، قسد قضت على تصور فولتير والسوفسطائيين. وبات من المسلم به عند الدارسين الموضوعيين أن ظاهرة التدين بوجه عام صاحبت رحلة الإنسان من أول عهده بالحياة. ولم يخل منها عصر ولا شعب ولا أمة يقول هنرى برجسون في تأكيد فطرية التدين:

دلقد وجدت و توجد جماعات إنسانية من غيرعلوم ولافنون و لافلسفات. ولكنه لم توجد تط جماعة بغير ديانة ، .

ولهذا فإن دارسى تاريخ الأديان لم يكن همهم - كا نرى من مباحثهم - البحث عن البحث عن البحث عن ظاهرة التدين وجدت أم لم توجد ، وإنما كان همهم البحث عن أسياب وجودها ومعرفة أشكالها وصورها . أما وجودها فى نفسه ، فقد كان حقيقة عندهم لم ينازع فيها منصف ، وإن وجد نزاع كا رأينا عندالسوف علمائيين وفولتير ، وكما عند الشيوعيين ، فهو مزاع ساقط ، لأنه لم يقم على دليل قط .

## المذاهب في تفسير نشأة التدين :

تتعدد المذاهب فى تفسير نشأة التدين، واقتراب البشر من الإيمان باقه ، تتعددا ظاهرا . ونوجز فيها يأتى الحسديث عن أمهات المذاهب فى هذا الشأن .

## ١ ــ التأمل في الحكون:

من البديه والمعقول جداً أن يكون النظر والتأمل فى السكون أو الطبيعة من المصادر المطروقة عند الباحثين فى أسباب نشأة التدين والإيمان با فقه . فالسكون يراه الإنسان أكبر وأعظم منه ، مصداق هذا قوله جل فى عداد : و لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ... .

والمكونكما زي ـ ليس ساكنا بل تتوالى فيه حركات منتظمة كحركات

الأفلاك الظاهرية وحركات غير منتظمة كالرياح والسحب والرعد والبرق والأمطار والديول وهو بهذا مدعاة للفلت الأنظار، ومسرح للفكر مهذه الحركات الى يحس بها الإنسان يشعر وهو يحس بها ـ أنه ليس فاعلا لها، وهو أعجز ما يكون أمامها فليس هو قادر على وقف حركات الأعسلاك، ولا إسكان الربح، ولا إسكات الرعود، ولا إخماد البروق، ولادفع الأمطار والسيول، ولا على تلظيف حرارة الشمس إذا اشتمت ، ولا أعد ل برودتها بل هو كائن حقير بين هذه القوى الفلاية القاهرة المستقلة عن إرادة البشر، المستقلة على قرائه ،

وهذا بالطبع يولد عنده الدهشة والإعجاب، ثم يدفعه تفكيره إلى التساؤل أر السؤال عن مصدر هذه دالمعجزات، التي لا حول ولا قوة له أمامها إلا أن يتقي بعضها بالهروب منها كأن يأوى إلى مفرة أو ظل شجرة يتقي بهسا مس الشمس.

والنساؤل أو السؤال ينتهنى به إلى أن د فاعل ، هدنه الظواهر بحب أن يكون ذا قدره تفوق قدرات البشر ؛ لأن أحدا من البشركائما من كان لا يدعى أبه أهل لإحداث هذه الظواهر ، وإذا ادعى فإنه لا يصدقه أحد ، بلا يصدق هو نفسه ، وهذا العجز الظاهر عند الإنسان هو طريق الإيمان ، وهو سبب التدين منذ القدم ، ومن أشهر الفائلين بهذا المذهب القالم الألمائي ماكس مولر ، وقد استخلص هذا الرأى من دراسة قام بها حول الأساطير والمحاثيل القديمة ، وقد جاء من بعده من العلماء وعلل كيف اهتدى الإنسان إلى الإيمان بالله من التأمل والنظر في ظواهر الكون والطبيعة ، وأعجبنى في هذا التعليل غبارة لاستناذنا المرخوم الذكتور محد عبدانته دراز وأعجبنى في هذا التعليل غبارة لاستناذنا المرخوم الذكتور محد عبدانته دراز

: فالصواب في هَذْه الْنقلَة الفَكرية من الماده إلى الروح ، أنه انتقال من الدكائن إلى المكون ، (٤٤) .

<sup>(</sup> ٤٤ ) الله بن ( ١١٦ ) مرجم سبق ذكره .

اقد أصاب الشيخ در ازأيما إصابة . فإننا مانوال إذا أعجبنابصنعة ماننتقل من الإعجاب بها إلى الإعجاب بصانعها . وقد قاد التفكير في الكون الإنسان الأول إلى معرفة مكون البكون وخالقه ، والمعتبر في هذا الججال إدراك الحقيقة الإلهية دون الوصول إلى دفائق الصفات والحصائص المتعلقة بها.

ويرى المرحوم دراز أن الإهتدا. إلى الحقيقة الإلهية من خلال التأمل في الحكون مصدره النزاوج بين مبدأين نفسيين هما:

غريزة عقلية جبل عليها الإنسان ، وهي غريزة التطلع لفهم ما في الكون من عجائب وأسرار . كما يتأمل الناقد أثرا أدبيا رائما ليقف على سر الجمال نفيه ، وحاسة وجدانية ، وهي حاسة التذوق الفني لما في الطبيعة من جمال وجلال وهذا شرح طيب جددا . و نصيف إليه إن الثذوف وحده غير كاف بل لابد من سبق الفهم عن إعمال حركة العقل في الأثر موضوع الدراسة .

## التأمل فى السكون نوعان:

بعض الدارسين يطاق على المذعب الذي تقدم : مذهب الطبيعة العادية الأن صاحبه ، ماكس مولر د إكتنى بمظاهر الطبيعة العادية الهادئة في تقدر م مذهب ، ويرى هؤلاء الدارسون أن مذهب الطبيعة العادية هذا يقابله مذهب طبيعي آخر ، هو : مذهب الطبيعة الشاذة العنيقة ويعزون هذا المذهب إلى العالم الإنجليزي : جينفو اسن . لآن جيفو نس يرى أن مظاهر الطبيعة العادية لا تنكني في إيقاظ فكرة التدين والإهتداء إلى الحقيقة الإلهية ؛ لأن نسكرارها على الحواس يجعلها مألوفة عند الناس فلا تحتاج إلى نفسير وعلل .

أمّا الظواهر الغنيفة المفاجئة عنير المنتظمة والعوارض النادرة التي يضطرب بها البظام العادتي: كالرعد القاصف ، والبرق الخاطف ، والعواصف الهوجاء، والصواعق المدمرة ، والؤلازل العنيفة ، والخسوف والكسوف والكسوف عوالامطار الغزيرة والسيول الهادرة هذه الحوافث لها تأثير قوى في المشاعر

يولد الذعر الشديد الذي به يظهر ضعف الإنسان ويتلمس سبل النجاة بأي ثمن ويتطلب قوة تحميه وتؤ بن حياته ،

هذه خلاصة مذهب جيفو نس، وقد تدخلنا بعبارات من عندنا لإيضاحه على أن جيفو نس لا يمنع دور الظاهر العادية فى تكوين النزعة الدينية ولمما يعول على غير العاديه بشكل ملحوظ .

والمذهب الطبيعى بنوعيه ، أوالمذعبان الطبيعيان اللذان قال بهماكل من ماكس وجيفونس أشيرت حولهما ملاحظات لاداعى لذكرها كلها هنا؛ لأن هدفنا وضع تصوير موجز لقدم ظاهرة التدين وتفسير أسبابها فى مواجهة دعوى الشيوعيين الواهمة بأن والله ، غير موجود ؟!

وليكن اعتراضيا واحدا أثرنا ذكره تنميها للصورة ، وهنو صالح لأن يكون مذهبا طبيعيا ثالثا بعد مذهبي ماكس وجيفونس .

#### نقد صائب:

فقد نقد بعضهم دسا باقيه ، مذهب جيفونس بأن شعور الرهبة والخوف من القوى د العلوية ، لا يكفى وحده فى تفسدير ظاهرة التدين . وأنه لابد له من شعور آخر يوازيه ويلطف من حدته ، لأن الخوف إذا استبد بالإنسان أهدر إرادته وشل حركته ورلد عنده اليأس والقنوط . إذن لابند لتحقيق الشعور الديني من مقاوم للخوف. وذلك المقساوم هو الرجاء والأمل الجميل البسام . وبالخوف والرجاء يصبح المرء في وقف متعادل بسنشمر في ظله كل طاقاته وملكاته .

وهذا مذهب محود، وقول سديد من دساباتيه، وكأنه نظر إلى قـوله تعالى : ديد و نذا رغبا ورهبا ، والخوف والرجاء هما حقيقة الندين الصحيح في أرقى مظاهره وأسمى درجاته ، فالجمال في الكون يبعث على الرجاء . والجلال في الكون يحمل على الشفقة والخوف . وهما ـ أعنى الرجاء والحوف ـ أشبه ما يكون بالدائرة السكمر بائية العاملة ، وهي لا تعمل إلا بطر فيها الموجب

والسالب، وإذا فصل أحدهما عن الآخر توقفت تماما فالحرف كما قال ساباتيه يولد اليأس ويقتل الإنسان إذا انفرد عن الرجاء . والرجاء . وحده . يولد الفرور والإنخداع ولاصلاح الإنسان إلا بخوف يقتل غروره، وبرجاء يبدد بأسه ، ويعيد توالزنه وتعادله .

هذا ، وقد أصاب ساباتيه فى نقد و تقويم مذهب جيمو نسر . وهو فى قوله هذا تسئم الذروة العلميا فى هذا الججال

### المذهب الروحي :

إرجاع ظاهرة النديز إلى سبب روحى مضاد فى ظاهر الأمر إلى المذاهب التي أرجعتها إلى أسباب مادية . وعند التأمل والنظر تجد هذه المذاهب تلتقى عند نفطة واحدة .

. الآن المذاهب الطبيعية التي عوت ظاهرة التدين إلى التأمل في الصورالمادية والآشكال السكو فية عادية ، كانت أو عنيفة أو متعادلة على بحو ما مر عندكل من ماكس مولر وجيفونس و سأباتيه ينتهون إلى الاعقتاد في روح عظيمة (الحقيقة الإلهية) ولا يقفون عند الصور المادية الصاء.

والمدهب أو المداهب الروحيه تلتق مع المداهب الطبيعية في الغاية التي المنتب الطبيعية في الغاية التي المنتب اليها وهي والروحية، ويظهر في الفرق بينهما في عربيقة الإشداء فقط. أما العاية فواحدة .

فالمداهب الطبيعية تنتقل باالظاهرة الدينية من المادة إلى الروح والمذاهب الروحية تنتقل بالظاهرة الدينية من روح إلى روح فالمسآل واحدة - كا تري و الإختلاب في نقطة التحرك أو الإبتداء ولكن مبدأ الإنتقال من روح إلى روح يقذف بسؤال حاصله ما هو الفارق بين الروح المنتقل منها والروح المنتقل إليها ؟ 1

وكيف يكون هـــــذا الإنتقال من الروح الأولى إلى الروح الثانية يا ترى ١٤

وفى الإجابة على هذا السؤال. وبخاصة فى الشق الأول منه محاولات شتى يفرق بـضها فى التفلسف. ولذلك فإننا نختار أيسرها فى الإيضاح وأبعدها عن التعقيد، وهو:

إن الأصل في هذه الطريقة هي عبادة الأسلاف أو أرواح الموتي. ويقول أصحاب هدا الرأى أن الإنسان الأول تكونت عنده عقيدة من مبدأين كان أحدهما سببا في الآخر:

المبدأ الثانى: أن الشيء لا يكون لاشيء. وبذلك اعتقد الإنسان أن الروح بعد انفصالها عن الجسد تصبح روحا خالصة له وجود مستقل عن وجود ألجسد، بل هو وجود أرقى بالآنه في حالة تلبس الروح بالجسد لا تركون الروح روحا خالصة ، ولذلك تسمى « النفس ، لانها محكومة بمادة الجسد ، وبعد انفصالها تستقل بالوجود الروحي الخالص وهو وجود خالد لا يطرأ عليه عدم .

هذا الذي تقدم صالح لتفسير عبادة الأسلاف أو أرواح الموتى . ثم كانت مرحلة الإنتقال من عبادة أرواح الحرتى إلى الإيمان بالروح العظمى و الحقيقة الإلهية ، فهنا لم يكن الإنتقال من و مادة إلى روح ، كافى المذاهب الطبيعية . بل كان الانتقال من روح إلى روح . مى روح كان لها تلبس بالحسد فى زمن ما . إلى روح خالصة لم تتلبس بحسد ، وهى والحقيقة الإلهية، مدركة على نحو من الانتحاء .

وأصحاب هذا الاتجاه يتوسمون في أدلة ، ألإثبات وبجال التطبيق ، فن

أدلة الإثبات ظاهرة الآحلام والرؤى ، فهى شعبة من شعب الحياة الروحية الخالصة قوت الاعتقاد المكان وجود الروح بعد الإنفصال عن الجسسد بالموت (٢٠٠ أما فى بجال التطبيق فقالوا إن عبدة السكواكب لم يعبدوها إلا بعد أن تخيلوا فيها أرواحا حية عاقله (٢٢). وقد تبنى الفلاسفة من بعد هذا التخيل بورقوا به إلى درجة الاعتقاد، ولم يرتضه حجة الإسلام الغزالي ونقدم نقدا بوجيها (٢٧).

و تعزى هذه النظرية والنظرية الروحية ، إلى فيلسوفين كبيرين : هما تا يلور وهر برت سبنسر ، و تا يلور هو أول من قال بها و تا بعه سبنسر فى شىء التعديل .

ومهما اتسع مجال التطبيقأو تعددت أدلةالإثبات فإنها فيجملتهاقد أسفرت عن تـكوين الاعتقاد في أمرين :

آ الآول: أن فى الوجود كائنات عاقلة لانقع عليها الحواس ، سواه أكانت فى الأصل أرواً حالية البداية أروا حافى الأصل أرواً حاله إنسانية اقفصلت عن أبدانها . أم كانت مند البداية أروا حام مستقلة . أم كانت روحاً أجل من ذلك وأسمى .

الثانى: إن هذه الكائنات الغيبية قد تتصل بالعالم النفسى أو الحسى من الناحية الإنسانية ، و تترك فيه أثرا من T ثارها العجيبة .

ومن هدده الاعتقادات توصل الإنسان إلى الإيمان به والحقيقة الإلهية ، على أنها ، الروح العظمى ذات القدرة الحارقة ، التي خلقت الكون ومن فيه وما فيه ، وهي وراء كل التغيرات التي تحدث إما منتظمة . وإما مفاجئة أثن الشيء لايكون عن لاشيء . فلكل مصنوع صانع ، ولكل مخلوق خالق هو و الروح الأعلى ، أو د الله ، جل في علاه .

<sup>(</sup>٣٥) انظر ﴿ نشأة المقيدة الإلهية ﴾ للمقاد مع نقد وجيه له (٧٥) .

<sup>. (</sup>٣٦) الدين (٩٤) للمرحوم دراز مرجع سابق

<sup>(</sup>٣٧) تهافت القلاسفة (٩٠) للاسام الغزالي .

#### ٣ - المذهب النفسى:

المذاهب أو المسدنه النفسى في السكشف عن أسباب ظاهرة التدين والاقتراب من إدراك والحقيقة الإلهية ، قائم على رفض ما نقدم من مذاهب طبيعية وروحية .

وقد ذهب هذا المذهب كل من أوجست ساباتيه ، وهنرى برجسون مع اختلاف في إهض التصورات ،

وتتلخص نظرية ساباتيه أن العقيدة الإلهية تتولد عن بعض الملاحظات النفسية وبخاصة عن تجربة الإرادة الإنسانية مع المؤثرات الحارجية التيتهدر قيمة الإرادة ـ أحيانا ـ فيختلف عايريده الإنسان ويقع عالا يريده .

أي أن تخلف ما يقصده الإنسان ويجد في طلبه يترك في نفسه أثرا فويا بأن في المحيط المخارجي عن الإنسان فإذا بأن في المحيط المخارجي عن الإنسان فإذا وافقت إرادتها لم يحصل مراهب المخلسان المناسان المحسل مراهب الانسان المحسل مراهب المناسان المحسل المحسل المحسل مراهب المحسل ال

وما يراه ساباتيه قد أحس به أعرابي قديم فى بساحة ووضوح . فقدسئل هذا الأعرابي: بم عرف، ربك؟ قال : «باختلاف الظنون» أى أن المر يعتقد أو يظن أن شيئا ما سيكون لتوافر أسبابه ، ثم يفاجأ بأن اعتقاده أو ظنه تخلف ، ووقع ما لم يكن فى الحسبان .

ومع بساطة ما عبر عنه الأعرابي . ووجازة ماصورنا به نظرية ساباتيه فإن هذه التجربة تكشف عن حقيقة عظمى لا تقع تحت حس . تلك الحقيقة ماثلة في أن هذا الكون تسيره إرادة أكبر من إراد تنا، وتسيطر عليه وتوجهه رسينا نحن أم أبينا .

ومع تلك الإرادة قدرة هائلة جبارة تسحق كل ماعداها من قدرات إذا وقفت في طريقها · ووراء تينك قوة قاهرة جبارة هي , الحقيقة الإلهية , أو هي : , الله ، وب المالمين .

ومن هنا يتبين أن المبدأ العالمي الذي يخضع له الإنسان المس هو ذلك السكون المادي (لآن المكون غير عاقل) بل هو الروح العالمية التي تدرو . ذلك أن القرة العاقمة لا تحضع إلا لسلطان قوة عاقله أجل منها تسيطر عليها وعلى العالم بأسره على السواء . . . فلا بملك الإنسانية إلا أن تحضع لهذا السلطان الأعلى .

أما برجسون فخرصة رأيه أنظاهرة التدين والإيمان بالحقيقة الإلهية ولدتها حاجة الإنسان إلى التعادل والترزان بين رغبات الدرد ومصلحة الجرعة ، فلم يكن الفرد ليضحى ببعض رغباته حارما منها نفسه مقدما مصلحه الجاعة على منافعه إلا بتصور أجل راعلى من المحافظه على حقوق الجاعة ومن هذا تولدت عقيدة الإيمان ، بالله ، وهو أهل للتضحية والطاعه .

## نظرية ديكارت:

ومن شعب المذهب النفسى فى تعليل ظاهرة التدين أنظرية ديكارت وإن لم يقدمها هو لتعليل الظاهرة بل قدمها كدليل على وجود الله ـ سبحانه و تعالى وخلاصة نظريته أن الإنسان إذا قارن بين النقص وبين الكال الذى يسعى هو للحصول عليه ، وبين الكال المطلق ، فإن ذلك يقوده ـ ضرورة - إلى تصور الحقيقة الإلهية .

لآن في كرة البكال المطلق ليست فكرة خيا مة ولا اختراعا ولا فرضاً . بل هي ضرورة قفرض نشيها على كل العقول .

فهي حقيقة لابد لها من مصدر:

ولا يجوز أن يكون مصدرها الدم ؛ لأن العدم لا يحقق الوجود ، كا أن الصفر لا يتولد عنه عدد إبجابي .

ولا يجوز أن يكون مصدرها النفس فالنفوس هي مصدر النقص الذي عاول المقلاء التخلص منه .

فلم يبق إلا أن تكون صورة منعكسة على مرآة النفس من حقيقة إيجابية. خارجية ، هي مادة الدكمال المطاق ومصدره ، وهي المثل الأعلى وهذا المثل الأعلى هو . الله م.

ومؤدى قول ديكارت ينتهى بنا إلى مبدأ عام أدركم الإنسان منذ فجر التاريخ الإنساني وإن عبر عنه ديكارت تمييرا فلد فيا . ذلك المبدأ هو عاولة إسناد الحقائق إلى من يناسبها من و الفاعلين ، وهو مبدأ والسببية ، أوقا نونها المعروف ، ومصداق هذا أن ديكارت ففسه لم يرض أن يكون فاعل و الدكال المطلق ، العدم أو النقص الدكامن في النفس ، واهتدى إلى ان مصدره حقيقة إلى ان مصدره حقيقة إلى ان مصدر الحال القيد أن النفس هي مصدر الدكال ، وعلل عدم صلاحية العدم والنفس الآن يكون واحد منهما مصدرا للكال المطلق بأن العدم لا يصدر عنه وجود وأن النفس واحد منهما مصدرا للكال المطلق بأن العدم لا يصدر عنه وجود وأن النفس الناقصة لا يصدر عنها كل مطلق ؛ لأن فاقد الشيء في الحالة بين المذكورة بين المناق من قو انبر الواقع و العقل .

ويوضح لنا هذا الفهم بصورة أحكم قول ديكارت نفسه فى الإستدلال. المباشر على وجود الله مستخدما مهدأ او السببية:

د أنا أفكر ، فأنا \_ إذن \_ موجود . فن أوجدني ؟ ومن خلقنى ؟ إننى لم أخلق نفسى، فلا بد لى من خالق . وهذا الحالق لابد أن يكون واجب الوجوده وهو الله بارى مكل شيء (٢٨) .

<sup>(</sup>٣٨) فصة الإيمان بتصرف يسير (٣٣٠) .

#### المذهب الأخلاق:

يعزى هذا المذهب إلى الفيلسوف الألماني عمانويل كانت وله فى تقرير هذا المذهب شرح ليس بالقصير ، ونأمل أن للخصه فى عبارات موجزة تحاشيا للإطالة • ومن يرد أن يطلع على كلامه فلينظره فى مظانه (٢٩) .

هذا المذهب شبيه بمذهب ديكارت الذي أوجز ناه فيها تقدم. وخلاصة مذهب وكانت ، أو النهاية التي انتهى إليها من شروحه المستفيضة تصورها فيما يأتى :

\* إن فى حياتنا مبدءاً أو دستورا أخلاقيا فطريا يحس به حتى الأطفال حيث يستحسنون أشياء ويستقبحون أشياء ، ويفرقون بين ما يحب أن يفعل وما يجب أن يترك .

وهذا القانون الآخلاق (الآدبي)له من القوة والسلطان ماللقانون الطبيعى في التعبير في كل منهما عن شيء موجود. (فحسن الصدق وقبح الكذب وهما حكمان من أحكام القانون الأخلاق الآدبي يعبران عن شيء له وجود مثل أحكام القانون الطبيعي كتمدد الحديد بالحرارة وتقلصه بالبرودة ) (عن).

\* القانون الأخلاق يسعى بنا لتحقيق والحير المطلق، والحياة الدنيا لا تتسع لتحقيق هذا الخير المطلق، فلا بدمن حياة لانهائية يتم فيها هنا التحقيق ( يعنى الحياة الآخرة ) ويريد بالخدير المطلق انتصار الفضيلة والسعادة على الرذيلة والشفاء.

ه و بعد تحقيق الحبر المطلق يمقى من مطالب العقل تحقيق و الحبر الأعلى ، الذي تتوزع فيه درجات، البؤس والشقاء ، والسعادة والنعيم على حسب الاعمال والبواعث والمقاصد ، فلا بد إذن من مبدأ أعلى يحقق همدا

<sup>(</sup>٣٩) ينظر قصة الفلسفة لول ديورانت (٣٦٤) والدين للمرحوم دراز (١٤٩) وقصة الإيمان لنديم الجسر (٨٤) -

<sup>( .</sup> ٤ ) هذه زيادات من عندنا للايضاح والميان .

التوازن. مبدأ تخضع الطبيعة لإرادته. ويصير هو فى تصرفاته على وفترقانون عادل. وما ذلك (المبدأ الأعلى) إلا حالق الطبيعة والإنسان جميعاً، وهو والله تعالى ، .

## تشابه أمار بني كانت وديكارت:

وعلى كثرة ما وجه إلى مذهب دكانت ، من نقود فإنهما انصبت على المقدمات الني وضعها . أما النتيجة فصحيحة كما ترى ولم ينازع فيها منصف قط.

ويشفع لمكانت ولفيره من الباحثين والدارسين أز والحقيقة، الني دارت حولها دراساتهم وبحوشهم وفلسفائهم هي والحقيقة الإلهية ، كل منهم الشمس لهما أدلة وبراهين ومنازع صدروا عنها تقرير تلك الحقيقة وإقامة الآدلة والبراهين عليها . و والحقيقة الإلهية ، أعظم حقيائق الوجود . فمكان الاختلاف في رسم الطرق الموصلة إليها أمراً وارداً بل هو الواقع الذي الامناض عنه . ف كال الله وجماله وجلاله فوق كل العقول والعلوم والمدارك . ولاتدركم الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ، .

<sup>(</sup>١٤) هذه المداهب التي رصدناها لم يخل واحد منها من نقد . وبخاصة مذهب «كانت» ونحن ــ هنا ــ نسكنني بإيرادها وحدها دون الإطالة في ذكر النقود ؟ لان هدفها الندليلي على أن الحقيقة الإلهية نالث حقها من الإدراك راك رائدروح وليست عي تصوراً وهمياكما قال الشيوعيون موضوع الدراسة .

### المدنهب الاجتماعي:

ينسب هذا المذهب إلى عالم الاجتباع المعروف دوركام . وهو مذهب تذكره لا نه و احدة من الفلسفات التي ظهرت في تفسير أسباب التدين ، • لمن كان صاحبه قد هبط به إلى أحط مظاهر الدناءة ليولد عنها أسمى ظاهرة عرفها الإنسان منذ أتمدم العصور .

فهو بعد أن مهد القول لصنع نظريته بادئا بالتوقم وهو القب الأسرى و لأنه يفترض أن لحكل أسرة لقب يجمعها عند الإنسان الأول و وتعتزكل أسرة بالقبما ، وتعتقد أن من يحمل شارة القب ينصر بفضلها في الحروب أن من يحل شارة القب ينصر بفضلها في الحروب أن من يحل شارة القب ينصر بفضلها في الحروب أن و كان الناس يجتمعون في مو اسة خا مدة بهم مرحة وصاحبة بالسون فيها أنفسم ويطلقون العنان لحركاتهم العنية على دقات الطبول وأنغام المزامير حتى يصابوا بالذهول الذي يفضى بهم إلى انتهاك سياج المحرمات الجنسية التي كانوا في حياتهم العاديه يحترمونها كل الاحترام وقد ينسبون هذا التطور الخطير المخطير المن حصور روح الآجداد . ظنا منهم أن الذي يحدث كان سرا من أسرارها .

و يخلصون من ذلك كله إلى تقديس الاجتماع الذي وقعت فيه تلك النشوة الشيطانية لأن كل قفس السلخت في ذلك والاجتماع، من مقرماتها ومشخصاتها الفردية وانمحت في و شخصية واحدة ، هي و ذلك الاجتماع ، و لهذا صارت الجماعة تبعد ففسها من حيث لانشمر .

هكدا تصور دوركايم أصل التدين . فقد بدأ به من , الدناءة ، وانتهى به إلى , عيادة الجماعة نفسها ، وهي والهية أنها تعبد غيرها .

ودوركايم أدلى برأيه هذا فى عصور أزدهار المعرفة ، وانتشار مذاهب وفلسفات راقية فى تصور أسباب الندين فى عصور التأريخ القديم . والحكنه وفصنها وقال ما قال على النحو الذى رأيت .

والعلماء قد أشبعوا مذهبه نقداً بل نقضاً ؛ لأنه انحرف بالحقيقة انحر افة لايصدر عن من له مسكة من عقل ، أو نصيب من حياء .

ولا غرابة فى هذا فدوركام عريق فى اليهودية . فلا غرابة أن يقول ما قال لخدمة المخطط الصهيوني فى تدمير الآخلاق وتحقير الدين بتحقير بواعثه ومصادره وكل إناء بالذى فيه ينضح كما يقول المثل.

## مذهب الوعى الكوني:

ويرى الاستاذ عباس المقاد بعد أن ألم بخلاصة سريمة للآراء فى النهريف بأسباب الندين أن هذه الظاهرة ، ظاهرة الندين عند الإنسان الأول لها سبب واحد لايذ كمر ولا يستبعد مع جواز أن يستبعد غيره من الآراء وهذا السبب الذى يذكره المرحوم المقاد ترى أن غيره من الاسباب الصحيحة أو التي يقل الخلاف حولها ترجع إليه ؛ لانها إذا صحت فهى منبثقة عنه .

إنه: الوعى المكوني. هذا هو السبب الذى ذكره المرحوم المقاد، ولاح باللوم على الياحثين الذين لم يهتدوأ إليه وكان ينبغى أن يهتدوا إليه ؟ لأنه أظهر الاسماب. يقول رحمه الله :

« فلابد من صلة بين السكون وبين كل موجود فيه ولابد من أن تمتزج
 هذه الصلة بالوعى والشعور متى كان الموجود من أصحاب الوعى والشعور .
 ومن العجيب أن يعرف العلماء شيئا يسمى الفريزة النوعية ، بل شيئا يسمى
 فريزة الجماعة ولا يعرفون شيئا يسمى الفريزة الكونية أو السليقة الكونبة .

مفن المحقق أن الصلة بين السكون وموجوداته ماثلة في جميع الموجودات. ومن المحقق أن الوعى لايخلو من ترجمان لهذه الصلة لايحصره المقل ؛ لأنه سابق له ، محيط به ، غالب عليه ، ٢٠٠٠ .

<sup>(73)</sup> lik (07.) estinkal.

والوعى الـكوني كا يرى العقاد ملكة قابله للترقى، وسلطانه فوق مدركات الحواس جميعا، وفوق مدركات النفوس والعقول والملكات المدركة وأن هددا الوعى السكوني هو الذي قاد الإنسان في مسألة الديانات منذ أقدم العصور.

فالديا نات فى كل قبيل تترجم هذا الوعى السكوني منذ القدم ، وتمثله بما قشاء من الرموز والعبارات .

هذا ما ارتضاه المرحوم العقاد . وهو فهم صائب ولايقف ما قاله العقاد عند حدظاهرة التدين، بل يجوز - تعميمه - فى كل بجال صال فيه فكر الإنسان وجال فى مجال المعارف والعلوم ، بل والآداب والفنون وماصح من الفلسفات فى كل عصر ومصر .

### المذهب التعليمي:

فى المنداهب المتقدمة ترى الإنسان قد وصل إلى د التدين ، بنفسه من خلال التأمل فى الكون وربط المسببات بأسبابها ، وما أشبه هذا من الدواعى التى قيل إنها هى أوجدت ظاهرة التدين عند الإنسان فى عصوره الأولى كونية كانت أو روحيه أو نفسية أو أخلاقيه أو اجتماعية ، والتدين على هذه المنادج هدف سعى إليه الإنسان ولم يسع هو إليه .

وهناك مذهب آخر يقابل تلك المذاهب جميعاً يرى فيه أصحابه أن الدين عرف عند الإنسان في كل العصور عن طريق ، التعليم ، من الوحى الأمين الذي لم يخل منه عصر ولا أمة من عهد آدم إلى ختام رسالات السها. فالغاس لم يعرفوا رجم بنور العقل ، ولكن بنور الوحى وهديه .

والواقع أن لامنافاة بين هذا المذهب والتوقيق ، وبين ماعداهمز مذاهب اجتهادية . لأن دعوة الوحى لاتحجر على حركة الفسكر والعقل ، بل هي أدعى لإثارة الفسكر والعقل ، وكثير من نصوص الوحى استحثت العقول

على البحث ، والنفوس على التأمل ، والعواطف على التحرك ، والفكر على العمل فهذاك قدر مشترك بين المذعب الاجتهادية والمذهب التعليمى . ولا يخق عنا هذا أن رسالات السهاء كانت تحدث بينها فترات تطول أو تقصر . وما سجله العلماء والدارسون فى العصر الحديث من أوضاع القبائل والشعوب البدائية يؤكد أن الصلمة بين هذه المذاهب جميعاً قائمه فى بعض النواحى وأن الفيكر الإنساني قمين بأن يتجه نحو و الحقيقة الإلهية ، حتى ولو لم يوجهه اليها وحى . ولاقاده إليها وسول ، ولدلك التق قرار العقل والواعى ، مع اليها وحى ، من أن الإيمان ، بالله ، ضرورة عقلية مثلما هى ضرورة من ضرورات الوحى ، من أن الإيمان ، بالله ، ضرورة عقلية مثلما هى ضرورة من ضرورات الوحى ، وحقيقة لاتستقيم الحياة بدونها والعقيدة التي يجمع عليها المنقل والعقل هى من أرسخ العقائد على الإطلاق .

### العمدة في المذاهب الشارحة:

المذاهب الشارحة لمنشأة ظاهرة التدين التي قدمناها مختارة من جملة مذاهب في هذا المجال. لأن هناك من يقول إن سبب ظاهرة التدين هو. والسحر، ؟ ومن يقول: إن السبب فيها حاسة دينية مركبة في مشاعر الإنسان. ومن يقول: إن العقيدة الدينية غذاء الروح مثل الطعام والشراب في تغذية الجسد، والروح ميالة ـ بالطبع ـ للبحث عن غذائها مثل الجسد.

والعمدة أو المرتكز العام الذى استندت إليه جميع المذاهب الشارحة لمنشأة ظاهرة التدين هو المحاولة الجادة للتعرف على ، سبب ، مناسب للوجود الحونى كله . أو هو محاولة لايجاد ، الإنسجام ، بين حقائق الكون وبين عقل الإنسان ومشاعره وقلبه . فقانون ، السببية أو العلية ، هو الغاظم لشتات ما تفرق من مباحث وآراء . ظاهر في بعضها ، وخني في بعضها الآخر .

وقد وقف الفكر الإنساني من حقيقة الكون والحوادث العظمي التي تجرى فيه مما هو فوق تدبير البشر وقدراتهم عدة مراقف . ه فعلماً الدين يرون ـ وهذا حق ـ أز الكون ومايجرى فيه من حو ادث عظمى مخلوق کله سبحامه . فهو سببها و تلمنها . ولاسبب ولاعلة لها سوى الله بارى ه الـكاثنات .

والمنصوص الدينية ، تتضافرة على هذه المقيدة ، وفيها من الأدلة والبراهين مالايكن دفعه أو الوقوف أمامه . وأن أداه الخلق والتكوين كلمه وكن ، إذا قطى أمراً . فإذا قال وكن ، (٢٦) كان في الحال ما أرادأن يكون ، وعملية الخلق الإلهى تتوقف على ثلاث مقدمات :

ه علمه المحيط . وإرادته المخصصة . وقدرته المنفذة لما أحاط به علمه ، وخصصته إرادته الحارة المطلقة من أية قيود تفرض عليها من مصادر أخرى .

و الفلاسفة الإلحيون ( المؤمنون) يذهبون مذهب علما، الدين في أن السبب الضروري والنهائي في خلق الكون وما فيه ومن فيه هو التجلت الدرته، ولكنهم يختلفون مع علما، الدين فيقولون إن الحلق لايفع مباشرة من الله ، بل بوجود وسائط في شكل علل أو أسباب.

فالله يخلق العلل و الأسباب ، وهي تؤثر في وجود ما ينترتب عليهما تأثيرًا مباشر آ . . ؟ ا

والأسباب عندهم مؤثرة بطبعها، أو بعلة فيها أو بقوة مودعة فيها أوجبت حدوث ما ترتب عليها . وعلماء الدين يردون هذا القول ويردون أن المؤثر المقبق المباشر هو ألله . والأسباب بجرد علامة وسلبية الاقدرة الهاعلى التأثير. وفى ذلك يقول بعضهم :

<sup>(</sup>٣٧) بمض العلماء يقول إن كلة ﴿ كَنْ ﴾ تحقيق للارادة غير مشروط أن يقول ﴿ كَنْ ﴾ في أراد شيئا كان على الوجه الذي أراده سبحانه .

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهـــل الملة ومن يقل بالفـــوة المودعة فـــذاك بدعى فلا تلتفت والخلاف بين علماء الدين والفلاسفة الإلهيين ربما كان يسيرا كا ترى .

ه أما الفلاسفة الماديون ، ومنهم ماركس والشيوعيون فلا يرون للحكون خالقاً . ويرون أن الكون هو الذي خلق نفسه ، وهذا باطل عقلا وعلما ووافعا . لآن المعدوم لا يؤثر فى نفسه بالوجود . لآن تأثيره فى نفسه يقتضى كونه مخلوقا قبل التأثير وهذا لم يقل به أحد حتى المادلون أنفسهم . وإنما كان باطلا لأنه يفهم منه \_ بجلاه \_ أن الشيء كان معدوما موجوداً فى وقت و احد . ولا يوجد عقل مهما كان حظه من الوغى والإدراك بسلم بهذه الدعوى المنسكرة بكل مقياس .

و بعضهم يقول إن السكون خلق صدفة . وهذا القول يعادل أن السكون خلق نفسه فى الغرابة والحروج عن « المعقول ، و « المعلوم ، وكدلك عن « الواقع ، أن أبسط العقول وأدناها ذكاء ينسكر كل الإنسكار أن يرى سملا سمثلاً مرسوما على ورق و يقال له: إن هذا المثلث لم يرسمه راسم وإنما المثلث رسم نفسه، أو أن هذه الخطوط والابعاد تما لفت و تضامت مسكذا عن طريق « الصدفة ، فإذا كان هذا بالنسبة إلى « المثلث » فسكيف بمن يقول ؛ إن السكون خلق عن طريق «الصدفة ، مع ما فى هذا السكون من نظام وإحكام وأسرار ودقائق أسرت فحول العقلاء ، وسمت فوق كل المعارف والعلوم ، ومنها ما حير العقول جميعاً ، وأعجز العلم والعلماء ().

#### 

قد يتور فى نفسك سؤال ، ولا بد أن يثور ، ومن حقه أن يثور . ذلك السؤاو مؤداه :

<sup>(</sup>٤٤) سيأتي لهذا بيان واف قريباً إن شاء الله .

إننا نحن ـ مماشر المؤمنين ـ رفضنا كل الرفض أن يكون السكون او المأدة على حد تمبير العلمانيين والشيوعيين قد خلق نفسه . واستندنا في هذا الرفض إلى قاعدة وهي أن الشيء لا يمكن أن بؤثر في نفسه بالخلق والابجاد وهو لم يمكن موجوداً في وقت واحد مستحيل عقلا . وأن كل مخلوق لابد له من خالق متقدم عليه هذا ما قلمناه ، وهر حق ، أفلبس من حق المادبين أن بواجهونا بنفس المشكله في مسألة أزلية الله ـ سبحانه ـ إذ كيف صح لنا أن نعتقد أن دالله خالق غير مخلوق، وماذا نقول لهم إذا قارا: «أن دعواهم أن المكون حالق غير مخلوق، وماذا نقول لهم إذا قارا: «أن دعواهم أن المكون حالق غير مخلوق، وماذا نقول لهم إذا قارا: «أن دعواهم أن المكون حالق غير مخلوق، وقولنا : «إن المتحديد الله المرق بين القولين إذن ؟

# وجواب هــذا أوانه :

نبادر فنقول: إن الضوق بين عقيدتنا ودءواهم أوضح من الشمس فى رائعة النهار، وهذه الفروق ترجع إلى عدة اعتبارات وليس لاء تبار واحد، فمنها فروق ترجع إلى د تحرير المماط، أعنى - هنا - فحص وتحديد أطراف المدعوى أو القضية عندنا نحن معاشر المؤمنين، وعند عبيد المادة وجهلاء الممانية. ومنها فروق ترجع إلى د الوضع الاستدلالي، أو المركز الة نوني بلغة المحامين المعاصرين.

فالمدعويان وإن بدتا متكاهئتين أمام النظرة الساذجة العجلي فإنهما جد مختلفتين عند الدرس والفحص . فلننظر فيهما من خلال الإطار ذى الجناحين الذى رسمناه منذ قليل ، وهو :

- ه فحص الدعويين من حيث تحرير المناط أو المقابلة بين الأطراف.
- ، فحص الدعوبين من حيث الوضع ألاستدلالي أو المركز القان, لي . كما أسلفنا . وبالله التوفيق ومنه السداد .

# أولاً : من خييث تحرير المناط أو المقابلة بين الأعاراف :

تختلف الدءويان بهذا الاعتبار أختلافا بينا يتضح لك من خلاله أن دعوى المادبين من علمانيين وشيوعيين لا تصلح قط أن تكوز طرفا قاهرآ العقيدة المؤودين. ببان ذاك في إبجاز:

ان الله في عقيدة المؤمنين نسب خلق السكون إلى نفسه ، وحو أهل للخلق .

أما المادة أو الكون فى دعوى الماديين فلم تدعى أنها خلقت نفسها ولا تملك حنى بجرد الإبانة عن هذه الدعوى. ولرنما الماديون أدعو! لها هذه الدعوى، وهى خرساء لا تتمكله، عمياء لا تبصر، صماء لا تسمع، جامدة لا تتحرك و بليدة لا تحس ولا تشعر عاجزة لا تقدر على شيء.

ب - المن المادة أو المكون في عقيدة المؤمنين هي دليل الدعوى وسندها.
 و بر أهين صحنها الساطقة بأفصح بيان عبو أجلي عبارة .

ع ــ أما الماده أو النكوان فى دعوى المادبين فهو د موضوع الدعوى تا عندهم، وجل الدليار عند قوم، هو الدعوى عند آخرين مفقر إلى دليل جديد لا وجود له :

إن المادة أو الطبيعة هي د المصرفة ع ـ اسم فاعل ـ عند المادبين ،
 هنع أن « المصرف » و اقع عليها . وقاهر لها .

المادة أو الطبيعة هي « مصرفة » - اسم مفعول - عند المؤمنين والمصرف هو ه الله » جل في علاه .

فها أنت ترى فروقا جد متباينة في الدعويين. قوة ورسوخ في جانب، وضعف في جانب، وضعف في جانب، وضعف في جانب القوة، وذلك الضعف يظهر أن لك بوضوح في الوضع الاستدلالي لسكل منهما.

# ثانيا : فحص الوضع الإستدلالي أو المركز القانوني لمكلتا الدعوبين :

#### الظاهرة المتنازع حولها:

من البديه أن تقول : ﴿ إِنَ الظَّاهِرَةُ مُوضُوعُ النَّزَاعُ هِي : الْكُونُ أو المادة أو الطبيعة » .

فنحن ـ معاشر المؤمنين نقول: « إن خالق الكون وما فيه ومن فيه هو « الله » جل في علاه .

و الماديون يقولون: «إن المادة خلقت نفسها وخلقت ما فيها ومن فيها»؟ و من حيث الوضع الإستدلالي أو المركز القانوني فإننا نملك مثاث الادلة والبراهين على صحة «عقيدتنا».

أما الماديون فلا يملكون نقيراً ولا فتيلا على صحة دعواهم . فدعواهم معراة من كل دليل ، ومن أية جهة تصدى لهم خصومهم فإنهم سرعات ما يكشفون عن بطلان تلك الدعوى دون الاحتياج إلى أن ينتقلوا إلى جهة أخرى

ونيحن \_ معاشر المؤمنين ـ نملك أمامهم فوعين من الأدلة :

- النوع الأول: أدلة هجومية ساحقة:
  - و النوع الثاني : أدلة دفاعية سامقة .

والماديون لا قدرة لهم على أن يقفوا أمام أى من النوعين هم لايملـكون ولا يقدرون أن يقفوا أمام الآداة الهجومية المقوضة لدعواهم .

#### ما هي المادة :

المادة مى ماله وجود موضوعى خارج الذهن ، او هى مايدرك بواحدة من الحواس ، وقد مر بنا هذا المعنى قبل ذلك مرات والكننا أعدناه لنرتب عليه هذا الدؤال .

#### ما هي أقسام المادة :

المبادة قسمان كبيران أحـــدهما متنوع إلى ثلاثة أنواع . أما قسماها المكبيران فهما :

ر ـ المادة غير المصوية أو د ألجماد ، وضايط هذا القسم أنه : ما لاينمو ولا يتكاثر (لا يتوالد) ولا يشحرك حركة إحرة أو د ماليس له إرادة ، وقد تمرف بأنها د السكائن غير الحي ،

ب المادة المصوية أو د السكائن الحي، وأنواعه الثلاثة هي:

( ا ) ما يتمو ويشكائر وليش له أرادة ولا إحساس ، وهو ـ الشبات، بكل أَصْنَافُه .

(ب) ماينمو ويشكائر وبحس وليس له . عقل ، وهو . الحيوان ، من ماشية ودراب وزواحف وطيور و أسماك وهوام إلخ .

(ج) ما ينمو ويشكائر وله عقل وإرادة حرة ، وهو د الإنسان ، .

# ترتيب هذه و المواد ، ترتيباً تنازليا :

حين يراد ترتيب صور المادة تنازليا تأتي على هذا الفسق:

- الإنسان » ·
  - ه الحيوان .
    - ه النبات .
    - ه الجاد .

فأعلاها شأنا ومنزلة الإنسان. وأحطها وأدناها الجأد. ولو فرضنا جدلا أن بعض هـذه و الكائنات، له في البعض الآخر تأثير بالخلق والإيجالا والتبكوين فإلى أي مرتبة من هذه المراتب الاربع بشجه العقل؟

هذا سُوَّال ُمهم جدًا . والحلق والإنجاد والتكوين عَمَلية شَاقُه في أعلى تُدرجات أَلْمُشَقّة لانها تَتُوقف على ثلاثة عناصر وهي :

ه العلم، وليس مطَّلق عُلم، ولسُّكنه علم من أوع خاص.

ه الإرادة وليست بجرد إرادة ، ولكثها إرادة من نوع لخاص .

ه القدرة وليست أية قدرة ، ولكن قدرة من أو يح خاص .

وإذا تسامحنا واكتفينا باشتر اطامطلق علم ، ومطلق إرادة ، ومجردقسوة ، فمند من نعش على هذه العناصر من كاثنات المادة ؟

إننا لن نعثر عليها إلا عند . الإنسان ، وحده .

أما الحيوان فلا .

وأما النبات فلاءان.

و أما الجماد فَتُلَرَّثُ لَامَانُ مَ ۚ لَا مَ ۚ لَا مَ وَاحْدُهُ وَلَا إِثْنَتَانَ مَ

#### مغزى هذا التحليل :

أَرَدْنَا "مَن كُمْدُه التَّخَلِيلِ أَن حُبُيِنَ لِكَ إِلَى أَى مَدَىٰ عَرِق المَادَيُونِ من خَلْنا أَيْنِ وَشَيُو لِحَيْنِ فَى الضلال وَ الجَهِل ؛ لَانَهُم منحوا والطَيْعة الجماديّة ، صفة والحالقية ، لما عداها من كائنات عضوية [النبات - الحيوان - الإنسان آ؟ ا

ومَّا جَمَّاوَهَا خَالَقَة مَ إِلا وقد جُعلوهًا وَأَقَالُهُ عُلَمًا مِن نُوع خَاصَ ، وقادرة قدرة من نوع خاص ؟

والطبيعة الجمادية لاتوصف بشىء بما وصفوها به لأنها دليست، حية . ؟ ؟ بل هى د موات ، لأنها لم تذق ـ قبلا ـ طعم الحياه ( و فاقد الشيء لا يعطيه ، والميت لا يهب غيره الحياة ، ولا يهب نفسه الحياة ؟ ! .

- ه الهدروا كرامة العقل وقوضوا سلطانه ؟ 1 .
  - وخانوا أمانة الثلم وسوأوا سمعته ؟ ١ .
- واستهانوا بدلالات الواقع ووأدوا شواهده .
- ه وصدق عليهم إبليس ظنه فهم في جهلهم وكفرهم يعمهون .

وصدق عليهم قول ألحق علام الغيوب :

و ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ولا كتاب منير م ثانى عطفه ليصل عن سبيل الله . له فى الدنيا خزى ، ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك . وأن الله ليس بظلام للعبيد .

# هم الآخسرون من أول جولة :

هذه هن الجولة الأولى مع أثمة الكفر كانوا هم فيها الأخسر بين والأخسرين أمام العلماء وأمام العلم ،

<sup>(</sup>دع) لمسلك تلحظ أن الفرق بين د ميت ــ وموات ــ أن الأول يطلق على من سبقت له حياة . والثانى يطلق على ما لا عهد له بالحياة مطلقا . كالأرض، والحجر، والرمل ، والثرى . فإن وصفت هيئا منها عيت فعل الحباز لا الحقيقة .

بل هم الاخسرون أمام أنفسهم . وقولهم هذا إن كان له دلالة فدلالته بكل وضوح :

أن الماديين من علما نبين وشيوعيين ليسوا بعقلاً ولا بعلماً وأن العقل والعلم منهم براء .

# أولئك كالانعام بل هم أصل . :

#### دعوى لا دايل عليها:

تبين لك \_ أيها القارىء الـكريم \_ أن قول الشيوعيين مردود عليهم، ولا ينطلي إلا على من كان على شاكلتهم من الجهلاء ومذهوبي العقول ومع ارتداد قوطهم عليهم، ووأد دعواهم فى مهدها فإنهم لا يملكون دليلا واحدا يؤاؤره العلم، ويعاضده الواقع، ويقبله العقل أو حتى يمنحه قليلا من المهادئة، ومع معذا فإن دعواهم موغلة فى البطلان من أى جهة نظرت إليها. فقد ظهر لك بطلانها فيما تقدم مرات . أخراها كان حيث جعلوا فاقد الشيء معطيا له موهذه مقولة من أشد المقولات فساداً بلا أدنى نزاع ؛ لآن . فاقد الشيء عمل لا يكون معطيا له بأية حال من الاحروال ، وهلم بنا \_ الآن \_ نثبت معا بطلانها من جهة أخرى .

### مسبب بلا سبب ١٤:

إن دعوى الشيوعيين أن المادة هي التي خلقت نفسها وخلقت غيرها من كاثنات حية إنما هي تنمثل في النهاية في أن دعواهم محصورة في وقوع مسبب بلا سبب وهذا باطل ، لأن العقلاء اجمعوا على أن كل موجود ـ ماعدا الله و المعجزات ـ لابد له من سبب أو علة قد تقدم عليه .

والمادة عاجزة كل العجز عن أن تصلح سبباً في إيحاد نفسها وإيجاد ما عداها . وعجز المادة نفسها سرى إلى الشيوعيين أنفسهم حيث عجزوا كل

العجز من إقناع خصومهم حين سألوهم : وكيف خلفت المادة نفسها ؟ فيسلم يزيدوا فى الجواب على: خلقت نفسها لأنها هى الحالقة .. ؟! وبعضهم جاهر بأنه هذا السؤال لا يجوز وروده . والمك هى المشكلة الصعبة التى لم يستطع الماديون - وأن يستطيعوا - أن يحتازوها ؛ لأنهم يرون أن فى اجتيازها إقرار أبالإيمان باقة الخالق العظيم .

#### حسار قاتل:

هذا وقد عرفنا من قبل أن الشيوعيين ينسبون الخلق والإيجاد إلى أحط أنواع المادة ( الجماد ) ولم يسندوه إلى أعلاها ( الإنسان ) وفعل الإنسان أرقى وأكمل من فعل المادة ـ غير الإرادى ـ (٢٦) .

وهم مصطرون في ذلك اصطرارا ، ومقهورون قهرا ، وذلك الإسرين

أولها: أن العلم مجمع على أن الكون المادى موجود قبل خلق الإنسان. وثانيهما: أنهم لو ادعوا ان الإنسان هوخالق المادة لحوصروا من جهتين قاتلتين:

(اه:) أن يقال لهم: وأين كان الإنسان قبل أن يقع منه خلق الكون ؟ (ب) وأن يقال لهم : أقيموا الدليل على صحة هذا بأن يخلق إنسان الآن – من الصيوعيين – كائنا حيا ليثبت أن الإنسان – فعلا – قادر على الخلق؟ ا

وفى كلتا الحالتين فلا حيلة أمام الشيوعيين إلا إظهار العجز والبوء بالحسران المبين .

<sup>(</sup>٤٦) أيس المادة ( الجماد ) فعل إرادي على الإطلاق لذلك قلنا \_ غيرالإرادي \_ وهو وصف الفعل لاتمييز بين أنواع فُعلَ لها .

### ستالين وفشل التجربة:

واكاد اعتقد أن الشيوعيين بعد أن ثبت عجزهم فى نسبة الخلق إلى المادة والجمادية ، كانوا على استعداد بتعديل مذهبهم بنقل والحلق ، من المادة الجمادية ، وهى أحط أنواع المادة كما علمت ، إلى والإنسان ، وهو أرقىأنواع المادة ، ولسكن الواقع المؤلم لم يساعدهم على الإفصاح بهذا التعديل والسبب في هذا تجربة فاشلة كل الفشل كانت قد وقعت في عهد ستالين خلاصتها :

#### محاولة للخلق عن طريق الإنسان :

فقد عهد ستالين إلى وأوبارين، رئيس الأكاديمية العلمية السوفيتيه أن يثبت علميا أن الحياة نشأت وتلقائيا، من المادة دون الاحتباج إلى فرض قوة أخرى (الله) وراء عمليات الخلق.

وأغدق ستالين على د أوباران ، وزملائه من أعضاء الأكاديمية بما لذ وطاب من المتع ظنا منه أن ذلك سيوصلهم إلى نجاح التجربة ، وظلل وأوباربن ، وزملاؤه في العمل يوأصلون العمل ليلا ونهارا طوال عشرين سنة في محاولات مستمرة بلا جدوى ، وفي عام ١٩٥٥ خرج أول تقرير عليً قال فيه أوبارين :

 إن النجاح الذي حققته علوم البيولوجيا (الأحياء) السوفيقية حديثا يؤيد الوعد بأن مسألة خلق كاثنات جية بطرق صناعية ليس بمكنا فحسب ،
 بل سيتحقق عما قريب ، ١١٤

وظل العالم ينتظر تحقيق الوعد ، ومات ستالين ولم يتحقق شيء ، وفى عام ١٩٥٨ أعلن أوبارين في مؤتمر دولى للبحار عقد بنيو يورك هذا القرار المنطير:

إن جميع المحاولات التي أجريت لتوليد الحياة من مواد فير عضوية

(أى غير قابلة للتولد) سوا. تحت ظروف طبيعية أو فى المعمل قد باءت بالفشل، الله أكبر، الله أكبر.

هذا القرار الخطيركان جديرا بأن يفتح أمام أعلاج موسكو باب الإيمان بابقه . ولكن الشيطان سارع وأملى على أوبارين هذا الإستدراك ، وإن فى الإمكان ثوليد الحياة بشرط أن تكون المحاولة على كوكب غير الأرض . وذلك نظراً لآن ظروف الارض الحالية لم تعد مهيأة لذلك ، ؟ ا(٢٧) .

فانظر كيف زين الشيطان لأوبارين طريق الهروب من الإيمان؟ ارماذا كان على الرجل لو استسلم لتلك الحقيقة الجبارة بدلا من التمادى فى الصلال والإرتماء فى أحضان الشيطان؟

نعم : إن الشيطان هو الذي أمل على هذا العلج الأحمق ما أملي لتحيط به خطيئة فيكون من أصحاب النار .

وما أحلى أن نتلو ـ هنا - قول الجليل :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ويقبع كل شيطان مريد . كتب طبيه أنه من تولاه فأنه يصله ، ويهديه إلى عذاب السعير » .

وقوله تبارك وتعالى :

و و إتل عليهم نبأ الذي آنيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاو بن ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الآرض وأتبع هواه ، فقله كمثل السكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبو ا بآياتنا . فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، .

<sup>(</sup>٧٤) انظر والله جل جلاله ١ ٧٥ ،

#### متابعة حتى النهاية :

إن الهـــدف من وراء ذلك التكليف الذي عود به ستالين إلى رئيس الآكاديمية وزملائه أن تصل التجربة إلى و نتيجة ، نساند عقيدة الدولة فى السكفر والإلحاد . وهلك ستالين وخيبة الرجاء كانت لحمته وسداه ولعنة الكفر كانت كفنه ومثواه .

أما رئيس الأكاديمية فقد استطاع أن يزحزح قليلا من وصمة الحزى والعسار عن وجهه أمام المؤتمرين فى نيويورك إذ ذاك . وظن أنه نجا وما نجا .

والان ، وقد عرفت روسيا غزو الفضاء ، ووصلت إلى السكواكب غير كوكب الأرض . فلماذا ـ وقد تهيأت لها الظروف الني كان قد تمناها أوبارين ـ لم تعد إجراء التجربة من جديد ، ليتجتق لها توليد الحياة عن طريق علما مها وتبرهن للدة منين بالله أنهم على خطأ جسيم ؟ 1

إن روسيا \_ الآن \_ خطت خطوات جبارة فى العلم المادى بعد ما يقارب ثلاثين سنة من تجربة أوبارين فما الذى جعلما تصمت صمت الأموات عما كانت تحاوله من قبل ١٤

إنه انتصار الإيمان على الكفر ، والحق على الباطل . إن أمامهم صخرة عاتية تحطم قرون الوعول والبغال وإن غلظت . إنها سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تمديلا ولا تحويلا .

وما أحلى وأجمل أن تردد مماً قول القوى الجبار ذى الجلال والإكرام.
« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذباباً ـ ولو اجتمعوا له ـ وأن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوهمنه.

ضمف الطالب والمطلوب ، ·

#### تأديب . ونعم التأديب :

كان الفشل الذريع الذي منيت به أكاديمية الكفر والإلحاد في محاولة توليد الحياة بعيداً عن و الله ، كان ذلك الفشل تأديباً حكيها ومؤلمالاً ثمة الكفر والصلال من العلما نبين والشيوعيين . فقد كانوا يتطاولون من قبل بأنهم قادرون على والخلق والتكوين وتو آيد الحياة في المواد الميتة ، حتى لقد قال بعض العلما نبين من قبل :

ه أعطني وقتا ومواد أخلق لك إنسانا ، ؟ لـ<sup>(٤٨)</sup> .

وما أكثر المواد التي تجمعت بين . أصابع ، أوبارين وزملائه . . ؟ !

وما أطول الوقت الذي تضاه أوبارين وزملاؤه في محاولة توليد الحياة التي باءت بفشل قاهر ، وبعده توقف ذلك التطاول وحزت تلك ، الآلسفة ، وخفت صوت الباطل ، إلى الآبد ، أجل فقد كان ذلك الفشل تأديبالهم و نعم التاديب ولوكان أولئك المتطاولون صادة بن لكان أولى بهم أن يحتفظوا ، بالحياة لآنفسهم بدل أن يمنحوها أغيرهم ، ولكن أمر الله الذي خلقهم نفذ فيهم جميعاً ولم يستطع أحد دفعه ، ثم تعال وردد معى قول الفعال لما يريد فهذا أوانه :

إن « الله ، هو مفتاح النور والهداية في هذه الحياة . ومن عاش وليس

<sup>«</sup>كل تفس ذائ**ق**ة الموت . . . . .

وقل: فادر أوا عن أنفسكم الموت أن كنتم صادقين . .

<sup>(</sup>٤٨) العلمانية .

فى دقلبه ، هذا المفتاح عاش وأبواب النور أمامه مغلقة . وخرج من الحياذ وأبواب الجحيم أمامه مفتحة ، د تلك عقبى الذين اتقوا . وعقبى السكافرين النسار ، .

### عودة للإبمان بالأسباب:

من المواقف التي حمل الإفلاس المذهبي والعلمي الشيوعيين عليها هذا الموقف الذي تسكشف ـ الآن ـ عما فيه من خزى وإفلاس وترد . ذلك أن المدارس لأصول الشيوعية يجد الشيوعيين يتذبذبون بين الشيء وتقيضه ويتتبعون والشيهات عظانين أن الناس لاعقول لهم ، وفي الواقع أنهم هم ليس لهم عقول .

فقد رأينا منذ قليل أنهم أهدروا تيمة قانون والسبية ، حين ادعوا أن المادة قد خلقت نفسها ثم خلقت غيرها من الكائنات . وذهبوا إلىأن المادة مكتّقية بنفسها دون احتياجها إلى سبب أو علة أولى تفسر إيجادها فهى إذن و مسبب لاسبب له ، ؟ ا

وقد وقف الشيوعيون عند القول بأن المادة مكتفية بنفسها غير محتاجة إلى سبب خارج عنها قرارا من و الإيمان ، بالله ؛ لأن الخطوة الأولى بعد هذا لابد أن تفضى إلى و الإيمان ، وهو أعدى أعداء الشيوعيين فها هم قد كفروا بالسبب ، وزعموا أن و المادة مسبب لاسبب له ، أو هى السبب والمسبب فى آن واحد .

ولكنهم عادوا للإيمان بالسبب أو الأسهاب بمد ذلك فى تفسير ظواهر جزئية داخل إطبار المهادة نفسها . وكان مقتضى مذهبهم أن لايقيموا للأسباب وزنا فى مجال آخر قط . فكان كفرهم بالاسباب فى المسألة والأم على وجود المهادة . وإيمانهم بالإسباب فى الظواهر المجزئية دليلا على إفلاسهم المذهبي والعلمي في آن وأحد .

### الجال الذي أعملوا فيه الأسباب:

إنهم كفروا بالأسباب فى خلق المادة وتكوينها ؛ لأن الإيمان بالأسباب فى هذا الجال ينصر قضية الإيمان ؟ 1 .

وآمنوا بالاسباب فى مجالات أخرى ، لآن الإيمان بالاسباب فى هذه المجالات عدم ـ فى نظرهم ـ قضية الإيمان ١٤

فعداؤهم الإيمان بالله كان وراء كفرهم فيها كفروا به ، ووراء إيمانهم فيهما آمنوا به . وذلك ديدنهم أبدآ .

والمجالات التي آمنو أفيها بالسبنية هي الظو أهر الكو نية ، أو ما يجرى في السكون من دعمليات، ثانويه كتحول الماء إلى دجليد ، مرة أخرى . د مخار ، مرة أخرى .

وكمجىء الولد جامعاً بين ملامح لونية وغير لونية خاصة به ، وملامح موروثة عن أبيه او أمه أوهما معاً .

#### مثال الولد:

يفسر الشيوعيون بجيء الولد جامعاً بين ملامحه الحاصة والتقليدية بأن هذه الظاهرة ترجع إلى صراع دار بين قانونين من قوانين المادة وهما :

• قانون الوراثة •

وقانون التغير -

فقانون الوراثة يقتصى « النمطية » أى أن الولد يكون شبيها بأبيه تماماً أو بأمه .

وقائون التغير يقتصنى أن يكون الولد مخالفا تماما فى ملامحه الظاهرةوغير الظاهرة لسكل من أبويه .

ولكنه ـ فى الواقع الأغلب ـ يأتى وسطا بين بين . فلا هو مشابه لهما تماما ، ولا مخالف لهما تماما .

والسبب عندهم - أن الصراع الذي دار بين القانونين لم يكتب فيه الفلاح لأحد القانونين على الآخر . فحقق قانون الورائة بعض الانتصار ، وحقق قانون التغير بعض الانتصار فجاء الولدجامعاً بين الملامح والخصائص الوروثة، وبين الملامح والخصائص الناتجة عن قانون التغير ، وهذا عند الشيوعيين هو السبب الأول والأخير في تفسير هذه الظاهرة ، ولا يطلبون لها تفسيراً آخر أبعد من هذا التفسير خشية أن تنزلق أقدامهم في طريق الإيمان بالخالق العظيم ١٢٠٠

#### ومثال الماء:

وظاهرتا تحول الماء إلى جليد أو بخار ، وظاهرة بقائه على حالة السيولة يفسره عندهم أن هناك قانونين يتصارعان ؛ قانون الإنسجام وقانون التفرقة :

فين تتعادل درجة الصراع بين القانونين يبقى الماء فى حالة السيولة . إذ لاغالب ولامغلوب حينئذ .

وحين ينتصر قانون الإنسجام على قانون التفرق يصبح الماء جليداً.

وإذا انتصر قانون التفرقة على قانون الإنسجام صار الماء بخساراً وبهدا ترى الشيوعيين قد سروا سروراً عظيما ؛ لأنهم استطاءوا أن يفسروا كل التطورات فى عالم المادة تفسيراً لايفترض عندهم عمه وجود إله خالق متصرف فى السكون ومن فيه وما فيه . وقد استسمنوا ورم هسذا التفسير وذهبوا إلى أن قوانين المادة أو الطبيعة كافية جداً لتفسير أسرار الطبيعة . وأن الإيمان بوجود قوة أخرى فوق الطبيعة ، الله ، لاتدعو إليه ضرورة قطا؟!! .

يقول هيكل صاحب نظرية الأثير :

د الطبيعة تحتوى فى ذاتها على كل القوى المطلوبة الإحداث جميع صور الوجود فيها، والآنواع بنشأ بعضها من بعض بالتحول طبقا لقوانين وتبعا الترتيب فى الإمكان منذ الآن تحديده . مَ ١٤ فلاشيء فى الطبيعة الايفسر بالطبيعة ١٤ والاشيء تقدم على الطبيعة والاشيء يسمر عليها . فالطبيعة عند من يُورف قوانينها، وبخاصة الإنتخاب الطبيعي والشطور هي في ذاتها الي خلقت الفسياء؟ (١٤٥).

هكدا توهم الماديون الملحدون أن الطبيعة قد خلقت نفسها . وهذا تعبير تواطأ عليه كل من داروين وهيكل في محاولات بائسة لاغتصاب عليات الخلق والتشكوين من القدرة الإلهية . وهو - أي هذا التعبير - يرادف تعبيراً آخر كانوا يطلقونه في وجه المؤمنين بالخلق الإلهي وهو و التولد الذاتي ، وقد با كلا التعبير بن بالفشل أمام نقود علية كشفت عنزيف الملحدين فأضطروا إلى أن يعدلوا عن خلق الطبيعة نفسها ، وعن نظرية التولد الذاتي إلى القول بأن المادة خلقت مصادفة ، وهي محاولات - كما ترى - تفر من الإيمان بالله .

ونظرية الصدفة قد أبطلها العلماء تماما لآن صففها مساو كضعف القول بها لتولد الذاتي أو أن الطبيعة هي الخالقة . فهذه ألمزاعتم كلهما لاستند لها قط لانن العلم ١٤٠.

ولآمن العقل؟! .

والامن الواقع ١١٠

أما فَقَدَّانَ سَنْدُهَا مِنَ العَقَلِ وَالوَاقِعِ خُقَيْقَةً لَا تُحَتَّاجٍ إِلَى تَدَلَيْلَ . وَأَمَا وَقَدَّانَ سَنْدُهَا مِنَ العَّلَمُ فَإِنْفَا إِذَا تَحْيِنَا الْإِحْتَكَامُ إِلَى نَقُو دِالْمُوْمَنْيِنَ فَإِنْفَى اعْتَرَافَ الْمُحْدِينَ أَنْفُسُهُم بَهِذَهِ الْحُقِيقَةَ مَا يَشَلَج صَدُورَ نَا نَحْنَ الْمُؤْمِنَيْنَ أَكُثَرَ مَا يَشْلُحِهَا أَلُمُ مَنْ يَا لَهُ مَنْ يَالْمُحِهَا اللّهُ مَنْيِنَ أَكُثُمُ مَا يُعْلَمُهم بِهِ وَلَا يُعْمِمُ قَدْ يُرْمُونَ بِالتَّمْصِبِ.

<sup>(</sup>٤٩) انظر العلمانية (٣٣٨ ) سفر عبد الرحمن الحوالي ــ مُكَةُ ٱلمُـكرمة .

ومن شو أهدنا على ما نقول أن نحيل القارى، إلى التجارب الفاشلة التى وقعت فى الآكاديمية العلمية السوفيتية فى عهدستالين، وفى فترة رياسة أو بارين للأكاديمية ، وقد مرت منذ قليل .

ومن شواهدنا الجديدة موقف و حورج والد ، وقد كان من الفائلين ينظرية و التوالد الذاتي ، أو المصادفة كبديل للتــوالد الذاتي ولحلق الطبيعة تفسها . .

فقد حاول هذا الرجل ( جورج والد ) مرات أن يثبت صحة الخلق بسيداً عن قدرة الله ، وكان يسوء بالفشل فى كل مرة ، ثم اعترف ــ أخيراً ــ بفشله المتكرر ، وانتهى إلى نفس النهاية الى كان قد انتهى إليها أوبارين من قبل فى مؤتمر البحار الدولى عام ١٩٥٩ م .

فقال: « إذا عجزنا عن تحقيق ما نتمناه فليس معناه أننا فقدناكل شي. • فسلالتنا البشرية سوف تحاول مرة أخرى في غير هذا المسكان » (٠٠).

فانظر حداك الله كيف اعترف هذا الرجل بمجزه و ولكنه بايحاء أمن الشيطان عماول أن يؤيج عن وجهه ممل أوباوين عمال أن يليلا من سحب الخزى والمهاغة ، وقال : إن البشر سيحاؤلون في غير مدا المسكان أن يفيدوا التجربة من جديد ؟ !

إن هذا ﴿ الوَعْدَ ﴾ أمن حقه أن يعَترَف بفضله • ولسكن ليس من حقه أن يتنبأ عن عُمل تشيقوم به البشر من جديد • ولو كان هذا التنبؤ صادقا لقمام البشر فعلا بما توهم هذا ﴿ الجورج » وليس كل البشر مثل أوبارين أوجورج خدو عين وجهلة •

<sup>(</sup> ٥٠ ) العلم : أَسْرَاره وخفاياه (٣٠٤) .

#### الأسباب بأثر رجعى:

لم يكتف الماديون الملحدون بالوقوف بالأسباب عند الطواهر الجزئية التي تفسرها مثل القشابه بين الأولاد وآبائهم ، والأحوال الطارئة التي تعرض للماء كما تقسدم بل أوادوا أن يعودوا بالأسباب بأثر رجعي فيفسروا بها تعمورهم الواهم حول خلق المادة نفسها ، وذلك ظاهر كل الظهور في النص الذي نقلناه عن هيكل صاحب نظرية الأثير العلماني المادي .

ونقطة الصعف الظاهرة كما ترى أنهم - أى الماديين ـ رفضو اأو لاأزيكون وراء المادة سبب فى خلقها حيث كان تسليمهم بالسبب هناك مفضبا إلى الإيمان م حادوا فأرادوا أن يستدلوا بالاسباب اللاحقة لخلق المادة الحاصة بتفسير بعض الظواهر الجزئية \_ على صدق دعواهم أن المادة هي ، الخالقة النفسها ، ؟ ا

وهذا ساقط علميا \_ لأن الأسباب اللاحقة لاتفسر ولاتكون علة فى الأشياء السابقة علمها ؟ لأن السبب مقدم \_ عقلا ـ على المسبب - فلايكون سبب الشيء متأخرا عنه ، ولا المسبب عن الشيء متقدما عليه . وجذا بعضاعد العقل العدلم فى سقوط استدلال الماديين بالاسباب اللاحقة على المسببات المتقدمة . فهو إذن ساقط عقلا كا سقط علميا .

فالنار ـ مثلا ـ سبب فى الإحراق . فلا يكون الإحراق سببا فى إيجاد الجار؟ الإعراد الحار؟ النار والجار سبب فى النهيق فلا يكون النهيق سببا فى إيجاد الحار؟ ا

والشيطان سبب من أسباب الصلال فلا يكون الصلال سببا في إيجاد الشيطان .

والشيوعية سبب في . الإلحاد ، فلا يكون الإلحاد سببا في إبحاد الصيوعية

فكيف يكون الصراع ـ مثلا ـ بين قانون الوراثة والتغير ـ إذا سلمنا به جدلا ـ سببا في إيجاد المادة الجادية ١٤.

وكيف يكون الصراع بين قانوني الإنسجام والتفرق ـ إذ سلمنا به كذلك جدلا ـ سببا في إبجاد المادة . . ! ! ؟

### محاصرة فى كل طريق:

وقوانين الطبيعة أو المادة الجمادية وغير الجمادية التي سردها الماديون وعروا إليها تقسير أسرار الكون كله حصروها فى أربعة قوانين رئيسية وفرعواعنها قوانين فرعية لاحصر لها . والقوانين الأربعة الرئيسية هي :

### النزا على الحركة . التناقض ـ النطور:

وقد خضعت هذه القوانين لجملات نقد ونقض لاحصر لها ، وحامت حولها سحب من التشكيك حملت الشيوعيين أنفسهم على التراجع حينا ،وعلى الشعد بل حينا آخر ، وانبرى علماء متخصصون لمناقشة هذه القوانين من كيهاويين وطبيعيين ، ورياضيين . ولا سبيل هنا لمناقشة كل ماقيل في هدنه القوانين . لذلك نوجز الحديث عن أثرا النقود والدراسات التي قامت حولها وهي تنلخص في الآتي :

ر السفرت الدراسات والنفود عن التسليم بصحة ثلاثة من هدده القوانين وعن بطلان واحد منها هو الاساس الذي قامت عليه فلسفة ماركس والمداديين والعلمانيين جميعا . وهو قانون د التناقض ، ومن العاريف أن تكون الفلسفة المادية قائمة على هذا د القانون ، الذي يمكن تفسيره عنده بأن دالشيء يحتوى على عناصر بقائه وعلى عناصر فنائه من آن واحد وأن هدنده المناسبة المادية المناسبة المادية وعلى عناصر فنائه من آن واحد وأن هدنده

العناصر في صراع دائم لايتوثف .

وقد أثبت العلم خطأ هذه المقولة وأن الصحيح أن ظو أهر الوجو د قائمة على التوازن والتعادل فاتح عن حركة حول محور ثابت. فالتوازن هو الأصل ويحدث الصراع عند الإخلال بهذا التوازن.

ومن الحير أن نسوق مثالاً على تطبيق قانون والتناقض عندهم ، وهو مأخوذ من قول المجلز: إن كل كائن عضوى هو فى كل برهة ذا له ليوغير ذاته ؟ ! فهو يتمثل فى كل برهة المادة التي يتزود بها من الخارج - يعنى كالطعام والنبراب وما يدخله إلى الرئة بين عن طريق الشهيق - ويتخلص من مواد أخرى - يعنى مثل الفضلات التي يطردها عن أحد السبيلين ، والعرق الذي يفرزه جسمه ، وما يخرجه عن طريق عملية الزفير - كما أن بعض خلايا بدنه تموت فى كل برهة ، وخلايا أخرى تشكون من جديد ، وإن مادة بدنه بدنه تموت فى كل برهة ، وخلايا أخرى تشكون من جديد ، وإن مادة بدنه لتتجدد كليا خلال فترة زمنية تطول أو تقصر ، وتحل محلها ذرات أخرى من المادة محيث أن كل كائن عضوى يظل هو نفسه بصورة دائمة . ومع ذلك فهو كائن أخرى ،

وإذا دققت النظر فى قول انجلز لا نجد تناقضا أبدا فيها قال . فأخذ الإنسان العناص الصالحة لحياته من طعام وشراب وغيرهما ، وطرد العناص الضارة من فعدلات وعرق وغيرهما ، واستنشاق الأوكسوجين وطرد ثانى أكسيد المكربون . وإماتة خلايا وتوليد خلايا أخرى إنما هى عمليات تجرى فى غاية النظام والإنسجام لإحسدات التوازن فى الكائن العضوى ومنه الإنسان . والتناقض عما ذكر بمناى ، ولكنه الجهل والعناد وعمى البصيرة .

إن التنافض فيها ذكر إنجلزكان يمكن أن يكون لو كان الإنسان يأخد عناصر بقائه ثم يلفظها هي هي بمينها ، ولو كانت الحلايا التي تموت هي هي

<sup>(</sup>٥١) انظر موقف الإسلام من نظرية ماركس (٣٣٩) والعبارات الموضوعة بين شرطتين هكذا ( .. ٠٠٠ ـ. ) زيادة من عندنا للايضاح والشرح .

التى تحيا ، والأوكسوجين الذى يأخذه فى عملية الشهيق هو هو الذى يخرجه فى عملية الزفير . ولكر شيئا من ذلك لم يحدث ، فالإنسان يتمثل العناصر الصالحة ثم يتخلص من العناصر الفاسدة ، فأين التناقض إذن ؟ إن القوم ... الشيوعيين ـ قد لفهم الجهل من كل جهة . جهل بالألفاظ ، وجهل بالممانى، وخلط بين هذا وذلك . وصدق الشاعر الذى قال :

إذا سياء فعل المرء ساءت ظنوته

وصدق ما يعتاده من توهم

والشيوعيون لما ساءت أفعالهم ساءت ظنونهم وسرائرهم وصدقواما يتراءى لهم من أوهام .

#### والخلاصة :

إن مذهب الشيوعيين قد بنوه على أسس منها النقيص أو التناقص ، ولما أثبت العلم وألواقع فساد هذ المبدأ أو على ألا قل عسدم جدواه لبناء صرح الشيوعية - البالوني - عليه تشقق ذلك الصرح وتبدد ما فيه من محتويات هي في الواقع شبيهة بالهواء الفاسد المختزن في جوف د بالوئة ، لهما حجم الفيلة يووزن د الخفاش، والبالوئة مهما انتفخت فإنه يكني لإفسادها أن تثقيها بدبوس صفير فإذا هي مناسرة كأن لم نكن شيئا من قبل ،

٢ — والدراسات العلبية والنقود المرضوعية التي دارت حول قو أقين المادة وأوضاعها عند الشيوعيين أقرت محقة قو أنين؛ الترابطوالحر كة والتعلور وهذه القوانين لم يكنشفها الشيوعيون . بل هي حنائق معلومة عند الحاصة من العلماء بدقائقها وأسرارها ، وعند عامة الناس بنهارها و آثارها .

واكن الذي أئبتته الدراسات أن هذه القوانين لم تخدم قصية الكفر والإلحاد التي تبناها الشيوعيون والعلمانيون والماديون . ولم مما هي برأهين حق، ودلائل صدق صحة عقيدة الإيمان بالله الحالق العظيم وهذا ما دعت إليه الفطر السليمة . وقواه العلم الصحيح، وسائده الواقع المشاهد، وأيده العقل المتزن المستنير .

ونثبت .. هذا .. أمام القارىء نصوصا سجلها العلماء من غير المسلمين بمن اهتدوا إلى الحقيقة التى لامناص عنها. فإذا بالإيمان يفيض من خلال ماكتبوه وسجلوه بأمانة وصدق .

يقول كليفلاندكوتران معلقا على دقة النظام الـكونى وما فيه من عجائب مدهشة وحكم بالغة ، وأسرار ناطقة :

وعلى ذلك فإن الكرن المادى الذى يسوده النظام وايس الفوضى ، وتحكمه القوانين وليس المصادفة أو التخبط. فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يمتقد أن المادة المجردة من العقل والحدكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة ، أو أنها هى التى أوجدت هذا النظام و تلك القوانين ثم فرصته على نفسها ؟! لاشك أن الجواب سوف يكون سلبيا بل إن المادة عندما تتحول إلى طاقة ، أو تتحول الطاقة إلى مادة فإن كل ذلك يتم طبقا لقوانين معينة، والمادة المنابخة تخضع لمنفس القوانين التى تخضع لها المادة الممروفة التى وجدت قبلها . فإذا كان هذا العالم المادى عاجزا عرب أن يخلق نفسه أو يحده القوانين التى يخضع لها . فلا بد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادى ، (٥٠).

هذا ما انتهى إليه هذا و المفكر ، حين سار معالفكر في مسارهالصحيح فالخالق هو وكائن غير مادى ، لا محالة ، ومن هو ذلك الدكائن غير المادى يا ترى ؟

<sup>(</sup>٥٢) الله يتبجلي في عصر العلم ( ٧٤ – ٢٥ ) .

إنه دافقه، وليس شيئًا آخرغير الله . ولكن الذين كفروا بربهم يعدلون ، وصدق شاعر نا الذي يقول :

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وفى نفس المعنى، وبنفس القرة والوضوح يقول إدوارد لوثر:

والواقع أن الكون لايزال في عملية افتشار ، تبدأ من مركز نشأته والبوم لابد لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة الحلق أيضا وهي فكرة تستشرف على سنن الطبيعة . لأن هـذه السنن إنما هي ثمرة الحلق ، ولابد طم أن يسلموا بفكرة الحالق الذي وضع قوانين هذا اللكون ، لأن هذه القوانين ذائها مخلوقة ، وليس من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق هو الله ،

فإدوارد لوثر ينتهى بنتائج العلوم الحديثة إلى ماهو نمرة شرعية لها . وهي النهاية التي تقف على عتبة الإيمان . فالعلم ـ رضى الشيوعيون أم كرهوا ـ وسيلة من وسائل الإيمان . ودعامة من أقوى دعاماته . ولا عبرة عند العلماء بالإنتكاسة الشنيعة التي تورط فيها العلمانيون شم ورثها عنهم الشيوعيون أثمة الكفر والإلحاد .

وانتهت الدراسات والنقود الني قامت حول مادية ماركس
 وأشياعه إلى :

إن المادة لا تصلح سببا فى خلق نفسها ولا فى خلق غيرها بل لابد من سبب قد تقدم عليها هو د سبب الاسباب , الله » .

لا ـــ إن قوائين المادة التي تــكمن وراء الظواهر الجزئية بعد عملية الخلق الكوني كقانون الجاذبية وقوانين الإنسجام والتفرق ، والوراثة والتغير لاتصلح دليلا على خلق المادة نفسها ، فهذه القوانين هي نفسها مفتقرة إلى

سبب في إيجادها يفسرها لأنها مخلوتة ، ولا يحتاج هو إلى تفسير لآنه وسبب. الآسباب ، وهو والله ، سبحانه وتعالى .

٣ - إن العلوم و نتائجها تدءو إلى الإيمان ، بالله ، ولا يمكن أبدا أن تكون ضد الإيمان ، ولا سندا لبدعة ، الإلحاد ، التى تنادى بها العلمانية الجاهلة والشيوعية العمياء !

وأسفرت الدراسات أن المادة قائمة على التو ازن والتعادل واليس على التناقض كما ذهب الشيوعيون ، كما أثبتت الدراسات جهل الماديين با انتفاقض علما وعبارة .

وأثبتت الدراسات أن المادة ليست أزلية لأن لها بداية، وليست أبدية لأنها تفنى وتصير إشعاعا فلها نهاية كاكانت لها بداية .

المادة والسات أن الفكرة هي السابقة على المادة واليست المادة
 السابقة وإن وهم واهمون ، وضل في فهمها صالون .

وأثبتت الدراسات العلمية والنظر العقلى أن المادة غير صالحة الآن تكون هي العلة الأولى في الوجود الأنها مفتقرة إلى موجد أعلى غنى بنفسه عمن سواه ، وهو د الله ، وهي مقهورة الا قاهرة ، ومفطورة الافاطرة ، وموضوع التصرف الا متصرفة .

A - وأثبتت البحوث والدراسات أن المادة ليست هى و الموجود، الوحيد، ولا هى ـ وحدها مصدر المحرفة. فع وجود المادة توجد معارف حقلية لاصلة للحواسبها كالإعتقاد بأن الشمس أكبر من الأرض مع أن تصادي ما تعطيه الحواس أن الشمس أصغر من الأرض و توجد حقائق إيما فية منها ما يدرك العقل و ما هياتها، ومنها ما لا يدركها ولا يسمه إلا التسليم بوجودها لإقامة الدليل تلو الدليل عليها.

لقد نشط العلماء في كل مجال، وتقصوا مقولات الماديين ولحصوها بو اسطة

وسائل المعرفة الإنسانية وخطأوا المادبين إما فى بعض الاسس والنظريات وإما فى النتائج التى رتبها الماديون على بعض الاسس التى لا نزاع فى سحتها وإنما فى ما أراده منها الماديون وقد ثبت بالادلة القاطعة أن التعصب والمغالاة والتحكم والسطو وقلب الحقائق هى سمات الفلسفة المادية ، التى تنتسب إليها شيوعية ماركس ومن دار فى فلمكم من حتى الفكر وسقيمى العقول .

# الوضع الإستدلالى لعقيدة الإيمان:

ما مضى كان من أدلة الهجوم المقوضة لشبهات المكفر والإلحاد الذي أنتهت إليه الايديو لجيات المادية ومن أبرزها الشيوعية ، إن كل قوانين الفكر السليم ومصادر المعرفة وحقائق العلوم في كل مجال ، قد أجمعت على فساد التصور الشيوعي لا في مجال المقيدة الإلهية وحدما بل في كل التصورات الشيوعية الواهمة ، فلم يملكوا وسيلة واحدة من وسائل الإقناع ، وصاروا أضحو كة يتندر بها العلماء والعقلاء ،

وجاء الآن دور الدفاع عن العقيدة الإلهية ، أو الوضع الإستدلالى على أن هذا السكون مخلوق لله وليس له خالق سواه . وليست دعوى المادبين من العلمانيين والشيوعيين بأن د المسادة هي الخالقة ، مكافئة لعقيدة المؤمنين د أن القه هو الخالق د .

هذا تباينت الدعويان من حيث , تحرير المفاط ، ومن حيث الوضع الإستدلالي لكل منهما .

وقد مر بنا الحديث عن دعوى الشيوعيين ، ووقفنا فيه على أن المادة أو الطبيعة هي :

موضوع الدعوى عندهم .

ومن حيث الوضع الإستدلالى فان الشيوعيين لم بملكوا دايلاواحدا على صدق دعواهم. إلى جانب أن العلم والعقل والواقع والفطرة ، كل أولئك أثبتت فساد التصور الشيوعي في جلته وتفصيله . وفقدت كل التصور الله المادية ما يساندها في مجال الحجاج والجدل.

وحاصرتها سهام الحق من علماء ينتمون إلى كل جنس وصقع ، وما تزال جهود العلماء تضيف جديداً في هذا الجال ، وأن تتوقف .

## موضوع الدعوى في عقيدة المؤمنين :

موضوع الدءوى فى عقيدة المؤمنين هو الله و كان موضوع الدعوى فى تصور الشيوعيين هو دالمادة ، أو دالطبيعة ، والمقابلة بين موضوعى الدعوى ـ هنا ـ تسفر عن ضعف جانب وعن قوة جانب . فالقوة فى جانب عقيدة المؤمن . والضعف فى جانب عقيدة أو تصور المادى الملحد . وذلك من جهتين :

أولاهما: أن موضوع الدعوى عند المؤمن وهو دانته، قد نسب إلى نفسه خلق الكائنات جيما.

أما موضوع الدعوى عند الشيوعيين، وهو : المادة ، فلم تدعى هذا قط، ولا تصلح لهذه الدعوى . وإنما الذي ادعاها لها هم الشيوعيون .

أنيا: أن الله أقام أنصبع البراهين ، وأقوى الآدلة على صحة « الدعوى » وصدقها .

والمادة ـ موضوع الدعوى عند الشيوعيين ـ فضلا عن أنها لم تدعى نط ـ فإنها ليس لها أدلة على دعوى هى لم ندعيها . ولم يستطع من ادعاها لها ، وهم الشيوعيون ، أن يقيموا دليلا واحدا أو شبه دليل على صدق دعواهم كارأينا فيا تقدم .

ونقرب لك المعنى بمثل:

هب أنك قاض وعرضت عليك الخصومة الآنية :

رجل في يده حقيبة ، وهو طبيب .

ورجل آخر بمدك بيد رجل فلاح يفلح الأرض .

الرجل الأول يقول إن الحقيبة التي في يده هي ملكه وليست لأحد غيره.

والرجل الشاني يقول إن الحقيبة الني في يد الطبيب هي ملك الفلاح وليست الطبيب ، والفلاح واقف لا يتكلم ولم يدع أن الحقيبة له ، والحكن الرجل يصرو يجزم أن الحقيبة التي ببد الطبيب هي ملك للفلاح بما فيها ، وأنه أم أي الرجل المدعى يستطيع أن يقيم الدليل على صحة دعواه .

هذه هي خيوط الدعوى قد نسجت أمامك على هذه الصورة التي صورتها لك . فاذا أنت فاعل؟ .

لابد أنك ستطلب من الخصوم أن يقدم كل منهم بينته .

ه وهب أنك بدأت بالرجل الذي ادعى أن الحقيبة ملك للفلاح .

فقال: إن الحقيبة فيها كذا ، وكذا ، أخذ يعدد أسماء لآلات زراعية . .

ه ثم ثنيت بالطبيب فقال: إن الحقيبة فيهاكذا وكذا ، وكدا من آلات الطب الذي هو مهنته .

ثم أخرج (فاتورة) شراء الحقيبة، و (فواتير) شراء الآلات الطبية التي بها، وهي مرجيما محررة باسمه الذي أثبت تسميته به ببطاقة تحقيق الشخصية.

ثم فتحت الحقيبة وتبين لك كذب ( المدعى )غير الطبيب ، ووجـدت إ ما في الحقيبة مطابقا تماما لما ذكره الطبيب .

هذا أصبحت القضية جاهزة للحكم ، فلمن تحكم باترى ؟! وما هى حيثيات ﴿ الحكم ﴾ العادل ؟! وفي جانب من تحققت ؟! إنها تحققت فى جانب من قويت بينته . وساندتها قرائزالاً حوال والبينة القوية كانت فى جانب الطبيب .

وساندتها قرائن الآحوال ـ وهى الحيازة ومناسبة ما فى الحقيبة لمهنة العلب ـ وليس الزراعة ـ كانت فى جانب الطبيب فالحدكم العادل الذى يتمين عليك إصداره أن الحقيبة ملك الطبيب وليست ملك الفلاح . أما الذى ادعى أنها للفلاح فحاله لا يخرج عن واحد من احتمالين :

**الله الله الله المين المجنون حرج** .

وإما أن يكون كذوبا مزوراً ، فيجب أن يعامله الناس على هذا الأساس .

وهذا النمثيل ينطبق على ما نحن فيه كل الانطباق :

فالطبيب الصادق = حقيقه الايمان ؛ لأن الله نسب الخلق و الإيجاد لنفسه عبر وصدق كل الصدق في وصف البيئة ، وسائدتها قرائن الآحوال من إقرارات المعقول و وحقائق العلوم ، وشهادات الواقع ، وإحساسات الفطرة و المدعى الكذوب المزور = الشيوعيين و والفلاح = المادة ، والحقيبة = قضية الايمان الصحيح ، والشيوعيون لم يصدقوا في وصف البيئة ، ولم تساندهم قرائن الآحوال ، بل أخفقوا كل الاخفاق في دعواهم ،

### دايل الدعوى عند المؤمنين :

إن دليـل الدعوى عند المؤمنين هو موضوع الدعوى عند الشيوعيين وقد عرفنا من قبل أن موضوع الدعوى عند الشيوعيين وهو المادة ، واليس مطلق مادة بل المادة الجمادية . وهي أحط أنواع المادة مر حيث مايريدم منها الشيوعيون ، وهو والخلق والايجاد ، .

 فقد التهمت قضية الإيمان موضوع الدعوى عند الملحدين، وسيطرت عليه بكل قوة . وحولته إلى دمصادر أدلة، على صدق قضية الإيمان، وتركت الإلحاد والملحدين معلقين في الهواء لا يلوون على شيء إلا أن تتخطفهم الطير، أو تهوى بهم الويح في مكان سحيق .

أجل: إن الكون بما فيه ومن فيه من كاثنات علوية ، وسفلية وفضائية هى فى الواقع مصادر براهين وحجج وأدلة على أن :

ألله موجود .

الله هو الحالق المصور .

أقه هو الواحد الذي لا شريك له .

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

الله هو المتصرف في الكون.

ظاهرة جليلة لا بدلها من تفسير :

هذه الظاهرة الجلبلة هي السكون أنه حقيقة مدهشة لايمكن إنكارها ولا التهوين من شأنها، ولا يمكن للمقل أن يقف منها موقفا سلبيا دون أن يصل إلى تفسير لها يحدث الإنسجام التام بينها وبين العقل، ويتحقق هدذا التفسير وذلك الإنسجام حين يصل العقل إلى معرفة صانع هذا الكون، وتقوم بين يديه الآدلة القاطعة على تعبين ذلك والصانع، الاعظم من الكون ومن في الوجود كله.

هذا ، وقد ثبت بكل يقين أن:

ه الـكون أو المادة أو الطبيعة لم تصنع نفسها . ولم يصنعها الإنسان ؛ لأنه لايتصوو وجوده إلا تاليا لوجودها . هذا هو حكم العقل الذي لا نزاع ولا تراجع فيه .

ه إذن فلا بد لهذه الظاهرة الضخمة العظيمة عن دصافع ، تطمئن إليه النفوس ، و تقتنع به العقول .

ذلك والصائع على هو الله مسبحانه وقد تدكم الأسباب وعلة العلل التي تفسر غيرها ولا تحتاج هي إلى تفسير وقد تدكم القرآن الكريم بإيراد الأدلة القاطعة على صحة هذه العقيدة وصدفها والنظر المتأمل في آيات القرآن العظيم يجد أدلة هذه العقيدة مبثوثة فيه على فسق عجيب وفي عرض محكم يدركها الخواص يظو اهرها وبواطنها و ويدركها العوام بآثارها وظلالها فتتيسر أسباب الهداية أمام المهتدين ، ونقوم الحجة فله على الملحدين ، ويحيا من يجيا عن بينة ، ويهلك من يهلك عن بينة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الميان .

# مناهج أو كيفيات عرض الدلائل في القرآن الحكمي:

للقرآن فى عرض الدلائل على « الحقيقة الإلهية ، مناهج أو كيفيات متعددة كاما تؤدى إلى « هدف واحد ، هو الإيمان بالله الواحد رب العالمين. وندير حديثنا ــ هذا ــ عليها فى إطارى منهجين اثنين :

أحدهما نتابع فيه العلامة أبن رشد . والثاني هدانا إلية النظر ، ولنبدأ عنهج العلامة أبن رشد :

# منهج ابن رشد:

نظر العلامة ابن رشد فى مناهج الآدلة التى سلمكها أهل الفكر والنظر من قبل ، وهم حسب كلام ابن رشد :

الأشعرية ، والمعتزلة والباطنية ، والحشوية ولم يرتض ابن رشد تلك المناهج وقال إن معظمها مبتدع بعد عصر الصحابة ، ولا تصلح لهداية جميع الناس إلى الإيمان بالله ، لأنها غالبا أقيسة عقلية مركبة ، وهي وإن ادركها بعض العباد - العلماء والخاصة - لم يدر كهاءو المالناس ثم ذهب العلامة ابن رشد يضع منهجا استدلاليا يستوى في فهمه الخاصة والعامة ، فهداه النظر إلى منهج

قال إنه مستفاد من الـكناب العزيز ، وأن الصحابة كانو ا يعولون عليه (٢٠٠٠ وخلاصة منهج ابن رشد هو ما يأتي :

إن النظر في كـتاب الله العزيز يفيد أن في كتاب الله طريقا للدلالة على وجود الله ، وهذا الطريق محصور في جنسين كل منهما يعتمدعلى أصلير (٥٠):

1 - الجنس الأول ويسمى دليل العناية ، أى العفاية بالإنسان حيث خلق الله لمنافع الإنسان جميع الموجودات من أرض وسماء ، وما فى الأرض من قبات وحيوان ومعادن وهواء ونار . الخ -

ويؤيد كلام ابن رشد قوله تعالى : دهو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعا منه ، البقرة ( ٢٩ ) وهذا الجنس يعتمد عند ابن رشد على أصلين :

أحدهما : أن جميع الموجودات موافقة لمنافع الإنسان، والعناية به •

وثانيهِما ؛ أن هذه ألمو افقة مقصودة قصداً لفاعل حكيم مختار . هو الله •

۲ الجنس الثانى ، وسماه ابن رشد دليل الاختراع ، ويدخل فيه خلق الحيو انات كلها ، وخلق النبات ، وخلق السموات والأرض وكل ما بينهما .
 وهذا الجنس يبنى ـ عنده ـ على أصلين كذلك :

أحدهما: أن هذه الموجودات عنزعة على غير مثالسابق. وهذا كايقول ابن رشد مفهوم فى نوعى النبات والحيوانات (ومنها الإنسان) لاننا نشاهه وجودها بعد عدمها بالتكرار .

أما السموات والأرض والأفلاك فنستدل ـ كما يقول ابن رشد على أنها مخترعة مخلوقة من قبل حركائها التي لانفتر ، فهى مأمورة بالعناية ، ومسخرة لنا .

<sup>(</sup>٣٥) الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة (٣٦) دار الآفاق الجديدة بيروت. (٤٥) لن نلتزم بحرفية كلام ابن رهد حناه بل سنتدخل، بحذف ما تدعو الحاجة إلى حذفه ، و بإضافة ما تدعوا لحاجه الى إضافته توخيا للإيجاز والإيضاح معا .

والأصل الثانى من أصلى دلالة الاختراع يقول فيه ابن رشد : فهو أن كل مخترع فله مخترع ـ ( اسم فاعل ) والأول ( اسم مفعول ) - من قبل غيره ضرورة ( يعنى لزوما ) عملا بقانون السببية .

هذا هو منهج العلامة ابن رشد (٥٥). وفى أهمية هذا المنهج يقول ابن رشد عالحرف الواحد : ولذلك كان واجبا على كل من أراد معرفة اقد حق معرفتة أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقى فى جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع . .

، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شى، » .

وكذلك أيضا من تتبع مهنى الحسكمة فى موجود ، أعنى معرفة السبب الذى من أجله خلق ، والغاية المقصودة به ،كان وقوفه على دليل العناية أنم . فهذان الدليلان هما دليلا الشرع ، .

ويعمم ابن رشد منهجه هذا ويدرج تحت مفهومه كل آيات الـكثاب العزيز الواردة في الإستدلال على الحقيقة الإلهية . يقول :

ورأما أن الآيات المنبهة على الآدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في السكتاب العريز هي منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة، فذلك بين لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العريز في هذا المعنى ه (٢٠).

وءند التمثيل على المنهج نوع العلامة ابن رشد ورود آيات الإستدلال على وجود الصافع العظيم ثلاثة أنواع:

ه آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية .

<sup>(</sup>٥٥) أنظر: الكشف عن الآدلة فى عقائد أهل الملة (٨٥٥٠) مرجع سبق ذكره. (٥٦) انفس المرجع (٦٦) .

- ه آيات تتضمن النفهيه على دلالة الاختراع .
- ه آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعاً .

وشهادة حق نقولها : إن العلامة ابن رشد كان موفقا في تأصيل هذا ألمنهج ، صادقا في فهم الكتاب العزيز ، حكما في التصور والعرض والتفدير.

### تمثيلات ابن رشد :

مثل ابن رشد بآیات من القرآن الکریم للانواع الفلاثة التی ذکرها ، نذکر منها ما یائی :

#### ه دلالة المناية:

أول ما مثل به على دلالة العناية الآيات الآتية :

و ألم نجمل الأرض مهادا. والجبال أوتادا. وخلفناكم أزواجا. وجملنا نوم كم سباتا . وجملنا الليل اباسا . وجملنا النهار معاشا . وبنينا فوة كم سبعا شداداً ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء نجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا ، النبأ ( ٦ ـ ١٦) .

أصاب ابن رشد بهذا النمثيل على دلالة العناية . لأن كل ما امتن الله به على حباده في هذه الآيات داخل في منافع العباد، ومن مظاهر عناية الله بهم، وإن شئت فقل : هذه المذكورات من لوازم تأثيث البيت السكبير الذي هو السكون ، وتهيئته للماش والراحة :

فالآرض بمهدة للزرع والحرث والسير ، ومثبته بالأثقال الموزعة على سطح الأرض توزيعا حمكيما بحيث تساوت كتل الجبال الى فى شرقالأرض بالتي فى غربها لتتعادل كفتا الميزان بدون اضطراب (٧٠)،

<sup>(</sup>٧٠) انظر الإسلام في عصر ألمام (٧٧٠) د / عجد أحمد النمراوى •

وجعل الانسان صنفين ( ووجين ) ليمكمل أحد الزوجين الآخر ، وفى النوم راحة وتجديد للقوى ، و الليل ظرف مناسب ( جداً ) للخلود للراحة وترك العمل وآية النهار مبصرة فهى مجال للسعى والكسب ، والسموات واقيات حافظات وهى « سقوف » البيت الكبير ، والشمس تمد الكون بالطاقة والضيا، والماء حياة الحياة . وفى الحب والنبات والزروع والحدائق ما لذ وطاب من ما كل شهى ، ومذاق هنى .

هذه المدكورات هي قطعا موجودات . وموجدها ـ لا محالة ـ هو الله فالله ـ إذن ـ موجود ، ووجوده أزلى أبدى لا يحتاج إلى موجد ولا معين وصنعته هذه صنعة بديعة فيها من الألطاف والعناية والإنعام ،الا يصدر إلا من دالله ، الحالق العظيم ، والوهاب الكريم .

## • دلالة الاختراع:

ومما مثل به لدلالة الإختراع قوله تمالى : د فلينظر الإنسان مما خلق ؟ . خلق من ماء دانق . يخرج من بين الصلب والترائب ، الطارق ( ٥ ـ ٧ ) .

وقف الله الإنسان على حقيقة خلقه ، ومبدأ تدكوينه . ومبدأ تدكوين الإنسان القريب هو الماء الدافق ، وله رافدان : صلب الرجل وتراثب الرأة هذا ماقرره القرآن منذ أكثر من أربعه عشر قرنا ، . ثم جاء العلم مطابقا لخبر الوحى ، فالإنسان لم تصفعه يد غير يد الله ، ولا قدرة غير قدرة الله . وذلك مظهر من مظاهر الإختراع الإلهى ، وكل مخترع مخلوق له مخترع وخالق ، فلكم هو ، الله ، فائلة \_ إذن \_ موجود ، والوجود الكو في الدائم دليل من أدلة وجوده ، والحقون لم أدلة وجوده ، والحقون له من أدلة وجوده ، والحقود ) من أدلة وجوده الغني عن كل القوى ،

## دلالة العناية ودلالة الإختراع:

الآيات النى تجمع بين دلالتي العناية والإختراع يقول ابن رشد عنها

أنها أكثر من آيات المناية وحــدها ، ومن آيات الاختراع وحدها ، ومــذا صــدق وصــواب . ومما مثل به للجمع بين الدلالتين قوله تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لمكم الأرض فراشا، والسياء بناه، وأنول من السياء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون، البقرة (٢٢٢١).

فالذى خلفكم والذين من قبله كم فيه دلالة 'ختراع ظاهرة وجمل الارض فراشا، والسياء بناء، وإنوال إلمهاء من السياء وإخراج الثمرات به للعباد فيه دلالة عناية واصحة فائله لم يخلق شيئًا عبثا، ولم يكن له في الحلق شريك ولاه مين وصنعته كلها حكمة وإبداع والكون دليل وجوده الأزلى الأبدى فلابد لهذا النظام البديم من خالق، ولا خالق له غير الله .

# ابن رشد يعقب :

وبعد إبراد هذه التمثيلات نرى ابن رشد يعقب فيقول:

د فقد بان من هذه أن الأدلة على وجودالصانع منحصرة في هذين الجنسين: دلالة العناية ، ودلالة الإختراع . وتبين أن هاتين الطريقتين هما علريقة المخواص ، وأعنى بالخواص العلماء . وطريقة الجمهور ، وإنما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل . أعنى أن الجموريقتصرون من مسرفة العناية والإختراع على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على الحس . وأما العلماء فيزيدين على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان ، (٥٠).

<sup>(</sup>٥٦) نفس المرجع (٦٣)

انتهى القول على منبح ابن رشد ، وقد وفقه الله فيه إلى كثير من الصواب أو إلى صواب يكاد يكون خالصا ، أقول يكاد يكون خالصا ؛ لأن ابن رشد جمل أدلة وجود الصانع دائله، محصورة فى دلالى الهناية والإختراع ولكننا مع إعجابنا بمنهجه وأفهمه له وتوظيفه للدلالة على الصانع الهظيم وتحليله للدلالتين ـ لا نجاريه على فكرة الحصر هذه . لأن المتأمل فى الآيات التى يطلق عليها الدعاة المهاصرون مصطلح (آيات الدعوة) وهى الواردة فى شأن الهقيدة ، وآيات الدلالة على وجود الصانع شعبة من شعب آيات الدعوة . المتأمل فى هذه الآيات تظهر له بوضوح أجناس أخرى غير الجنسين اللذين المتأمل فى هذه الآيات تظهر له بوضوح أجناس أخرى غير الجنسين اللذين ذكرهما ابن رشد ، وحصر الدلالة فيهما على الوجه الذي تقدم .

والعلامة ابن رشد بالضوابط الدقيقة الني وضعها لمنهجه أخرج أجناساً من دائرة الإستدلال على وجود والصائع، مبدوثة في آيات الكتاب العزير، وهي على طرف الثهام لمن يريد. وأكاد أجزم ـ مرة أخرى ـ أن الذي بقى بعد منهج ابن رشد من الدلالات القرآنية على وجود والصائع العظيم، أدخل في باب الإلزام للمشكرين من دلالئي العناية والإختراع اللتين حصر غيهما منهجه على الصورة الدقيقة التي رسمها فأحكم رسمها.

وها نحن أولاء دكشف \_ بدورنا \_ عن بعضها لاعن كلها توخيا للإبجاز والإبانة معاً . ومن الله نستمد العون ، ونستلهم الرشاد .

### دلالة التحدى والإعجاز والقهر :

هذه واحدة من الدلالات الني غفل عنها العلامة أبن رشد علما الله عنه وأثابه .

وضابط هذه الدلالة أن بين فى كنابه العزيز أن الحلق خاضعون له فى أمور كنيرة أرادع بها، فضت فيهم سنته ، ولم يستطع أحد من الحلق ـ كاثنا من كان ـ أن يرد قضاء قضاء الله فيه ولو استمان بكل الإنس ، وكل الجن .

وشواه هذه الدلالة في السكتاب المزيز كثيرة. ويحسن بنا أن نقف أمام ظاهرة عامة يستوى في الإيمان بها الملحدون والمؤمنون وهي ظاهرة.

### الموت :

إن هذه الظاهرة القاهرة حقيقة لا مراء فيها . وقانون إلهى ناهذ في كل حى . وسنة ربانية لاتدفعها قوة من قوى البشر . هى فى نفسها ظاهرة تحد وإعجاز وفى خناء أمرها ظاهرة تحدد وإعجاز وفى خناء أمرها ظاهرة تحدد وإعجاز . وهى قسيمة الحياة فى أنهما عمل خالص فله فعجز البشر وكل الخلق عن إيجاد الحياة فى شىء كعجزهم عن دفع الموت عن أراد الله به الموت . وقد ساق القرآن هذه الحقيقة فى صيغة قضية موجبة كلية على حد تعبير المناطقة . وذلك فى قوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت . . . . .

فهذا قضاء الله فى خلقه . وهو خبر . وجلال الخبر وكاله فى صدقه وإطراده فى أفرادة ، وشموله لمكل متعلقاته . وهو \_ أعنى هذا الخبر بالذات \_ لا يصدر إلا عمن بيده الآمر كله ، وكان أهلا للتنفيذ دون أن تعوق إرادته أية قوة مضادة .

وهذا القضاء المبرم القاهر النافذ ورد فى القرآن الكريم . والقرآن كلام القه رب العالمين . والخبر صادق كل الصدق ، لأننا لم نرحيا خالدا بل فى كل يوم ، وفى كل ساعه نرى كأس الموت يحتسى . وأعناق الآحياء تتساقط ، وأجسادهم إلى التراب تعرد .

فأين ماركس؟ وأين إنجلز؟ وأين لينين؟ وأين ستا اين؟ وأين وأين إلى ماشاء الله؟ لقد رمت أجسادهم وبليت عظامهم وضلوا فى الأرض ربثها يبعثون و يحاسبون . أجل: كل نفس \_ هكذا بالسور السكلى الحاصر \_ ذائقة الموت . إنها سنة الله فى خلفه وان تجـد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا . إلا إننا نهيب بالملحدين \_ جميعا \_ ليجتمعوا فى صعيد واحد ويجمعوا كل قواهم وشياطينهم ليدفعوا الموت عن نفس حان أجلها . ولو كانت تلك النفس ذبابة أو فيلا ، فهل ه \_ ياترى \_ قادرون أم هم عاجزون ؟ ا

إن الجواب معلوم . إلا فليعلموا أن صافع الحياةهو صافع الموت فليقروا به إن أرادوا لانفسهم خيراً وإن عائدوا فَالحَجة قائمة عليهم. وهذا دليلها :

الله الذي أجرى سيف الموت فحز الرقاب هو الذي خلق الحياة في كل حى وهو \_ وحده \_ خالق المادة ومسخرها والمتصرف فيها وفى من عليها وما عليها . فهل \_ بعد هــــذا الدليل \_ يا أثمة الإلحاد \_ أنتم ما تزالون هكذا ملحدين ؟!

إن الله هو صانع الحياة وليس غيره . وإن الله هو صانع الموت وليس غيره فن ينكر وجود هذا الصانع . فليمد من مات إلى الحياة، وليدفع الموت كل حى . أو بعبارة أكثر إعجازا : عليه ـ ليسكون صادقا في دعواه ـ أن عن يميت الموت ١٤ .

## مظاهر التحدى والإعجاز والقهر فى آيات أخرى:

- ه ، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين، آل عمران (١٦٨).
- ه ﴿ أَيْنِهَا مُدَكُونُوا يَدُرُكُمُ الْمُوتَ ، ولو كَنْتُم فَى بروج مشهدة ، النساء (٧٨).
  - ه 2 قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت ...، الأحراب (١٦).
  - الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا . . ، الملك (٢) .
    - « د قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيه كم . . . ، الجممة (A) .
- « نحن قدر فا بينكم الموت و الحياة وما نحن بمسبوقين ، الواقعة ( ٠ ٩ ) .
  - \* إنك ميت ، وإنهم ميتون . .

### هذه الآيات لها دلالتان:

إحداهما: أن الموت خلقه الله فهو من أمره ، كما خلق الله الحياة ولم يمط سرها لمخلوق . وقل الروح من أمر ربي .

والثانية: أن الموت قضاء ميرم لاينجو منه أحد، ولوكان نبيا إدرسولا إنسانا وغير إنسان .

# الموت لايدفع:

وفي آيات أخر يقرر الجليل إعجازا آخر فى ظاهرة الموت غير لإبرام وغير الشمول . فالموت حين يجىء الأجل فهو واقع لامحالة ، ولا قوة لأحد تدفعه كلية أو ترجئه إلى حين . والآيات التي قررت هـذا التحدى والإعجاز منها قوله تعالى :

ه . و لن يؤخر الله نفساً إذا جا. أجلها ، والله خبير بما تعملون، (٥٧) .

ه . حتى إذا جا. أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون ، ((٩٥) .

## صورة تحد وإعجاز مباشر :

وترد صورة فيها تحد ظاهر ، وإعجاز مباشر للخلق أن يدفعوا عن النفس المهوت ساعة احتضارها .

« فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حيثة تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم واسكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجه ونها إن كنتم صادتين، الواقعة ( ۸۳ – ۸۷ ) .

هذه صورة لنفس حضرتها الوفاة فبلغت الروح الحلقوم . والناسحولها

<sup>(</sup>۷۰) المنافقون (۱۱) •

<sup>(</sup> ٨٥) الأنعام (٢٦) ·

جالسون، والعيون تنظر. والحيلة عاجزة، وأمر الله نافذ والملائد كلاحضور يباشرون عملهم المدكافين به فى صمت رهيب . وجد لا يعرف التوانى . وهم أقرب شىء إلى النفس ولكن أحداً لا يبصر وإن كان ينظر إفى هذه الساعة الحرجة الجاق يتحدى الله الناس جميما . ويتحدى الملحدين خاصة فيقول لهم : إن زعمتم أن ليس لم رب خلقه هم وأنتم مقهورون له فأمامكم هذة التجربة الصعبة : أرجعوا الروح التي نخرجها إلى مكامها من الجسد الذي خلا منها . ووزعرها فيه مكاكما نفو ورعناها من قبل ملاحدين المحلفة الإيمان ووزعرها فيه مكاكما تستطيعوا من قبل ولن تستطيعوا من أدلة الإيمان الحجمة فلا تلوموا إلا أنفسكم .

ونحن نتوجه بهذا المتحدى والإعجاز القاهر لأثمة الإلحاد فى كل عصر ومصر، ونقول بمل أفواهنا هذا دليل من أدلة الإيمان يثبت صدق عقيدتنا أن الله موجود، وأنه هو خالق المادة والسكون و المتصرف فى المادة والسكون. وخالق الاسباب و المسبات ، بوجوده نفسر كل حقائق الوجود، و وجوده هو غنى عن كل تفسير .

# الأمم كالأفراد:

وللأمم والجماعات أجل محتوم كمآجال الأفراد ، إذا جاء لايرد ولايدفع ولا تنفع فيها الشفاعات والحيل :

د لـكل أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون، يونس (٤٩).

 أم هو سقوط الأمم وتدهورها كما تسقط الأ،م ذات الحضماران وتموت معها حضارتها ؟ العلم لله وحده . ولكن موطن العبرة .. هنا .. أن لكل أمة أجلامضروبا معلوما العلام الغيوب فإذا جاء الأجل نفذ بكل دقة فلا يتأخر لحظة من الزمن ، ولا يتقدم لحظة ، وصدق الشاعر الذي قال :

والمنايا رصد الفتى حيث سلك كل شيء هالك حين تلقى أجلك

والخلاصة : أن من أدلة وجود الصائع العظيم (الله) أن الإحياء والإماتة من اختصاص الإرادة والقدرة الإلهية . فإذا أراد الله حياة نفس فلاتستطيع قدوة مهما بلغت أن تسلب تلك النفس الحياة ، دوما كان لنفس أن تهوت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ، وإذا أراد الله إماتة نفس حية فان تستطيع توة مهما كانت أن تدفع عنها الموت : دوان يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، ، .

فن نازع فى وجود «الصائع العظيم» فليعطل هذا القانون الإلهي. وما هو يفاعل. فسبحانك ربنا فأنت كم قال رسولك الأمين صلى الله عليه وسلم:

د ماض فينا قضاؤك، عدل فينا حكمك، يا أحكم الحاكمين. لا ينفمك إيمان مؤمن ، ولايضرك إلحاد ملحد؛ لأنك أنت الله ذو الجلال والجمال والبكال والسلطان، وإن الله بالغ أمره قد جعل الله لمكل شيء قدرا،

وقل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك بمن تشاء، وتضر من تشاء، وتضر من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الحير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار وتولج الحيى من الميت، وتحرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب، •

### دلالة النظام والإطراد:

هدنه الدلالة ، دلالة النظام البديع ، والإطراد المحكم من الدلالات التي لم يتنبه لها الملامة ابن رشد. ونعني بها : أن نقه نظاما ،طرداً في الكون ومن فيه ، وما فيه .

هذا النظام يجرى بوضوح حسب الإرادة الإلهيمة. ولا توجد توة فى الأرض تعوق هذا النظام أو تعطله أو تبدله. وفى القرآن السكريم آيات لفتت الأنظار إلى هذا النظام، واتخذت منه دليلا تويا على وجدود الله وتفرده بالمكال. وسمو إرادته فوق كل الإرادات، وقدرته فوق كل القدرات. وعلمه فوق كل العلوم.

وتجىء فى سياق الكلام آيات فيها توقيف وتحد ـ كذلك ـ بأن هذا النظام المحكم البديع المطرد ماض حسب إرادة الله قاهر غير مقهور. وفيها يلى البيان : سبحان الذى خلق الازواج كلها بما تنبت الارض ، ومن أنفسهم ، ومما لا يعلمون . وآية طم الأيل نساخ منه النها فإذا هم مظلمون . والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سما بق النهار ، وكل فى فلك يسبحون ، (٥٩)

تشير هذه الآيات إلى النظام البديع المحمكم المطرد في مجالين جليلين : أولها : مصادر الخلق والإيجاد المتكرر من نبات وحيوان وغيرهما .

وثانيهما : حركة الأفلاك العظمى الومية وما يترتب عليهـا من آيات كونية مدهشة .

فعادر الخلق محصورة فى ثلاثة : إنبات الأرض، وتوالد الإنسان ومصدر ثالث لا يملمه الناس ويعلمه الخالق سبحانه . وقد يرد هندا

<sup>(</sup>۹۹) یس (۹۹ – ۲۱)

سؤال مؤداه أن هناك مصدراً رابعا للخلق أغفلته الآية الأولى وهو خلق الحيوان من دواب وزواحف وطير. والجواب: أن هذه الأنواع داخلة في د مها تنبت الأرض، والإنسان ـ بدوره ـ كذلك، ولكن الحالق ميره وفضله عن المخلوقات الدنيا.

فهذا هو نظام الخلق والتكوين والإيجاد، ايس له إلا خالق واحد، ويد مبدعة واحدة . هو الله الذي أحسن كل شيء خلقيه . فهل في مقدور أحد أن يعيل هذا النظام . فليدع الماد ون مادتهم . وليركموا في محرابها ويتوسلوا إليها أن تحدث تغييرا في دذا النظام . ولينظروا عماءها إن كان لها عطاء و تأثيرها إن كان لها تأثير ؟! وليبحثوا عن القبعة السوداء التي لا وجود لها في غرفتهم المظلمة . ؟!

# حركة الأفلاك:

أما حركة الأفلاك العظمى اليومية فعجب عاجب، وإعجاز دائم. فاليل والنهار يتعاقبان فى نظام بديع حقا كأن الليل يطلب النهار، وكأن النهار يطلب الليل طلبا حثيثا فى كليهما، وأحيانا يتاول الليل على النهار باقتطاع جزء منه ، كا يطول النهار - أحيانا أخرى - على الليل باقتطاع جزء منه ، وهـنا الاقتطاع أو قل التداخل المسمى فى المكتاب العزيز بالإيلاج متساو تماما وبكل دقة . كأن أحدهما يقترض من الآخر ، جزءاً ، فى زمن ، ثم يرده موزونا بموازين و الذرة ، فى زمن مائل تماما از من الاقتراض ، ويتساوان الليل والنهار - فى يو مين المنين على مدى العام كله - أحدهما فى الاعتدال الربيعي والآخر فى الاعتدال الحريق وهذا ناشى و عن أوضاع حركة والفلك ، الدائبة التى قدرها العزيز العلم، والشمس تجرى لمستقر لها لا يعلمه والمائد ، والقمر مقدر منازل تقديراً حكيا فهو يسير فى مداره وبحراه من يوم خلقه الله دون اختلال وعفوى ، أو توقف ،

هذه الأفلاك العظمي تسبح في الفضاء في مسافات وأبعاد مقدرة تقديراً

حكيها حتى لا يحدث بينها اصطدام فتقع كوارث لا عهد للناس بها .. وليست الشمس والقمر هما وحدهما يسبحان ف الفضاء الكونى الهائل بل تسبح بجو ارهما بلا بن الكواكب والنجوم كل فى مداره الحناص به، محكومة بقدرة الله و تدبيرة درن احتياج إلى حركة تنظيم أو آداب وقواعد مرور . ولكنها تسبح حمكذا في يسر وسبولة واتزان دون أن يعوق حركانها شيء : . وصنع الله الذي أتقن كل شيء . . . . . .

هذا النظام البديعواحد من الأدلة لاعلى وجود والصانع العظيم الحسب ولكن على وجوده وكال قدرته و لميغ حكمته وتفرده بالسلطان الذي ليس فوقه سلطان . فليدع عبيد المادة الجمادية مادتهم ؟ ولينظروا هل تجييهم إذ يدعون؟ أو هل تسمعهم إذ ينادون والحد لله الذي خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور . ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، .

# الساعة الكونية:

وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، والتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلغاه تفصيلا ، الإسراء (١٢) .

جعل الله الليل والنهار آيتين هو أس النظام الكونى فى أجلى مظاهره فهما ـ الليل والنهار ـ آيتان عظيمتان خالدتان ما خلدت الحياة ، وناشئان عن عمل صخم لا فاعل له سوى العلى القدير ، فدوران الأرض حول نفسها دون أن يشعر أحد باختلال أو اضطراب فى سكونها وقرارها يترتب عليه آيتا الليل والنهار ، ودورانها حول الشمس ينشأ عنه الفصول الاربعة المعروفة ، ولو ظلت الارض جامدة لا تتحرك لتوقف تعاقب الليل والنهار ، ولمسا استطاعت قوى البشر جميعا أن تحركها، ولتوقفت الحياة على ظهرها . فالناس ينامون والفلك يتحرك ، ولا تأثير لهم ناموا وعملون والفلك يتحرك ، ولا تأثير لهم ناموا وعملوا فى إدارة الأفلاك بل ذلك نظام الذي بهده ملسكوت كل شيء . ولكل

من آیتی اللیل والنهار خاصة ووظیفة خاصة اللیل هی الإظلام المعبر عنده فی الیکتاب العزیز به ، المحو ، لان الرؤیة تختنی باللیل فکان الاشیاء التی کافت تری نهاراً قد ، محیت ، فهی لا وجود لها کا یمحو الکاتب أسطراً کان قد کتبها .

ووظيفة الليل الراحة والجمام والسكون. وما أحوج الخلق إلى الراحة والجمام؟ اوخاصة النهار، الإبصار، ووظيفته النشاط والعمل والضرب فى الأرض وما أحوج الناس إلى العمل عد الراحة. والسعى بعد الكلال؟!

إن للكون ساعة تدق بقدوم الليل غيركن الناس إلى الراحة ، وتدقرة أخرى بقدوم النهار فينشط الناس للعمل •

وهذه الساعة تعلم الناس الحمداب ليعرفوا المواعيد المناسبة لبكل شيء ويحسبوا الأعمار، ويضبطوا المعاملات ومواسم الحرث والحصد، وفي هذه الساعة السكونية مؤشران هائلان: الصمس والقمر، بالإضافة إلى مؤشرات د ثانوية، دقيقة تضبط بها مواعيد أخرى لمن احتاج إليها، وعمل المؤشرين الهائلين موزع توزيعا دقيقا و محكما ورائما، أنهما يتعاونان في ألفة وإحكام لتحديد الآيام والشهور والسنين، وإليك البيان:

### وظيفتا الشمس والقمر :

فالقدر يحدد بدأية الشهر ونهايته . والشمس تحدد بدأية اليوم ونهايته كا تحدد بدأية النهار (الوقت المضيد فحسب) ونهايته ، وتحدد بدأية الليل (الوقت المظلم فحسب) ونهايته ، والقدر تحسب به السنين (الحونية) والشمس تعين الجهات الأربع ، فهي تظهر من داشرق ، ، وتفيب في دافرب والواقف تجاه شروق الشمس يكون ، الجنوب ، عن يمينه ، دوالشمال ، عن ديساره ، والواقف تجاه الفروب يكون دالفرب ، أمامه ، و دالشرق ، خلفه ، و دالجنوب ، عن يساره ، و دالشمال ، عن يمينه ، وبتحديد الجهات خلفه ، و دالاحمات عن يمينه ، وبتحديد الجهات الأربع ، الفرعية ، وهي : الجنوب الإربع ، الفرعية ، وهي : الجنوب

الشرق، والشمال الشرق، والجنوب الغربي، والجنوب الشرق. كما تحدد الفصول السنوية الأربعة بدوران الأرض حول الشمس . وبحركة الأرض حول الشمس . وبحركة الأرض حول نفسها تعرف مواقيت العبادات اليومية فالفجر يبدأ بسطوع عمود النور البساكر المؤذن بشروق الشمس . والظهر حين ينعدم ، الظل ، وقد توسطت الشمس كبد السماء . والعصر إذا بلغ ظل كل شيء مثله ، و بغروب قرص الشمس يكون المغرب وباختفاء الشفق الأحمر يكون العشاء .

وبالقمر تتحدد المبادات السنوية من حج وصيام كما تستمين النساء عن طريق حركته الدائبة ضبط بعض الأحوال الحناصة بهن (العادات الشهرية) والسنة القمرية معدودة بأيام لا تزيد ولاتنقص ، وشهورها تتراوح بين حد أعلى وثلاثون يوما ، وحد أدنى و تسعة وعشرون يوما ، وليس في الأشهر القمرية شهر كامل دائما ، ولا شهر ناقص دائما ، فقد يكمل شهر في سسنة وينقص في سنة ثانية .

وهكذا تتناوب الآشهر القمرية الإثنا عشر المكال والنقص . وهدف طواهم تحدث بعيدا عن تدخل د الخلق ، وتدبيرهم وتقديرهم . إنها تدبير العليم . وهذا النظام المحسكم البديع لم يتخلف وان يتخلف . وهذه الساعة السكونية الكبرى لم يصبها عطل ولا فساد منذ خلق الله السموات والارض ، ولا هي محتاجة إلى د صيانة ، ولا قطع غيار ولا إشراف مهندسين ولا رقابة خيراه ؛ لانها د صنع الله الدى أتقن كل شيء، والذي د أحسن كل شيء خلقه، د سبحانه في علاه د بديع السموات والارض ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيسكون .

والمؤشرات دالثانوية، من النجوم ، مثل سهيل ، والنجم القطبي علامات واضحة تهتدى بها قو أفل التجارة فى البر، والسفن والبواخر فى البحر ، ومنها ما يعرف به بدء الفصول ونهايتها . أليس وراء هذا النظام البديع المحدكم يد مبدعة وصافع حكيم ليس كمثله شيء ١٤

### مراحل الإنسان وتنشئه ومصيره:

به هو الذي خلفكم من تراب، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم يخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخا ، ومذكم من يتوفى من قبل، ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ، هو الذي يحيى ويميت فإذا قضى أمرآ فإنما يقول له كن فيكون ، .

وهذا نظام خلق الإنسان وتنشئنه ومصيره. فحلقه على مراحل: المرحلة الترابية، والمرحلة النطفية. والمرحلة العلقية، ثم التدرج فى الطفولة حتى بلوغ الأشد، ثم مرحلة الشيخوخة بيد أن بعضا تعاجلد المنية فى مرحلة مبكرة من العمر . ولسكن مع هذا التفاوت فى الأعمار فإن لمكل منا أجلا مسمى هو بالغه . ومن يتأمل هذا النظام يعلم أن وراءه إرادة حكيمة ، وتدرة فائقة . وراء هذه القدرة وتلك الإرادة قادر مريد هو دالله ، جل فى علاه .

و القد خلفنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جمله ه نطفة فى قرار مكين . ثم خلفنا النطفة علقهة . فخلفنا العلقة مضغة . فخلفنا المعظم علما . فكسو نا العظام لحما . ثم أنشأناه خلفا آخر فتبارك الله أحسن الخالفين . .

ذلكم هو الإنسان صنع الله . فكيف يرتاب إنسان في وجود صائمه ؟ . أم خلقوا من غير شيء أم هم الحالقون ، ؟ . لا هذا ولا ذك . فهم لم يخلقوا من غير شيء ولم يخلقوا أنفسهم . وهم عقلاء كملة . بل خلقهم الله ، فكيف يقال : إن المادة الجمادية هي الحالقة . لو جاز أن يصدر خلق عن غير الله لحكال الإنسان وهو أرقى وأكل من المادة والنبات والحيوان، هو المخالق . والإنسان مقر بأنه (مخلوق) وليس له خالق إلا الله . ولكن الإنسان أسلموا قيادهم للشيطان فأضامم وأفسد بالهم

« خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين · ·

### لا تبديل لسنة الله:

هدذا النظام لبديد المحكم ، والإطراد المدهش دليل على وحددة الصانع جل وعلا وإذا تعلقت إرادة الله بوقف هدذا النظام (الكونى) عجزت كل القوى عندد إعادته أو تبديله ، وفي ذلك يقول الحق سيجانه و تعالى ، موقفا عباده على سعة سلطانه ، وبلوغ أمره ، ونفاذ ما يريد ؛

(قل أريتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة ، من إله غير الله يأتيكم بايل تسكنون فيه ؟ أفلا تبصرون) .

إن إرادة الله وقدرته الذي أبدع هـذا النظام وأحكمه . وجمل تعاقب الليل والنهار سنة محكمة ، لهما صلاحية أخرى تتحقن ـ إذ أراد ـ يجعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة . وإذا أراد ذلك كان وليس في مكنة أحد ـ غير الله ـ أن يعيد تعافب الليل و "نهيار . لانه لا يستطيع ذلك إلا . إله ، ولا إله الا الله .

وإذا أراد جمل النهار سرمدا إلى يوم القيامة ، فلا يستطيع أحد غير الله أن يميد تماقب الليــــل والنهار ، لأنه لا إله إلا الله ( إنه يبدؤا الخلق ثم يميده ،

### بطلان الصدفة:

فالله ـ سبحانه ـ موجود ـ وهده حقيقة الحقائق ــ ؟ لأن هذا السكون لابد له من خالق ، ولا يصلح له خالق إلا الله ، ومحال عقلاً وعلما وواقعا أن يكون هذا الـكون العجيب الدقيق الصنع قد ( وحد ) من لاشيء ، لأن (لاشيء ) لاينتج شيئاً وليس هو قــد خلق نفسه فهذا باطل عقلا وعلما وواقعا . ولاخلقته الصدفة ؟ لأن الصدفة بفرض التسليم بها تجرى بين أشياء

موجودة. والمشكلة مدا ـ لانتعلق بالنظام والتنسبق بين أشياء عملت فيها (الصدفة) وإنما المشكلة هي مشكله الحلق والإيجاد نفسه. ولا عمل للصدفة في الإيجاد بل هي تعمل ، وفي نطاق ضيق جدا ، في أشياء سبق وجودها قبل عمل الصدفة نفسها فمثلا قد تتكون كله ة من حروف طباعة مثل (ولد) إذا تناثرت الحروف من يد تحملها ، فالصدفة هنا عملت في أشياء موجودة، وهي حروف الطباعة ولكنها هي ـ الصدفة ـ لم تصنع أشكال حروف الطباعة ، ولا المادة التي شكلت منها .

ومع هذا فإن الصدفة تستحيل عقلا إذا زعم زاعم أنكتابا يقع في ١٠٠ صفحة مثلا وبه ثلاثون ألف كلمة قدد صنعته الصدفة ، وللإستحالة العقلية هنا أسياب :

أحدها: إن الصدفة لا ننشى. مادة وإنما يمكن أن يقع تنظيم ضئيل منها لشكل مادى . مثل تجمع الحروف: الواو ، واللام، والدال في المثالالسابق.

وثانيهما : أن العلماء ـ بعد الدرس والتجربة والسبر وضعوا قانو تا الصدفة قالوا فيه ( إن حظ المصادفة من الاعتبار (النجاح) يزداد وينقص بنسبة معكونتة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المتزاحة) .

أى كلما قل عدد الأشياء المتكافئة المتزاحة ازداد حظ المصادفة من النجاح وكلما زاد عددها قل حظما من النجاح .

و تطبيق هذا القانون ألك إذا رأيت حجرين \_ مثلا \_ أحدهما فوق الآخر كانهما بناء لانستبعد أن المصادفة \_ بمعونة عامل آخر كالريح ، أو سقوط أحد الحجرين من عل ـ قد أحدثت هذا الشكل لفلة الزاحم فيه .

أما حين تمر على حجرة مكونة من أربعة جدران ولها باب نافذ و فتحات التمرير الهواء فإن العقدل يستبعد ـ بكل قوة - عمل الصدفة لمكثرة الآشياء المتزاحمة ولا بد أن يسلم العقل بوجود صانع مريد وراء هدذا البناء قد أقامه لقصد أراده .

وماذا تكون الحجرة أمام هذا الكون العظيم الهائل ذى النظام البديع الذى لم يحط به علم الإنسان حتى مع تقدم البحوث والعلوم وأنهم كلما ازدادوا علما بعض أسراره ازدادوا جهلا و تبين لهم أن ما ظهر لهم منه لا يساوى شيئا مما لم يظهر . وأن هذا الموقف قد فتح طم أبو اب الإيمان بالخالق العظيم على مصاريعها يقول آنشتين صاحب فانون النسبية وقد عمل فيه هذا المكشف العلمي عمله قال : (إن أجمل هزة نفسية تشعر بها هي تلك الهزة التي أعرونا عندما نقف عتبة الحفاء من باب الغيب ؛ إنها النواة لمعرفة الحق في كل فن وعلم وإنه لميت ذلك الذي يمكون غريباً عن هذا الشعور فيعيش مستغلقا رعبا من غير أن يحد روعه الشعجب إلى نفسه سبيلا . إن جوهرالشعورالديني في صميمه هدو أن نعلم بأن ذلك الذي لا سبيل إلى معرفة كنه ذاته (الله) موجود حقاً . ويتجلى باسمي آيات الحكمة وأبهي أنوارالجمال التي لا تستطيع ملمكانها المقلية المسكينة أن تدرك منها إلا بسورها (الظاهرة) دون الدقائق في الأعماق) .

أجل: ما أصدق هذا البكلام وما أحلاه . ولا نملك أمامه إلا أن نتلو قول الحق تبارك وتعدالى : « سنريهم آيا تنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، .

## ثالث الفروض:

واتى فرض الله يدعيه الماديون فى أصل الحياة ، بعد فرضيهم السابقين م إن المادة هي الخالقة ..؟!

ه إن المسادنة مي الحالقة . . ؟!

ويقولون في الثالث: إن ذرات المادة قد تجمعت من تلفاء تفسيها فنشداً عنها هذا الكون وبدأت حركة الحياة ؟!

وهذا الفرض باطلكا بطلسا بقاهلان القائلين به عاصرون بهذا السؤال؟

ومن الذي خلق الذرات وأوجدها . ؟ ! ولهذا السؤال شق ثان هو : ومن الذي منحها الحركة فتجمعت فكان الكون . ؟ !

فإن قالوا: خلقت نفسها رددنا نولهم هذا إلى قولهم الآول: المادة هي الحالة و لفضنا هما مما بكفن واحد، ولحدناهما في لحد واحد.

و إن صمتوا ولم يحييوا فقد لزمتهم الحجة ، وباءوا ـ وهم دائما باءون ـ بالخسر ان .

تلك هى مقولة الكفر والإلحاد بكل صورهاند ثبت بطلانها من كل جهة لها اختصاص بالصحة والبطلان . ثبت بطلانها بحكم العقل، وثبت بطلانها بشهادة العلم ، وثبت بطلانها بدلالات الواقع . فأى سسند بق للماديين والعلمانيين والشيوعيين ؟ 1 إنهم حزب الشيطان ملمونين أينها وجدوا .

د قل من رب السموات والأرض؟ قل الله . قل أفاتخذتم من دونه أو ايا . لا يملكون لا نفسهم نفعا ولا ضرا . قل هل يستوى الاعمى والبصير؟ أم هل تستوى الظلمات، والندور؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فنشابه الحلق عليهم؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ، .

ولقد زرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس . لهم قلوب لايفقهون بها ،
 ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمهون بها . أولئك كالأنعام بل
 همأضل ، أولئك هم الفافلون ، .

د إن شر الدواب عند اقد الصم البكم الذين لا يعقلون ، ولو علم اقه فيهم خيرًا لا سمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ، .

## النظر في ملكوت السهاوات والأرض:

فى مو اجهتنا لدعوى الشيوعيين إنكار وجود الصائع العظيم ، قدمنا منهج الهلامة ابن رشد . وألحقنا به منهجين وهما : دلالة التحدى والإعجاز والقهر . ودلالة النظام البديع والإطراد المحكم، وكان منهج العلامة ابن رشد قائما على دلالة العناية ثم دلالة لإختراع . وهذه الدلالات الأربع بحالها (الكون العظيم) الذي سنحه (العسانع العظيم) ؛ لأن الكون كتاب مقروء ليكل ذي عقل وفكر ونظر والواقع أن دلائل الإيمان والتوحيد فى الكون لا تقع تحت حصر مطلقا فهى يدرك بعضها ولا قدرك كلها . وهذه قاعدة قد توصل اليها كل العقلاء.

أولهما : النظر في ملـكوت السموات والأرض .

والثانية . النظر فى خلق الإنسان . وفى كلتا القائمتين سنتوخى الإيجاز الشديد نظراً لتشعب البحت فيهما . فهلم بنا ومن الله التوفيق ·

# الكون موضوع التأمل:

بقول الحق تبارك وتعالى : ٠

(أولم ينظروا فيملمكوتالسموات والارض،وماخلقالله منشيء٠٠٠).

الغظر – هذا – هو التفكر والتأمل والإعتباق، وملكوت: أى ملك. ويدت فيه الواو والتاء اللدلالة على عظمته وضخامته. والسموات والارض المضاف إليهما (ملكوت) هما موضوع النظر والتدبر. وماخلق الله من شيء: كل مخلوقات الله التي تقع تحت الحس والإدراك؛ لأن دلائل الإيمان بالله و توحيده مأخوذة من هذا الصنع المدهش العظيم. بكل مظاهره.

## لماذا الحياة على الأرض ؟:

الأرض هي أحد الكواكب السيارة: وقد جعلها الله سيمله وحكمته و وتدبيره مسرحا صالحا لحياتنا دون الكواكب الأخرى وهي مرتبة حسب بعدها وقربها من الشمس:

عطارد، الزهرة ، المريخ ، المشترى . زحل ، أورانوس ، تبتون ، ثم بلو تو .

لقد توصل العلماء إلى الأسباب التي جعلت هذه الكواكب غير صالحه طلحياة كا توصّلوا للمزايا التي احتصت بها الأرض فكانت مسرحاصا لحالجا تنا زروعا وحبوانا وبشرا.

وجملة الاسباب التي صارت بها السكواكب الاخرى غير صالحة للحياة عكن إبجازها إجمالا في :

ه قرب الكواكب من الشمس أو بعده عنها ، فقريها يتسبب عنه ارتفاع فى درجة الحرارة لا تطاق معه حياة ، و بعدها يتسبب عنسه برودة تدمر ، كل حياة .

ه خلو هذه الكواكب من عناصر أخرى لازمة للحياة . وقيما يأتى موجز عن أسباب عدم الصلاحية للحياة لكل كوكب على حدة .

#### عطارد:

هو أكبر الكواكب حجماوه وغيرصالح للحياة ، لانه أقرب الكواكب إلى الشمس ، فالمسافة بينه وبينها ٥٨ مليون ك ــ م ويومه ٥٩ يوما من أيام الآرض وسنته ٨٨يوما لسرعة دون انه حول الشمس وطول اليوم ممل جدا كما ترى ويتسبب عنه إحراق الوروع وصهر المعادن وإمانة الآحياء الهول يومه وارتفاع درجة الحرارة فيه لقربه من الشمس وأحد وجهى عطارد مواجه للشمس دائما فهو مشمس على الدوام والوجه الثاني لا يرى الشمس

دائما فهو زمهرير شديد . وليس فيه هوا، ولا ماء وجاذبيته صحيفة ( نصف جاذبية الارض ) لذلك كان غيرصالح للحياة ونظام الفصول فيه قصير لايساعد على الإنبات والنصب . [ الفصل إثنان وعشرون يوما ] ؟

### الزهرة:

هي أقرب إلى الشمس من الأرض إذ تبلغ المسافة بينها وبين الشمس ١٠٨ ملايين ك ـ مترات . وسنتها مثل يومها ( ٣٢٠ ) يومامن أيام الأرض . أحد وجهيها مواجه المشمس دائما وحرارته ، درجة مثوبة ، والوجه الثاني لايرى الشمس قط وحرارته ، درجة تحت الهيفي ، ولاجواء فيها ولاماء ، فلا يصلح واحد من وجهيها اللحياة .

وبعد الزهرة تمانئ الأرض وسـنيأتي الحديث عنها في موضعه . أما الذي بعدها فهو .

# المريخ:

يوم المريخ مثل يوم الأرض ( ٢٤ ساحة ) بيد أن السنة تزيد على سبئة الأرض المبنيف تقريباً = ( ٢٨٧ ) يوما من أيام الأرض . ويبعد عن الشمس بمقدار ٢٢٨ مليون ك ـ م وحرارته نهادا بهنم درجات فوق الصفر أما ليلا فتبلغ ٧٠ درجة تحت الصفر ( ١٤ ) وجاذبيته ثلث جاذبية الأرض ويرجح العلماء خلوه من الهواء وعدم صلاحيته للحياة .

### المشترى:

يبعد عبر الشمس ٧٧٨ مليون ك - م وسنته ١٧ ساعة ، ويوجه عشر ساعات إلا عشر دقائق ( ٩ س و ، ه ق ) وهو بارد جدا إذ تبلغ درجمة سرارته ١٣٠ درجة تحت الصفر (١٤) وجاذبيته ربع جاذبية الأرض ويرى العلماء أنه غير صالح للحياة ، وهذا يديه جدا .

#### **زح**ـل :

بعده عن الشمس ١٤٣٧ مليون ك -- م وسنته طويلة جدا ( ٢٩ م) من سنى الآرض ويومه قصير ( ١٠ س و ١٤ ق ) وهو شديد البرودة إذ يصل إليه جزء من ٩٠ جزءا من حرارة الآرض ـ والمرجح أنه لأحياة فيه .

# أورانوس:

ويبعد عن الشمس بمقدار ۲۸۷۰ مليون ك ــ م وسنته أطِول من سنة رحل ( ٨٤ ) سنة من سنى الأرض ( ١٤ ) ويومه ( ١٠ س و ٤٩ ق ) ١٢

### نېتون:

بعده عن الشمس : ٤٤٩٧ مليون ك ــ م . وسنته متناهية في الطول إذ تبلغ ١٦٥ سنة من سنى الأرض ؟ أما يومه فمثل أيام الأرض صيفا (١٥ساعة و ٤٨ دقيقة ) . فكيف يكون صالحا لحياة ؟ 1

### ې**لو** تو :

أبعد السكو أكب عن الشمس: ١٠٥٥ ملايين له ســ مُترات . وسُنتَهُ أَطُولُ سنى السكو أكب إذ تبلغ ♦ ٢٤٨ سنة من سنى الأرض؟! أنما يُومه فيبلُغ ♦ ٣ سنة أيام ونصف يوم من أيام الأرض .

طده الأسباب مجتمعة لم تكن هذه الكواكب صالحة لحياة زرع ولا سعيوان ولا إنسان. ولهذه الاسباب أهبط الله آدم وزوجه من الجنة إلي الارض، ولم يهبطه إلى كوكب آخر وإلا لما عاش آدم ولا جواء ساعة واحدة. ولما كذا نحن شيئًا يذكر على الإطلاق. والآن نستطيع أن نفهم سر تخصيص الارض دون غيرها من الكواكب في الامر الإلهى الحسكم حين فال لآذم و خواء وإبليس الم

• قلنا الهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو . ولـكم في الآرض مستقر ومتاع إلى حين . .

لقد هيأ الله الارض للحياة ، وأعدها للراحة وأودع فيها ما هو لازم. لحفظ الحياة واليمو والإستمرار ، واللفظ القرآني ، مستقر ، يوحى بمان ، كثيرة ومزايا عظيمة خص الله العليم الحسكيم الارض بهاكما قال سيحانه :

د قل أتنسكم لتسكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعه قام سواء للسائلين ، وما أكثر ما وصف الله الأرض بالقرار والمهد والخبر والبركة . ويجيء الآن هذا السؤال : ما هي المزايا والصفات التي خص الله بها الأرض فصارت صالحة للحياة الطبيعية التي تحياها فيها؟

# مزايا الارض وصفائها الطبية :

للإجابة على هذا السؤال صورتان:

إحداهما موجرة كل الإيجاز .

وثانيتهما مفصلة بعض التفضيل. في الموجزة نقيول إز

إن الله تبارك اسمه أبعد عن الأرض كل الصعوبات المنافية لقيام الحياة. واستمرارها بما قد وقفنا عليه في الكواكب الآخري ومنها :

م. القرب وَالبَعَدُ أَعْنَ الشِمسُ }، فَأُوطِها تَشَيَّدُ مُعَهُ دَرَجَةَ الْحُزَارَةَ وَثَانَهُمِما تَتَخَفَّضُ مُعَهِ خِداً.

ه إنعدًام , الجوَّ الصَّالَح للحياة (أَعَنَى الْهُواءُ) والله الله وهما قوام الحياة .

• ضعف الكثافة الذي تر تب عليه ضعف الجاذبية،وهي من لوازم الحنامة .

عدم متاسبة الدوران حول الشمس الذي ترقب عليه طول السنة أو
 قصرها كما مر .

ه عدم مناسبة الدوران التي تدورها الـكواكب حول نفسها الذي ترتب عليه طول اليوم أو قصره .

# سبع مزايا للأرض:

وفى الإجابة المفصلة بعض التفصيل نقول: إن العلماء بعد بحوثهم الفلكية والحيانية والجيولوجية والفضائية وغيرها وقفوا على سر اختصاص الأرض بصلاحيتها للحياة ورصدوا سبع مزايا لها لم تعرف لغيرها من الكواكبوهى:

## ١ ــ القرب المناسب من الشمس:

لأن المسافة بينهما تبلغ .١٥٠ مليون ك ــ م طولى فليست هي قريبة منها قربا مضراكمطارد والزهرة ولا بعيدة عنها بعدا مفسدا كالمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو . لذلك صلحت للحياة من هذه الجهة .

## ٧ \_ إعتدال الحرارة على سطحها:

إعتدال الحرارة من أنسب ملائمات الحياة . وقد اكتسبت الآرض اعتدال حرارتها من موقعها المناسب من الشمس ، ويقول الفلسكيون إن أقصى درجة تصل إلبها الحرارة على سطح الأرض هي .ه درجة مئوية . وهي حرارة محتملة نوعا ما ولها مواسم وللناس عهد بها وتحفظ منها .

ب أو إعتدال كثافتها ومناسبتها للأجسام، ويقول العلماء أن كثافة الأرض تّفوق كثافة كل كوكب حتى كثافة الشمس نفسها .

### ع ـ إعتدال جاذبيتها:

بين المكثافة و الجاذبية صلة و نيقة . و لما كانت كثافة الأرض معتدلة اعتدلت تبعا لها جاذبيتها . و يقول العلماء أن جاذبية الأرض لو قلت على ماهى عليه الآن لطار من و ماعليها فى الهواء . ولوز ادت للصق الناس بها فلا يستطيعون حراكا . فسيحان الذي قال : د الله الذي جعل لـ كم الارض قراراً ، .

### ه ــ إعتدال دورتها حول نفسها :

يوم الأرص هو ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة شاملا لليل والغار وهي دورة معتدلة جدا توزعت فيها فترات العمل (النهار) وفترات الراحـــة (الليل) توزيعا حكيها توازنت فيه الواجبات والحقوق على الفحو الذي نحسه ونراه وهذا عمل رائع للإرادة الإلهية الحكيمة يظهر أثره إذا قارنا يوم الأرض بيوم غيرها من الكواكب التي تتفاوت في الطول والقصر.

### ٦ ـــ أعتدال دورتها السنوية حولالشمس :

ومن أروع مزايا الأرض اعتدال دورتها السنوية حول الشمس الى تغشأ عنها الفصول الآربعة (الشتاء والربيع والصيف والحريف) وتعاقب هذه الفصول فيه خير كثير الأحياء فكل فصل يمتد ثلاثة أشهر وتقبدل الاحوال الكوقية تبدلا بدر يحيا من الهرودة إلى الجرارة ومن الحرارة إلى البرودة كلا يضار الاحياء الذين عليها . كما تساعد هذه الفصول على إنبات الزووع كلا في وقته المناسب، ونحن نعلم أن بعض النبات لا ينمو إلا تحت درجة عالية (النباتات الصيفية) وبعضها لا ينمو إلا شتاء، وهكذا وأسرار الحكمة الإلهية في هسدذا المجال لا تحصى ولا تعد . فسبحان الذي يدبر الأمر من السهاء إلى الارض، وكيف كان سيكون الحان لو كان عمر الفصل الواحد إثنين وعشرين يوما كمان في بعض الـكواكب . . ؟ ا

### ٧ ـ غناء جو الأرض .

فى الآرض ماء مسلوك فى البحار والانهار والمحيطات والآبار والعيون ومن الماء جعل ألله كل شىء حى ، ولو خلت الآرض من الماء هلكت الزروع وجفت العشروع ومات كل حى كان على ظهرها .

وفى الأرض غلاف هوائى يمد النبات والإنسان بعناصر الحياة ويخفف من حدة حرارة الشمس واحتياج الأحياء إلى الهواء ألزم من احتياجهم إلى الماء و فالإنسان و مثلا و يحتاج إلى مقادير محددة من الماء يتناولها في فترات متقطعة بينها مدد زمنية تطول في الهتاء وتقصر في الصيف ، وللإنسان صبر على الماء و بخاصة في عبادة الصيام ، كالأن له استغناء عن تناوله تماما في الليل حين يأوى إلى فراشه و ينام .

أما الهواء فحاجته إليه دائمة ليلا ونهاراً صائما ومفطرا؛ لآنه في عملية الشهيق (إدخال النفس في الصدر) يأخذ من الهواء (الآكسوجين) الذي تشدد الحاجة إليه . وفي عملية الزفير (إخرراج النفس من الصدر) يطرد (ثاني أوكسيد المكربون) وهو عنصر سمى قاتل ، هاتان العمليتان (الشهيق والزفير) لا يتوقفان إلا عند الموت . ويحتاج الإنسان في الأواحل العادية إلى إجراء العمليتين إلى ما يقرب من عشرين مرة في الدقيقة الواحدة .

وهما تجريان بدون تدخل من الإنسان (أتومانيكي) ولو توقف حدومهما على عمل الإنسان كا حنساء الماء لما وجد الأحياء وقتا للممل ولا للنوم. لذلك يسر اقه اللطيف السكريم حصول الأحياء على عمليتي (الجذب والطرد) ليتفرغ الإنسان الأعمالي الأخرى. وليجد وقتا للنوم هم ضمان استمرار المعمليتين بشكل منيقظم، ووإن تقدوا نعمة الله لا تجصوما إن الإنسان اظلوم كفار، ؟!

## [عادة تصنيع العادم:

علمنا أن حصول الأحياء عسلى عنصر ، الاكسوجين ، وطرد ( ثاني أوكسيد اللكربرن ) ضرورة ملحة من ضرورات حياتهم . ونريد أن نعلم أن قه تدبيراً آخر في تيسير هذه النعمة واستمرار مواردها على شكل مذهل للغماية .

# عملية التمثيل الصوئى :

إحتياج النبات والزرع للعنصر (ثاني أوكسيد الكربون) كاحتياج الأحياء لعنصر (الأوكسجين) وثاني أكسيد الكربون يعتبر بالنسبة للافسان (عادم) على حد التعبير الاقتصادى المعاصر، أى انتفع به مرة ولا يمكن انتفاعه به مرة أخرى وهو على حالته تلك، وعلماء الاقتصاد لديهم مبدأ معروف هو (إعادة تصنيع العادم) ليمكن الإنتفاع به مرة أخرى كإعادة ماسح، ورق الصحف والجلات وصقلها لاستعمالها مرة ثانية وهكذا. هذه العملية يجربها الله و الحبكيم الخبير » دون احتياج إلى و أجهزة وآلات ومصانع ومهندسين وأيد ماهرة و فثاني اوكسيد الكربون السام الذي يطرده الإنسان في عملية الزفير هو غذاء لازم للزرع والنبات ، يقوم بامتصاصه من و الجو ، ثم يتمثله ، وبعد حصوله على حاجته منه يطرده وقد أعاد تصنيعه (اكسوجين) مرة أخرى فيعود الإنسان يتناوله في عملية الشهيق ، وهكذا واكسوجين) مرة أخرى فيعود الإنسان يتناوله في عملية الشهيق ، وهكذا قدره (المبادلات) في هدوء تام في كل لحظة ، ونحن لا نشعر ؟ لأنها على قدره (المبادلات) في هدوء تام في كل لحظة ، ونحن لا نشعر ؟ لأنها على قدره (المبادلات) في هدوء تام في كل لحظة ، ونحن لا نشعر ؟ لأنها على قدره (المبادلات) في هدوء تام في كل المناع الهظم) و تدبير حكيم لبس قدرينا ، وإنما هو قدبير (الحسكم) . . ؟ !

فهل هذه التدابير والحسكم من صنع المادة الضهاء العمياء السكماء 18 كلا وبارىء السكانيات ، بل من صنع ابله للذي أتقن كل شيء ، والسكن أكثر الناس لا يعلمون .

### إناكل شيء خلفناه بقدر:

الهواء الذي نستنشقه في يسر وسهولة فنحيا وتنمو وتعمل. هذا الهواء مكون من عنصر بن عظيمين: (الأوكسو جين والنتروجين) ونسبة الأكسوجين فيه تبلغ ٢١ / ونسبة النتروجين تبلغ ٧٨ / فهل وراء تحديد هذه السب الدقيقة من سر وحكمة ؟ .

أى وربي إن من ورائها سراً عظيما وحكمة بالغة مذهلة . يقول علماء هذا الشأن : إن نسبة الأوكسوجين لو قلت عن هذا المقدار لمات كل الأحياء اختناقاً ؟ .

ولو زادت عن هدذا المقدار الكان عود كهريت صغير يشعله رجل فى أحد أطراف الأرض من زرع ونبأت وحيوان وإنسان؟ ١ .

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ،

## ميل الأرض على محورها:

جرى بنا أن نشير هنا \_ إلى عجيبة من عجائب الصنع الإلهى المنقن الحكيم فقد رصد علما. الهيئة انحرافا أو . يلا للارض على محورها قدروه بو ٢٣٠ درجة . ولم يكن هذا الميل اعتباطا وإيما لحدكمة جليلة من حكم الصانع العظيم ( أقة ) .

إذ لولا هذا الميل الذي ترتب عليه حدوث زاوية في وضع الأرض على عورها قدرها لا ٣٣ درجة لاختل نظام الفصول الأربعة المتنقلة على الأرض ولاصبح وسط الأرض محراء محترقة في صيف دائم . وأصبح شمالها وجنوبها مدفو نين تحت ركام من الثلج .

ولو زاد هذا الميل عما هو عليه . الآن ـ لأصبحت المنطقتان المعتدلتان

كالقطبين . إما فى ليل وشتاء طويلمين . أو نهار وصيف طويلمين . لهذا كان الخير كله والكرم كله ، والحركمة كلها فيها قدره الله وأراده .

وباجتماع هذه الاسباب كلها: من السرعة إلى المسافة إلى المدة إلى شكل الأربعة الأرض، وشكل مدارها، إلى الميل على المحود كانت الفصول الأربعة وتم الاعتدالان، وحصل التبخر في مياه الأرض، وحملت الرياح الأبخرة وكثفتها الأجواء الباردة في الأفق، وسيقت إلى البلاد الميتة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. وصلحت الارض المحياة فمكانت مهداً وذلو لا مشي في مناكبها وناكل من رزق الله وإليه النشور.

أهذا الصنع المحكم البديع صنع المادة ؟ 1 أم صنع الصدفة ؟ 1 كلاو بارى. المكاثنات . إنه د صنع افه الذي أنقر . كل شيء خلقه ، د ذلك تقدير العليم ، .

# الإنسان موضوع للتأمل:

عرفنا أن فى ملكوت السموات والأرض (الكون) رصيداً والحراً من دلائل الإيمان بالله ، لا على أنه موجود فحسب ، بل غلى كمال علمه وإرادته وقدرته وكرمه وتدبيره ، وأنه ليس كمثله شيء .

والواقع أن قضية و وجود الله بم لما كانت دلائلها ظاهرة جلية فإن القرآن ـ فيما أرى ـ واجه قضية و التوحيد ، أكثر مما واجه قضية و الوجودة وذلك فيما أرى لسببين :

أولهما: الإشارة إلى أن مبدأ وجود الصافخ العظيم (الله) ينبغى أن لا ينازع فيه عاقل قدلائله أظهر من أن يبحث عنها، فهو مبدأ مفروغ مكه وينبغى عدم النزاع فيه.

بْانْهِما : أَنْ إِنْبَاتَ أَهَلَةً . وَ التَّوْجِيدِ ، تَقْيَطْنَى لَوْوَمًا إِنْبَاتَ قَضْيَةً وَالْوِيجُودِ،

وهذا موصوع أشير إليه هنا مجرد إشارة ، وهو جدير بأن يفرد ببحث خاص من وأقع رصد النصوص القرآ نية وتحلياما ودراستها . وآمل أن يهيء الله لنا أسبابه فنمضى فيه على هدى منه .

والإنسان كالسكون فيه من دلائل الإيمان بالصائع العظيم رصيد زاخر. ولو أن إنسانا النمس براهين الوجود و والتوحيد وتفرد الله بالجلال والجمال والحيال من داخل نفسه ( نفس الإنسان ) وأحسن التبصر والإعتبار لما احتاج إلى دليل آخر يهديه ، اللهم إلا إذا أراد تمكرار النظر في براهين فكرة هو بها مؤمن من طريق آخر أصدق إيمان ، ومفتاح اقبال الإنسان على نفسه ليستخرج منها قواطع البراهين على الإيمان بالله هو قوله تعملى:

د و فى أنفسكم أفلا تبصرون ، .

أجل . ما أبدع الصنعة الإلهية فى خلق الإنسان .وما أحكم وأدق تخليقه و تـكوينه .

فالإنسان موضوع دراسات عميقة ومتعددة لكثير من فروع العلم الحديث من طب وعلم نفس ، واجتماع ، وأخلاق . إلخ ، إلخ ، ويكنى ف طم الطب أن يقف الإنسان على علم ، النشريح ، فيرى من الداخل أصول علمكة إلهية تسحر العقول وتأخذ بالآلباب ، ويكنى أن يغلم الإنسان يما وقف عليه العلماء من حقائق مذهلة في و تركيبة ، الإنسان ، وما البيتفادوه منها في واقع الحياة العملية المعاصرة ،

فمن وقوفهم على د تصميم جهاز الإيصار ، العين تعلنوا تصميم آلات التصوير ومن وقوفهم على د تصميم جهاز السمع ،الآذن تعلموا تصميم آلات مبكرات الصبوت ومن وقوفهم على د تصميم جهاز التخليق ، الرحم تعلموا تصميم أنابيب أطفال الأنابيب ومن وقوفهم على دتصميم رسم الأنامل، اهتدوا إلى وسيلة الكشف اليقينية . أخذ البصات ، واستعانوا بهسسا على معرفة . الفاعل المجهول ، .

ومن وقوفهم على و تصميم جهاز الشم ، تعلموا صنع أجهزة إدراك الرواتح مع الفوارق العظيمة بين الحلق الإلهى والتقليد البشرى (٦٠٠).

ومن وقوف العلماء على « تصميم الذاكرة » تعلموا صنع « الـكمبيوتر » لتخزين المعلومات وتغظيمها وتفريغها فى وقت الحاجة إليها .

وليكن صنع الله الذي أتقن كل شيء معجز كل الإعجاز . فهذه الاجهزة الإطهة مكرنة من عصب ودم وشحومات وعظم ولحم . بينها صنعة البشر تقوم على الصنحامة و تصنيع من المعادن . فكم يبلغ حجم د العين ، من حجم كلة التصوير ؟

وكم يبلغ حجم الأذن من جهاز آلة تسكبير الصوت، وكم يبلغ حجم الأنف من جهاز تمييز الروائح الست ؟!

## منعة لا تحاكى :

وإذا كان الإنسان قد استفاد من وقوفه على تصميات أجهزة الهيئة في الإنسان لحاكاها وسخرها لمصلحته ، فإن كثيراً من ، صنائع الله ، تتأبي على التقليد والمحاكاة .

فشلا ظاهرة الصوت تختلف من إنسان إلى إنسان لدرجة أنك متى سمعت صوت إنسان لك به معرفة من قبل فإنك تعرف أنه د فلان، قبل أن يقع عليه بصرك ، فالإنسان يعرف عن طريق السمع بصورته كا يعرف عن طريق

ر (٦٠) ورد في برنامج ﴿ العلمِ وَالْإِيمَانَ ﴾ التليةزيوني أنْ الْمَلَمَاء تمسكُ وا من صنع جهاز الشم لا يميز أكثر من ست روائح مع أن آلانه عَلاَ ثَلَاثُ غُرِفَ كَبِيرةً ؟ ؛

البصر بملامحه ولونه فما هو السر في اختلاف أصوات الناس مع أن العضو الناطق ( اللسان ) واحد في الجميع؟!

واختلاف الألوان حتى بين الأشقاء ما سره وما مصدره ؟ !

قد يقول بعض الناس من المتعجلين المخدوعين بظو اهر العلوم إن اختلاف الأصوات قد يرجع إلى طبيعة د الأحبال الصوتية ، وأن اختلاف الألوان قد يرجع إلى عاملي الوراثة ( الجيئات ) والبيئة هذه التفسيرات وإن شاع الآخذ بها فإن القائلين بها يجهلون حقيقه بالغة الأهمية . فبالرجوع إلى الفرآن الدكريم ترى أن احتلاف الأصوات والآلوان من بدائع صنع الصائع الحكيم وأن الله سوى بينهما في أنهما من إبداعه كإبداع السموات والأرض وفي ذلك يقول:

« رمن آیا ته خلق السموات والارض ، واختلاف السنتكم وألوا نـكم ، الروم (۲۰) . الروم (۲۰) .

وحتى لو أرجعنا هذه الظواهر الحارقة إلى أسباب معلومة فمن الذى خلق قلك الاسباب وربط بينها وبين مسبباتها ؟ أإله غير الله تعالى الله عما يشركون.

## عمليات الهضم والنمثيل:

لابد الإنسان من طعام يمريه ، وشراب يرويه . وليس الإنسان من عمل إلا أن يجلس على المائدة فيتنارل الطعام ويضعه فى فيه ويقضمه ثم يقذفه إلى مستودعه الآمين .

وحثى فى هذا الجانب الذى يختص به الإنسان . فلولا اليد التى خلقها الله ، ولولا القواطع والآضراس التى خلقها الله ، ولولا القواطع والآضراس التى خلقها الله ، ولولا البلعوم الذى خلقه الله لما تمكن الإنسان من الانتفاع بطعام بمر، ولا شراب راو . ولكن بمعونة الله تمكن واستنطأع .

وتبدأ بعد هذه المرحلة أخرى لاعلاقة من قريب أو بعيد الإنسان بها . فالجسم لا يستفيد من هذه النعم إلا بعد أن تهضم وتتحول إلى غذا مطيع للجسم (دم \_ جلوكوز) ولكى يتحول الطعام إلى هذه الدرجة لابد من أجهزة دقيقة تعمل ، وعمليات كيهاوية تجرى . ولكن كيف نعمل تلك الاجهزة . ومن يديرها ، وكيف تحدث تلك العمليات الكيماوية الدقيقة المعقدة ؟ ومن أبن تأتى المواد اللازمة لإجرائها ؟ ومن الذي يقدر نسبها وأحجامها . أفي الجسم خبراء ومراكز بيع موادكيماوية ومعامل تشرف ؟

كلا ، إن الإنسان وهو يتناول طعامه كالزارع الذى ينتهى دوره بوضع البذر فى الارض وسقيه بالماء ثم ينصرف إلى حال سبيله ولا علاقة له قط بعملية الإنبات والإنماء 1

والقدرة التى تنبت النبات وتنميه وتقويه وتسضجه وتؤتى نماره هى القدرة نفسها التى تعمل داخل جوف الإنسان ، فتشرف على عمليات الهضم والتمثيل والتنقية والتوزيع، وهى التى تأمر الاجهزة الإفراز العصارات اللازمة لعمليات التحويل الدكبرى التى تجرى بداخل الإنسان والإنسان غافل لاه عما يدور بداخله .

و تلك القدرة هي التي تبقى في الجسم العناصر الصالحة المحياة ثم تطرد ما عداها من عناصر ضارة ومؤذية . فليسال الإنسار هل لو بقى الطعام الذي يتناوله على حالته و طبيعته أكان ذلك يفيده أم يضره . وهل هو الذي يقوم بعمليات التحويل التي لولاها لمات الإنسان انتفاخا؟ إن عناية الله محيطة بالإنسان ، والله بالإنسان ر.وف رحيم لا يكلفه إلا ما يستطيع . أما مالا يستطيع - وهو لازم له . فإن القدرة الإلهية تعفيه من المستوليه عنه و تقوم هي يخدمة الإنسان في صحت دون أن تكلفه من الإمر شيئا .

أليست هذه دلائل إيمان بالحالق العظيم · قرر اهين وجود وتوحيد وكال مطلق .

## حسن التصوير ومروقة التركيب:

فى التركيب الداخلى الإنسان دلائل إيمان كاملة لايحتاج معها المؤمن إلى دايل. واستقصاء بدائع الصنعة. في الإنسان يحتاج الكشف عنه إلى جهو دعلماء متخصصين في شتى مجالات العلوم. وأين نحن من هذه المنزلة الصعبة المرتق واننا لانملك إلا تردد قول الشاعر في شكواه من الحرمان وتمنيه أن يكون طائر البدرك ما فانه من آمال:

إحدهما: حسن التصوير وجمال الاستقامة فى بناء الإنسان. وثانيهما: مرونة التركيب والمهارة فى القدرة على التضرف حسب الحاجة.

## و حُسن النَّصُوبِر:

منن الله على الإنسان لاتعد ولا تحسى . ومن أجلها وأظهرها جمال التصوير وحسن التقويم في البناء الهيكلي للإنسان ، فعلى كثرة ما خلق الله من ثيء فإن خلق الإنسان جاء على أجمل الأشكال وأبهي الصور وهذه حقيقة لم ينازع فيها أحد .

وقد أنسم الله ـ وهو صادق أقسم أم لم يقسم ـ بأن تقويم الإنسان هبة من الله لم يهبها لمخلوق بما نحسه وترأه .

والتين والريتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلفتنا الإنسان في أحسن تقويم، وحسن تقويم الإنسان أنه لم يتخلق والحفا ولا من دوات الاربع والالكان حشرة أو منسكس الشكوين كالحياث والقليلة والبغال وحسن ( ٢٥ النصور المنسة )

تقويم الإنسان واعتدال شكله نعم جليلة ومظهر من مظاهرالتـكريم والتفضيل الذي امتن الله به على عباده ، وتودد إليهم به وهو غنى عنهم .

. يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟. الذي خلقك فسواك فمدلك. في أي صورة ما شاه ركبك ،؟

فن شكر هذه النعم أنَّ لايفش الإنسان بربه البكريم فيقا بل النعم بالمعاصى ويقول :

أجل. لقد أحسن الله صورنا أحسن تصوير وفضلنا على كثير من خلقه .
وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة هذا ، وقد ورد فى الحديث : « إن الله خلق آدم على صورته ، وهذا الحديث يطابق دلالات الآيات ويفيد أن الإنسان مخلوق على هذه الصورة من يوم خلق الله أبا البشرية آدم ولم يشحدر الإنسان عن أصل كان يجمع بينه وبين القردكا زهم داروين الدجال •

## ه مرونة التركيب:

فتأمل أخى المؤمن تركيب واليد ، من أطراف الأصابع إلى السكتف وجرب الأوضاع الممكنة التى يمكن تحدث فيها حسب حاجة الإنسان والأعمال التى يصرفها ويريدها . فهى إن تركنها على سجيتها تدلت ملاصقة للجنب ، هذا وضع من أوضاعها . فإذا لقيت صديقا فى الطريق وأردت أن أن تصافحه طاوعتك اليد فى الامتداد صافعة مع أعلاها زاوية مختلفة الأبعاد حسب وضع اليد التى أنت تصافحها . قائمة أو حادة أو منفرجة . وإن أردت

بمهانقته طاوعتك يداك فالتفتا حول صديقك الحميم . كما تطاوعك يدك أو يداك بالخضوع التام حسب النصرف المطلوب منهما . سواء كنت فلاحاً تحرث الأرض ، أو قائدا لمركبة أو طائرة ، أومهندسا أو طبيبا أو بناه أو طاهيا أو نساجا أو جنديا في الميدان . تمتد معك في الجهات الست أماماو خلفاو شمالا وجنوبا وفوقا وتحتا وما بين هذه الجهات من جهات متداخلة لا حصر لها . تتحرك إحدى يديك حسبا تريد إن احتجت إلى استعمال يد واحسدة و تتحرك يداك معا إذا احتجت لاستعمال كلتا البدين و

وذلك بفضل التدبير الإلهى عند خلفك وتكونيك. فقد جعل لك مفصلا مر قا عند الكتف يمكنك من تحريك البد كلها من مبتدئها الآعلى إلى منتها الآسفل إذا أردت أن تستعمل هذا المستطيل كله فى عمل تطلب منك همذا الاستعال، وجعل لك مفصلا وسطا عند منتصف المستطيل لتتمكن من الحركة النصفية إذا أردت و وجعل لك مفصلا ثالثا عند اتصال بداية الكف بنهاية الذراع وبهذا التركيب المرن أمكنك أن تتحكم وأنت تصرف يدك على المدن درجات:

- ه درجة تستعمل فيها كل العضو من الكتف إلى النهاية .
- ه ودرجة تستعمل فيها النصف الأسفل من بداية الدراع إلى النباية .
- . ودرجة تستعمل فيها الكف وحدها من بدايتها عند منتهى النزاع الى النها ية .

ولك \_ الآن \_ أن تسال نفسك : ماذا كنت ستفعل لو جعل الله هذا على شكل مستطيل صلب خال من و المفاصل ، مستعص على التذي ؟ في شكل مستطيل صلب خال من عمل شيء ؟ فيم \_ إذن \_ ترفع الطعام

والشراب إلى فك ١٤

أتمخطمه كا تمخطمه الماشمة ؟ هب أن هذا مكن، ولكن من الذي سيطهو

لك الطمام؟ ومن أين يكون الطفام يا ترى؟ إننا لا تتلك وسيلة تخرف بها الارقن ، ونضع فيها البدر ، وتزغى الزرع وتحصده و تذريه و نظحنه و تُعجّنه و تُعبّره؟ لا شيء من ذلك سيكون . إننا سنكون في هذه الحالة آلة صماء لاتفعل .

إن كل شيء سوف يتوقّف ، والسبب أن هذه د اليد ، جمدت ولم تقْثور الجمدت معها حركة الحياة .

والآن: أفلا يحق للصانع المدير أن يلفت أذهاننا إلى أنفسنا الننظر فيها صنفة البديع وتدبيره الرائع . فيقول: . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . .

ويقول:

. سنريهم آياننا في الآفاق وفي أننسهم حتى ينبين لهم أنه الحق ، ·

## الدقائق للدقائق:

ومن العجب العجاب في خلق الله الإنسان و تدكوينه و تشكيله و الدكه وماحوت، فني جعل السكف كثيفة منبسطة حكمة مذهلة، وفي تفرع الأصابع عنها جكمة أكثر ذهؤالا. والتكننا بمر على هذا كله ونحن غافلون و وزدى السكف في بحدو عنها القشطة المرنة والأضابع، مهمة جليله: القبض والبسط ودقة التصرف إذا احتاج والعمل، إلى بسط وقبض ودقة تصرف والإنسان يعمل بيده أعظم أعماله وأجلها وأبدعها وأروعها و وللأصابع في بديع صنبع الإنسان دور بالغ الأهمية و بل إن دقائق صنع الإنسان إنما هي وليدة هذه الأعشاء الدقائق ولولاها ها عرف جيل حضارة المناضي و وا اظلم حاضر الأعشاء الدقائق و فولاها ها عرف جيل حضارة المناضي و ما اظلم حاضر في شتى مظاهرها مصنوعة أو منقوشة أو مسطورة في كتأب . نحن نقرأ الياذة في شتى مظاهرها مصنوعة أو منقوشة أو مسطورة في كتأب . نحن نقرأ الياذة أمر الحضارة و ومعاهد العلم و

تطالع جهورية أفلاطوني ، وآثاركيونفشيوث ، وقانون جورابي ، وغفران أبي الملاء ، وقانون ابن سينا وإشاراته ، ونهافت فلاسفية للغزآلي ؛ وتهافت التمافت لابن رشد ، وكرويد يا دانتي ، ونقوش و إدى النيسل وما بين النهرين . بل ونسمو وتسمو معنا أرواحنا ونحن نقرأ المصحف الشريف، وصحيح البخارى، وصحيح بسلم، ورسالة الإمامالشانعي، وموطأ مالك، ومسيند الإمام أحمد وتفاسير ابن عطية وابن جربر وجار الله الزمخشري . رغير هذا: مما أبدع وراع من توجيهات السماء وحضارات الأمم . ولولا هؤلاء الجنويه و الحنس ، التي تسطر لك هذا السكلام الآن والأصابع، ما كتبت يدكاتية لعين قارئة . ولا ستغلق كل جيل على من يليه . ولتوقفت الحضارة الإنسانية عند درجةالصفرفالأصابع هي آلات الخدمة والإبداع ، وهيأدوات مطواعة، لما يراد منها . وقد فصلها الخالق تفصيلا رائعا كمَّا فصل العضو الحامل لهـا . فسهل استعمالها ، وأمكن في يسر اثنيها وتحريكها . فهي سلاح الحبير في مختیره، وسلاح الکاتب فی , محرابه، وسلاح المهندس فی , مکتبه ، وسلاح الحائك في د حانوته د وسلاح الجندي في د ميدانه وسلاح الفيَّان فی دکوخه ، و ســـلاح الصافع فی ، مصنعه ، و ســلاح التاجر فی د متجرف وسدلاح الطاهي في د مطهاه ، وسلاح الخابز في د مخبره ، وسلاح الطبيب فى د عيـادته ، وسلاحالجراح فى د مشرحته ، وسلاح كل عامِل فى دميمِله ، .

إن الأجيال تتناقل أصول العلم والمعرفة ، وبدائع الآداب والفنون ، ونفائس الحيفارات عن طريق النقوش والسكتابة . وهما صنعة د الاصابع ، وما من عمل كبير أو صغير ، عظيم أو حقير إلا وبصمات هذه د الاطراف المبدعة ، ظاهرة عليه ، وكامنة وراءه . فهذه واليد وجنودها الحس ، هي السلطة التنفيذية لسكل ما أبدعت العقول والقرائح . واليد وجنودها طرف من هيكل الإنسان ، وكم في عيكل الإنسان من دقائق وأسرار وحكم أبدعها بديم السموات والارمن ، وقد صدق الشاعر الذي يخاطب الإنسان :

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الإكهر

ومايقال عن اليد و جنودها النشطين المهرة يقال عن مرونة الهيكل الإنسانية كله فقد فصله القادر الحركم تفصيلا أقدره على دقائق التصرف ، ومختلف الأوصاع من قيام وانحناء وجلوس والتفات وامتداد وانكاش وتثن . ولم يخلقه صلباجافا متابيا على مايراد منسه ، بل خلقه مرنا طيعا منقاداً بما يتفق وخير الإنسان في دنياه وآخرته . فالإنسان من حيث هو جسم وروح وقدرة وإبداع إنما هو إحدى معجزات الخالق تسير على الارض . ودايل فاطق من أدلة وجود المصانع المبدع . فهو برهان الإيمان أن أريد على الإيمان برهان المدلكم الله ربكم لاإله إلاهو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل دلكم الله ربكم لاإله إلاهو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل لا تعدركم الابصار، وهو يدرك الابصار، وهو اللطيف الحبير ، (٢) .

## بذكرك فلا تنس:

نذكرك ـ أيها القارى م الكريم ـ فلا تنس ، أننا الآن فرغنا من فرع خطير من فروع هذا البحث، وهو أن المادبين من علميين وشيوعيين لم يملمكوا وليلا واحدا ولا شبه دليل ـ ولن يملمكوا ـ على أن المادة أو الطبيعة هى التى خلقت نفسها ثم خلقت غيرها . فهذه دعوى خاسرة بكل مقياس أوهى لا تصلح أن تسمى دعوى مجرد تسمية فى ميزان العقل والعلم والواقع .

أما نحن .. المؤمنين .. فلدينا من الآدلة والبراهين والحجج القواطع على محمة الإيمان بوجودالصانعالعظيم دالله ، وعلى توحيده وتفرده بالجلال والجال والجال ، لدينا من الآدلة والبراهين والحجج ما تنوء بحمله الرواسي وقد قدمنا منها ماسمح به المقام . ومن يرد أن يحصيها كاما فعليه أن يحصي كل شيء في الموجود ؛ لأنه تيادك وتعالى كما قال حكيم من أحكم الشعراء . .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

<sup>(</sup>۱۲) الأنمام ( ) ٠

### الشيوءية والدين:

لا يحتاج القارى، إلى ذكا، أوفطنة بعد ما تقدم ليعرف موقف الشيوعية من الدين لآن كل خطوة حظاها الشيوعيون إلى الوراء كانت وسيلة لاغاية أما الغماية قهى إنكار الدين وإزاحته من ساحات الريادة والتوجيه ليحلوه و الجو ، للبث الشيوعي المسموم ، وهذه د ايلى ، الشيوعيين التي رقصوا لها وطبلوا وغنوا وما يزالون هم وعملاؤهم عن ينتسبون إلى الإسلام ظاهسرا و يبطنون له العداء والحقد يرقصون ويطبلون ويزمرون ويغنون ويلفاون له المعداء والحقد يرقصون ويطبلون ويزمرون ويغنون ويلفاون لفط المحموم المغشى عليه ،ن الموت

## الدين مخدر أو أفيون الشعوب؟!

يقول ماركس عن الدين : ﴿ إِنَّ نَفَتَةَ الْحَلُوقَ الْمُصْطَهِدُ ، وَشَعُورُهُ بِالْدُنْيَا اللَّهِ لا قَلْبَ لَهَا ؟ إِنَّهُ أَفِيوَ نَ الشَّوْبِ ، ؟ !

ويقول : ﴿ إِنَّهِ الْأُفْيُونَ الَّذِي يَخِدُرُ الشَّمْبِ لَتَسْهِلَ سَرَّقَتُهُ ﴾ ١٢

ويقول: دان الدين كان وسيلة الإخضاع الروحي كاكانت لدولة وسيلة الإخضاع الاقتصادي . .

هذا وصف ماركس المدين ، وماكان ينتظر هن رجل مثل كارل ماركس. أن يقول عن الدين غير ما قال .

أما انجلز رفيق ماركس فيقول:

د ينشأ (الدين) قبل أن تنهج لوسائل الق يكسب بها الإنسان مبيشته وأن الإنسان يواجه الطبيعة مباشرة فى تلك الحدالة فتقف أمامه الطبيعة قوة غلابة غامصة فيخبد (الإنسان) مالا يدركه منها ١٤ وما الدين إلا انعكاس القوى الظاهرية التي تسيطر على معيشته اليومية ،

ويقول: د إن أصحاب المصالح قد استغلوا المسيحية كلما وجدوا لهم

مصلحة فى استغلالها فجعلوها دين الدوله بعد قرنين ونصف من ظهورها . وجاء البرجوازيون فى ألمانيا فأبدعوا البروتستانتية ولم يستفيدوامنها لضعفهم فاستفاد منها الملوك المطلقون، لأنها رفعت عنهم ساطان الكنيسة والدين جملة هو الغذاء الخادع للضعفاء ؟ لأنه يدعوهم إلى احتمال الظلم ولا يزيله ، ويقول ماركس فى وصف المسيحية خاصة ، د إن المسيحية تحبب الجبن واحتقار النفس ، وإذلالها، وتحبذ الخصوع والخسة وكل صفات الكلب الطريد ، و من أقوال عامتهم عن الدين :

مكل مسألة اختلف فيها العلم مع الدين. فالصواب فى جانب العلم، والخطأ فى جانب الدين ، ؟ !

د إذا تكلم العلم فليخرس الدين ، ؟ !

## معنى هذا البكلام:

يقصد العلمانيون والشيوعيون أن يصفوا الدين بأنه :

• وسيلة خادعة لجأ إليها الأغنياء والأقوياء ليتمكنوا من إحكام القبصة على الشعوب ويسخروها لخدمتهم ١٤.

ه إن العلم وحده ـ ويقصدون العلم المادى ـ هو مصدر المعرفة فيجب أن يكون هو المطاع لا الدين ، لأن الدين من اختراع البشر والعكاس لقدوى العلميمة ، وصور المادة ؟!

• إن الدين يدعو إلى قبول الظلم والاضطهاد ويجط من كرامة الإنسسان بتخديره له ووعده بالتمويض في حياة آخرة ؟ 1 .

## نقد و نقض :

من سوء حظ الشيوعيين أن للباطل مصاحب لهم في كل تصوراتهم . وهم دائماً يبنون تصوراتهم على أرهــــــام و يتصيدون النظر يات و الآراء الباطلة لتكون آسساً لا يدبو لجياتهم .

قد عواهم أن الدين وسيلة لجأ إليها الأغنيا، والأفويا، لإذلال الشهوب وضمان السيطرة عليهم. هذه الدعوى أول من قال بها السوفطائيون ثم أخذها عنهم فلوتير، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فيما قبل، وكما فت هده الدعوى في الأصل نعليفاً مباشراً عند المشيوعيين على المسيحية بوجه خاص كما تقدم آنفاً عن انجلز، ثم عممها عملاه الشيوعية فيما بعد فطبقوها جزافا على الإسلام، وهي \_ في الواقع \_ أكذوبة على المسيحية والإسلام معاً .

فالمسيحية والإسلام دينان سماويان. وليسا من انعكاس الطبيعة ولا من اختراع الإنسان وقد حسمنا الموقف في هذه والدعوى، في غضون هذا الكتاب.

وتاريخ المسيحية والإسلام معاً يكدب دعوى الشيوعيين أن الدين عامة ، أو المسيحية خاصة كانت مصيدة الفقراء التي دنعهم لمايها غيرهم من الاغتياء والاقوياء.

لأن المسيحية آمن بها الأغنياء والأفرياء من المسيحيين كما آمن بهافقراؤهم وضعفاؤهم . وكلهم كانوا صادقين فى الإيمان بها . ولو كانت المسيحية بصيدة وحديسا لما زج أغنياء المسيحية وأقوياؤها أنفسهم فيها وقراءة التاريخ فى هذا المجسال تكشف عن جهل الشيوعيين ومغالطاتهم لحقائق التاريخ القديم والحديث .

أما إذا أريد الإسلام بهدده المقولة فإن تاريخه منذ عصر نزوله لايكبتني بتك يبالشيو عيين والكشف عن جهلهم فحسب، بل ينسفهم نسفا من الوجود الإنساني أو يخرجهم من دائرة العقلاء إخراجا لا رجعة فيه .

فقد انضوى تجت لواء الإسلام أغنى الأغنياء، وأقرى الأقوياء كما انضوى تحت لوائه الأحرار والعبيد، الرجال والشباب والنساء والأطفال والفقراء والضعفاء على حد سواء .

قعبد الرحمن بن عوف ، وأبو بسكر الصديق ، وعثمان بن عفان كانوا من أغنى أغنياء العرب . ولم يمنعهم ثراؤهم وحسبهم وقرتهم وشرف أدومتهم من أن يرتموا في أحضان الإسلام ، وأن يبذلوا الغالى والنفيس من ثرواتهم في سبيل الله و نصرة الدين .

من عادى دعوات الرسل على مدى التساريخ النبوى كله من الآغنياء والآؤوياء فإن سبب عدائم الرسل معروف . فاشتغال الفي بماله . واغترار القسوى بقوته كان هو سبب الاسباب فى العداء والإعراض والإعتراض . والقرآن يالدم للعالم تفسير اصادقاكل الصدق . مما يمتبر قانونا من قوانين علم النفس البشرى: د إن الإنسان ايطفى أن رآه إستغنى ، فطغيان بعض الأغنياء والاقوياء طبيعة من طبائع النفوس .

هذا، ولوكان للشيوعيين بصربالتاريخ، وفقه بمراميه، وإلمام بخط سيره لعلموا أن الواقع التاريخي يعكس دعواه نماماً. ويظهرهم وهم يرتدون ثياب الزور والبهتان.

قدعوى الشيوعيين أن الدين من اختراع الاغنيشاء أكدوبة تماريخية لا تقل شناعتها عن شناعة قولهم: إن المسادة هي الحالقة : خلقت نفسها ثم خلقت غيرها؟!.

ذلك، لأن التاريخ الديني النبوى يدل بوضــوح على أن الأغنياء، والأقوياء كانوا دائماً يقفون في طريق الدعوات السياوية، ويعادون الرسل ويتهمونهم بالكذب ويحذرون الناس من متابعة الرسل وتصديقهم. والشواهد على ذلك كثيرة ومنها:

ه قول كبراء نمود اضعفائهم لما بعث الله إليهم صالحاً عليه السلام:

و قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفرا لمن آمن منهم.

أفعلمون أنصالحا مرسل من ربه ؟ قالوا: إنا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين السخيروا . إنا بالذي آمنتم به كافرون ، الآعراف ( ٧٥ - ٧٦ ) .

ه وقول قوم شعيب لشعيب ولمن آمن معه :

قال الملا أنذين استكبروا من قومه : لمخرجنك ياشعيب و الذين آمنوا
 ممك من قريتنا أو لتعودن ... الاعراف ( ٨٨ ) .

ء وأول قوم نوح في وصف من آمن به منهم :

من . . . وما تراك اتبعك إلا الذين هم أراذاندا بادى الرأى و ما ترى لـكم علينا من فضل . بل تظلم كاذبين ، هود ( ۲۷ ) .

فالأثو ياء تمكيرا وغناءهم أعدى أعداء الرسل:

إنهموهم بالكذب على الله .

ه حذروا الناس من تصديقهم واتباعهم .

ه شهروا في وجوههم السلاح وأنزلوا بهم أشد صنوف الأذي والعذاب

أضلوا غيرهم فجذبوهم إلى حزبهم .

ولذلك فإن خصـومة عنيفة ستنشب بينهم في عاقبة الأمر حين يقـول الصمفاء لربهم .

د ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراء الفاضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب وألعنهم لعنا كبيرا ، الآحزاب ( ٧٧ – ٨٨ ) .

وحين يقول بمضهم لبمض فى النار:

دو إذ يتحاجون فى النار فيقول الصفاء للذين استكبروا إناكنا لسكم تبعا، فهل أنتم مغنون عنا تصيبا من النار؟. قال الذين استكبروا: إناكل فيها . إن الله قد حكم بين العباد ، غافر (٤٨ – ٤٨) . هدذا هو موقف (البرجوازيين) الأغنيا، ومالكى الثروات من المدعاة والرسل موقف عداء سافر، وتسكذيب مستمر، فلوكان الدين من الجتراع أصحاب المصالح كايقول حزب الشيطان من سو فسطا ثبين وعلما نبين وشيوعيين لما كان لهم هذا الموقف المخزى من الدين بل لناصروه وحثوا العامة عليمه ليزيدوا لهم ، جرعة المخدر، فيعيشوا في ، غيوية الأفيون، ولا يفيقون د كبرت كلة تخرج من أفواهم أن يقولون إلاكذبا،

#### شبهة وردها :

ولـكن قد يقول قائل: إن هذا ما يِقرره القرآن وهم غير مؤمنينِ بالقرآنِ فلا تلزمهم حجة بما تقول؟ .

والرد: إن الذي يقرره القرآن هذا هو ماقرره تاريخ الإنسانية المحفوظ. والمقوم - أعنى الشيوعيين - وإن لم يؤمنوا - معنا - بالقرآن فهم مؤمنون بالتاريخ ، وقد اعتمدوا عليه في مذهبهم الاقتصادي . فالحجة قائمة عليهم بهذا الاعتبار.

وإن ارتابوا فى وقائع التاريخ فإن فى الواقع المعاصر ما يلزمهم بالحجة وبصدق التاريخ ، فإن أصحاب المصالح والسلطان هم الآن من أعدى أحداء الدين لأنهم يخشون منه تحريره للإنسان وتبصيره إياهم بحقوقهم ، وأصحاب المصالح (البرجوازيون) يعتبرون هذا من الدين تحريضا علميهم لتقويض عروشهم وحرمانهم من أساليب البطش والطغيان واستذلال الناس ، وإنجله ففسه قد أدرك هدذه الحقيقة حين قال إن الملوك المطلقين قدد استفادوا البروتستانتية حلان فيها نزعة تحرر من قيرد رجال الدين \_ واستفادوا منها ؛ لأنها خلصتهم من سلطان الكنيسة ، إذن فدعوي الشيوعيين أن الدين توايفة مخترعة اخترعها أصحاب المصالح من ذوي المصانع والإقطاع ورموس توايفة مخترعة اخترعها أصحاب المصالح من ذوي المصانع والإقطاع ورموس المال ليخدروا بها الشعوب ، هذه الدعوي أكذوبة مفضوحة لا سند لهيا من

التاريخ و لا مز الواقع شدأنها شان كل الدغاؤى والتصورات الشيوقية سواء وقفوا بها عند حدود المسيحية ، أو تجاوزها إلى الإسلام ، فهم - على أي تقدير ـ مخطئون مبطلون .

## هل الدين مخدركما يقولون؟:

كذب الشيوعيون فى دعدواهم أن الدين من اختراع أصحاب المصالح ورجال الإقطاع حين أرادوا أن يفسروا أسباب تشاة إالدين من الوجهة التاريخية والوجهة الاجتماعية ، والوجهة الاقتصادية.

وكذب الشيوغيبون حين أرادوا أن يفسروا واقع الدين وحقائقه وغاياته ومقاصده بأنه مخدر للشعوب يزين لهم الحنوع ويحبب إليهم الذل، ويسوغ عندهم الظلم والاضطهاد .

كذبوا فى هذه الدعوى كما كذبوا فىغيرها. وجهلوا الدين كماجهلوا حقائق الثّاريخ وتُمرأت العلوم .

والجدير بالذكر ، الحقيق بالتلبية أن الشيوعيين استنتجوا هذه الدعوى السكدوب من مطالعات مخدوعة فى الديانة المسيحية ، ووقفوا عند نصوض مبالغ فيها فى الدعوة إلى السلام والتسائمة مسطورة فى الآناجيل من مشل: من الطمك على خدك الآيمن فأدر له خدك الآيسر، ومثل: باركوا لاعنيكم، وما أشبههما .

ولهذا فهم ماركين أنّ المستينة تبارك الجبن ، وتخبذ الآل والحنوع وكل صفات الكلب الطريد ؟ 1

وقف ماركس عند ظواهر هذه النصوض . ووقف مثلة الشيوعيون من بعضده ولم تقيموا شأنا لحقائق التازيخ المحفوظ ، وفية أن المسيحيين ناصّاواً

نضالا مريرا من أجل دينهم ضد الرومان، وضد اليهود وسقط منهم الشهداء بالمثات والألوف .

ومعلوم أن الدين الذي تصده الشيوعيون و بخاصة في عبارة ماركس التي يقو لفيها أن المسيحية تحبد الذل والحنوع و إنماهوالدين المسيحي فحسب وعبارات ماركس وإنحلن صريحة في هذا الإفصاح كل الصراحة وليس معنى حذا أن الشيوعية لاتمادي الإسلام . بل هي أشد عداء له من عدائها المسيحية . ولكن سبب أو أسباب عدائها للمسيحية . ولكن سبب أو أسباب عدائها للمسيحية . وإن كان في أسباب العداء لهذا ولتلك قددر مشترك بين الديانتين العالميتين . فقد كرموا في الإسلام غير الذي كرهوه في المسيحية على ما سيأتي تفصيله عرباً بإذن الله .

## جهل رءوس الشيوعية بالأديان:

ماركس وإنجلز هما رأسا الشيوعية المديران ويداهما الحائكتان لنسجها لحمة وسدى ، وهما ـ مع هذا ـ كانا جاهلين كل الجهل بحقائق الأديان ولم يعرفا عنها إلا القشور والزبد ، وقد انعكس جهلهما بالأديان على أتباعهما في عصرهما ومن بعدهما وإلى هذا الوقت الذي نسطر فيه هذه السطور ، يدلك على هذا كلام الرجلين عن الدين وفهمها له ،

وروت إحدى الصحف الشيوعية أن مبشر ابالماركسية ألقى محاضرة على طائفة من علماء الكيمياء قارن فيها بين المسيحية وبين المكاثو ليكية على أنهما ديا نتان مختلفتان ، وجهل هذا المبشر الإلحادي أن الكاثو ليكية شعبة من شعب الديانة المسيحية وليست دينا مختلفا عنها .

وفى الواقع أن مواجهة الشيوعية بدعاواها المريضة ـ المسيحية وحدها لاتحقق كبير افتصار عليها . و بخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن الشيوعية فى

سهلتها الصارية على المسيحية لم تقصد مسيحية المسيح عليه السلام بقدر ماتقصد مسيحية بواس الى اعتنقتها السكنيسة بعد بجمع نبقية عام ٣٢٥م وهي مسيحية مزورة محرفة حكا عرفنا من قبل ـ وفيها من العيوب والمثالب مايطه ع الفكر الشيوعي العلماني والمفتكر العقلي المثالي في دحرها والانتصار عليها ، وقد كان طهم ما أرادوا بعد أن تو ارت المسيحية البولسية إلى الوراه ، وأدركت أنها ليست من فرسان الميدان الذي جال فبه اعلمانيون والعقليون ، فرضيت من الغديمة بالإياب ،

## الإسلام في مواجهة حاسمة:

عادت الشيوعية الإسلام ـ وما نزال تعاديه ـ لغير الأسباب التي عادت المسيحية من أجلها . عادت الشيوعية المسيحية ، لأنها دين ، والدين عند الشيوعيين . خرافة ، .

وعادت الشيوعية الإسلام لآن الإسلام دين، والدين عند الشيوعيين وهم وعادت الشيوعية الإسلام لأسباب أخرى غير أنه ددين، عادته لأنه المفافس الوحيد الحظير الذي وجدته يقف أمامها على خط آخر «ساخن» لم تر الشيوعية للمسيحية فيه وجوداً ولا سلاحا هي تخشاه على حاضرها ومستقبلها ، نطرت فلم تجد حدا سر إلا الإسلام والإسلام وحده .

وجدته على هذا الحنط والساخن، يحمل من أسلحة الدمار للشيوعية ولمكل المذاهب الباطلة ما ليس له نظير ولا وجود إلا في و ترسانه ، هذا الإسلام .

هذا الخط والساخن ، هو مجال القيادة والريادة والتوجيه لشئون الحياة كلما . وجدت الإسلام بمنهجه الحسكيم صالحاً لإرادة كل المجتمعات دون أن يعيا أو يكل .

لذلك نشطت الدعاية الشيوعية ضد الإسلام بعد أن عزلت المسيحية عن مسرح الاحداث وورثت مواطن كثيرة من مواطنها .

## الإسلام دين الوغى والقوة:

كان من السهل والميسورعلى الشيوعية أن تتهم المسيحية بالصف والخنوع ولكن هذه التهمة إذا أريد توجيهها إلى الإسلام وجدت أمامهاكل العوائق والعراقيل. وإن صدق من يقول إن الشمس سبب الظلام في السكون فلن يضدق من يقول إن الإسلام مخدر أويحبد الذل والخنوع و الشيوعيون لم يفرقوا .. حتى الآن .. بين دين يمكن أن يتهم بهدنه التهمة . ودين يسمو فوق كل التهم والظنون و وهو الإسلام .

فليس الإسلام مخدرا لنا بعيه ؛ لأنه يوقط فيهم روع الوعى فى السر والقلانية فالمشلم يعمل فى ظل رقابة حكيمة لا يختى عليها شىء :

. . . . ولا تعلمون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيسه . وما يعزب عن ربك مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء . ولا أســغر من ذاك ولا أكبر إلا فى كتاب مهين ، يوفس ( ٦٦ ) .

فى هَدُاُ الفارث المخيّظ بكل شىء يعمَل المسلم . فهو دائمًا يقظ واع لاپرى تقشه ـ وحدة ـ أبدًا .

و الم ثر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يُحكون من نجيوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هوسادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو مُعهم أَيْمَا كَانُوا . ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شى طبح ، الجَادُلة (٧) .

فالله ثَانَ مِّع النَّوَاحَد ، وَثَالَتُ مِعْ الْإِثْنَيْنَ ـ وَرَابِغُ مِعْ الثَّلَاثَةُ ، وخامس مُغ الاَرْبِعَة ، وَسَأَبِّع مِع أَلِمُمَانِية . فَأَبِنَ المَقْر ؟ . إِنَّهُ يَحْصَى عَمَـــل المَامَلَيْنَ وإن ظنوا أنهم بمناى عن الرؤية .

فهل يوصف دُين هَذَا شَابَهُ بِأَنْهُ مَخْدُر ؟ وَإِذَا كَأَنْتَ هَٰذَهُ ٱلْيُقَطَّةُ تَخْدَيراً قا هي اليقظة يا ترى . ويقول الحديث الشريف: , اعبد لقد كنانك تراه فإن لم تمكن تراه فإنه يراك .

و بقول: دانق لله حيثها كنت، .

و پقول: د استحیوا من حق الحیاء. .

ومن النصح المسموع في الإسلام : ديادروا بالإعمال، و دحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، .

وفى الإسلام وعيد شديد لمن يغفل عن مراقبة ربه ويلمو ويلعب .

و ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ، .

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة صنكا وتحشره يوم الةيامة أعمى. قال: رب لما حشرتنى أعمى وقدكنت بصيرا؟. قال كدلك أنتك آيا تنافنسيتها، وكذلك اليوم تنسى . •

فاين التخدير في الإسلام ، إن المخدر .. فعلا .. هو الذي يقول: إن الإسلام مخدر أو هو أفيون الشموب .

إن الإسلام أحاط الإنسان بطايقات جائلة من التوجيه والتشريع لانترك ذرة واحدة من حياته أو أى سلوك كبر أو صفر إلا والإسلام فيه توجيه من خلال ثلاثة الصول تنتظم النشاط البشري كله ، وتلك الأصول مى:

الأصل الآول: إنهل: ويندرج تحت هذا الآمر أيعال الخير كلها سواء كابنت واجبهة كأداء العيلدات المفروضة، والآمر بالمعروف والنهى عن المذكر، أو كانت مندوبة يترجح فعلها على تركها كصلة القربي والإحسان إلى مستحق الإحسان.

الأصل الثاني: لاتفعيل: ويندرج تحت هذا النهى كل أفعال الشرسواء

كانت محرمة كمقوق الوالدين وخيانة الأمانة ونقض المهدوالفش والخديمة. وأذى الجار واختلاس الأموال والسمى بالفساد بين الناس. أو كانت مكروهة يترجح تركها على فعلما كالتراخى فىأداء الواجبات وعدم التورع عن الشبهات والمبالغة فى المدح أو الذم.

الأصل الثالث: إفعل - لاتفعل: ويغدرج تحت هذا الآصل بفرعيه الآمور المباحة إباحة مستوية الطرفين. وهو كل خير لم يلزم الشرع الناس بفعله ولم يحرمه عليهم، لأن أبو اب الخير واسعة وطاقات الناس مختلفة في القدرة على فعلد. ومثاله بنا، مدرسة أو مستشفى أو شق طريق لفادر تليه، فالإسلام لم يوجب ذلك وجوبا حتى يعاقب من لم يفعله من الآثرياء، ولم يحرمه على من أراد أن يتطوع به.

هذه الأصول الثلاثة انتظمت النشاط البشرى كله، والمسلم المسكلف خاضع لها خطوعا تاما . ورقابة الله مطلة على الجميع ، فكيف يقال : إن الإسلام مخدر لتابعيه وهو يوجهم هذا التوجيه . ويراقبهم تلك المراقبة الدقيقة ويحمى عليهم أعمالهم ثم يحازيهم عليها على هذا الأساس : و فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

والإسلام منهج آخر فى بعث الوعى فى وجدان المسلم حيث حثه على النظر فى الكون والتدبر فى آيات الله فى النفس وما خلق الله من شىء . وقد مرت بنا نماذج كثيرة فيا تقدم لفت القرآن فيها الأنظار إلى بدائع خلق الله وجميل صنعه . وهل توصف أمة بفقدان الوعى ودينها يخاطبها فى كل حين عثل قوله تعالى :

، یا أیها الناس اتقوا ربکم ، إن زلزلة الساعة شیء عظیم ، یوم ترونها تذهل کل مرضعة عما أرضعت ، و تضع کل ذات حمل حملها ، و تری الناس سکاری ، وماهم بسکاری ، ولسکن عذاب الله شدید ، الحج ( ۱ س ۲ ) . إنها أمة ذات رسالة في هذا الكون ، وقد وضع الله في يديها أمانة وحيه واستودهما خواتيم كلماته ، ووسم لهاطريق الظفر في الحيان وحظها من النجاح والتردي رهين تمسكها بدينها ، فإن غفلت عنه يوما فهي الملومة ، وليس الإسلام .

## الإسلام دين العزة وليس الحنوع:

وصف الشيوعيون الدين \_ بعامة \_ بأنه يدع ـ و إلى الحنوع والذل والإستكانة . وهذا الوصف أبعد ما يكون عن الإسلام . ومن يصم الإسلام بهذه الوصفة ا فإنه إما جاهل بالإسلام ، وإما عدو لدود له واجتماع هذين الوصفين [ الجهل بالإسلام والعدواة له ] متحقق في أئمة الإلحاد وعملاتهم . ومن الطريف جدا أن الشيوعيين ، وهم من أكبر خصوم الإسلام قدوصفوه بهذا الوصف . وأن خصوما آخرين الإسلام جميعنا يعرفهم قد وصفوه بمكس ما وصفه به الشيوعيون فقالوا: إن الإسلام دين السيف . ويريدون من مذه المقولة أن أمر الإسلام قام على السيف والبطش وليس على الإقناع . وهذا يدلك على أن خصوم الإسلام \_ جميعاً \_ يصدرون أحكامهم عليه بالهموى دونما سواه وكلمم كاذبون فيما يقولون . ومسألة ، السيف هذه ، وكرناها هذا لأن فيها رداً من بعض خصوم الإسلام على بعض خصوم الإسلام الأن من يقول : إن الإسلام دين السيف يبطل قول من قال : إن الإسلام يدعو إلى الذل ويحبذ الحنوع والإستكانة . فالسيف رمز القوة الإسلام يدعو إلى الذل ويحبذ الحنوع والإستكانة . فالسيف رمز القوة السيف . فهذا تطرف وهذا تطرف ، وكلا الفرية ين على خطأ فاجن .

و يكنى أن نقول فى الرد على من وصَّ الإسلام بأنه دين السيف أن الإسلام لله و يكنى أن نقول فى الرد على من وصَّ الإسلام المنحرف بفكر صحبح، وإنما حارب الفكر المنحرف بفكر صحبح، وحين لجأ أصحاب الفكر المنحرف الصال إلى حمل السيف حل الإسلام السيف

على سيوفهم ، لأن إسكل جالة سلاحها اللناسب لها والمعاملة يالمثيل شرع مَنْ تَضِي عِنْدُ جَمِيعِ العَقَلاءِ ، ومبدأ دولي معروف في الفِقه الدولي المعاصر .

## « القوة العسكرية »

أما الذين وصفوا الإسلام بالخنوع والذل بوالإستكانة ، فإننا يُقبول في مواجهة دعواه هذه :

إن الإسلام دين العزة والشموخ والكرامة . والعزة فيه صنو الإيمان باقه في الجلال والإكرام . أما أدلتنا على ما تقول فأكثر مهن أن تحصى عنا \_ ومنها :

## ١٠ اللامر بالقتال في سبيل الله:

د وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . إن الله الا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم . والفتئة الشد من الفتل ، والا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقائلوكم فيه ، المان قاتلوكم فاقتلوهم كذاك جزاء السكافرين ، وقاتلوهم حتى الا تكون فتنة ، ويكون الدين اله بالطالمين ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ، .

### ٣ به الأمر بالثبات في ميدان القتال إذا وجب:

ديها أيها الذين آمنو إزادًا لقيتم فئة فإثبتوا . واذكروا الله كثير الملكم الهلجوين ...

« يا أيها الذين آمنو الإذا لمقيتم المدين كهروارز حفا فلا يتولويهم الأدبار. ومن يوطم يومئذ دبر . إلا متجرفا لقتال أو متحيزاً لفئة فقد باء بغضب من الله . ومّاواه جهنم وبئس المصير .

## به الأمر بالقتال لزد الإعتداء وتأديب الماوقين :

فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله واعدوا الله الله مع المتقين، .

## ع ـ الأمر بالقتال إذا طعن العدو في الدين ونقض عهداً:

د و إن اسكشوا أيمانهم هن بعد عهدهم. وطعنوا في ديسكم فقاتلوا أثمية الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم بنتهوين . ألا تقاتلون قوماً الكثوا أيمان لهم لعلهم بنتهوين . ألا تقاتلون قوماً الكثوا أيمان لهم لعدوكم أول مرة . أنخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشيه إن كنتم مؤمنين ، .

#### ه \_ الأمر بالإعداد لقتال المدو جهد الطاقة :

و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون يه عدو الله. وعدوكم . وآخر بن من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم . . . . .

### ٣ ـ الإعلام بأن الموت في سبيلي الله هو الحياة :

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، بل أحياء والكن لا تشعرون ١٠٠٠

و لا تحسين الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند رجم برزقـــون ، •

و فرحين بما أناهم الله من فضله . ويستبشّرون بالذّين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، .

٧- الإعلام بأن الفرار من الموت في القتال لا يحقق نفما :

د قل: لن ينفحكم الفرار إن فردتم من الموت أو القتل و وإذا لاتمتعون الا قليلًا . .

٨ - الإعلام بأن كل مشقة بلقاماً المقاتل في سبيل ألله هو مأجور عليها:
 ولا عليها الله بأثبه الأيضيهم ظمةً والأنصب ولا عليصة في سبيل الله ، ولا يعلشون

موطئًا يغيظ الكفار، ولا ينالون من عدو قيلا إلاكتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر الحسنين، .

## إلى الإعلام بأن الجماد في سبيل الله تجارة رابحة :

ديا أيها الذين آمنوا مل أدلكم على تجارة تنجيكم من عداب أليم . تؤمنون باقه ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون بغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة فى جنات عدن . وذلك الفوز العظيم . .

## - ١ - الإعلام بأن الله نصير المجاهدين في سبيله :

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم . ويشف صدور
 قوم مؤمنين، .

النصوص المتقدمة تمكشف بجلاء عن القوة المهذبة التي ربي الإسلام عليها الامة أمام العدو الذي يريد أن ينال من قدرها أو يهدد وجودها ، أو يعوق وسالتها . وهي قوة مهذبة لأن مبعثها الحق . وتهذيبها أنها لاتبدأ بالعدوان وإنما ترد العدوان ولاتقتحم على الآمنين أوكارهم وإنما تشهر السلاح في وجه من شهر في وجهها سلاحا فإذا خدت الفئنة عادت الآمة إلى هدوئها وقرارها وتصطت في أداء رسالتها في عفة وعدالة . وليست هي أمة جائرة يحملها النصر على الفساد في الآرض ومواصلة العدوان :

و فإن التهوا فلاعدوان إلا على الظالمين، إن غاية القوة المهذبة فى الإسلام على إعادة الامور إلى نصابها ، فإذا عادت وجب الكف عن القتال :

وَّفَانَ اعْتَرُلُوكُمْ فَلَمْ يَقَا تَلُوكُمْ وَالْقُواْ إِلِيكُمُ السَّلَمُ فَأَجَمَلُ اللَّهِ لَكُم عَلَيْهِم سَبِيلًا ، مِ

﴿ إِنْ جَنَّحُوا لَلْسِلْمُ فَاجِنْحُ لِمَا وَتُوكُلِ عِلَى اللَّهِ . . . .

وبعد تحقيق الانتصارور فع حالة الطواري فإن الامة تعوف ماذا تعمل:

الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلة وآتوا الزكاة وأمروا
 بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » .

هذه هي بعض ملامح سياج الأمن الحارجي لمنهج الإسلام الذي دعا الأمة لتسكون قوية في و السلام ، .

### والقوة الأدبية ، :

القوة المسكرية تحمى الآمة من العدوان الخارجي كما تحمى كل فرد فيها تازلة من حفظ كيان الجماعة إلى حفظ كيان الآفراد.

والقوة الأدبية تحمى كل فرد فيها من الخور والضعف كما تحمى الأمة نفسها صاعدة من نظام الأفراد إلى نظام الأمة .

ونعنى بالقوه الآدبية أن الإسلام حرر الفرد من عوامل العنمف والذل والحنوع ودعاكل فرد إلى أن يأخذ بأسباب تلك القوة الآدبية فلايخشى أحدا إلا خالقه ومولاه ولا يجعل للشيطان منافذ إلى نفسه وحين يبكون أفراد الامة أقوياء قويت الآمه المكونة منهم وفيها يأتي صورة موجزة للتربية الإسلامية التي هدفت إلى خلق الهجاعة الآدبية في أفراد الجاعة المسلمة.

### 1 - إذا أراد ألله حياة نفس فلا قوة في الأرض تميتها:

« وما كان *لنفس أن تمو*ت إلا باذن الله كسّابا مؤجلا ٠٠٠٠ -

## ٣ ـ كـفالة الله بالرزق لـكل مخلوق:

د وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ، .

#### ٣ ــ النفع والضر بيد ألله وحدم:

## ع ــ لاحزن ولا فرح فالمقدور بيد الله وحده :

ما أماب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لـكيلا تأسوا على مافانـكم ولا تفرحوا عالم ، والله لا يحب كل مختال فحور ، .

## ه ــ التوجه بالرجاء إلى ألله وحده:

و إن يمسشك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يردك بخير فلا راد لغضله ، يصيب به من يشاء من عباده . وهو العقور الرحيم · ·

مايفتح لئه للناس من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من
 بعده وهو العزيز الحكيم ، .

### ٣ ــ زحمة الله واسعة فلا يأس ولا قنوط:

وقل : يأعبادى الذين أسرفواعلى أنفسهم لانقنطوا من رحمة الله. إن الله
 يغفر الذنوب جنيما إنه هو الغفور الرخيم »

## ٧ - دفع مرارة الحوف بحلاوة الرجاء:

د وهو الذي جعلـكم خلائف الأرض، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آ تاكم، إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم ،

#### ٨ - البرى. لا يؤخذ بذنب غيره:

د ولا تـكسبكل نفس إلا عليها . ولا تؤر واؤرة وزر أخرى ٠٠٠٠ . دكل نُفس بُما كُسبت رهينة ٠٠٠ .

### هـ لكل عمل عند الله جزاء يوفاه العامل:

و فاستجاب لهمر بهم أنى لا أصيع عمل عامل منه كم من ذكر أو أنى بمضكم من بعض ١٠٠٠ -

د إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . .

#### ١٠ ـــ الناس سو اسية عند الله ولا فضل إلا بالتقوى :

ديا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا: إن أكرمكم عند الله أنقاكم . إن الله عليم خبير ، .

١١ ــ عند فوات المأمول بجب أن يثق المسلم في اختيار الله :

، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرلكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لحكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون ، .

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ٠٠٠٠ .

## ١٢ ــ والإتصال بالله ميسر للمسلم دون وساطة كمان :

« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

فاذا يخاف المؤمن أو يحذر غير الله . فهو .. أى المسلم .. أمام الناس سيد نفسه ، وهو أمام الله عبد ممثل ، عزيز بإيمانه ، كريم بتقواه غنى بحظ - • خضوعه بين يدى الله شموخ . و افتقاره إلى الله غنى الله هو الذى خلقه ورزقه وهو .. وحده .. مصير أموره ، ومصرف شئونه . وسائله عما استرعاه . وليس مختلوق عليه سلطان •

وبهذا المقام الرفيع الشامخ فخر من فخر فقال:

ومما زادنی شرفا وتیها وکدت باخصی اطأ الثریا دخولی تحتقولك یاعبادی و آن صیرت أحمد لی نبیا

هذا مو الإسلام في مواجهة الآيديولجيات المماصرة فإذا أرادت الإنسانية أن تسعد محياة الدارين فليس آمامها من طريق إلا الإسلام، والإسلام وحده.



# فهرس الكمتاب

السفحة								الموضوع								
							وول	دث اا	الب							
	١					اسة	ي القد	نصوم	دة ال	سيا						
	٧	•	•	•	•	,		کنسی	م الــَ	اريه	في التا	مجرم	وأول	لنطين	۵.	
•	٧	•	•	•	•		•	•	. `	•			۔ کنیسة	اد الـ	***	
11	۳	٠	•	•	•	•		•						او <b>ی</b> ء		
14	•	•	•	•	•	٠			•	٠				ر بة توثبۇ		
14	١.	•	٠	•	•	•	•	•			•		لس	ا <del>لل</del> بو	, <u>.</u>	
**		•	•	٠	•	•		اهر	الظو	ش	ئن بم	سة ء	السكني	ورات	تعد	
40	•	•	•	•	•	•			رات	لتصو	نذ. ا	من ه	إسلام	تف الإ	مو	
70	•	•	•	•	•	٠	•			•		لاصير	. أو	- ـــراد	ā)i	
						نی	الثا	لبحث	1							
٦٧							ان_ـة	·								
٦,											_					
79			•	•	•	•	*	•		•	ية		لمهوز	سياب خ	1	
٧.	•	·	•	•			4	للمعرة	بدر					 تدان ا		
٧٢	Ĭ	,	•	•	•	٠	•	•		ú	<b>ر الد</b> ي	_K_	الإص	وئر وأ	ľ	
<b>W</b>	Ţ	•	•		•	•								لسكثو		
	•	•			•		•	•	ر	تنوير	سر الا	و عد	المقل أ	سيادة ا	,	
۸٠	•	•			•		•	٠		٩	ومنم	او اا	الحس	سيادة		
٨٢	•	٠		•	•	•	•	٠	٠					الثودة		
٨٣	•	•	,	•	•	•	٠	•	•		نورة	رةالا	الخط	النتأعج	,	
Ao.	•	٠	•	•	•	•	•	•	٠				سلاميا			
94	•	•	•	•	•	•	•	•					المقل			
														-		

الإسلام من أحباب النهضة ولكن	السنيحة						للوضوع
اله البه البه ماهي ؟	114	•	•	•	•	as	الإسلام من أسباب النهضة ولكتن .
عوامل مساعدة على نشأة المامانية وتطاورها	171	٠	٠	•	٠	•	قاعة بالأخطاء الق مهدت للمانية
الداروينية واثرها في أوربا	170	•	•	•	•	•	المدانية ماهي؟ • • • •
الدفاع عن الإلحاد  دور البرد في دّيوع النظرية الداروينية  موقف الإسلام من نظرته داروين  موقف الإسلام من نظرية فرويد  أثر القرويدية في الفكر الملحاني  أثر القرويدية في الفكر الملحاني  براجما تزم في قيام الملمانية  دور البراجما تزم في قيام الملمانية  موقف الإسلام من هذه النظرية  موقف الإسلام من هذه النظرية  الوقية والميتافيزيقية  الوقية والميتافيزيقية  الوقية والميتافيزيقية  الموقف الإسلام من هذا التصور  الرائم في قيام الملمانية  الوقية والميتافيزيقية  المورد فانسترت والدفاع عن الميتافيزيقا  الملمغان الصحيحة والتدليل على وجود الله  المهنة ابن رشد والعاراني وقضية الإيمان	141	٠	•		٠		عوامل مساعدة على نشأة العلمانية وتطنورها
الدفاع عن الإلحاد  دور البرد في دّيوع النظرية الداروينية  موقف الإسلام من نظرته داروين  موقف الإسلام من نظرية فرويد  أثر القرويدية في الفكر الملحاني  أثر القرويدية في الفكر الملحاني  براجما تزم في قيام الملمانية  دور البراجما تزم في قيام الملمانية  موقف الإسلام من هذه النظرية  موقف الإسلام من هذه النظرية  الوقية والميتافيزيقية  الوقية والميتافيزيقية  الوقية والميتافيزيقية  الموقف الإسلام من هذا التصور  الرائم في قيام الملمانية  الوقية والميتافيزيقية  المورد فانسترت والدفاع عن الميتافيزيقا  الملمغان الصحيحة والتدليل على وجود الله  المهنة ابن رشد والعاراني وقضية الإيمان	184	•	•	•	• ,	•	الداروينية وأثرها في أوربا • •
موقف الإسلام من نظرته داروبن	144	•	•	•	•	٠	
الأمرويدية في المسلام من نظرية نرويد	147	٠	•	•	•	•	حور البهزد في ڏيوع النظرية الداروينية
موقف الإسلام من نظرية نرويد	149	•	•	•	•	•	موةف الإسلام من نظرته داروبن 💎 -
أثر الفرويدية في الفكر المهاني       ١٥٣         براجماتزم وليم جيمس       ١٥٧         تمقيب إسلامي طي البراجماتزم       ١٥٩         دور البرأجما تزم في قيام العلمانية       ١٥٩         الله المحمات المحمور       ١٦٥         الموقف الإسلام من هذه النظرية       ١٦٩         الموقف الإسلام من هذا التصور       ١٦٩         الواقعية والميتافيزيقية       ١٧٥         المورد فانسترت والدفاع عن الميتافيزيقا       ١٧٧         الفلسفات الصحيحة والتدليل على وجود الله       ١٨٥         ناسفة ابن رشد والفارابي وقضية الإعان       ١٨١	128	•	•	•	٠	•	القرويديسة • • •
براجماتزم ولیم جیمس       ۱۹۰         تمقیب إسلامی طی البراجماتزم       ۱۹۰         دور البراجماتزم فی قیام العلمانیة       ۱۹۰         المهد الاجماعی (نظریة روسو)       ۱۹۰         موقف الإسلام من هذه النظریة       ۱۹۹         المیسکیافیلیة       ۱۹۹         موقف الإسلام من هذا التصور       ۱۹۷         الواقعیة والمیتافیزیقیة       ۱۹۹         المورد فانسترت والدفاع عن المیتافیزیقا       ۱۹۷         الفلسفات الصحیحة والتدلیل علی وجود الله       ۱۸۱         ناسفة ابن رشد والفارایی وقضیة الإیمان       ۱۸۱         ناسفة ابن رشد والفارایی وقضیة الإیمان       ۱۸۱	184	•	٠	•	•	٠	موةف الإسلام من نظرية نرويد 🔹
تمقيب إسلامى على البراجم اتزم دور البراجم اتزم فى قيام العلمانية دور البراجم اتزم فى قيام العلمانية دور البراجم اتزم فى قيام العلمانية دور البراجم الإسلام من هذه النظرية دور البراجم الإسلام من هذه النظرية دور البراكم الإسلام من هذا التصور دور البراكم المن هذا التصور دور الله دور	100	٠	٠	٠	•	٠	أثر الفرويدية في الفكر الملماني م
دور البراجما تزم في قيام العلمانية	104	٠	•	•	٠	٠	براجماتزم وليم جيمس 🔹 🔹
المقد الاجتماعي ( نظرية روسو )	YOY	•	•	•	٠	•	تُمَتَّيْبِ إسلامي على البراجما تزم .
موقف الإسلام من هذه النظرية	104	٠	•	•	•	•	دور البراجما تزم في قيام العلمانية
الميسكيافيلية	17.	•	•	•	•	4	المند الاجتماعي ( نظرية روسو ) •
موقف الإسلام من هذا التصور	174	•	•	٠	•	•	موقف الإسلام من هذه النظرية 🔹 .
الواقعية والميتافيزيقية	179	٠	•	•	•	٠	الميكيافيلمية
نيون ولابلاس يستدلان مل وجود الله	14.	•	•	•	• ,	•	موقف الإسلام من هذا التصور .
الورد فانسترت والدفاع عن الميتافيزيقا	178	٠	٠	•	•	•	الواقعية والميتافيزيقية • • •
الفُلْسَفَاتُ الصحيحة والتدليل على وجود الله • • • • • ١٨٠ على وجود الله • • • • • ١٨١ على المُعَانُ • • • • • ١٨١ على وقضية الإيمان • • • • • ١٨١ على وقضية الإيمان • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	174	•	•	•	•	•	نیوتن ولابلاس پستدلان طی وجود الله
غلسنة ابن رشد والنارابي وقضية الإيمان • • • • ١٨١	144	•	•	٠	•	•	اللورد فانسترت والدفاع عن الميتافيزيقا
ust a second and a	14-	•	•	•	•		الفلسفات الصحيحة والتدليل على وجود الله
مكذالحكيم	141	•	•	•	•	•	فلسفة ابن رشد والغارابى وقضيةالإيمان
	<b>1</b> /4	•	•	•	•	•	حكمة الحسكيم

المنحة							الموضوع
					الث	ث الله	البعم
۱۸۷۰					;	نيوعيا	±N
14.	•		•	•	•	•	فلسفة فيتشه الق نهيج عليها هيجل
144		٠	•	٠	•	•	هيجل على الطريق.والمقول الثلاثة
144	•	•	•	٠	•	•	ماركس وفلسفته المستمارة
111	•	•	•	•	•	٠	يمعنى الجدلية
٧	•	•	•	٠	ن	بيوعيا	مجال الاستخدام عند المساديين والث
4.1	٠		٠	•	•	•	المادية التاريخية
٧.٣	•	•	•	•	•	٠	قانون نني البني • • •
Y+A	٠	•	•	٠	•	٠	بين للساضي والمستقبل • •
4.4.	<b>•</b> ,	•	٠	٠	•	٠	يمناقشة من يرجهة نظر إسلامية
411	•	•	•	4	•	•	الاقتصاد في سلوكيات البشر 🔹
412	•	٠	•	٠	٠	•	حرية البملك في الإسلام • •
*17	•	•	•	•	٠	٠	اللكية الحاسة أمام السلحة العامة
<b>41</b> A	٠	•	•	•	•	•	ايهما أصلح
414	٠	•	•	•	٠	•	كذب تنبؤات ماركس 🕠 🌼
44.	Φ,	•	•	•	•		الراسمالية ليست أسوأ من الشيوعية
***	•	٠	٠	•	٠	•	حكمة التشريع الإسلامى
44.	•	•	•	٠	٠	•	مراحل تاريخ الممرفة الإنسانية
140	٠	•	٠	+	٠	•	إصرار على لا كنر والإلحاد •
748	•	•	٠	•	•	•	المادية العاموسيمة • •
<b>۲</b> ዮጵ.	٠	•	•		•	i	المادة سابقة في الوجود على الفكر ٢
721	٠	٠	*	*	•	•	من التممم إلى التخصيص
717	•	•	٠	٠	•	٠	منهيج الإستدلال • • •
<b>7£9</b> ,	٠	•	•	٠	•	٠	مواجهة إسلامية لهذه الأوهام
780.	•,	•	•	•	•	•	مزعم أسبتيمة المادة
							•

ā-ai.	a ji								ومنوع	li.
787	•	•		•	•	•			•	الفكر نوعان
724	•	•	•	•	•		ين	شيوع	عوى اا	شواهد بطلان د
404	•	*	•	•	•					دعوى شيوعية
709	•	•	•	•	•					بلاغات الوحى ا
377	•	•	•	•	•	•	•	•		مثال وتوضيح
777	•	•	٠	•	•	•	٠		•	أزلية المادة ؟
149	•	•	•	•	•	٠	•	•		أبدية المادة ؟
**\	•	•	•	•	•	•	•	•	أأمى	علالة السلم الو
204	•	•	•	•	•	٠	لاق	غر المع	ى والص	الانتقال الحراد
377	•	•	•	•	•	•	•	•	•	إخبار الوحى
444	•	•	•	٠	•	•	•	•	•	الثلاثة قوالين
***	•	•	•	•	•	•	•	•	والمقل	دلالات الملم و
787	•	•	•	•	•	•	•	•	•	دلالة الوحى
470	٠	•	•	٠	•	•	ادی	_		حديث القرآن
74.	•	•	•	•	•	•	•	كرام	والإ	الله ذو الجلال
494	•	•	٠	•	•	•	• •		ن بالله	المنقل والإيمساد
448	•	•	•	٠	•	•			للمقل	ثلاث مراحل
440	•	•	•	•	•		ة الألوهية	عقيد	ل نيخو	لماذا أنجه المة
797	•	•	•	*	•	•		•		الإنسجام نوء
144	•	•	¢	•	•	•	•	العقلى	العمل	نمـوذح من
194	•	•	•	•	•	٠			الميلية	قدم النزعة ا
*+1	•	•	•	•	•	•				المذاهب في
٠.٣	•	•	•	•	•	•	•	وعان	کون ن	التسأمل في ال
٠ 4	•	•	•	•	•	•	• •	•	وحي	المدذهب الر
٠.٧	•	•	•		•	•	• •			الذهب الندو
• ٩	•	•	•	•	•	•	• •	•	c	نظرية ديكاره

مة	الصاد									الموضوع	
٣	١,	•	•	•	•	٠	•			بلاقى	الذهب الآخ
*	١٢	•	•	•	•	•	•		- کار <b>ت</b>		تشابه نظریق
4	14	•	•	٠	•	•	•		ø		المدهب الاح
41	٤	٠	•		•	٠	•				مذهب الوعى
41	0	•	•		•	٠	•				المذهب التعليم
4-1	٦	•	•	•	•	•		٠	حة	_	المدة في المذ
۲1.	٨	•	•	•		٠	٠		•	•	سؤال هذا مو
71	٩	•	•	•		•	٠				وجواب هذ
اد۳	<b>r</b>	•	•	•	•				•		وجواب سم ابن رشد يمة
408	Ł	•	•	•	•		•	•	ા		وين رسد يمه دلالة التحد:
700	, ,	•	•	•	•		•	•	٠.	ی واوست	السرت
707		•	• .	,	•			د اند	al.T i	-11	مظاهر التح
TOY			•				ِی ۔	- احر	ט וייַר	دی والعهر	
40%						•	•	•	•	• •	دلالتان نشر سيم
۳7.							•	•	•		الأمم كالأز
444						•	•	•	•	•	حلالة النظام
444	Ť	•	•	•	•	•	•	•	• •		Malai II
440	•			•	•	•	•	•			وفحيننا الش
#14	•		•	•	•	•	•	•	المصير	بن للنشأة و	
	•	•	•	•	•	•		•	• •		لاتبديل لـ
**	•	•	•	•	•		.ض	والأر	وات	لمكوت الم	النظر في م
441	*	•	•	•	•	•	•	•	زمش	اة على الار	الماذا الح
<b>TY</b> £	•	•		•	•	•	,	•	• •	رمِن	مزايا الا
TVA	•	•	•	•	•	.*	•		• ,	ر. نيع المأدم	إعادة تعا
444	•	•	•	•	•		•		بتدر	مرء خلقناه	انا کل ش
414	•	•	•	•	•	•	•		عورها	ت .ضعلی <sup>ع</sup>	ميل الأد
<b>የ</b> ለ፥	•	•	•	•	•	•	•			موضوع ا	

السفيحة								ě	للوضوع	
444	•	٠,	•	•	•	•	•	•	٠	يسنمة لاتحاكي
444	•	•	٠	•	•	•	•	4	المثيرا	عمليات المغتم و
440	٠	٠	•	•	•	٠	•	٠	•	حسن النصوير
<b>FA7</b>	•	•	٠	•	•	•	•	•	٠	مرونة التركيب
<b>4</b> 44	•	•	•	•	•	•	•	•	٠	الدقائق للدقائق
44.	<b>•</b> ,	•	•	•,	•	•	•	•	•	نذكرا فلا تنس
441	•	•	•	•	•	•	٠	•	•	الدين عشدر
497	•	•	•	•	•	•	٠	٠	•	۔ تقسد ونقض
444	٠	٠	•	•	•	•	•	•	•	شبهـة وردها
<b>44</b> V.	•	٠	•	•	•	•	•	•	•	.ب هل الدين عندر
*41	•	•	•	•	•	٠	٠	•	اء.ة	جهل رءوس الشيو
799	•	•	•	•	•	•	٠	٦,		الإسلام في مواج
٤٠٠	•	•	•	•	٠	•	•	ï	ي والقو	الإسلام دين الوع
٤٠٣	٠	•.	•	•	٠		ءِ			الإسلام دين المرة
٤٠٤	•	•	•,	٠	٠	٠				الهوة المسكرية
٤٠٧	•	٠	•	•	٠	٠	٠	•	4	القوة الأدبي
211	•	•	•	•	•	•	•	•		مهوس الموضوعة







